رحلة أوليا چلبي في كوردستان

عام ١٠٦٥هـ - ١٦٥٥م

ترجمة

رشيد فندي



رحلة



عام ١٠٦٥ هـ - ١٦٥٥ م

ترجمة / رشيد فندي

٢٠٠٨

■ رحلة اوليا چلبي في كوردستان

□ ترجمة / رشيد فندي

□ الاخراج الفني و الغلاف :
عصام حجي طاهر

■ عدد النسخ : ٥٠٠
□ الطبعة الأولى /٢٠٠٨
□ مطبعة : خاني - دهوك
■ رقم الايداع (٢٤٤٦) في المديرية العامة للمكتبات / أربيل

مقدمة

ما حدث للمترجم من التركية الى الكوردية السيد (سعيد ناكام) حدث لي تقريباً، فعندما ابصرت بكتاب (رحلة اوليا چلبي) باللغة الكوردية عام (١٩٧٩)، و هو الكتاب الذي طبعه المجمع العلمي الكوردي ذلك العام، اشتريت الكتاب المذكور و ضممته الى مكتبتي، و انشغلت بقراءة كتب اخرى، و عندما رجعت لمطالعة الكتاب المذكور، كنت اظن بانني سأقضي وقتي مع كتاب يضم اضمامة من افكار و ملاحظات عابرة عن الكورد، تصفهم بالتخلف و التوحش و حب القتال، و الخ من المواصفات التي اعتاد بعض المؤرخين سوقها لدى تحدثهم عن تاريخ الكورد و طبائعهم، و خصوصاً من العثمانيين و الفرس.. اذ أننا اعتدنا كتاباتهم التي لا تتحرى عن جانب الدقة و الصواب لدى تقييمهم للامور التاريخية المتعلقة بالكورد، خصوصاً و ان هذا الكتاب يرجع الى



منتصف القرن السابع عشر، عصر السلاطين و الملوك من آل عثمان، و تكاد جميع الكتب التي تعود لتلك الفترة تجمع و يتفق اصحابها على الجهل او التجاهل حيال الحقائق التاريخية و السياسية التي تتعلق بالكورد، و قد تسببوا متعمدين في تشويه سمعة الشعب الكوردي و لو لحين من الدهر و تشويه تطلعاته و آماله التي افصح عنها في ثوراته و انتفاضاته المستمرة ضد الانظمة القامعة.. و لكن تلك الغيوم السوداء تبددت أمام ناظري منذ الصفحات الأولى من الكتاب، و اصبحت اقرأ بتلهف و شوق بالغين صفحات الكتاب المذكور، خاصة و ان المؤلف (اوليا چلبي) كان موضوعياً في معظم توجهاته و قناعاته حول الكورد، و عند انتهائي من الكتاب، أعددت منها محاضرة تاريخية القيتها في الموسم الثقافي لأتحاد الادباء الكورد- دهوك، و نظراً للمعلومات التاريخية القيمة الواردة في الكتاب، طلب مني الزملاء اعادة المحاضرة بشكل اوسع، لذا قمت باعادة المحاضرة في قاعة غاصة بالجمهور، و قسم منهم واقف على قدميه حتى نهاية المحاضرة.. ثم طلب مني الزملاء ترجمة الكتاب الى العربية- لكي يطلع القراء باللغة العربية على محتويات هذا الكتاب، الذي دونه الرحالة و السائح و المؤرخ اوليا چلبي، و هي نتيجة رحلة قام بها في كوردستان خلال عام (١٠٦٥هـ- ١٦٥٥م) ضمن مهمة رسمية يبدو انه تمّ تكليفه بها من قبل أعلى الاوساط في الباب العالي حينذاك.. حسب رايي، الكتاب مهم جداً من ناحيتين، الأولى: هي الجانب الحضاري الذي كان سائداً في كوردستان حينذاك في ظل الامارات الكوردية شبه المستقلة و ما كانت عليه من تقدم حسب مقياس ذلك الزمان، و الناحية الثانية هي اعطاء التفصيلات حول المؤامرة الكبيرة التي نسجها الباب العالي و قادته حول امارة بدليس الكوردية و أميرها الشهم (عبدال خان) و ما كان عليه



من أباء تفصح عنها شخصيته الكوردية العريقة، و التي سنقرأ تفاصيلها في ثنايا الكتاب..

و حول المؤلف (اوليا چلبي) نقول انه لم يقم بتدوين شيء عن بطاقته الشخصية في كتابه، كما ان المترجم من التركية الى الكوردية الاستاذ سعيد ناكام، ايضاً لم يسجل شيئاً عن حياة المؤلف، و الذي نعرفه نحن هي الاشارة الى ما ذكره المؤرخ المعروف د.كمال مظهر عنه في احدى مؤلفاته اذ يقول ان (اوليا چلبي) هو (درويش محمد ظلّي) ولد عام ١٦١١م و توفي عام ١٦٧٩م؟ و من المؤكد ان علامة الاستفهام تعود للدكتور كمال مظهر و العلامة تشير الى عدم التيقّن و التاكد من سنة وفاته،(١) كما ورد اسمه في مصدر آخر هو دائرة المعارف الاسلامية، التي ورد فيها ان اوليا چلبي توفي عام (١٠٩٣هـ- ١٦٨٢م)..(٢) و عموماً نقول ان المؤلف و كتابه (سياحتنامه) غنيان عن التعريف اذ يرد ذكرهما دائماً في المصادر التاريخية الموثوقة..

الكتاب مؤلف اصلاً باللغة التركية العثمانية، و هو يتكون من سبعة اجزاء، و الجزء الرابع هو المتخصص في تاريخ الكورد و كوردستان، و قد تمت ترجمته لوحده الى الكوردية، و نقوم نحن ايضاً بتعريب ذلك الجزء فقط. ولقد سررت حقاً، عندما قام أحد الأساتذة الأفاضل، بأستنساخ النصّ التركي الأصلي للكتاب في تركيا وجلبه لي، والنصّ هو بالأملاء التركي القديم أي بالحروف العربية، فأستفدت منه كثيراً عن طريق المقارنة بين الأصل التركي العثماني والترجمة الكوردية، وقمت بالمقارنة سطراً سطراً،

١- د. كمال مظهر أحمد، ميژوو-التأريخ ص ١٢٢، بغداد ١٩٨٣ (ر.ف).

٢- الكورد في دائرة المعارف الاسلامية، باللغة الفارسية،ص٢ ايران ١٩٨٨.

تنظر الترجمة العربية للكتاب المذكور في مجلة ڤةژين العدد (٩) من قبل رشيد فندي. ص (١٢٠- ١٢٨) (ر. ف).



ووقفت على بعض أماكن الاختلاف بين النصين، كما قمت بتثبيت أسماء العلم وأسماء المدن والأرقام المختلفة حسب النص الأصلي، وفي بعض الأماكن التي لم أتأكد منها وساورني الشك في فهمها، ساعدني في فك الأبهام الموجود والوصول الى دقة الترجمة، الزملاء الأفاضل د. بهروز شجاعي و د. عبدالآله كتانة و د.قدري يلدرم، الذين لهم اطّلاع جيد على النصوص التركية العثمانية، وانّني استغلّ هذه الفرصة السانحة، لأعبّر لهم عن شكري وتقديري الوافرين في ذلك، مضافة الى الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل سعيد ناكام، الذي جاهد كثيراً لترجمة هذا الكتاب المهّم من اللغة التركية العثمانية الى اللغة الكوردية، وكشف الغطاء عن صفحة مضيئة من تاريخ الحضارة الكوردية العريقة، وهي صفحة تهم القارئ الكريم.

و لابد من القول ان مؤلف الكتاب (أوليا چلبي) رغم موضوعيّته و أنصافه في معظم صفحات الكتاب، الاّ أنه قد حاد عنها في قضية (بدليس) و دفاع سكانها عن انفسهم و عن اميرهم (عبدال خان)، كما انه قد سرد احياناً بعض الأفكار الغريبة و الساذجة عن الكورد، و لكننا توخياً للدقة و الموضوعية لم نغيّر من الأمر شيئاً و لم نتدخل في اية كلمة من كلماته، و قد اشفعنا ترجمتنا احياناً ببعض التعليقات المبتسرة و التوضيحات الضرورية في الهوامش، و نترك الحكم النهائي للقارئ الكريم، ارجو ان يكون هذا العمل جزءاً من خدمة شعبنا و واجبنا نحوه، و نحن نحاول الكشف عن بعض خبايا و زوايا تاريخه. و الحقيقة التاريخية المشار اليها في الكتاب فترة مهمة، و هي فترة ما بعد (الشرفنامه)، ارجو من الله التوفيق.

رشيد فندي

مقدمة المترجم من التركية الى الكوردية

هذا الكتاب هو جزء من كتاب (الكورد في تواريخ جيرانهم)، الذي يبحث عن كيفية تسمية و دراسة الشعب الكوردي من قبل مؤرخي الشعوب المجاورة، دون تصرف و تشذيب و تدخل، و من ثم وضعه أمام أعين القارئ الكريم.. أي انها محاولة بسيطة لألقاء الضوء و لو بشكل خافت على الايام المظلمة من تاريخ شعبنا.

ان واحداً من اكثر الشعوب التصاقاً بالكورد و احتكاكاً بهم، و تداخلا في تاريخهم، هم الترك العثمانيون، الذين تجاوروا مع الكورد منذ ثمانية قرون خلت، و ان واحداً من اهم المصادر التي تشير الى تاريخ هجرتهم من مغولستان و استقرارهم في آسيا الصغرى، و تجاورهم مع الكورد، هو كتاب (اوليا چلبي) الذي كتب قبل (٣٣٣) سنة من الآن.(١)

١- كتب الكتاب عام (١٠٦٥هـ- ١٦٥٥م). (ر.ف)



و كنت سابقاً قد ابصرت في هوامش الكتب التاريخية بأسم (اوليا چلبي) كمصدر تاريخي دون ان يثير الاسم اهتمامي، الى ان طلب مني احد الاصدقاء في صيف هذا العام (عام ١٩٧٧) أن أقضي بعضاً من فراغي بترجمة (سياحة اوليا چلبي)، اما انا فقبل اتخاذ قرار بصدد ذلك، قمت بقراءة سريعة للمجلد الرابع من كتابه المتكون من ستة مجلدات.

في مقتبل الربيع، يخرج الناس في كوردستان الى الحقول و السهوب طلباً لجمع نبات الكعوب و غيره من النباتات البرية(١) بواسطة ادوات قلعها من الارض، ارجو من القارئ الكريم ان يتخيل مسحاة استخراج الكعوب، و اذا به يفاجأ برنين بعيد من خياله، و بدلاً من حصوله على جذر كعوب، اذا به و قد استخرج قطعة ذهبية.

كنت انتظر منه كتاباً تركياً يبدأ بالثناء على (سلطان البرّين و خاقان البحرين)، و أن يكون مضمونه مليئاً بالهرطقة و المدح له، و ان لا يقترب من الحقيقة الا نادراً و حسب مصلحته، و لكن الامر لم يكن كذلك، اذ لو وضعنا الأفكار الصوفية و الجانب الديني لمؤلف (السياحتنامه) جانباً، لأنها أقل علاقة بموضوعنا، لأصبح بأمكاننا القول بأنه كتب ما رآه و ما عرفه من حقائق، بكل موضوعية و نقل الحقائق بكل صفاء، و ان كتاباته خالية الى حد كبير من كل تعصب و تمييز عنصري، و اذا كان المؤرخ الكوردي (شرفخان البدليسي) قد كتب الشرفنامه لشعبه الكوردي، فأن (أوليا چلبي) كتب ما رآه و ما سمعه في سياحته في أرجاء الدولة العثمانية، لذا يحق ان يسمى هذا المجلد من كتابه ب (كتاب كوردستان) لانه ذكر فيه اشياء كثيرة، غير واردة في الشرفنامة..

٢- الكعوب هو (كەنگر) بالكوردية، و النباتات البرية في الاصل هي (شنگ وئاله كوك). و ادوات القلع في الكوردية هي (پيشك، مقساسة).. (ر. ف).

ان أسلوب الكتابة لدى (أوليا چلبي) هو اسلوب جاف، حتى لو قيس بمقياس عصره، و قد انتحى ناحية الدقة في الكتابة، اما انا فكنت أمام أمرين في معرض ترجمتي للكتاب، أما تغيير أسلوبه الجاف في الكتابة و وضعه في قالب ملائم لهذا اليوم، و بذلك سيختلف الكتاب عن نصه الأصلي قليلاً، أو أترجم الكتاب كما هو، وأن لا أغيّر أو أترك أو أضيف أية كلمة، دون تغيير محل جملة وأن لا أعيد تكراره لكلمة مرتين أو ثلاث وأكتفي بكتابتها مرة واحدة، فأخترت الطريق الثاني، و حسب رأيي اذا كانت تلك الطريقة غير ملائمة لأية ترجمة، فأنها ملائمة لترجمة (السياحتنامه) الى الكوردية بل ضرورية لكي يطمئن القارئ بأن جميع هذه الكلمات (الكورد و كوردستان) و هذا الوصف لشجاعتهم و سخائهم و تضحياتهم في الكتاب، انما هو من لدن (أوليا چلبي) و ان المترجم لم يضف من لدنه حرفاً.

و هذا هو السبب في كون الكتاب يتصف بالضعف من ناحية البناء و التزويق اللفظي و البلاغة، و هو قوي و مفيد من ناحية المحتوى.

و من العجب، ان كتابنا و ادبائنا من العارفين باللغة الكوردية و منذ سنوات عديدة انشغلوا بامور أقل فائدة، و في كل مرة كانوا يعبرون من جانب كتاب (السياحتنامه) دون القاء نظرة عليها.

و حسب رأيي، فانه من الممكن، ان نعتبر هذا الكتاب مقياساً لرقيّ حضارة الكورد المضطهدين من قبل المحتلين، و على كل حال فهو يضيف حفنة ذات قيمه الى الاناء الحاوي على تراثنا القومي.(١)

سعيد ناكام

اربيل ٩/١١/١٩٧٧

١- طبعت الترجمة الكوردية للكتاب من قبل المجمع العلمي الكوردي في بغداد عام ١٩٧٩، و الكتاب من ترجمة الاستاذ سعيد ناكام. (ر. ف).

٣

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّه وليُّ التوفيق وهو نعم الرفيق، الحمدللّه الذي شرّفنا بشرف السياحات على العبادة، وألقينا بتوفيق ربّانيته صاحب الجواد. و أشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من نطق بالضاد، وصلّى اللّه عليه وعلى آله وصحبه الى يوم الميعاد.*

أمّا بعد، انا العبد الصغير و الحقير المسمي (اوليا)، المولع بالحل و الترحال و السياحة في الدنيا، تركت بأسم الله مدينة (اسكودار)(١)في اليوم الأول من شهر جمادي الأول عام ١٠٦٥هـ في أثر (ملك احمد پاشا)(٢)أو متوجهاً الى أيالة (وان) و هذه هي قصة تلك السياحة:

*- هذا الاستهلال غير موجود في الترجمة الكوردية.(ر .ف)

١- اسكودار، هي مدينة توركية صغيرة تقع على الساحل الشرقي لمضيق البسفور اي مقابل استانبول. (ر. ف).

٢- كان (ملك احمد پاشا) في خدمة السلاطين العثمانيين، الى ان وصل الى درجة الصدر الاعظم، ثم انيطت به مهمة ولاية وان. (س. ن).

خرجت من (اسكودار) مع سبعة من الفرسان، و وصلنا بعد لأي في الليل الى قرية (صاري غازي) التابعة لمولوية اسكودار، تتألف القرية من مائتي بيت و هي زاهرة بالبساتين و الاشجار، لها جامع و تكيه و حمام و خان، و ليست فيها دكاكين و اسواق، و هي مصيف لأهل (استانبول)، اذ ينصبون خيامهم في الصيف و يقضون اوقات الراحة فيها، و يحل الكثير في بيوت اهالي القرية، او يذهبون الى تكية صاري (غازي سلطان).. ثم سرنا لمدة (١٥) ساعة خلال قرى جميلة و عامرة متوجهين شرقاً الى ان وصلنا لقرية (طوشانلي) التابعة لأيالة الأناضول و لقضاء (قوجه ايلي)، القرية تتألف من مائتي بيت و فيها بساتين كثيرة، و جميع اهاليها من المسلمين.

و في منتصف الليل بدأنا بالرحيل دون ضجة، وسرنا (١٣) ساعة اخرى باتجاه الشرق، الى ان وصلنا مدينة (ازميد) و حللنا ضيوفاً في بيت (احمد چلبي الاباضي) و هو من فرسان الانكشارية، اذ أخذنا فرصة للاستراحة و تناولنا شيئاً من الطعام.. و حصلنا على فرس اضافية احتياطاً، و توجهنا شرقاً ايضاً، تركنا قصبة (صبانجة) و دخلنا غابة اشجار كثيفة بين المستنقعات، و فجاة ظهر لنا ستة فرسان بدأوا بالهجوم علينا و بادلناهم اطلاق النار و أصيب فرس أحدهم ثم لم نلتفت اليهم، و عبرنا جسر (سقاريا) ذا الاربعة عشر قائماً و وصلنا قرية (كيوة)..

توجهنا الى الشرق ايضاً، و سرنا في طريق ترابية و بين الجبال، و مررنا ببعض القرى و القصبات، ثم مررنا بخان (نظيف پاشا) و لم نتوقف حتى وصلنا قرية (بگ بازاري)، و هنا توجه عشرة من رجال الپاشا، كل واحد منهم يحمل خمسة اكياس من النقود الى قصبات (انگوري، كنگري، اماسية، چوروم، مرزيفون) لجمع الرجال و المرتزقة، كما كان قد ارسل رجالاً



آخرين لولايات اخرى لدى بعض معتمديه. و كان الپاشا قد ارسل لي (مائتي قرش) وسيفا و خادماً گرجياً، و قد استلمتهم مع امتعتي و مع رجالي الآخرين، و ربطنا خيولنا هذه المرة امام خيامنا، و كان الشتاء قارصاً هناك..

و من (بگبازاري) كنا نتوجه باتجاه (القبلة)، اذ شاهدنا بعض الاشخاص يمشون في اثرنا في (آياش بيلي) وسط العاصفة الثلجية، و من هناك توجهنا الى (آياش) و (استينوز) و قلعة (انگوري)، فنكلر، قره باغلى، قلعة جك، شيخ شامي، قوجة بابا، آقجة قويونلي، صنقور اوغلو، بگباصدي، سنجاولي، ايپنلي سورگون، آقجه آسمه، قيدلي، و تكية الشيخ خليل، و قرية الشيخ خليل في أيالة (سيواس) تابعة لقضاء (كسكين)، و القرية تتألف من مائتي بيت و مسجد و تكية و هي قرية عامرة، و لقد قمت بزيارة ضريح الشيخ خليل في القرية.

و من هناك مررنا بقرية (ميرزا چاويش) ثم بقصبة (يكي شهر) ثم وصلنا مدينة (سيواس)،.. اخذ الپاشا استراحة لمدة ثلاثة ايام هنا، جمع خلالها مصاريف عشرين مجموعة من المرتزقة، كما جمع ألفي شخص من الاغوات مع مصاريف اربعة آلاف و ستين شخصاً، مع كمية من العلف تكفي لثلاثمائة من الجمال والخيول والبغال.(١)

في اليوم الرابع خرجنا من (سيواس)، كانت وجهتنا نحو الشرق، فعبرنا جسر المدينة و بعد سبع ساعات وصلنا قصبة (اولاش). و من هناك و في هذا الشتاء القارص و بين الثلوج الغزيرة توجهنا شرقاً، و تركنا مجموعة من خيولنا الهزيلة و العاجزة الى ان وصلنا مصايف (السلطان حسن) و ان

١- من هنا يتأكد ان (ملك احمد پاشا) الوزير العثماني كانت له خطة مسبقة للهجوم على امارة بدليس الكوردية، اذ قام بجمع الرجال و المرتزقة و هو لا يزال في الطريق. و كلمة (آغا) الواردة هنا هي منصب عسكري أو اداري عثماني. (ر. ف).



هذا السلطان الذي كان من ملوك اذربيجان، قد نصب على الطريق عدداً من العلائم وأحجاراً وأخشاباً بارزة للاستدلال على الطريق للمسافرين، وأن أي مسافر لا ينتبه لتلك العلائم سيضل الطريق و ينتهي به الامر الى المنحدرات الثلجية المؤدية الى الموت، و ببؤس و شقاء شديدين عبرنا تلك المنطقة، و بعد سبع ساعات وصلنا قرية (قنغال) و هي تابعة ل (سيواس) و فيها آغا تركماني، و في القرية خان و مسجد و بضعة دكاكين و نظراً لسوء تصرف التركمان فيها فهو مكان مخيف.

ثم توجهنا الى الشرق ايضاً و وصلنا (خان آلاجه) و هي تابعة ل (سيواس) ايضا و يحكمها آغا تركماني، و قد سميت بهذا الاسم نسبة الى الجدران الملونة ل (آلاجه)×، و ان وجود (الخان) في هذا المكان ضروري جداً، و توجهنا شرقاً الى ان وصلنا قرية (حسن چلبي) و هي مؤلفة من ثلاثمائة بيت و هي تابعة ل (سيواس)، فيها مسجد و خان و اهلها تابعون لعشيرة (شاسون). ثم توجهنا نحو (القبلة) و بين الجبال، ثم وصلنا قرية (چوكچ) وهي قرية عامرة متكونة من مائة عائلة من التركمان، و بعد وصول هذا العدد الغفير من الناس اليها في عز الشتاء لم تتحمل القرية ايوائهم، و بعد خمس ساعات اخرى من التوجه نحو الشرق وصلنا قلعة (حكم خان)، و نظراً لكونها وعرة، فان (الحاكم بامر الله) المصري، أمر ببناء هذه القلعة هنا، لكي يسدّ الطريق امام قطاع الطرق و العصابات المختلفة، و بدلاً من ان يسمّيها الناس ب (خان الحاكم) يسمونها خطأً (حكم خان)، و هي مصيف للتركمان في ارض (سيواس) و ال (خان) قديم، و بنيت هذه القلعة المنيعة هنا من قبل وزير السلطان (محمد خان الرابع)، و وضع فيها قائد القلعة مع ثلاثمائة مقاتل، وصنع لها باباً

×- كلمة (آلاجه) تعني: ملون أو منقوش في اللغة التركية (ر.ف)



حديدياً، و ذلك للمحافظة على المسافرين ل (ملاطية) و (اولاش)، كما بنى ثلاثمائة بيت و اعفى سكانها من جميع الضرائب، ان مناخها معتدل، فيها مسجد و خان قديم و حمام و حوالي مائة دكان.

ثم توجهنا شرقا، و بعد سبع ساعات وصلنا قرية (حسن بادرق) و هي مؤلفة من مائتي بيت و هي على حدود (ملاطية)، فيها خان و مسجد و هي عامرة، و نظراً لعدم مقدرتهم استضافة هذا العدد الغفير من الناس و في هذا الشتاء القارص، لذا تركوا منازلهم و لاذوا بالجبال، لذا شعر جنودنا بعدم الراحة، أذ بقيت خيولهم جائعة الى الصباح، بينما ذهبت انا لمشاهدة منارة المسجد، و عثرت على كيس من الشعير و كيس آخر من التبن لخيولي، و أصبحت خيولي في عيد، و منها توجهنا نحو الشرق حتى وصلنا قلعة (ملاطية).

جامع القرية، بناه السلطان (حسن) وسمي بأسم (حسن بادرق) وبما أنه فر من ميدان القتال أثناء معارك (ابو الفتح)، لذا سمي الاتراك هذا الجامع بأسم (حسن بادرق)أي (الفار) في لغة الترك المغول، وعندما قاتل (تيمور) خان (توختمه ميش) في جزيرة (القرم) هرب أهل (القرم). وكانت قرية (حسن بادرق) هذه عامرة في وقت (أوزون حسن). وللجامع هذا اليوم منارة غريبة وقبة عجيبة ومن الجانب الأيسر هناك باب بأتجاه القبلة، وقد كتبت عليه بخط الجلي (مارآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن) وهو قول شريف.

ملاحظة: سأشير الى هوامش السيد سعيد ناكام بحرفي (س. ن) اما هوامشي فسأشير اليها بحرفي (ر. ف).

×- هذه الفقرة المتكونة من عدة أسطر غير موجودة في الترجمة الكوردية.. (ر.ف)

أوصاف قلعة (رقبه) أو قلعة (ملاطية):

انها جزء من بلاد الروم، و تسمى (رقبة) بلغة الروم، و في عصر النبي (يونس) في الموصل، كان هناك قيصر يسمى (رقبة) آمن برسالته، و قد اعجب ذلك القيصر بمناخ تلك المنطقة، فأسس فيها قلعة و وسعها و جعل منها مدينة كبيرة، ثم تعاقب عليها الحكام، و في عهد رسول الاسلام (ص) كانت تحت حكم (انو شيروان) ملك الفرس، و قد حاصرها (هارون الرشيد) عدة مرات و لم يستطع فتحها، و في عام (٢٠٠) هجرية حاول الامير (زياد) فتحها و هو من احفاد الامام (عمر) و بعده ابنه (لقمان) و أحد أحفاده الامير (عمر) بقوة (٢٠٠) الف مقاتل حاولوا معها و لم يستطيعوا فتحها، و لكن فتحها احد قادة الامير (عمر) و يسمى (حسين غازي) بعد محاصرة امتدت لمدة اربعين يوماً، و كافأه الامير (عمر) على ذلك بأن اقطعها له.. و في عام (٢٣٩) هجرية فتح (ألينا التكفوري) هذه القلعة، و لكن في السنة نفسها اخذها منه (يحيى بن علي) العباسي و بعون من (حسين غازي) و ابنه (بطال غازي) بقوة تصل الى (٥٠) الف مقاتل، و هدموا القلعة من اساسها... و في عام (٢٤٤) هجرية زار هارون الرشيد قلعة (ملاطية) و اسس حولها سوراً منيعاً و توجه نحو (استانبول) لفتحها، ثم تعاقب عليها الحكام، و في عام (٤٧٦) هجرية توجه السلطان علاء الدين لبلاد الروم و احتل ملاطية و هدم قلعتها و سواها بالارض، ثم في عام (٥٨٣) هجرية توجه اليها (الامير محمد) من امراء ال (دانشمند) و اعجبه مناخها فعمر قلعتها من جديد، و لا تزال عامرة حتى الان، ثم تعاقب عليها الحكام، و في احد العهود اشتجر الخلاف على حكم القلعة بين حاكم (ديار بكر) و حاكم (مرعش) و كان كلاهما من (ذوي القدرية)، و كادوا يبيدون بعضم بعضاً على ذلك، و عندما قام اكراد (دياربكر) بالعصيان على العثمانيين و خربوا مدن (اماسية و سيواس) و نهبوها، توجه (يلدرم خان) مع (٣٠) الف مقاتل و ضرب الحصار على قلعة ملاطية ثم احتلها عام (٨٠٠)



هجرية، و بعد ذلك توجه اليها (تيمورلنگ) و لما لم يستطع احتلال (اماسية) رجع الى (ملاطيه) فاحتلها و اباد سكانها، نعم ان هذه الدنيا كمئزر الحمام الذي يستعمله كل احد لوقت من الاوقات.. و في النهاية حررها (سليمان خان) و اصبحت ملكاً للعثمانيين، و هي الان مركز (سنجق) و تابعة لولاية (مرعش) و لحكامها (٥٠٠) مقاتل و يحصل على (٨٠) كيساً سنوياً، حصته الخاصة منها (٥٠٠) الف اقچة، (١) و له سبع زعامات و (٢٧٦) تيماراً، و قادته مع جنوده هم (٨٠٠) مقاتل يأتمرون بأمرة الپاشا اثناء الحروب، و فيها (آمر للفوج) و قائد للانكشارية و يوزباشي،(٢)، حصة دار القضاء فيها (٣٠٠) اقچة، و هي محاطة بقرى الكورد و التركمان، يحصل القاضي من هذه القرى على (٢٠) كيساً سنوياً، و لهذه المدينة شيخ الاسلام و نقيب الاشراف و نائب المدينة و مفتي و آغا الخراج و محصل الضرائب الذي يعتمد على الف مقاتل للقيام بعمله، و يصدر الاوامر الصارمة لجمع الاموال الاميرية وفيها مسؤول القلعة.

سبب تسمية ملاطيه: ان العجم يسمون هذه المدينة (اسپوزان)، اما التوركمان فيسمونها (مال آتية) و العرب (ملاطية) اما اليونان فكانوا يسمونها (رقبة)، لانه في عهد النبي يونس (عليه السلام) كان احد اتباعه المسمى (رقبة) هو الذي بناها، و بعد ذلك قامت ابنته (اسپوز) بتجديد عمرانها ،وان قبري كل من الوالد و البنت، لا زالا في احد الرياض هناك ويقول أعيان المدينة ان اسم مدينتهم هو (مال آتيه) ولوجود قبر أفراسياب هنا، فانها تسمى (مال آتيه)أي ان المال يأتي ولكن في السجل السلطاني اسمها هو (ملاطية).

١- الكيس، اي كيس الذهب، و كان الكيس الواحد يحوي الف ليرة ذهبية، و مصطلح الكيس هو كفاية عن ألف ليرة ذهبية، اما اقچة، فهي سكة من الذهب و احياناً من الفضة و هي أقل قيمة من الليرة. (ر. ف)

٢- هذه رتب عسكرية في العهد العثماني. (ر.ف).



منظر قلعة ملاطية: تحاط هذه المدينة بالجبال من جهاتها الاربعة فمن جهة القبلة جبال (اسپوزان) التي تنساب منها عدة جداول للمياه العذبة، و هناك سهول فسيحة بين هذه الجبال، و في وادٍ واسع على ضفة نهر (دير مسيح) هناك قلعة خماسية الزوايا بنيت بالاحجار المنقورة، و تضرب جداول المياه المنسابة من العيون جدران القلعة ثم تنساب نحو الشمال، و بعد خمس ساعات من المسير تصب في نهر الفرات، و هي تنبع في الاصل من احد جبال (اسپوزان)، و من القلعة و عبر السلاسل الصخرية، هناك طرق للوصول الى الماء حيث بوسع المتحصنين الحصول على الماء، و بنيت القلعة نفسها على قطعة ارض منخفضة..

لماذا بنيت ملاطية؟: أن بانيها الاول هو الملك الكبير (محمد بن دانشمند) الذي بناها عام (٥٨٣) هجرية، و ان قبيلة ال (دانشمند) هذه اساسها من (ما وراء النهر)، هاجروا مع الجد الاكبر للعثمانيين (الشاه سليمان) من (ماهان) التي تقع في تلك الاطراف، و بأذن من ترك الاتراك (خواجة احمد يسوي) مع (١٧٠٠) شخص من اتباعهم وصلوا الى بلاد الروم، و ان (الشاه سليمان) هذا غرق في نهر الفرات اثناء السباحة، و قام ابنه (ارطغرل) بدفن جثة والده تحت سور قلعة (جعبر) على ضفاف نهر الفرات، و قامت القبيلة بوضعه محل والده كرئيس للقبيلة، و بما ان رئيسهم قد غرق هناك، لذا قرروا الرحيل من تلك المنطقة المشؤومة لهم، و توجهوا للسلطان (علاء الدين السلجوقي) و اصبحوا من اتباعه و في عام (٦٠٠) هجرية شاء الله ان ينتكس السلاجقة، فاصبح (ارطغرل) الرئيس الحقيقي، ثم تولى (عثمان) زمام الامور، و ضربت له السكة، ثم اشتهرت القبيلة باسم (العثمانيين) و اصبحت دولة قائمة الى الابد.(١) و عندما غرق الشاه (سليمان) في النهر، كان ال (دانشمند) معهم

١- لم تبق دولة قائمة الى الابد، فالابدية و البقاء لله تعالى، و قد دالت تلك الدولة بعد ذلك بقرون. (ر.ف)



و بقوا على ضفاف النهر، و كانت المنطقة ذات مناخ معتدل و مياد عذبة و تصلح لتربية الماشية و الحيوانات التي زاد عددها عن الحد، و لما وصلت اخبار تلك الثروة و ذلك الغنى الى (ماهان) موطنهم الاصلي، هاجر الالاف منهم من هناك و سكنوا قرب قلاع (جعبر، سلمة، باليس، بومبوج، الرقة، و قلعة بيره جك) و تكاثرت اعدادهم هناك، و في عام (٥٨٣) هجرية قام (محمد بن دانشمند) بتعمير قلعة (ملاطية). و هي الان قلعة قديمة و معمرة حديثاً و بنيت بالاحجار الكبيرة المنقورة، و ارتفاع جدرانها ٢٦ ذراعاً، و طرقها الرئيسية هي معبر (آلجة) و معبر (سورگوم) و معبر (مشاق) و معبر (بازار)، و لا تحيط بها الخنادق لامن الشمال و لا الجهات الاخرى و محيطها هو (٥١٠٠) خطوة و ليست واسعة كثيراً، و يوجد في داخل القلعة جامع و مسجد و مخزن للعتاد و مخزن للحبوب، تتالف القلعة من (٣٠٠) بيت و لها مسؤول للقلعة، و لكونها تقع ضمن منطقة القبائل، فلها سبعون جندياً فحسب، و يقع السوق السلطاني خارج القلعة.

بيوت ملاطية: يوجد في هذه المدينة (٥٢٦٥) بيتاً ذو طابقين، و تكثر فيها البيوت الواسعة و التي تحوي على حدائق و رياض في داخلها، و البيوت ملبوخة بالطين، و محاطة بالاسيجة، لا يوجد سور للقلعة خارج هذه المدينة، و لكن مداخلها تسد في الليل..

احياء ملاطية: يوجد في هذه المدينة (٣٢) حياً، و الشهيرة منها هي: حي الجمعة القديم، حي الجامع الكبير حي الامير عمر، حي السراي، حي البنات، حي الخانقاه، حي طوبطاشي، حي قرخان، حي چرمك، حي المدخل المنقوش، حي الفلاحين، حي كوچك، حي أعاراز، حي الاكراد، و يوجد الارمن في سبع احياء من المدينة و لا وجود لليهود فيها..

جوامعها: يوجد فيها (٣٢) جامعا، تصلى الجمعة في (١٢) منها، و

اشهرها جامع (أولو)، و ينتشر في ازقتها (٢٠) مسجدا و اقدمها داخل القلعة هو مسجد الامير عمر و مسجد قره خان و مسجد السراي و مسجد البنات و مسجد الخانقاه و مسجد طوپداشي، و مسجد چرمك و المسجد المنقوش و مسجد الفلاحين و مسجد بگداش آغا و المسجد الصغير و مسجد الاكراد، و من حجراتها المشهورة حجرة (الامام سجا) و (الامام عوض)، اما التكايا فمنها تكية (غازي سيد بطال) داخل حديقة (اسپوزان) حيث ولد السيد غازي هناك، و قام (ملك احمد باشا) بتجديد هذه التكية، و منابع مياهها عذبة و طيبة و هي تنبع من جبل (اخگر) اي جبل الفحم[×]، و عيون دير المسيح، و تروي المدينة ايضاً، و فيها سبعة محلات لشرب الماء مجاناً (سبيل خانه) و احداها تعود ل (مصطفى پاشا السلاحدار)..

السرايا و الابنية الكبيرة: فيها (١١) سراياً كبيراً، تضم أموال و بضائع كبار رجالاتها و أغنيائها، وأكثرها فخامة هو سراي الپاشا و سراي امين.

الخانات: اشهرها هو خان (مصطفى پاشا السلاحدار) الذي كان من معتمدي السلطان (مراد خان)، و في هذا الخان (١٧٠) غرفة، و تعلو سطوحها القباب، و لها بوابة حديدية، كتبت عليها سنة صنعها.

القيصريات و الاسواق: لها سوق سلطانية عامرة، و جدران دكاكينها لم يتم طلاؤها بالنحاس أسوة بأسواق الشام و حلب، و تتوفر فيها أنواع الاقمشة و الامتعة..

وجوه أهالي ملاطية: بسبب اعتدال المناخ و انتعاشه، فرجالهم اقوياء الجسد، مربوعو القامة، تصل اعمارهم الى (٦٠) او الى (٧٠) عاماً دون ان تسقط اسنانهم، تبقى نضارة وجوههم و احمرارها على حالها حتى بعد تقدمهم في العمر، و هم اقوياء و ضخام الاجسام و بسبب هذا المناخ الجيد فالاهالي جميلون و مهيبون، ولكن بما انها كوردستان و منطقة باردة،

× - جبل (اخگر)، تعني في اللغة الكوردية الجبل الترابي وليس جبل الفحم (ر.ف)



فالنساء الجميلات الشهيرات قلة، و بما انهم ينتمون للقومية الكوردية، فما ان تصل البنت لسن العاشرة من عمرها حتى يحل وقت زواجها.

من الرجال المرموقين هنا كان (بگداش آغا ملك پاشا) الذي انتحر بأن أسقط نفسه على سيفه، فقتل نفسه، و الامر لله.

المدينة هي مدينة الكورد و التركمان و قد تعلموا مهنة الطب و التداوي من آبائهم و أجدادهم، و هم ماهرون في المهنة لدرجة انه لا مثيل لهم بين الالمان و القرم، و هناك سبعة دكاكين لعمليات الجراحة، و الأسطة (بشارت) الكوردي هو اكثرهم خبرة، و بما انها (كوردستان) فهناك رجال ذوو احجام كبيرة و خشنة، و هناك الكثير منهم يقضون لياليهم في الصلاة و نهاراتهم في الصوم، و اغنيائهم يلبسون جلود السنور و الصوف، و فقراء الحال يلبسون (الشال و الشاپك[×]) و متوسطو الحال يلبسون الچوخ و خامات ملاطية ويلبسون الزبون الازرق، اما نساء الاغنياء، فيضعن الحجاب المنمنم و يغطين رؤوسهن بالوشاح، اما نساء الفقراء فيضعن الوشاح الابيض و الحجاب و الطاقية، و جميعهن تلبسن الاحذية الصفراء و الحمراء.

لهجتهم: انهم يتحدثون بالكوردية و التركمانية، و للتركمان فيها لهجة خاصة، بحيث لا يفهمها الاتراك بشكل جيد.

مناخها: لها مناخ جيد و معتدل و حسب كلام السائحين، فأن هواء هذه المدينة يشبه هواء (تبريز) و ربما افضل بكثير و بسبب هذا المناخ فان اهالي المدينة ذوو اجسام قوية و يميلون للضخامة.

مياه ابارها: لهم حوالي الفي بئر، ذوات ماء عذب للشرب و لسقي البساتين، و من غير هذا العدد فلكل واحد منهم بئره الخاص به يستعمله

×- وردت كلمة (شال و شاپك) في النص التركي (ر.ف)



عند الحاجة، و حتى الذين لا يحتاجون لمياه الآبار، فلهم آبار في بيوتهم.

حماماتها: لها سبعة حمامات جيدة و جميلة، مثل حمامي (ألجة) و (مصطفى پاشا) المنعشة جداً، و أقل منهما هو الحمام الجديد و حمام (بگ) و حمام (قومچك) و كذلك حمام (علي المصري) الذي اسمه احد الصالحين، و هو (مزار) بالاضافة لكونه حماماً، و ما عداها فهناك حمامات خاصة في (٣٠٠) بيت، و هناك حمام النهر و حمام بارام پاشا داخل السور.

أسماء رجالها: بگداش آغا، حاشي اغا، (١) قوتلو آغا، عطا بگ، رضا بگ، سنان بگ، شادي بگ، و هكذا، اما اسماء رجال الدين فيها، فيتم تنسيبهم الى مناطقهم، مثل ملا بردنجي، ملا خو بريدي، ملا شقاقي ملا صور آغا، ملا حبيبي، و ملا خليلي، ملا جبي.

اسماء نسائها: حواء، هوما، تنزيلة، انزلة، كليمة، عالمة، رقية، امينة، كزابان، كلثومة، فاطمة، خاتمة، مريم، أمهان، نساقادين، زليخة، مشكورة، عاتكة، زخرفة، سنية، هاشمة، خديجة، خانم، و هكذا..

اسما الخدم: دلاور، سەروەر، هونەروەر، بشير، نذير، ايواز، رستم، فكرلي، سليمان، كرار، سياوش، ذو الغجام، ذو الفقار، مراد، زلزن، خودا ويردي، الله ويردي، چالاب ويردي، جان ويردي، جان بزدي، جوانمة رد.

اسماء الجواري: تابنده، حاكمة، ثابتة، ترفيل، خونچه بوى، نيرگز، گولشاخه، سومبله، هواره، فداية، وردية، مالكه، ميهري، فخري، ياسمين، گولستان، افناد، شاخمه، بانويه، دمرخان، بدخشان، گولگون، جانفيدايه.(٢)

محلات الحرفيين: هناك ست ردهات للحرفيين، تسع كل واحدة منها لألف شخص، و اكثرهم صانعو أحذية و بائعو أقمشة من (لاز) طرابزون، و

١- ربما يكون الاسم (حاجي آغا) و ليس (حاشي آغا). (ر.ف)

٢- لينظر القارئ الكريم الى كثرة تداول الاسماء الكوردية بين الناس حتى في ذلك الزمن قبل ثلاثة قرون و نصف من الزمان. (ر. ف)



بعد العشاء في كل ليلة تقرع الطبول و تغلق الابواب و يسود حكم البوابين، و من غير الابنية التي تحدثنا عنها سابقاً، فان ابنية الجامع القديم كانت عامرة في وقتها و لكنها الان خربة..

جسورها: على مسافة خمسة أميال اسفل ملاطية هناك جسر كبير ذو (٤٠) قائما و قد أنجزه السلطان حسن، و بعد مرور نهر (اسپوزان) من بين البساتين يتصل بنهر (دير مسيح) و الينابيع الاخرى و نهر (توخمة) ثم تمر هذه المياه بقوة تحت هذا الجسر.

كنائسها: فيها سبعة كنائس، و اكبرها قرب (دير مسيح) في اسفل جبل سامق، و بجانب غابة تمتد من وسط الجبل حتى اسفله، و الكنيسة محاطة بالبساتين و الرياض.

حبوبها و محاصيلها: فيها سبعة انواع من الحنطة الجيدة، ربما لا يكون لها مثيل الا في (حوران) كذلك تكثر فيها انواع الشعير و القطن و الاخشاب و النباتات الطبيعية و تشتهر بالباقلاء و مختلف الحبوب، و في صناعة النسيج تشتهر بالخام الابيض القطني و الخيوط القطنية.

الاغذية و الفواكه: توجد في جبالها الحلوى الالهية (گەزو) التي يسمونها (گەزەنگو)، التي تسقط من السماء بأرادة الله على اوراق الاشجار و تصبح حلوى لذيذة الطعم، و يوجد في جبالها العفص، و في سهولها البصل و السپانغ و اللهانة و انواع الخضروات، و فيها سبعة انواع من المشمش، و هناك (٨٠) نوعاً من العرموط مسجلة في سجلاتها و سبعة انواع من السفرجل و عشرون نوعاً من التفاح، بالاضافة الى العنب و الگوجة الشهيرة.

مأكولاتها: يوجد في هذه المدينة نوع من العسل الابيض لا مثيل له في الدنيا، و ربما يوازيه عسل (آيدوس)، و في كل سنة تملأ مئات الالوف من القراب الحمراء من العسل الصافي و ترسل الى كبار رجالات استانبول، و

ان مربى هذا العسل و مربى السفرجل في ملاطية تشتهر بطعمها الذيذ.

مهن السكان: معظم سكان المدينة هم مزارعون، يعيشون من وراء محاصيل بساتينهم، و بعضهم يقوم بالنسيج بواسطة الآله، و البعض الآخر يقوم بالحياكة، فجميع اهالي هذه المدينة مكبّون على العمل و كسب المعيشة.

بساتينها: يوجد في هذه المدينة حسب سجل مأمور الماء سبعة آلاف و ثمانمائة بستان، و ستمائة بستان منها محاطة بسياج.

الانهر: توجد سبعة انهر بين كبيرة و صغيرة فوق ملاطية و تحتها و من هنا و هناك، و منها نهر (سمياط) الذي ينبع من جبال قلعة (سمياط) و يلتقي بنهر (توخمة) خارج ملاطية، و ينبع نهر (توخمة) من جبال (رقبة)، و بين بساتين (اسپوزان) تصب فيه ثلاثة انهر اخرى، و بعد ذلك تصب فيه ثلاثة انهر اخرى، و بعد ذلك يصب فيه نهر (پيكار باشي) ثم نهر (دير مسيح)، و بعد أن يروي بساتين (اسپوزان) و ينظف جدران قلعة ملاطية يستمر حتى يلتقي بنهر (تهل) في وادي (دهوال). اما نهر (تهل) الذي يتحد مع احد فروع نهر (توخمه) على مسافة خمسة أميال جنوب مدينة ملاطية، ثم يتحد مع الفروع الأخرى، حتى يتكون منها جميعا نهر كبير يمر تحت الجسر ذو الـ(٤٠) قائماً الذي بناه السلطان حسن ثم يصل ملاطية، و يمر فوقه تجار الروم و ديوريك، و هذا الجسر هو واحد من اشهر الجسور في كوردستان، و لكنه لا يصل الى ارتفاع و ضخامة جسور (باطمان و حسنكيف)..

حدائق و مصايف اسپوزان:

يقول السائحون، بأن الحدائق العثمانية الشهيرة هي: (الحديقة التي تقع على حدود بودين خلف قلعة البارودخانة، الحديقة التي تقع امام قلعة مدينة



سيروز، حديقة سوداق في منطقة (كفه)، حدائق سجا و كاغدخانه و گوگسو في استانبول، المائة و سبعون حديقة الخاصة بتنزه السلاطين العثمانيين، محل الطوب في مدينة ازميد، حديقة(مرام) في قونيه، حديقة أصفهان، حديقة (دارنده) في مدينة دارنده، حديقة (ريحاني) في دياربكر على ضفة النهر، حديقة مدينة (الفيوم) في مصر، و حدائق عديدة اخرى..

و لكن حدائق (اسپوزان) في ملاطية تفوقها جميعا بهوائها المنعش و فواكهها الكثيرة، و فواكهها هي:-

- سبعة انواع من المشمش، **الاحمر، الاصفر، المشمشي، الابيض، البكي، المائي، اللحمي**، و هي مليئة بالماء، و بالكاد تصل في سلالها الى الاسواق، فما أن ينبعج احد جوانبها، حتى تفرغ من ماءها، و المشمشة الواحدة تزن (٤٠) أو (٥٠) درهماً، و من غير هذه الانواع هناك انواع اخرى من المشمش لا يعلمها الا الله، و نظراً لوفرتها يصنع الاهالي منها أرغفة المشمش و يتداولونها مدينة فمدينة.. و قد دون في سجلاتها (٨٠) نوعاً من العرموط، و منها عرموط مائل للزرقة مشهور و ملئ بالماء، و الواحده منها يزن (اقه) واحدة، و يصنعون منها نوعاً من الطرشي القوي الطارد لاسباب الامراض، و يقال ان من يتناوله تزداد حرارته و ينتشي بها، لذا فهو يجلب القوة و يتناوله المتزوجون بكثرة.. و هنكا عرموط (البگ) اللذيذ، و يتنافس اثرياء استانبول و رجالاتها في الحصول على شتلات عرموط (ملاطية)، و يزرعونها في حدائق استانبول و بساتينها، لرغبتهم في (عرموط) ملاطية، و في ملاطية سبعة انواع من التفاح، تفوق في لذتها و طعمها تفاح (ازميد)، و هي لا تصل في كبر حجمها الى تفاح (سوداق) في مدينة (كفه)، فالواحدة منها تزن (٣٠- ٤٠) درهماً، و لكن الله وهبها لوناً،



تشبه جمرته حمرة الخوخ مطعم بلون احمر فاتح و ألوان اخرى جذابة، لا تشبه غيرها من الالوان، و لو وضعت خمسة او ستة تفاحات منها في اية غرفة، فتنتشر رائحتها العبقة في المنزل باسره، و الاحلى من كل هذا ان الجميلات هنا قد اعتدن على كتابة بيت من الشعر او شيئ من الكلام المأثور، على جوانب التفاحات قبل نضوجها، بخيط من الشمع، و ما ان تنضج التفاحة و تأخذ الوانها الزاهية، تقمن بنزع الخيط الشمعي عنها، فيبقى محل الخيط ابيض اللون، و يظهر الخط الجميل للكتابة، و احياناً يلصقن بها قصاصات من الورق بدل الشمع، و يتم تداول تفاح ملاطية مدينة فمدينة و منطقة فاخرى، حتى تصل الى السلاطين، و هناك سبعة انواع من السفرجل تزن الواحدة منها (اقة) واحدة، و منها سفرجل (پاپات) و سفرجل البستان الذي ولد فيه (سيد بطال غازي)، و حول هذا البستان يوجد نوع من العنب لا نظير له، و حفظ العنب للشتاء (الزبيب) و صنع الدبس و السجق هي من مهن سكان المنطقة، كما توجد الگوجة و الخوخ، و لكنها لا تصل في طراوتها و كبر احجامها الى گوجة استانبول أو الخوخ في (تهگەرداغی).. لذا فالقلم يعجز عن وصف هذا البستان الذي يشبه الجنة، و الذي يبعد ربع ساعة عن المدينة و من طرف القبلة.. و من غير هذا البستان (اسپوزان) فللناس جميعاً بساتينهم الخاصة بهم.. ففي الربيع يتركون المدينة و يتوجهون الى بساتينهم، بينما يبقى التجار و الغرباء و المسيحيون و حوالي (٣٠٠) حارس في المدينة، و في الليل يقوم الحراس بالحراسة بأنارة المدينة بواسطة الفوانيس و يتفقدون المدينة مع قرع الطبول، و لهم صلاحيات متداولة من السلاطين السابقين في قتل اي مخرب او مفسد يقبضون عليه متلبساً داخل المدينة.. و بهذا



الشكل يقضي الناس مدة ثمانية اشهر في بساتينهم و يدعون بالخير للدولة العثمانية، وكل عائلة في المدينة لها بستان ذو سعة فرسخ واحد، و قد دون في سجلات الحكومة (٧٨٠٠) بستاناً، يقوم مأمور الماء بتزويدها بالمياه.. و داخل كل بستان يوجد بيت، و فيها (٣٠٠) حوض، و للعوائل حماماتها الخاصة بها، كما ان هناك بيوتاً للپاشا و رجال الدين و الضباط و كبار المسؤولين، و فيها مسجد لأقامة صلاة الجمعة و مدرسة للصبيان و تكية و حمام عام و حوالي (٦٠٠) دكان، بأختصار فما موجود في المدينة، يوجد هنا ايضاً..

المتنزه: هناك متنزه لا نظير له قرب (دير مسيح)، و يتضائل جمال المتنزهات الاخرى امام هذا الرئيسي، فيه شارع ظليل محفوف بالورود و الازهار، و كأنه (متنزه اصفهان) فالورود المختلفة من النرجس و الاقحوان و غيرها تترامى تحت اقدام المتنزهين، بينما تتعالى الاشجار السامقة نحو السماء و قد تشابكت اغصانها في الاعالي بحيث تحجب ضوء الشمس عن الارض و عن طلاب النزهة، و في كل ركن و زاوية تنتشر آلاف البلابل و الطيور المغردة، بحيث يضطر السائح للوقوف و الاستمتاع الى اصواتها الشجية.. اما المغنون و الموسيقيون فيعقدون مجالسهم و يرسلون الحانهم المتعالية نحو السماء، و للمنعمين منهم اماكنهم الخاصة داخل هذه الرياض، اذ تجري تحتهم السواقي و الجداول، بينما تتقلب و تفتّر اسياخ الكباب و اللحم على النار، و يتجمع الناس في هذه الرياض جماعات جماعات، يتحدثون عن العلم و يقرأون الشعر و يروون القصص، و من جانب آخر يقوم الظرفاء بسرد النكات و يقومون بالتقليد للناس، و يجلبون لهم الضحك و السرور، بينما تكون هناك جماعة اخرى تتحدث بشوق عن الائمة و يروون سيرهم.. و في

الجهات الاربعة، هناك بساتين اخرى متلاصقة، تعود ل (١٥) قرية عامرة، و لها ايضاً خاناتها و مساجدها و حماماتها و اسواقها، و عيون الماء الخاصة بها التي تروي تلك البساتين.

المدن المحيطة بملاطية:- عند المسير، من ملاطية باتجاه الغرب و عن طريق (ولاش) و (قنقال) بمسيرة ثلاثة ايام، يمكن الوصول الى مدينة (سيواس)، و في الجنوب الشرقي توجد قصبة (البستان) في شمال قلعة (ديوريك). اما النهر القادم من (آلاجه خان) ماراً تحت جسر (ديوروك) ثم تحت جسر (گولەزەر) فيصل الى قلعة (عين) و يقع على ضفة الفرات، و يبعد عن ملاطية بثلاث مراحل، و في جنوب ملاطية هناك قلعة (حسن منصور) على بعد ثلاث مراحل ايضاً، و يقع بينهما جبل (كمورلي)، و باتجاه القبلة، هناك (دجلة) و الى الشمال الشرقي و على ساحل الفرات و حتى قلعة (خربوت) هناك مسيرة ثلاثة ايام، و لكنني اسرعت في المسير، قاطعاً المسافة بيومين، لان السرعة واجبه لأجتياز هذه المراحل، و الى الجنوب هناك قلعة (بيرەچک) ايضاً تقع الى الجنوب و هي ايضاً ثلاث مراحل و لكن (اق سراي) ابعد منها على خمسة مراحل، و كذلك تبعد كل من قلعة (مرعش) و قلعة (دياربكر) على خمسة مراحل نحو الشرق، اما قلاع (عينتاب) و (قيصرية) فتقع الى الجنوب و على مسافة خمس مراحل.. بهذا الشكل تقع مدينة (ملاطية) بين هذه المدن الثماني الكبرى، و هي مرفأ عامر، سكانها من الكورد و التركمان، الكورد هم من عشيرة (ايزولي)، و التركمان فيها كثرة، يتصف سكانها بالشجاعة، و جميعهم مسلمون متدينون، يقرّون الغرباء و يتّصفون بالسخاء و الكرم، و كل من يلجأ اليهم يلقى الترحاب، و هي مدينة العلماء و كبار الرجالات و الشعراء.



مزاراتها: في الجهة اليمنى هناك (اسپوز) و (قربابا) و في الجهة اليسرى هناك (علي بابا) و قرب (دار اغاجي) يرقد السلطان (سيد كماخلي)، و قد اشترك هؤلاء جميعاً مع هارون الرشيد في محاصرة استانبول، و داخل بساتين (اسپوزان) هناك مرقد (السيد بطال الخراساني) و هو مرقد صغير، لازال قائماً بفضل همة هذا الشيخ منذ (٧٠٠) سنة و حتى الان، و لأن (ملك احمد پاشا) هو صديق هذه العائلة، لذا قام بترميم المرقد، و بنى عليه قبة كبيرة و عدة حجرات، و اشترى له العديد من المواعين و ادوات الطبخ النحاسية وقفاً و استأجر لها طباخاً لاطعام الناس، و قد تحول المرقد الان الى تكية و مزار يتجمع حوله اهل المدينة لدعاء المطر، و هو محل استجابة الدعاء، و قرب هذا المكان يوجد (سيد احمد دراني)، و مكان الاربعين، و مزار (الشيخ الشافعي)..

بعد جولة طويلة في ملاطية تهيأنا للرحيل، و توجهنا نحو الشرق مدة (١١) ساعة، و عند وصولنا الى ضفاف الفرات اعطينا لانفسنا فترة استراحة، أذ كان الهواء منعشاً، و بعد حصولنا على بعض القوارب و الأكلاك، بدأنا بالعبور الى الضفة الاخرى من الفرات لمدة ثلاثة أيام، و حللنا بين أكناف عشيرة (ايزولي) الكوردية التابعة لولاية دياربكر..

و لعل من الطرافة ان نذكر، ان بعض السبّاحين و أصحاب القوارب من الكورد الايزوليين، أصطفوا و هم عراة تماماً لاستقبال الپاشا و ألقاء السّلام عليه، و كان كبار السن منهم يقولون للآخرين (يا اولاد مدوا اياديكم للپاشا بأدب!) أي أنهم كانوا عراة أمام الپاشا، و يعلّمون الادب للآخرين، و لكن الپاشا اعطاهم (٨٠) ليرة ذهبية دون ان ينظر اليهم و استمر في مسيره، و قرب الفرات وصلنا قرية (ايزولي) ذات المائتي بيت في منطقة (خربوت) و فيها مسجد عامر، و جميع سكانها من اللصوص و قطاع



الطرق الايزوليين، و الى الاسفل من تلك المنطقة على الفرات، هناك (خان الفحم) و هو مكان مخيف، و الى الاسفل يجتاز نهر الفرات طريقه بين جبلين، و يضيق مسيره، لذا يصدر خريراً هادراً و تصطفق موجاته مصدرةً صوتاً مرعباً يقطع القلوب، و كان السلطان مراد الرابع قد فكر في وضع جسر عالٍ في هذا المضيق و تعبيد مقترباته من الطرفين، و عند المباشرة بالعمل، توفي السلطان مراد و بقي الجسر غير كامل، أن تأسيس جسر كبير على نهر الفرات قرب نهر (الفحم) عمل كبير و خيّر، و لكن جسراً كهذا يحتاج الى بنائين مهرة، لان المسافة من هذا الطرف للآخر هو (١١٠) ذراعاً ملكياً، و هو أعرض من قوائم (أيا صوفيا)، و مع هذا فان اي عمل يبدأ به الانسان بشكل جدي يلقاه سهلاً امامه.

ثم عبرنا في طريقنا قرية (مالقوج) و كانت قلعة (خربوت) الى يسارنا، ثم توجهنا نحو الشرق، و اخذنا استراحة في قرية (ملا افندي)، و هذه القرية تتبع (خربوت) و تتكون من حوالي مائة بيت، و فيها مسجد عامر، و قد دفن بجنبه (الملا افندي) نفسه.. قام الپاشا بارسال مأموريه الى قرى (خربوت) مثل: (باشخان، أورته خان، شربتين، اگيل، ارغني، چرمك، جني و پالو)، لأستضافة جيشه، و قرر الپاشا الاستراحة في هذه القرية مدة عشرة أيام، و بدأ بجمع الارزاق من هذه المناطق، و قام بأرسالي الى بگوات (ارغني) و (اگيل)..

ذهابي الى بگوات (أرغني) و (أگيل):- في الطريق وصلت الى قرية (هابوس) التابعة لسنجق خربوت في ولاية دياربكر، تقع القرية على ضفة بحيرة (خربوت) و تتكون من حوالي (٣٠٠) بيت ثم وصلت قرية (ساري قامش) و هي قرية ذات بساتين و اشجار، ثم توجهت نحو الشرق، و بعد مسيرة يوم عبرت نهر (مراد) و قمت بتسليم رسالة الپاشا الى مرتضى بگ



(پالو)، الذي قام بارسال (١٥٠) جملاً محملاً بالأرزاق و قاموا بتهيئة أنفسهم لأستقبال الپاشا، و قام باهدائي (٣٠٠) قرشاً و حصاناً و عباءة جلدية..(١) لقد بنيت قلعة (پالو) على ضفة نهر (مراد) في مكان مرتفع بحيث تعانق السماء، قمنا بخوض النهر بسهولة و وصلنا الى البوابة الحديدية للقلعة، و هي قرية سكانها من الكورد و الأرمن تابعة لدياربكر، و هنا يتفرع فرع من النهر، يمر تحت البوابة، ماراً في احد المضائق، و يسمى ذلك الفرع (چنارة) الذي يصل الى دياربكر، و كان (نوشيروان) في زمانه قد شيد قلعة هنا، و وضع لها بوابة حديدية، لذا تسمى القلعة بذات البوابة الحديدية، و تهب هنا ريح قوية تتجه احياناً نحو الشمال او نحو الجنوب، ثم وصلنا قرية (ترخي) في ولاية دياربكر، و اهلها من الكورد، و تقع على ضفة النهر، ثم وصلنا قرية (برد نسيج) التي تملك جسراً عجيباً على النهر، و مهما كان فقد عبرنا الجسر و وصلنا قلعة (اگيل).

أوصاف قلعة اگيل:

في زمان سليم خان، قام كل من الملا ادريس(٢) و بيقلي پاشا بالاستيلاء على هذه القلعة من أمير كوردستان (قچورخان الكبير)، وهي

١- في الاصل يقول جلداً، والمقصود به هو نصف عباءة من جلد ثمين، كان قادة الجيش، وكبار الرجالات يضعونها على أكتافهم، وكانت تهدى الى المسؤولين كتكريم لهم. (ر. ف).

٢- لابد انه (الملا ادريس البدليسي) المعروف في التاريخ الكوردي بأتفاقه مع السلطان (سليمان سليم) ب توزيع الامارات و الزعامات بين الامراء الكورد، واعطائهم صلاحيات لامركزية في حدود أماراتهم، وكانت تلك الامارات قد تأسست في اعقاب انتصار العثمانيين على الصفويين في معركة جالديران عام ١٥٢٤م، واصبحت بعض تلك الامارات الكوردية قوية لدرجة ان الدولة العثمانية نفسها كانت تخشاها، ومنها (امارة بدليس) التي نحن بصددها في هذا الكتاب، وكذلك منها أمارة بهدينان و امارة سوران و امارة بوتان و امارة بابان، و قد قضت الدولة العثمانية على تلك الامارات في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً. (ر. ف).

الان بمثابة سنجق تابع لدياربكر، بنيت القلعة على أرض فسيحة فوق جبل حجري، فيها بساتين و رياض و بيوت جميلة، ومن قصورها المشهورة دار (عبدالمؤمن ابن موجار بگ) وهو رجل مسن وذو تجارب، للقلعة أمير الجيش و قائد الانكشارية و لكن أميرها ليس عثمانياً، وليس من الممكن خلعه، ففي حالة وفاة الامير يحل ابنه محله،(١) لذا فهي حكومة مستقلة، وعندما يبعث له السلطان برسالة يبدؤها بكلمة (جناب)، و اذا توفي الامير و لم يكن له ولد، يتسلم الحكم محله شخص اخر من ذويه... بعد التجوال في القلعة، قمنا بالرحيل، أذ عبرنا النهر ركوباً، ووصلنا قصبة (حينى) قرب النهر وهي ذات بساتين، وبيوتها مصفوفة فوق بعضها بعضاً، وهي جميلة، ومروراً بالرياض و البساتين وصلنا قلعة (آرغيني)...

أوصاف قلعة ارغيني:- لهذه القلعة جسر جميل وبوابة حديدية وهي تصلح للاستراحة لثمان او تسع ساعات، و مؤسس القلعة هو (السلطان آرغيني) ابن السلطان (أوحد الله العباسي)، يسميها الاهالي خطأً ب(آرغيني)، وقد تناوب عليها الامراء والسلاطين تباعاً، وفي عام (٩٢١) وبمساعدة (الملا ادريس)(٢) سلم الاهالي انفسهم واعطوا مفتاح القلعة الى (بيقلي پاشا)، لذا اصبحت حسب امر السلطان (سليمان خان)

١- ما ورد في النص هو بند من بنود الاتفاق المنوه عنه اعلاه، اي انه لم يكن من صلاحيات السلطان العثماني اعطاه الامارة لعائلة أخرى خارج الامارة، سواءً كانت العائلة كوردية أو تركية. (ر. ف).

٢- انظر الهامش رقم (٢). (ر. ف).

٣- (بگ آلاي) هي رتبة عسكرية. و تعني قائد وحدة عسكرية تسمى (آلاي) وهي فوج من الجيش العثماني.



مقراً للبگ و مركزاً للسنجق، وللبگ فيها (٢٠٠٥١٥)أقچه من طرف السلطان، وفيها عشر زعامات و (١٢٣) تيماراً، ولها قائد للانكشارية وبگ آلاي،(٣) وحسب القانون فلها الفا مقاتل يتوجهون للقتال تحت أمرة (البگ)، وراتب القاضي هو (١٥٠) أقچة، ولها صاحب القلعة(١) وحراس القلعة وكتخدا الجيش وقائد الانكشارية ومسؤول الامن و مأمور الماء أما شيخ الاسلام و نقيب الاشراف فيجلسون في دياربكر.

و قد بنيت قلعتها على ضفة شط العرب (دجلة)، وهي قلعة جميلة مبنية من الحجارة المنقورة، فيها مخزن للعتاد و مدافع تحت أمرة البگ، وبما انها قلعة حدودية وفي منطقة عشائرية، فلا تقوم الدولة بتزويدها بالسلاح، و تشتهر (آرغيني) بعنبها و شرابها، ينبع احد فروع النهر من بين جبال هذه القلعة و يسير تحت (قره آمد) أي دياربكر..

تبعد قلعة (چرمك) مسيرة يوم واحد عن (آرغيني) ونحو الجنوب منها، ان قلاعها و القصبات التابعة لها و المحيطة بها هي (عبدي هير، سيورك، رهبه، سنروحا، قره قايق، گرگر، چونكوش، سفراز، سوره، كاخته، حسن منصور، بهني، صدربار و مرعش)... عندما سلمت رسالة الپاشا لأمير (آرغيني) قام باعداد (٢٠٠) جمل محمل بالذخائر، وأهداه خمسة حصن و خمسة سيوف شيخانية و بغلاً احمر اللون، كما اهداني فرساً و(٥٠) قرشاً و سيفاً معراوياً، ثم توجه بگ أرغني بثلاثة الاف مقاتل كوردستاني لأستقبال الپاشا، ثم توجهنا نحو الشمال حتى وصلنا

١- صاحب القلعة: هو المسؤول عن فتح و غلق ابواب القلعة ووضع الحراس عليها، وحامل مفاتيح القلعة، وقد أسماه الشاعر (أحمد خاني) في (مه م و زين) ب(دزدار) و (دز) في الكوردية تعني القلعة، و (دزدار) هو القائم بأمور القلعة من الجوانب التي أشرنا اليها. (ر. ف).

٢- أنظر الهامش رقم (١) والجلد السنوري، معناه جلد حيوان السنور وهو حيوان صغير معروف...(ر. ف).



(باشخان) في ارض دياربكر... وعندما وصل بگ ارغني مع هداياه الى خدمة الپاشا، أهدي جلداً سنورياً(٢) بقي في خدمة الپاشا.. وكان جيش الپاشا يزداد يوماً بعد يوم، وكانت مخاوف (ابشر پاشا) تزداد تباعاً وفي اليوم الاخير كلفني الپاشا بايصال رسالة الى والي دياربكر (فراري مصطفى پاشا) طلب فيها من الوالي ان يؤدي ما عليه من ديون، وهي عبارة عن (٣٧) كيساً من الذهب.

ذهابي من (باشخان) الى (دياربكر)

توجه الپاشا نحو (ترجيل) و (ميافارقين) وكان في نيته البقاه لبعض الوقت في فصل الربيع هذا في بساتينها، حتى اقوم بارسال الخيام و الاغراض التي تبقت مع رجاله في دياربكر، لذا قمت بتوديعه وافترقنا عن البعض.. وعندما خرجنا من (چرمك) اتجهنا في طريق قلعة (چرمك) ووضعنا خان (صغر ديكن) في يميننا، وتوجهت انا مع الرجال العشرة الذين كانوا معي نحو القبلة. ووصلنا (أورته خان) في نهاية النهار، ثم توجهنا نحو القبلة ايضاً حتى وصلنا قصبة (شەربەتين) وهي الآن خربة وتتبع (دياربكر) و كانت عامرة في وقتها اما الآن فتتكون من حوالي (٢٠٠) بيت و مسجد و خان كبير و بضعة دكاكين وفيها تكية قديمة، و قد دفن فيها والد بگ اگيل (قچار بگ) وله مرقد جميل هناك، وقد جعلت جميع وارداتها وقفاً عليه، وأهلها مسلمون والقلعة قريبة منها .. ثم سرنا بأتجاه القبلة الى أن وصلنا الجسر الأسود وهو جسر متين وجميل على نهر (دوكچدي) و وبعد عبورنا هذا الجسر دخلنا منطقة حجرية وعرة من الحجارة السوداه ثم امطرت علينا السماه بقدرة الله مطراً غزيراً،



بحيث انهكنا التعب كما انهك دوابنا، وبآية حال حشرنا انفسنا في مدينة دياربكر.

أوصاف قلعة قره آمد أو مدينة دياربكر:

هناك آراء مختلفة حول تسمية هذه المدينة فيقال انه عندما كان النبي يونس (عليه السلام) في مدينة الموصل العتيقة كان يحاول جاهداً ان يؤمن به الناس ولكن دون جدوى، لذا تأثر منهم ودعا عليهم دعاء السوء فخربت المدينة، لذا انتقل منها الى (دياربكر) واصبح مرشد خير للناس، وآمن به أهل هذه المدينة فوراً ودخلوا دينه، لذا دعا لهم النبي دعاء الخير قائلاً (ادعو لهم يا الهي ان تكون مدينتهم ويكون موطنهم عامراً، وأن يسعد اهلها وأن يكونوا ذا شجاعة وأقدام..) وكان يعيش في احد الكهوف في جبالها مدة سبع سنوات، وفي ذلك الحين كانت المدينة تحكم من قبل فتاة جميلة، وقد آمنت بالنبي يونس (عليه السلام) وقد اصبحت تلك الفتاة ثرية جداً، وحسب امر النبي يونس (ع. س) قامت ببناء المدينة بالحجر الاسود، وبما انها كانت فتاة، لذا يسميها مؤرخو العجم (دياربكر) اي مدينة الفتاة الباكرة، اما مؤرخو الروم فيسمونها ب (قره آمد)(١) لكون جدرانها قد بنيت بالحجر الأسود، وقد سجلت في السجل الملكي بذلك الاسم.. وقد تداول الحكام على هذه المدينة، فبعد حكم (نوشيروان) وجه اليها الخليفة (أبو بكر) سبعون ألف مقاتل بقيادة (خالد) ففتحها، و رمى بعض الكفّار الذين كانوا فيها بانفسهم من اعالي

١- قره، كلمة تركية تعني الاسود، و (قره آمد) تعني (آمد السوداء).
٢- أوحد الله العباسي، هو لقب (المأمون) أبن هارون الرشيد.

القلعة، فتناثرت جثثهم تحتها.. ثم وقعت في ايدي الكفار مرة اخرى، الى ان توجه اليها في كوردستان السلطان (اوحد اللّه العباسي) (٢) بجيش كبير والقى عليها الحصار وبعد سبعة شهور من الحصار.. ساءت الاحوال في داخل القلعة، وقام السكان بتسليم انفسهم بعد الاتفاق على سبعة بنود، و تقضي تلك البنود:

١- يدفع اهاليها ليرة ذهبية واحدة عن كل شخص كما كان في عهد الامام عمر.

٢- أن لا تهدم الكنائس الموجودة داخل القلعة.

٣- أن لا تؤخذ الجزية من القساوسة و المطارنة و البطاركة.

٤- أن يدفع تجارهم الضريبة أسوة بالتجار المسلمين. وهي ضريبة العشر.

٥- أن يبقوا في بيوتهم وفي داخل القلعة.

٦- أن لا تهدم مزاراتهم ولا تسوى بالارض قبورهم، وان لا تحال الى حدائق ورياض.

٧- أن لا يمنعوا من لبس عماماتهم الملونة الخاصة بهم..

وبعد القبول بهذه الشروط السبعة، سلموا القلعة ولا زال ذلك الاتفاق جاريا حتى الآن، ومنذ ذلك اليوم بقيت حكومة هذه المدينة في ايدي ابنائها و تنتقل من الاب الى الابن.

وفي عهد السلطان سليم الاول حينما كان السلطان (ملك مظفر) يحكم دياربكر، بعد توجه السلطان (سليم خان) الى معركة جالديران، قام أكراد دياربكر باعمال النهب والسلب و قطع الطرق وأضروا بجيش المسلمين على طرق (كه ماخ) و(تورجان) و (بايبورد) وقلعة (خانيجه)، وعند وصول



هذه الانباء الى السلطان (سليم خان) بعث برسالة أخوية و بلهجة لينة الى حاكم دياربكر قائلاً له (اخي، ارجو ان تبادر الى منع هؤلاء الكرد من القيام بتلك الاعمال السيئة...) وعند وصول الرسالة الى حاكم دياربكر كتب الجواب قائلا (عندما تستطيع من أخذ الثأر من الشاه اسماعيل حينها تستطيع الثأر من مائتي الف كردي مسلحين بالبنادق في دياربكر...)(١) لذا قال السلطان مادام حاكم دياربكر نفسه قد طلب منا ذلك فسنفعلها ان شاء الله.

وهكذا عندما أندحر العجم في معركة جالديران ورجع جيش العثمانيين منتصراً، حينها قام السلطان وهو في ارضروم بارسال (محمد بيقلي پاشا) على رأس جيش قوامه مائة الف مقاتل، وألقى الحصار على دياربكر وجرت سبعون معركة كبيرة بين الطرفين ورغم ان بوابة الجبل وبوابة ماردين أصابتهما الشقوق نتيجة القصف المدفعي الا ان القلعة ظلت صامدة وظهر جيش كبير من طرف ماردين، وعندما وضعوا رسالة في أيدي (محمد بيقلي پاشا) كاد أن يطير من الفرح، قائلاً (يا اولاد انه حضرة الملا ادريس حاكم العمادية، الذي أغاثنا في معركة جالديران، وها هو ينجدنا هنا أيضاً باربعين الف مقاتل هذا هو جيشه، فليأتوا وليقفوا الى جانبنا...) أما جيش الملا ادريس فدخلوا المعركة دون اخذ الراحة، وعندما رأى الكرد القابعون في القلعة هذا الامر، تولاهم الخوف ثم سلموا القلعة بعد رسالة سلام، وبموجب هذه المعاهدة ترك الكرد مع قادتهم القلعة متوجهين الى ماردين، ثم لم يصمدوا هناك ايضاً..

عند وصول هذا النبأ السار الى (سليم خان) و هو في سهل تورجان

١- فليلاحظ القاريء الكريم عدد المسلحين في دياربكر، و يظهر ان حكومة دياربكر كانت شبه مستقلة حينذاك أيضاً ولم يكن للحكم العثماني ثمة سلطة عليها..



أقطع دياربكر لهذا القائد، وأقطع (العمادية) الى الابد للملا البدليسي، و تم تسجيل القرار رسمياً، وبهذه المناسبة يقول مؤرخو الروم عن هذه الحادثة بأن (السيطرة على دياربكر في عهد سليم خان كان بفضل ابو الشوارب محمد پاشا و بمعاونة الملا ادريس البدليسي..)).(١)

و بعد ذلك، عندما مرّ السلطان سليمان ابن المرحوم السلطان سليم من هنا، لدى توجهه لفتح بغداد، أعجبه مناخ دياربكر و قال عنها: (فلتكن عامرة قره آمد خاصتي) و ضربت خلال ثلاثة شهور الأقچة بالسكة بعشرة آلاف كيس، وكان قد كتب عليها (السلطان سليمان ابن سليم خان عزَ نصره، ضربت في قره آمد) و يمكن ايجاد بعض هذه النقود هنا و هناك حتى الآن، و هي من الفضة الخالصة و بعد ذلك فصلت ولاية دياربكر و أصبحت أياله وزارية.

قانون السلطان سليمان حول ايالة دياربكر:

ان ايالة دياربكر هي وزارة ذات (اطواغ)(٢)، وان الرسائل و الأوامر التي يبعثها السلطان الى ولاتها تبدأ بعبارات (الدستور المكرّم) و (المشير

١- انه نفس الملا ادريس البدليسي، الذي تعاون مع السلاطنة العثمانيين لأجل تثبيت الامارات الكردية، وجعلها تخضع للسلطان العثماني، ومن الغريب قيادته لجيش بهدينان في حملة احتلال دياربكر، ومن ثم قيام السلطة العثمانية بأقطاع العمادية له، وليتصور القارىء الكريم كيف انه كان هو السبب في سيطرة العثمانيين على دياربكر لا بل ليتصور القارىء ما الذي كان سيحدث لو انَّ جيشه كان لمعاونة الكرد المحاصرين داخل قلعة دياربكر، وضد الجيش العثماني. (ر. ف)

٢- الطوغ: شعار تركي قديم، يحمل في اوقات الحرب، وكان لبگوات السناجق الحق في رفع (طوغ) واحد، وللبگلربگي الحق في رفع (طوغين) وكان لوزراء الولايات الحق في رفع ثلاثة (اطواغ)، فهذا يدل على ان دياربكر التي كانت (ايالة) يحكمها والي بدرجة (وزير) الحق في رفع ثلاثة (اطواغ)..

انظر كتاب: تأريخ العراق في العهد العثماني، لمؤلفه (علي شاكر علي) الطبعة الاولى بغداد ١٩٨٥ ص ٢٥. (ر. ف)

٣- هي سكّة من الذهب أو الفضة الخالصة، كانت متداولة في العهد العثماني.



الافخم) ووارد وزيرها من الضرائب هي (١٢٠٠٦٦٠) آقچة(٣) اي (مليون و مائتا الف و ستمائة وستون آقچة... ر. ف) و تتكون من (١٢)سنجقاً وخمسة سناجق مستقلة، ومن مجموع (١٩) سنجقاً لـ(١٢). منها أسوة بالأيالات الاخرى تيمارات و زعامات(١)، و يعيّن بگواتها و يعزلون من قبل الدولة، ولكن هناك (٢) سناجق تعود للبگوات الكورد، و عند فتحها و حسب اقتراح (بيقلي پاشا) اعطيت تلك السناجق للعوائل التي تتوارث عليها الى الابد، و لا مجال لتعيين بگواتها أو عزلهم، و لدى وفاة البگوات يرث الملك عنهم احد أولادهم أو أقربائهم كما ان وارداتها مستقلة، ولهم زعامات وتجار واثناء الحروب ينضوي زعماؤها وتجارها وقادتها ورئيس الانكشارية فيها تحت لواء وزير جيش دياربكر و عند استدعائهم للحرب و عدم استجابتهم للامر يعزلونهم و يتم تنصيب شخص آخر من العائلة محلهم..

و ما عدا هذه السناجق هناك خمسة سناجق اخرى لها حكوماتها المستقلة و يدير رؤساؤها أمورها، و تكون زعاماتهم وتجارتهم بشكل مستقل، وكل وارداتها تعود لحكامهم وعند توجيه الاوامر السلطانية لهم تبدأ بعبارة (الى جناب...) و السناجق العثمانية في دياربكر هي: (خربوت، ارغني، سيورك، نصيبين، حصنكيف، چمشكزك، سعرد، ميافارقين، آقچة قلعة قرب نصيبين، خابور، سنجار) اما دياربكر فهي عاصمة الپاشا(٨) وحكام هذه السناجق جميعاً هم من البگوات العثمانيين، اما السناجق المستقلة في ايدي حكامها فهي (صغمان، قولپ، مهرانية، ترجيل، اتاق، پرتك، چپاقچور، چرملك) و عند عدم وجود وريث

١- هي مناصب عسكرية في العهد العثماني.
٢- يقصد به الوالي الذي يحكم دياربكر وهو بدرجة (پاشا).

للحكم فيها تعود الى الملكية العثمانية.

اما الحكومات المستقلة الخمسة داخل ايالة (آمد) فهي: (الجزيرة، اگيل، گه نج، پالو، حه زو) ويمنح حكامها لقب (مير ميران) ولكن يجب ان يتوجهوا للحرب تحت امرة الوزير.. فيها حوالي (٣٠٠) رجل من الوجهاء وهم: امير المدينة، أمير پسان، أمير بوزان، أمير قانجوك و آخرون، وفيها دفتردار التجار، و دفتردار الكتخدا، ودفتردار للمالية(١) وتصل الضرائب الحكومية فيها الى (٣٩٩. ٤٠) اقچة، و في عاصمة الپاشا (آمد)(٢) تسع زعامات و (١٦٨) تيماراً، ويوجد في هذا السنجق وبموجب القانون (٢٠٠٠) مقاتل من لابسي الجبب(٣) اما غير ذوي الجبب فهم (٧٠٠) مقاتل فحسب، ويصل عدد المقاتلين عموماً في دياربكر الى (٣٠) الف مقاتل (٤) أما الپاشا فله حرسه الخاص الذي يبلغ عددهم الـ(٣) الاف مقاتل(٥)..

جباية بگوات و حكام السناجق في ايالة دياربكر:

تصل جباية امير لواء حه زو (٢١٩. ٩٩٩) اقچة، و امير لواء ارغني (٥١٥. ٢٠٠)، امير سيورك (٤٣. ٣. ٤٠٣)، امير اتاق (٤٤٧٢٠٠)، امير

١- دفتردار: هو لقب يطلق على ما يمكن تسميته الآن، بمدير المال أو المحاسب أو مدير الادارة وما شابه ذلك. (ر. ف)

٢- يلاحظ القاريء انه ورد اسم المدينة باشكالها المختلفة (دياربكر، قره آمد، آمد) وقد ترجمناها كما هي دون تغيير، والاسم الكردي القديم للمدينة هو (آمد) والاسماء الاخرى جديدة و مصطنعة. (ر. ف)

٣- يبدو ان اولئك المسلحين من ذوي الجبب كانوا بمثابة الشرطة داخل المدينة اي انهم قوى الامن الداخلي. (ر. ف)

٤- يبدو ان اولئك الـ(٣٠) الف مقاتل كانوا الجيش الرسمي لايالة دياربكر.

٥- الـ(٣) آلاف مقاتل، كانوا الحرس الخاص بالپاشا في دياربكر.



ترجيل (٤٤٥٣٠٠)، امير چرمك (٢١٤٠٠٠)، امير حصنكيف (٢٠٣٩٥٥) امير اگيل (٢٦٩٧٥٠)، امير چه پاقچور (٣٧٠٠٠٠)، امير چمشكزك (٣٣٤٢٢٣)، امير صغمان (٣٤٩٠٠٧)، امير سعرت (٢٢٣٧٧٢)، أمير اقچه قلعه (٢٠٠٠٠٠)، مير شهر (١٩١٥١٧)، امير پسيان و بوزان (١٠٠٠٠٠)، امير قولپ (١٦٦٦٦٨)، امير خانجوك (٤٢٧٨٠٠)، امير پرتك (٣٨٠٠٠)، امير گنج (٢٧٨٣٠٠)، دفتردار خزينه قره آمد (١٤٠٣٩٥)، دفتردار (كتخدا) دياربكر (١٠٠٩٢٤)، دفتردار الزعامة (٨٠٠٠٠) اقچه.

القادة العسكريون لايالة دياربكر حسب الترتيب:

١- المشرف العام و القائد الاعلى و هو وزير دياربكر.
٢- كتخدا دياربكر.(١)
٣- حاكم الجزيرة.
٤- حاكم اگيل.
٥- حاكم گنج.
٦- حاكم پالو.
٧- حاكم حه زو.

ويشكل هؤلاء مع الـ(١٨) قائداً المذكورين اعلاه، (٢٥) قائداً و يأتي بعدهم:

٢٦- دفتردار المالية
٢٧- كتخدا الرقباء

١- في الاصل الكردي (كويخا) و أقرب معنى لتلك الكلمة هو (مختار)، ويبدو ان منصب المختار كان اهم مما هو عليه الآن، وربما كان يقوم بدور مدير البلدية مثلاً. (ر. ف)



٢٨- دفتردار الزعامات

٢٩- امين الديوان

٣٠- امين الرقباء

٣١- كاتب الرقباء

٣٢- بگ الجيش

٣٣- رئيس الانكشارية

وبالأضافة الى هؤلاء يوجد في كل سنجق بگ للجيش و رئيس للأنكشارية وبأضافتهم للمذكورين اعلاه، يصل عدد الضباط الى (٣٨).. و يصل العدد الكلي الى (٧٠).

٧١- كتخدا الجيش

٧٢- قائد الانكشارية

٧٣- مسؤول القلعة

٧٤- حسين افندي كاتب الوقائع اليومية(١)

٧٥- مأمور بيت المال

٧٦- ويوادار المدينة

٧٧- مسؤول الأمن

٧٨- محصل الگمارك

٧٩- آغا الخراج

٨٠- محصل الضرائب من البيوت

٨١- رئيس التجار

وبأضافة (٣٠٠) اخرين من صغار البگوات، يصل المجموع في دياربكر

١- لم تكن هناك ثمة جرائد حينذاك، لذا من الافضل تسميته بكاتب الوقائع اليومية، وكان هذا امراً سائداً حينذاك. (ر. ف)



الى (٤٠٠) قائد وهم القادة الرسميون..

ان مدينة (آمد) هي مولوية ذات (٥٠٠) اقجة، وحسب اوامر السلطان ففيها (محضر باشي) و (چوقه دار باشي) وللحفاظ على هيبته فله وكلاء في المناطق المختلفة، ولأئمة المساجد في المناطق راتب سنوي يصل الى (٤٠) كيس رومي، اما الپاشا فيحصل من هذه الايالة الواسعة على (١٠٠) الف قرش، و بما ان هذه المنطقة هي كوردستان و جميعهم على المذهب الشافعي، ففيها مفتي و نقيب الاشراف للمذاهب الاخرى ايضاً.

شكل قلعة دياربكر:

اسست القلعة بجانب شط العرب(١) وعلى قمة جبل (البنت) الذي هو جبل عالي ذو حجارة سوداء، ورغم كونه جبلاً حجرياً توجد في الجهة العليا منه رياض و حدائق واسعة وفي شرق القلعة والى الجهة الشمالية هناك قمة عالية تناطح السماء، و يقع كهف (البنت) تحت القلعة، وكذلك فان محل زيارة النبي يونس (ع. س) هناك ايضاً، وهو عالٍ الى درجة ان المرء يرتعد خوفاً لدى النظر الى الاسفل، وان الجهة السفلى عميقة جداً وكأنها من وديان جهنم، ونظراً لوجود النهر فقد تحول جانباه الى حقول و بساتين ذوات اسيجة وان هذه البساتين تتحول لمدة ستة اشهر الى محلات التنزه و السياحة لاهالي المدينة، ولدى النظر الى هذا النهر الكبير من عل، يبدو

١- (شط العرب) الذي ورد في الكتاب عدة مرات هو نهر دجلة، الذي يمر من كردستان الى العراق الحالي ويكون مع نهر الفرات شط العرب، ويبدو ان تسمية نهر دجلة ب (شط العرب) كان وارداً في ذلك الحين، وقد ورد نفس المصطلح في (مم و زين) خاني ايضاً:

شط العرب و فورات و جيحون
هەرسێ تە دگۆ ب یەکڤە ڕابوون



وكأنه ساقية صغيرة، وبهذا الشكل فأن أحد جوانب القلعة عال بحيث يناطح السماء: بينما الجوانب الشمالية والغربية وجهة القبلة هي اراضي سهلية، وان سور القلعة يعلو الى ارتفاع (٤٠) ذراعاً شاهانياً، بينما يبلغ عرض الاسس في الاسفل (١٠) أذرع، وبما ان القلعة بنيت من الحجارة السوداء لذا سميت ب (قره آمد)، وان البناة الماهرون قد اسسوها على شكل مربع يمتد نحو الشمال بشكل بحيث تتقابل كل ابراجها و مسنناتها مع بعضها البعض، وفي وقت الحصار يشاهدون بعضهم البعض و يمكنهم التعاون فيما بينهم، وبما ان القلعة مبنية على صخور طبيعية و قمة جبلية واحدة، لذا لا يستطيع الاعداء اثناء الحصار من فتح ثقوب في قاعدتها او التقرب منها كثيراً، والخوف الوحيد هو في ضرب الحصار عليهم واطالة امده، وفرض المجاعة على سكان القلعة وفي الجانب الشرقي وبسبب القمة العالية لا حاجة لوجود الخنادق وتوجد الخنادق على الجهة الشمالية و الغربية والجنوبية، وفي زوايا القلعة توجد ابراج كأنها سدود يأجوج و مأجوج، ولا تشبه القلاع الاخرى، في كونها ثلاثة او اربعة طوابق، بل تتكون من طابق واحد متين البنيان وله اربعة ابواب حديدية والبوابة الشمالية التي تسمى بوابة الجبل تفتح على طرق (شه ربه تين، اگيل، ارغني، چه رمك، خربوت وپالو) وفي الجهة الغربية توجد بوابة (ماردين) وفي الغرب توجد البوابة الجديدة.

وخروجاً من القلعة وبأتجاه ساحل النهر ولدى عبور الجسر وقلاع ميافارقين وجسر باطمان وبعد مسيرة يوم تصل الى قلعة (حه زو)..

وهناك في القلعة الداخلية بوابة خاصة بالپاشا تتجه من الشرق نحو النهر تسمى ببوابة (أوغرون) وهي ليست طريقاً عاماً.

ولقد قمتُ بقياس سور القلعة وهذه البوابات جميعاً بخطواتي فوجدتها



(١١) الف خطوة، ويشغل سراي الپاشا الزاوية الشرقية من القلعة، ولكنها محصنة ومنيعة ووعرة لم استطع من قياسها، ولكن ظهر ان المسافة من بوابة (الجبل) وحتى بوابة (ماردين) ومن داخل القلعة هي (الفا) خطوة، وحسب هذا فالذي قمنا بقياسه على الصخور هي (الفا) خطوة تضاف الى محيط قلعة (قره آمد) فتصبح أربعة ألف خطوة، و تشرف الزاوية الشمالية لهذه القلعة على النهر، و قد اسست على صخور طبيعية صلبة و سوداء، بحيث لو ضربت بآلاف المطارق الحديدية لما أثرت فيها كما انها لا تنفجر بالنار، وهذا امر عجيب.

القلعة الداخلية:

ويتكون محيطها من (اربعة) الاف خطوة و تتألف القلعة من (١٥٠) غرفة و عدد من قاعات الضيوف وسراي كبير، وكل وزير او وكيل يقدم الى هنا يزيد من عدد غرفها و حماماتها واحواضها، ويهتم بها الى ان وصلت هذه الدرجة من السعة والكبر، وجميع شبابيكها وشناشيلها تطل على شط العرب، او تطل على وادي (قره تپه) والتي تشكل منظراً خلاباً، وداخل السراي يوجد مضيف قديم اسسه السلاطين القدامى، وعلى جدرانه نقوش ومناظر لا مثيل لها الا في مكان مثل القاهرة بمصر، وقاعة (السلطان)، وكان مؤسس هذا السراي هو (بيقلي پاشا) وزير السلطان سليم، وهو سراي كبير، والقلعة الداخلية متينة جداً.

والى جهة القبلة منها والتي تطل على المدينة لها بوابة حديدية محروسة من قبل حراس يقظين دوماً، وتنبع المياه التي تحرك الطواحين في داخل القلعة من تحت بعض الصخور بمشيئة الله، وبعد ادارتها للطواحين تتجه المياه نحو سراي الپاشا، و من هناك من تحت سور القلعة تتجه نحو فتحة كبيرة مسيّجه بأسلاك ثم تتجه نحو الاسفل الى جبل (البنت) ثم



تصب في الاسفل.. وتشكل بين الاحجار بضعة شلالات ثم تصب في النهر وهي مياه عذبة..

جوامع دياربكر:

هناك معابد قديمة و جوامع كبيرة في مركز المدينة، و الجامع الكبير هو مفخرة دياربكر، ويتفق مؤرخو الروم ان هذا المعبد قد أسس في عهد النبي موسى، و هناك كتابات عبرية على أحد الاعمدة الداخلية البيضاء، وكان هذا المكان بمثابة معبد في جميع العصور المتداولة، وأي شخص يصلي ركعتين في هذا المكان يشهد له قلبه ان صلاته مقبولة، ويقال ان هذا الجامع هو في مصاف الجامع الكبير في (حلب) والجامع الاموي في (الشام) والمسجد الاقصى في (القدس) والازهر في (مصر) و أيا صوفيا في (استانبول).

كما ان هناك ادلة عديدة على انه كان كنيسة ثمّ، حوّل الى جامع، فالمنارة المربعة الشكل تظهر على انه بنيت لتكون ملائمة للناقوس وأن المنبر والمحراب هما من الشكل القديم، وتم تزيينه من الداخل بالاضواء والقناديل وفيها أعمدة صغيرة وكبيرة، ترفع فوقها ثلاثة طوابق من البناية وفي داخل هذا الجامع يوجد مسجد منفصل للشافعية، ويصلي فيه الشافعية(١) وللجامع أربعة أبواب ولا تخلو في الليل وفي النهار من المصلّين، وهناك ثمانون زاوية لتدريس العلوم فيها وفي جوانب اخرى يجتمع فيها الصوفّية للذكر والتراويح والباحة الخارجية مفروشة بالمرمر الابيض وفي وسط الباحة هناك حوض مزود بمزاريب المياه للتوضؤ فيها و تنبع مياهها من عين

١- كانت الدولة العثمانية تعتمد حينذاك على المذهب الحنفي اكثر من غيرها من المذاهب ولكن الكرد سابقاً والآن يتبع معظمهم المذهب الشافعي وان كان البعض يتبع المذاهب السنية الاخرى او المذهب الجعفري (الشيعي)..(ر.ف)



(حـمـراوات) ومـنـبع (جـدول عـلي) وتحـاط الجـهـات الاربعـة من البـاحـة بالمصاطب، كما هو الحال في الجامع السليماني في استانبول، وقد فرشت هذه المصـاطب بالمرمـر وبألوانه المختلفة كالسـماقي و الزنبوري والاصـفر، والاعمدة العليا تكون أصغر حجماً من الاعمدة السفلى وقد تلاقت رؤوسها المقببة بشكل جميل، وللباحة ثلاثة ابواب من الجهات الثلاث، وقد بنيت لها منارة مربعة الاطراف قبل فترة قليلة، وباختصار فلا وجود لجامع كبير كـهـذا في دياربكر، و تتـسع فـي الداخل لألفي مـصلي، وجـمـيع سلالمهـا والسقوف الداخلية لقببها مطعمة بالنحاس، ويذكر اسم السلطان (سليم خان) في خطب الجمعة فيها(١).

اما جامع (النبي) فهو مبنى قديم قرب بوابة الجبل وهو مكان مبارك وله منارة مربعة الشكل وقد طليت قببه بالنحاس، وفي هذا الجامع ايضاً أماكن مزينة وملونة وفي باحته حوض ومزاريب ويقال أنَّ احدهم شاهد النبي في الرؤيا هنا لذا بنى هذا الجامع في هذا المكان وسميّ بأسمه. كما أن جامع (اسكندر باشا) جامع فخم وجميل ومطلي بالنحاس، وله منارة وأوقافه كثيرة، ويوزع فيه الطعام على الناس و المحتاجين وهو جامع عامر.

اما جامع (بهرام باشا) فهو جامع مطلي بالنحاس وكذلك جامع (ملك احمد باشا) الكردي، الذي كان وزيراً شجاعاً ورجلاً طيباً ولكنه لم يشتهر كما هو (ملك احمد باشا) خاصتنا(٢) ويقع هذا الجامع قرب بوابة الروم.

١- ان ذكر اسم اي سلطان او ملك في خطبة الجمعة كانت العادة المتبعة حينذاك في جميع البلدان الاسلامية مما يعطي صفة ولاء تلك المدينة او القرية الى السلطان الذي يذكر اسمه وهذا يدل على ان حكومة دياربكر كانت تابعة للسلطان العثماني.(ر. ف)

٢- ان (ملك احمد باشا) خاصته، هو الصدر الاعظم للدولة العثمانية حينذاك والذي تم تكليفه بجمع الجيوش من الامارات الكردية لضرب امارة بدليس واميرها الشجاع (عبدال خان) وكما سيظهر ذلك في هذا الكتاب الذي نحن بصدده.(ر.ف)

وان الجامع (الاسود) الذي لا يعرف مؤسسه، لا يخلو ليلاً ونهاراً من المصلّين.

وجامع (ايپاريه) الذي يقال ان تاجراً صينياً بناه، وخلط سبعون حملاً من مسك (ختن)(١) مع مواد لبخه (ملاطه) ثم طلاه به، لذا سمي ب (ايپاريه) أي ذو الرائحة الطيبة، وعند هبوب الرياح الباردة تفوح من جدرانه رائحة المسك وهو غير مطلي بالنحاس، وهو جامع يزدحم بالمصلين.

وجامع (خسرو پاشا) قرب بوابة (ماردين) وهو جامع جميل المنظر ومزين، وبما أنه في مكان مزدحم لذا يكثر فيه المصلون، وجامع (علي پاشا) في محلة (صاروه لي) وجامع (حصير) قرب سوق (البرادع)(٢) ومؤسسه مجهول، وهو عامر ومطلي بالنحاس.. والجامع (المعلّق) الذي لا يعرف مؤسسه، وقد خرّب تيمورلنگ نصفه، ويسمّى بالجامع (المعلق) لأن البناء قام بوضع منارته الضخمة المربعة الشكل على خمسة اعمدة، وذلك ببناء كل عمود تحت احدى زوايا المنارة ثم بنى العمود الخامس تحت مركز المنارة، ولكن بعد ارتفاع المنارة وقع ثقلها على العمود الخامس فحسب اي الوسطاني ولا اهمية لوجود أو عدم وجود الاعمدة الاربعة الاخرى لذا سميت بالمنارة المعلّقة، وبما أن موضع الاعمدة الخمسة قد وقعت في دكان احد الحدادين فلا يمكن ملاحظته من قبل المارة بسهولة.

١- (ختن) هو سهل يقع في منطقة التتار بآسيا الوسطى، كان يشتهر بغزلانه الجميلة التي يستخرج (المسك) من اجسامها وهو مضرب المثل في رائحته الطيبة في الشعر الكلاسيكي الكردي وغير الكردي. (ر.ف)

٢- البرادع، جمع بردع، وهو ما يوضع على ظهور الحمير والدواب ويسمى بالكردية (كورتان). (ر.ف)

٣- أثناء عقد حلقات الذكر لدى الصوفية، يصل بعضهم درجة عالية من حب الله وكأنهم غائبون عن الوعي وتسمى هذه الصفة بـ(الحال) كما هو معلوم. (ر.ف)



وجامع (الشيخ عزيز الرومي) الذي بُني حديثاً ويقع قرب جامع (بارام باشا)، اذ تعقد حلقات الذكر في هذا الجامع، ويصل الصوفية فيها لدرجة (الحال)(٣) وجامع (شمسي افندي) الذي قد يسمى بجامع (ابن سين) ايضاً، وسبب التسمية كما يقال ان (شمسي افندي) كان لا يزال في بطن امه عندما توجه والده الى الجهاد، وقبل سفره توجه الى الله بالدعاء قائلاً (يا الهي انني متوجهٌ الى الجهاد، لذا اسلمّ الامانة الموجودة في بطن زوجتي اليك) وعند رجوعه رأى ان زوجته قد توفيت ودفنت فقال للناس (تعالوا أروني القبر، فقد كنت سلمت ما في بطن زوجتي لله، وانني اعتقد بأنه قد حفظه لي) وعند وصوله للقبر، يبدأ بالسلام فيسمع رداً للسلام من القبر من قبل طفل قائلاً (عليك السلام أيها الغازي في سبيل الله، يا والدي) فيتعجب الناس من هذا الامر، فينبشون القبر بسرعة ليشاهدوا طفلاً كالوردة في الشهر الثالث من العمر بجوار جنازة امه وهو يرضع من الثدي الايمن لأمه الذي لا يزال سليماً فالله قادر على كل شيء، ففي الليلة السوداء يضع الرزق للنملة على الصخرة السوداء فكيف لا يحافظ على طفل جعل امانة عنده، حينها يحتضن الوالد طفله ويخرجه، ثم يهيلون التراب على القبر من جديد و بما ان الطفل كان جميلاً جداً لذا سميّ بـ(شمسي) وبما أنه استخرج من القبر لذا سمي بـ(ابن سين) ثم يصبح ذلك الـ(شمسي افندي) قطباً من الاقطاب وتظهر الكشوفات والكرامات على يديه، وقام بعدها بتأسيس هذا الجامع من ماله الحلال، وسمي بجامع (ابن سين) اي ابن القبر.

وجامع (بيقلي محمد باشا) الذي يقع في ميدان (نظيف باشا) وقد أسسه من أمواله الخاصة، كما دفن هو ايضاً هنا وهو جامع جميل ومطلي بالنحاس، وجامع (خالد بن الوليد) الذي فتح هذه البلاد في زمن ابو بكر



الصديق فأسس هذا الجامع هنا وقد دفن ابنه ايضاً في هذا المكان.

وتتلى خطبة الجمعة في جميع هذه الجوامع وهناك مساجد اخرى في الزقاقات و منها مسجد (بالقي) ومسجد (محلة سارو لي)..

مدارسها:

في الجوامع التي ذكرناها يوجد مدرِّس في كل جامع يقوم بتدريس العلوم فيه، وفي كل منها مدرستان واشهرها في الجامع الكبير هي المدرسة المرجانية التي تكون لها منزلة خاصة لدى علماء الدين وتصل رتبة مدرِّسها الى درجة المولوية، لها مدرس وطلاب علم، وبما ان أوقافها كثيرة فلجميع حجراتها أرزاق مخصصة ولحم وشموع، وفي هذا الجامع توجد مدرسة عامرة للشافعية، كما ان طلاب العلم في مدرسة جامع (النبي) هم كثيرون، وكل من بدأ مراحل العلم فيها لم يصب باليأس في حياته كما ان مدرسة (ايپاريه) هي مدرسة مشهورة، ويدرس فيها علم البيان، يتعلم طلابها بسرعة ويصبحون أسياد علم البيان اما (علم الكلام) فيدرس في مدرسة جامع (خسرو پاشا) و يشتهر طلابها بفصاحة اللسان، ويدرس (علم الفقه) في مدرسة (سارو لي) ويصبح طلاب العلم فيها علماء الشريعة، أما مدرسة (الشيخ الرومي) فتخرّج الصوفية.. أما مدرسة (التفسير) فتدرس فيها تفاسير (الجريري، الطبري، ابن مسعود، ابو ليث، البغوي، القاضي، الديلمي، فيض الله الهندي، ابو سعود) وفيها علماء اعلام.

و يوجد حفّاظ القرآن عن ظهر قلب في جميع الجوامع ولكن بما انها كردستان فلا يوجد فيها حفّاظ كثيرون كما في بلاد العرب، ويعتقدون بان من يحفظ العلم لا يصبح عالماً فيه، لذا لا يهتمون بالحفظ كثيراً ويدرسون علم التجويد، وقراءتهم كاملة فيها جداً بهذا الخصوص، حتى ان بعضهم يتمعن في قراءة ابن كثير والقراءات السبع والقراءات العشر ويطبقونها

جيداً.. وبما انه لا توجد هنا منابر للحديث كما في استانبول ولكن في جميع الجوامع يوجد محدّثون عامّون في علم الحديث وخاصة امام الجامع الكبير و الذي يشتهر بالامام المجنون، فهو عالم كبير و محدث لبق، وقد درس علم الحديث في الجامع الازهر، كما يقال ان عالم الحديث (رمضان افندي) قد حفظ كلاً من صحيحي مسلم والبخاري، ويقال انهما يضمان سبعة آلاف حديث، وفي جميع الجوامع الاخرى يوجد محدثون خاصون بها(١).

تكايا دياربكر:

توجد تكية (الشيخ الرومي) للطريقة الصوفية وهي ليست خاصة بل عامة، يوزع فيها الطعام على جميع المسافرين و المهاجرين والفقراء و شيخ هذه التكية رجل متدين وطيب، وسيم المنظر. وتوجد تكية (بالقلي) وتكية (ايپارية) للدراويش .

عيون الماء:

وأهمها هو عين (حمره) وتقع منابعه في غرب دياربكر في الجبال السوداء وعلى بعد مرحلتين من المدينة، جرى حفر مجراها في كهريز وتم جلبه الى قلعة (آمد) ويتم توزيعه على الجامع الكبير اولاً ثم على الجوامع الاخرى و البيوت و الحمامات ولقد قام اهل الخبرة في السابق بوضع القطن في ماء (حمراوات) هذا ثم تم تجفيفه و تم وزنه، فوجد ان قطن هذا الماء

١- ليمعن القاريء الكريم فيما كانت عليه الحالة العلمية والثقافية في كردستان قبل ثلاثمائة وخمسين عاماً تقريباً. وما كان عليه الشعب الكردي حينذاك في ظل الامارات الكردية شبه المستقلة.(ر.ف)

٢- ربما يقصد بها بلدة (معرّة النعمان) في بلاد الشام. (ر.ف)

هو اخف مما هو عليه في مياه (معرّة) (٢)، وهو بمنزلة الماء الذي أمام سراي استانبول في خفتّه وهو ماء مجرب لازالة مرض اليرقان و الصرع وضيق النفس حتى احد السلاطنة العثمانيين (ابراهيم خان) كان قد سمع بشهرة مياه (حمراوات) في دياربكر، فأمر بجلبها له فارسل رئيس حجابه، وكان حينها (ملك احمد پاشا) هو والي (قره آمد) فعندما وصله أمر السلطان وضعه على رأسه، وهيأوا ستة قماقم من الفضة وستة من النحاس وستة من التوتياء وستة من الحجر، ووضعوا في كل قمقم عشرة أوقيات من الماء ثم ختموا أفواهها وسلّموها الى رئيس الحجاب وأهدوه ستة اكياس من النقود يضاف اليها (١٦) كيساً كأجور لصنع القماقم المختلفة وأرسلوها بسرعة الى السلطان وصادف يوم وصول القماقم الى استانبول يوم أعتلاء (السلطان محمد بن ابراهيم خان) كرسي الحكم واعطي له ذلك الماء في يوم السبت ١٨ رجب ١٠٥٠هـ، وشرب السلطان الجديد مياه حمراوات، وباختصار نقول ان ذلك الماء جلب الشهرة لدياربكر، وهذا هو الماء الذي قام السلطان سليمان رحمه اللّه في عام ٩٤١هـ، بشق مجراه وتنظيفه وجلبه من (الجبال السوداء)..

عين علي:

وهو ماء خفيف ومنعش وعين (بالقلي) ينبع من داخل المدينة ويصب في حوض كبير فيه آلاف الاسماك ولا يقوم أحد باصطياد تلك الاسماك، أذ يؤثر عن القدماء أن من يأكل من لحوم هذه الاسماك يصاب بالهزال و الذبول وتتشوه افواههم وانوفهم، ومياه العين صحّية ايضاً تذهب بالامراض، ويسبح فيه العديد من الناس وتجري مياه هذا العين الى جامع علي پاشا ومنه الى الحمام المجاور لبوابة ماردين.



عين ماء القلعة الداخلية:

لا يصل هذا الماء في عذوبته الى مياه حمراوات ولكنه يدير عشرة طواحين، ولا توجد قلعة داخلية في اية بلاد لها مثل هذه المياه الوفيرة، اللهم اذا كان عين الجنة في ارضروم ومنبع العيون الاربعين في قلعة وان، وعلى حدود (بودين) وداخل قلعة (استورغون) يوجد عين ماء ينبع من سلسلة جبلية ويصب في نهر (الطون) وكأنه في الحقيقة ماء الحياة..

عين الحجارة الاربعة:

مياهه باردة لدرجة ان احداً لا يستطيع استخراج أربعة حجارة منها واحدة تلوالاخرى لذا سمي بعين الحجارة الاربعة ومياهه نظيفة تجري من ميدان نصوح پاشا وتمر تحت سور القلعة.

عين شقّ العجوز:

يشبه ماء الحياة، ويقال انه في عصر حصار هولاكو لهذه القلعة، استطاعت عجوز وبطريقة سحرية استخراج ماء هذا العين من شقّ احد الحجارة لذا سمي بعين شقّ العجوز، وهو ماء عذب قرب بوابة الروم، لذا فقلعة دياربكر مزدانة بهذه المصادر المائية جميعاً وليس فيها ازمة ماء.

توجد في دياربكر العديد من البيوت والمباني العالية، ومنها (٧٥) بيتاً من بيوت العلماء و المشايخ والوزير والوكيل من التي لا يمكن تعريفها، ومن مبانيها كذلك خان (ملك احمد پاشا) امام بوابة الروم وهي بناية كبيرة جداً، ويقال انها بنيت حديثاً، وجميع قبابها مطلية بالنحاس



ومما يدعو للأسف ان (دياربكر) تسلم دائماً لأيدي الولاة المجانين وغير الكفوئين، ولو سلمت هذه الولاية لمسؤولين جيدين لأصبحت هذه القطعة الطيبة من الارض قطعة من الجنة.

بناية سوق الخيل:

طليت قبابها بالنحاس الرمادي، وفيها حراس ومسلحون يعودون للپاشا، وما عداهم انفسهم فأي شخص يدخل هذا المكان يهاجمه الحراس كالكلاب ينهشون اشلاءه، ويلدغه الحراس المسلحون كالزنابير.

الخانات:

فيها عدة خانات عامرة، ومنها خان (حسني پاشا) وكأنها قلعة ولم أعرف من هو مؤسسها، وقرب بوابة ماردين هناك (خان التجار) ذو المنظر الجميل وفيها عدة غرف للحرفيين.

أسواقها:

سوق حسن پاشا، سوق الجيش، سوق العطارين الذي يتعطر به حتى المارون فيه، سوق الدلالين سوق الحدادين، سوق الصفائحيين(١)، سوق الجواهريين، سوق الصاغة، سوق صنع الاحذية، سوق صنع البرادع(٢)، سوق القزازين، سوق البزازين، وباختصار ففيها ستون سوقاً. وفي سوق الجيش يوجد محل مزدحم جداً لبيع الاقمشة وصنع له بابان حديديان من هنا وهناك وهو مليء بالبضاعة والأقمشة العديدة، وتوجد فيه انواع البضائع والاقمشة والجواهر الثمينة.

وتصنع في دياربكر أنواع السيوف والمسدسات والمعاول والفؤوس وفؤوس القتال والخناجر والرماح والسهام بحيث تشتهر في الدنيا ويقوم

١- أقصد بها سوق التنكچية. (ر.ف)
٢- سوق البرادع، ينظر هامش رقم (٥). (ر.ف)



الحدادون وصناع النحاس والصنعة المختلفون اثناء عملهم بضرب مطارقهم حسب الحان الموسيقى ويغنون مقامات (السيگاه والحسيني) وغيرها الى درجة ان المارة يقفون لسماع هذه الالحان، ولا مثيل لصناع النحاس فيها في صنع الاواني او الصاغة في صنع الحلي الذهبية والاحجار الكريمة، ولهم فنانون ماهرون في الرسم بحيث يتفوقون على ماني وبهزاد.(١)

منظر وسيماء اهل دياربكر:

ان هواء دياربكر هو هواء صافي ومنعش، يضاف اليه شرب ماء (حمراوات) مما جعل وجوه اهل هذه المدينة محمرة، واكثر سكانها متوسطو القامة وأقوياء البنية يميلون للسمنة ورشيقون، بحيث تصل اعمارهم الى السبعين او الثمانين ولا يزالون قادرين على العمل ويصل بعضهم الى المائة عام، أما أولادهم فهم جميلون جداً ذوو قامات فارعة، وبيض وحمر الوجوه، كلامهم لطيف وعندما يتحدثون بالنكات والطرائف يعجب منهم السامع ولا يملّ من حديثهم.

ويوجد في دياربكر عدد من الشعراء الضليعين، ذوو لسان ذرب، بحيث يمكن اعتبار كل واحد منهم (فضولي) او (روحي) زمانه، وجلست مع

١- مرة اخرى ليمعن القاريء الكريم في درجة الحضارة الكردية حينذاك وانواع الصنائع والفنون التي كانت شائعة في كردستان وفي مدينة كردية كبيرة مثل دياربكر، واتذكر انني عندما القيت (محاضرة) عن هذا الموضوع بالذات قبل سنوات في قاعة خاصة بالجمهور وذكرت امثلة حية من هذا الكتاب، وردتني استفسارات عديدة من الجمهور كان بعضها يشكك في مصداقية هذه المعلومات ولا يصدق بوجود هذه الحضارة في كردستان ولكنها حقيقة دامغة صادرة من طرف غير كردي محايد وموضوعي في معظم توجهاته وقد ذكرها عرضياً في رحلته السياسية والعسكرية في كردستان. (ر.ف)

٢- يقصد بالعباءات الرجالية، نصف عباءات ثمينة تصنع من الجلود كان كبار الرجالات والقادة يضعونها على اكتافهم وهي آيلة للزوال الآن. (ر.ف)

اكثرهم وتحدثت اليهم وهم في الحقيقة مثال الادب والعظمة.

العباءات الرجالية:(٢)

يلبس معظمهم الجلد السنوري والجلود الاخرى، ويتغطون بالأطلس والكيمخوا(١) اما متوسطو الحال فيلبسون الچوخ والكنتوش(٢) اما فقراء الحال فيلبسون الچوخ اللندني(٣)..

ملابس النساء:

تتغطى النساء جميعاً بالشراشف البيضاء وتضعن الحجاب على الوجه

١- الاطلس، هو اسم قماش لا زال شائعاً حتى الآن اما (كيخوا) او (كيخمه) فهو ايضاً نوع من الاقمشة الحريرية الذي كان شائعاً حينذاك ويذكر ان الشاعر الكبير (احمد الجزيري) الذي عاش بين (١٥٦٧- ١٦٤٠)م ذكر الـ(كيخمه) هذا في شعره، ففي احدى غزلياته المشهورة التي يصف فيها ملابس احدى الجميلات يقول:

نازک لەطیف   گەردەن خەفیف

لبس شەریف   (کیخمه) و قەدیف

مما يدل على انه (الكيخمه) كان شائعاً في زمانه وكذلك الـ(قه ديف) الذي لا زال معروفاً حتى الآن. (ر.ف)

٢- (الچوخ والكنتوش) ايضاً هما نوعان من القماش و الچوخ لا زال شائعاً حتى الآن ومنه الچوخ الذي يشبه نصف سترة ويلبسه الرجال ولا زال يسمى (چوخ).(ر. ف)

٣- الچوخ اللندني، يبدو انه كان اقل قيمة من الچوخ الكردي لذلك يلبسه الفقراء، ومن جهة اخرى فهذه الاشارة تدل على قوة العلاقات التجارية بين الدولة العثمانية واوروپا وحتى بريطانيا مما جعل الاقمشة الاوروپية شائعة حتى في المدن الكردية. (ر.ف)

٤- لبس الطاقيات من قبل النساء كان شائعاً في كردستان ولا زال موجوداً بشكل نادر وكانت طاقيات النساء الكرديات من الذهب او الفضة الخالصة، وتسمى (تاس كولاڤ). (ر. ف)



وتعتمرن الطاقيات ذوات الخيوط الذهبية او الفضية(٤) وتلبسن الجزمات، وهن نساء عفيفات مؤدبات جداً، ذوات حلي ذهبية وفضية، وحسب قول كبار السن هنا، ان في دياربكر (١٤٠) بيتاً تملك الحمامات الخاصة بها، لأنه يمنع على نسائها الخروج من المنازل(١).

بيوت المسافرين:

في السابق كانت توجد سبعة بيوت للمسافرين(٢) كان يقصدها المسافرون والغرباء للحلول فيها وتناول الطعام، ولكن بسبب فساد الحكام لم يبق فيها الان غير بيت المسافرين العائد للجامع الكبير كما ان تكية الشيخ الرومي تزود الفقراء بالطعام وكذلك التكايا الاخرى.

حمامات دياربكر:

اولها هو حمام (ايپاريه) وهو حمام منعش، وبعد ذلك يأتي حمام (ايشريك) الذي ليس له مثيل في هذه المدينة، ويسميه الناس خطأ بـ(أشك) ثم حمام (اسكندر پاشا) الذي يتصف بنظافة مآزره وعماله

١- تشير جميع المصادر التي تؤرخ لتلك الفترة على عدم خروج، أو قلة خروج نساء المدن من بيوتهن، لذلك كانت بعض العوائل تبني حمامات داخلية لنسائها في البيوت، ورغم ذلك فسيأتي ذكر حمامات النساء اي الخاصة بهن في بعض مدن كردستان الاخرى كما سيرد ذلك وعموماً فكانت نساء المدن متحفظات جداً من كافة الوجوه. (ر.ف)

٢- بيوت المسافرين، يقصد بها اماكن تشبه فنادق اليوم لايواء المسافرين والغرباء عن المدينة وهذا يدل على علو درجة دياربكر كمدينة متحضرة كانت فيها سبعة بيوت للمسافرين اي فنادق وان تلك الفنادق الصغيرة تختلف عن (الخانات) التي كانت محلات لايواء الدواب والحيوانات فحسب ولا زالت تلك الفنادق الصغيرة تسمى حتى اليوم في مدن ايران بـ(مسافر خانه)..(ر.ف)



الخدومين والحمام القديم قرب بوابة الروم، هو اكبر الحمامات وهو قرب المنارة المعلقة، وهو مبنيٌ من الحجر وقبابه من المرمر وهو بديع المنظر أما حمام (ملك احمد پاشا) فهو مضيء ومنعش، يوجد قرب بوابة الجبل حمام (زيلچي) وهو حمام كبير، اما حمام (ماردين) فيشتهر باحواضه ومقاعده وداخل سوق (حسن) يوجد حمام (اسكندر پاشا) وكان هذا الپاشا عالماً ومهندس بناء، وقد قام هو بتصميم هذا الحمام مما جعله محل افتخار لدياربكر، اما (بيقلي پاشا) فلقد قام بتأسيس حمام على الطراز القديم لذا يسمى بالحمام القديم، ولا ينتقط الماء من سقوفه وجدرانه وهو ملبوخ بالعطور، وكذلك حمام (بهرام پاشا) اذ كان هذا الپاشا من اهالي (غزة) وجلب المرمر والزنبوري بالجمال، وجلب البنائين من (القدس وغزه) لتأسيس هذا الحمام الجميل، ويشبه هذا الحمام حمام (الدفتردار) في الشام وحمام (عثمان) في منفلوط بمصر، وكذلك حمام (چارداقلي) ولا اعرف مؤسسه، ولكنه نظيف ومضيء، وكذلك حمامات (البوابة الجديدة) و (داخل القلعة) وتوقد جميع هذه الحمامات بفضلات الحيوانات (الزبل) وتحمى لدرجات عالية بحيث ان الانسان لا يستطيع التحمل داخلها لاكثر من ساعة، اما المدن الاخرى لبلاد الروم، فتوقد حماماتها بالحطب ولا تصل الى هذه الدرجة من الحرارة، واستعمال الفضلات الحيوانية في الحمامات له فائدة اخرى وهو تقليل الفضلات داخل المدينة لذا يشاهد جمع الازبال داخل المدينة بالزبابيل، وتجلب للحمامات و تحرق هناك ليس هذا في دياربكر فحسب بل توقد الحمامات بالازبال في بلاد العرب ايضاً.

١- شط العرب: هو تسمية لنهر دجلة، وقد وردت نفس التسمية احياناً او الشط في احيان اخرى في (مم وزين) خاني وهو ينتمي الى نفس عصر (اوليا چلبي)(ر.ف).

٣

نهر شط العرب (دجلة):(١)

لقد جرى الحديث كثيراً عن الانهار على سطح الارض. وقال (ابن عباس) بأن الانهار تتوزع على سطح الارض كما تتوزع الاعصاب في جسم الانسان، كما قال (بطليموس الحكيم) ان هناك (٢٤٠) نهراً كبيراً و (٤٤) الف عين ماء على سطح الارض، وان طول الـ(٢٤٠) نهراً كبيراً يتراوح بين (٥٠) فرسخاً الى (١٠٠٠) فرسخ(١) اي انها لا تقل عن الـ(٥٠) ولا تزيد عن الـ(١٠٠٠). وتبلغ المسافة بين شط العرب (دجلة) وبين الفرات (٥٠) فرسخاً، لذا فان الفرات هو شقيق هذا النهر ويلتقيان في (القرنة)، وان مئات الانهر التي تصب في الفرات، يمتاز عليها هذا الشط بعذوبة مياهه، لذا يشتهر كل من الشط ونهر الفرات بعذوبة المياه، ولقد مدح الرسول الكريم (ص) مياه نهر الفرات كما مدح الامام علي كلاً من شط العرب ونهر الفرات، كما ذكر مشاهير الرجال هذين النهرين، وكنا في السابق قد تعرضنا لذكر ينابيع نهر الفرات والفروع التي تصب فيه، اما الآن فسنتحدث عن شقيقه الشط.

شط العرب (دجلة):

ينبع من جبال دياربكر، وفي البداية ينبع من اربعة اماكن، وتسمى الاماكن الاربعة بالشط، ومن المعلوم انه تطلق كلمة (الشط) على كل نهر كبير، كما يسمى المكان الذي يصب فيه النهر بالبحر ب (مرج البحرين)، وبما ان هذا الشط ينبع من اربعة اماكن، لذا يجب التحدث عن المنابع الاربعة.

١- الفرسخ: هي وحدة قياس المسافات قبل شيوع تداول الكيلومتر الفرنسي والميل الانگليزي، ويقدره المختصون بحوالي ستة كيلومترات (ر.ف).



المنبع الاول:

على بعد مسيرة يوم واحد نحو شمال دياربكر وقرب قلعة (پالو)، هناك روضة غناء مشهورة في كردستان و تسمى (باغني)، يقصدها بگوات (پالو) وكبار الرجالات من الاماكن الاخرى وذلك بقصد التنزه والتسلية، وتعود ملكية هذه الروضة لبگ (پالو) و من بين سلسلتين حجريتين من الجبل المطل على الروضة ينبع هذا الماء العذب، بحيث ان اي شاب شجاع في شهر تموز لا يصبر لاستخراج ثلاث حصوات من اسفل الماء لبرودته، وهو رائق وصافي كالبلور، وكأنه ماء الحياة نفسه، وهو خفيف على المعدة، بحيث لو تناولت لحم خروف وشربت عليه شربات من هذا الماء لشعرت بالجوع بعد مدة.

المنبع الثاني:

وقريباً من هنا يوجد جبل يسمى (تحت ماشا) الى جانب مضيق (ارغني)، ينبع الماء من كهف في هذا الجبل بخرير عالي، ويكون هذا الماء رائقاً كعيون السرطان (ابو جنيب)، ولا مثيل له في عذوبته وصفاته.

المنبع الثالث:

ينبع الماء من كهف في جبل عالي قرب مضيق (چنارلي) الذي يقع بين (ارغني) و (دمير قاپو)، وهو ماء صافي كأنه ماء النيل وحوله توجد المنتزهات التي يقصدها الناس..

تلتقي هذه الفروع الثلاثة المذكورة، وتمر تحت جسر عال جداً يسمى (بردنيج) مكونة هذا الشط الكبير، ثم يصب فيه اسفل هذا الجسر فرع (ترجيل) والذي يسمى بنهر (ترجيل).. اي تتوحد مياه (باغن) و (ماشا) و (دميرقاپو) و (ترجيل) ثم يستمر النهر في المسير، واسفل الجسر الاسود يلتقي بالشط نهر آخر، ورغم انه ينبع من بين الجبال، ولكنه يأتي بالاتجاه



المعاكس، لذا لا يعتبر شطاً، ثم تأتي هذه المياه من الجهة الشرقية لدياربكر وتمر تحت (جسر البنت) وتسقي حقول وبساتين هذه المنطقة، وتبدأ القوارب المتجهة من دياربكر الى بغداد والبصرة رحلاتها من هنا مارةً ب (حسنكيف) و (الجزيرة) وتتجه نحو الجنوب، ويسقي النهر في طريقه (٧٠) قلعة و قصبة ومدينة كبيرة الى أن يصل الى (بغداد) حيث يصبّ فيه في الطريق (١٥٠) نهراً، وجنوب بغداد تصب فيه انهار (ديالى) و (چرقه) و (حزب علي) وانهار اخرى، وشمال البصرة وقرب قلعة (القرنة) يتوحد النهر مع نهر الفرات ثم يتسعان امام البصرة مثل البحر، وتأتي سفن هندستان و البرتغال ولورستان ومولتان والانگليز و الفلمنگ(١) وعمان واليمن وعدن وجده والحبشة، لتقف امام البصرة، تأتي بالبضائع وتذهب بها، ولكن القوارب الصغيرة للعجم تأتي باعداد اكبر للتبادل التجاري، والبصرة منبع للؤلؤ، وترى دكاكين التجار فيها وهي غاصة بانواع الاحجار الكريمة والجواهر، ومن غير هذه تأتي السفن من موانئ الاحساء، صنعاء، عدن، موهه، احمد آباد، فرح آباد، ديو آباد، ميمون مصطفى آباد، دانيول، پيكوار او (قرقا)، فيليپوت، دونقارقزه، دانيمارك، والسفن الشراعية لليمن التي تأتي باعداد كبيرة لا توصف، فشط العرب هو بحر ثمين بهذه الدرجة.

شط العرب الذي يقع امام البصرة، له مد و جزر اذ تزيد المياه من الصباح وحتى الظهر في عملية المد، ثم تقل المياه بعد الظهر في عملية الجزر، لذا فأي قارب لا يثبت في مكانه يعصى في الرمال، وان المكان الذي يتصل فيه شط العرب ببحر عمان يسمى (مرج البحرين).

ان شط العرب الذي ينبع من اربع منابع من جبال دياربكر ويتجه نحو

١- الفلمنگ: هي تسمية قديمة للبلجيك.



الجنوب، فان هذا النهر وحسب رأي المؤرخين يتوحد مع الفرات ونهر (مرادصو) من المنابع وحتى المصبات في بحر (عمان) تصب فيه حوالي (٢٠٦٠) نهراً بين كبير و صغير.

وفي أطلس الهيئة، وپاپا مونت، واطلس مينور، والاطلس الجغرافي، واطلس ڤالون، واطلس پادره(١)، وخرائط الملاحين، توجد لجميع هذه الانهار، الصغيرة والكبيرة اسماء وارقام، وانا الذي احب السفر والترحال، سأتعرض للحديث باذن الله عن اي واحد منها يصادفني.

الانهار التي تصب في الشط:

يتجمع نهر (باطمان) من منابع جبال (ميافارقين، حزو، اتاق وترجيل) اما مياه قلعة بدليس، كفندر، ومياه قلعة (زوق) وفرع من الخابور فتتجمع وتسير اسفل قلعة (حزو) وتحت جسر (باطمان)، وتروي مئات القرى والقصبات والمدن، ثم تصب في الشط قرب قلعة (حسنكيف).

نهر هرماس:

ينبع من جبال (نصيبين) وبعد عدة مراحل يتحد مع نهر (الثرثار) الذي يخرج من جبال العمادية ويتحد مع نهر (خطيب)، يخرج هذا النهر من جبال كوردستان ويتجه نحو الجنوب، حيث يروي سهول جبل سنجار ويتحد مع (دجلة) قرب قلعة (تكريت) القديمة، ويتفرع فرع من نهر (الثرثار) وقبل ان يتحد (خابور) مع (قزقيا)، يتحد (هرماس) مع (خابور) ثم مع ذلك الفرع من (الثرثار)، اذ يصب بشكل نهر واحد قرب جبل البنت في نهر الفرات.

١- هذه اسماء الاطالس الجغرافية التي كانت شائعة قبل ثلاثة او اربعة قرون.



وأحد الانهر الاخرى التي تصب في الشط هو نهر عيسى في الكوفة، وينفصل هذا النهر عن الفرات في منطقة تسمى (وهمه)، ويسمى ب (ترعة الملك عيسى).

نهر صرصر:

يتفرع من نهر الفرات قرب نهر عيسى، ويعلم الله انه تم اجراؤه ليروي الصحراء، ويصب في الشط بين بغداد والمدائن.

نهر الملك:

يتفرع من نهر الفرات قرب نهر صرصر، ويروي الصحراء ويمتد في وادي العراق ويصب في النهر اسفل المدائن.

نهر كوتي:

يتفرع من الفرات قرب نهر الملك، وبعد ارواءه لعدة مناطق صحراوية، يصب في نهر الفرات قرب نهر الملك.

لقد تم اجراء هذه الفروع العشرة من قبل العباسيين وما قبلهم من الخلفاء، وهي تربط بنهر الفرات لتروي المناطق الصحراوية، وأول من بدأ بهذه الاعمال هو (ملك عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس) وهو عم المنصور، وكانت اطراف نهري دجلة والفرات قد استغلت جميعاً للزراعة في عصورهم، ولم يبق منها شبر بدون استغلال، وكانت القوارب والاكلاك تسير في الانهار بين البصرة والكوفة والمدائن وبغداد ودياربكر وحتى (بيره چك)، اما الان فنظراً للفيضانات لا يمكن العمل فيها في كل الاوان، ماعدا الاكلاك القوية المصنوعة من جلود الاغنام والماعز التي تطفو فوق المياه، فيمكنها السير من دياربكر الى اي مكان آخر.

ويوجد داخل قلعة العمادية، عينان كبيران للماء، احدهما هو (سركهنان مزركان) والاخر هو (كهيه خاتون)، وكلاهما ينبع من جبل (بشيش) ويجريان تحت جسر (قوبهان) ويصبان في الشط.

- نهر الخابور: اما جبال قلعة (زاخو) فتنبع منها آلاف العيون، التي تتحد مع بعضها البعض مكونةً نهراً كبيراً، وللكورد (مقام) يسمى (شوره گر) حول هذا النهر، اذ يقول:

ايها الكوردي ذهبت الى الجزيرة اذ ألقيت الاكلاك

ذهبت الى الخابور، اذ نصبت الخيام

آه يا عزيزي، لماذا ايتها القرية(١)

وعلى بعد مرحلة من الخابور، هناك نهر (هيزل) الذي ينبع من جبال (هيزل) ويتحد مع الخابور الذي يصب بدوره في الشط.

وما عدا هذه فاذا كنا نكتب عن ال(سبعون) نبعاً التي تخرج من جبال قلعة (كواشي) فان كتابنا سيصبح كتاب (عيون الماء).. ومما يجدر ذكره من هذه المياه هما مياه (كواشي) ومياه (ارمشت) اللذان ينبعان من جبال (ارمشت)، وكذلك مياه (كلاتي) وماء (عقرة) الذي ينبع من جبال قلعة (عقرة)، كما ينبع ماء (سلوانه) من نفس المكان اما مياه (السندي) فتنبع من جبال عشيرة (السندي) وهو ماء عذب كما تنبع مياه زاخو من جبال زاخو.

أما مياه (كواشي) فهي ليست نهراً بل مياه عذبة.

١- ورد النص الاصلي باللغة الكوردية (الكرمانجية الشمالية) ولا بد ان النص تعرض للاخطاء لدى كتابته من قبل (اوليا چلبي) لعدم معرفته باللغة الكوردية كما يبدو، او ربما حدث له تقديم وتأخير في جزء من البيت الاول والثاني، وانا اظن ان الاصل هو (ان الخيام نصبت في الجزيرة، والقيت الاكلاك في الخابور)، ولكن مهما يكن من امر، فلقد تحرينا الدقة والاعتماد على النص.



أما نهر (الزاب الاعلى) فينبع من بلاد اذربيجان العجم، ويصب في الشط بين قلعتي اربيل والموصل قرب قصبة (سنده)، وفي الحقيقة فان نهر (الزاب الاعلى) هو نهر كبير.. والزاب الاسفل هو نهر يجري في ايالة (شهرزور) ويمر بين قلعتي اربيل وداقوق ليصب في الشط، وهذه الانهار تجري بنفسها.

الانهر المرتبطة بالشط:

نهر (قاطول) الذي ينفصل عن دجلة، يتجه نحو الجنوب ويمر بقرب (قصر جعفر)، وبالرغم من تسميته ب (قصر جعفر) الا ان (المتوكل على الله) العباسي هو الذي اسسه، يروي نهر (قاتول) مئات القرى، ونحو الجنوب يسمى ب (النهروان) ويصب في دجلة مرة اخرى قرب قرية (جرجريا).

نهر الدجيل:

كان الخليفة في السابق قد اجرى هذا النهر ليروي الصحراء وهو فرع من (دجلة) يسميه العرب ب (الدجيل) للتصغير، ويشتهر بين الناس ب (الدجيلان)، وفي البداية عندما كان يرتبط ببغداد كان يروي آلاف القرى و القصبات، ثم امتلأ بالرمال والطمى تدريجياً، وفي عام (١٠٦٥) هجرية صرف عليه السلاحدار (قره مرتضى پاشا) مبلغ الف كيس من أمواله الخاصة وحفر مجراها بعمق منارة، واسكن على طرفيه حوالي (٣٠٠) قرية ثم اعطاها بالمقاولة لاحد الأغوات ب (٢٠٠) كيس وتصب فيه مياه دجلة من الشرق والغرب، ثم تجري في الصحاري والبراري ويجف هناك، اما ماء (اهوان) في الشرق فلا تصب فيه مياه اخرى. وباختصار فهناك آلاف المياه التي تصب في دجلة، وقد روى لي اصحاب القوارب (حاجي باغدو) و (زنگه محمد) بانهم ظلوا يجوبون دجلة والفرات لمدة (٧٠) او (٨٠) عاماً ولهما خبرة في كل زاوية وساقية منهما.



اما في العراق، فهناك تسعة انهر تنفصل عن دجلة، اولها هو نهر (مره) الذي ينفصل عن دجلة ويتجه نحو الجنوب ليسقي ارض البصرة، ثم يتصل بنهر (الديره)، والنهر الثاني هو (الديره) الذي ينفصل عن الجهة الغربية للشط، وبعد ارواءه لعدة مناطق صحراوية، يغوص في الرمال اخيراً، وهناك قبر (محمد بن الحنفي) على ضفة ذلك النهر في قصبة (الديره) ذات الالف مسكن، ويتكون معظم سكانها من الشيعة والروافض والطبرائيين، وكل من يتوفى منهم، يدفن هنا وتصبح امواله وقفاً على هذا المزار، والمسافة بين نهري (الديره) و (مره) هي اربعة مراحل.

النهر الثالث هو (شبق شرين) الذي يبعد عن نهر (الديره) ب (٦) فراسخ الى الجنوب، اذ يروي عدة قرى ثم يختفي في الرمال.

النهر الرابع هو (المعقل) الذي يبعد عن نهر (شبق شرين) بفرسخين ويروي الجهة الجنوبية منه، ثم يتجه جنوباً ليتحد مع نهر (ابلله) قرب مدينة (الميناء) الخربة ويسميان معاً بنهر (سفراي ديك)، وفي زمن خلافة الامام عمر. عندما فتحت البصرة، امر (معقل بن بشارة) بتوسيع مجرى نهر (سفراي ديك) ليروي اطراف البصرة لذا يسمى الان بنهر (معقل).

النهر الخامس هو (ابلله)، الذي يبعد عن نهر المعقل باربعة فراسخ جنوباً، وبعد مرور هذا النهر بجانب قلعة البصرة، ينفصل امام قصبة (ابلله) متجهاً الى الغرب، ويتجه نحو جزيرة مكة، ثم يتجه نحو الشمال مجدداً، ويصب في نهر (المعقل)، ويختلط بالمد والجزر في شط العرب جنوب البصرة، اذ يحدث المد والجزر مرتين في اليوم.

وتأتي السفن من بحار الهند، القلزم، هندستان، البرتغال، اليمن، مدين، الصفا، وترسو على جانب الشط وعبادان وتسير في هذا النهر لتصل البصرة، وعن طريق نهر المعقل تتجه نحو الشمال، وفي حالة الجزر تشاهد مصبات نهر الابلله

٣

والمعقل بوضوح، ولهذا النهر ايضاً مد و جزر، ويشكل نهرا دجلة والفرات في العراق ما يشبه الدائرة، بينما يمثل نهر المعقل ما يشبه القطب، ويحيط نهرا دجلة والابلله بالمعقل، وذلك بعد دوران لمسافة ثلاثة مراحل في ارض العراق الذي يسمى ب (الجزر الكبرى) وهذه الارض هي (الجزيرة) او جزيرة عمر.

النهر السادس هو (يهود) الذي يبلغ طوله (٤) فراسخ، وان المجاري التي صنعت لهذا النهر في زمن هولاكو طمرت الان وسويت بالتراب.

النهر السابع (ابو الخصيب)، وهو قرب نهر (يهود)، يسير لمسافة مرحلة واحدة وعند حدوث المد يتحد مع نهر (يهود) وقد طمرت عدة اماكن فيه ولا فائدة منه، ويسير في بعض الاماكن التي تسكنها بضعة عوائل من العربان، ويتعرض الحجاج المتجهون من البصرة الى مكة لعمليات النهب والسلب من هؤلاء العربان.

النهر الثامن هو (مين)، الذي يبعد عن البصرة بفرسخ واحد، والنهر التاسع هو (قنديل).

وترتبط هذه الانهر التسعة بشط العرب، تغوص بعضها في الرمال وتعود اخرى لبحر البصرة، وتسير فيها السفن المحملة بالجنوب، هذه كانت الانهر الكبيرة منها، وتوجد آلاف الترع غيرها التي تنفصل عن الشط، ولغرض ارواء المدن مثل (المدائن، الكوفة، البصرة، القرنه) وسهول بغداد وكربلاء، قام الخلفاء العباسيون (المتوكل، المظفر، المستنصر، المقتدر، المستعصم بالله، هارون الرشيد وابنه المأمون)، ببذل جهود كبيرة لحفر هذه الانهر وارواء السهول والصحاري.. وبعد زوال عصرهم لم يجر بها الاهتمام واهملت، لذا طمرت مجاريها بالرمال والطين، وان كانت قد بقيت منها بعض المستنقعات والمنخفضات، الا انها اصبحت مأوي وملاذات للاسود والنمور.

كانت هذه التفاصيل عن الانهر، للتعريف بمنابع دجلة التي تبدأ من دياربكر.

* كانت هناك اخطاء في بعض اسماء العلم للاماكن خاصة، قمنا بتصحيح بعضها

المحاصيل و الحبوب:

تقع مدينة دياربكر في منطقة صخرية ذات طبيعة قاسية، ولكن تنتشر في أطرافها زراعة سبعة أنواع من القمح ذي الحبوب الخشنة، وكذلك الشعير و الباقلاء، وتباع (السماري)(١) ب(١٠) أقچات،(٢) و نظراً لخصوبة أراضيها و سعتها تستغل بشكل جيد في الزراعة، فمزارعها وافرة و محاصيلها كثيرة.

الصنائع في دياربكر:- يكثر في دياربكر تصنيع السيوف، المسدسات،(٣) الخناجر، السكاكين، الجلود الحمراء و الملونة، انواع الخفاف و الأحذية.

مأكولاتها:-

الخبز الأبيض، المعجّنات مع القشطة، خبز الموز، العسل، المنّ وهي (حلوى ربّانية تنزل من السماء على أوراق الأشجار، وهي حلوة ولذيذة)، اللبن.

فواكهها:- ان البطيخ الذي يوجد هنا، لا مثيل له في اللذة و الحلاوة، وربما يوازيه بطيخ بوتان.

مياهها:-

هناك مياه (حمراوات) التي تيسّر الهضم، كما ان مياه الشط معروفة بعذوبتها و نقاءها، وهي تقضي بدورها على آلام وأوجاع البدن، وفي

١- السّماري: يبدو انها كانت وحدة لقياس أوزان الحبوب في ذلك الزمان، كالعلبة والوزنة والطغار في زماننا هذا، التي هي على وشك الزوال ايضاً.(ر.ف)

٢- الأقچة: عملة نقدية صغيرة، تصنع من الذهب او الفضة، شاع استعمالها في القرن السادس عشر الميلادي في الدولة العثمانية.(ر.ف)

٣- ليمعن القارئ الكريم، في الحضارة الكردية قبل اكثر من ثلاثة قرون، وكيف ان مركزاً حضارياً كردياً، كانت تصنع فيه السيوف و المسدّسات وغيرها من الأسلحة.



الشتاء يتكون منها جليد ناصع البياض كالبلّور.

أعمال الأهالي:-

يعمل معظم السكان في التجارة، و فيها تجّار كبار، كما يعمل بعضهم في الوظائف الحكومية، ويعمل كل من حاكم ماردين وقرداغ مع كاتب الوقائع اليومية في الديوان، كما يعمل بعضهم داخل المدينة، مثل الحدّادين و القيّومين..

لغة أهالي دياربكر ولهجاتهم:-

كان السلطان (مراد خان الرابع) سلطاناً لطيف المعشر، عذب الكلام، يحبّ الكلام المأثور، وكان يفضل اللهجات التي يتحدث بها أهالي آذربيجان والأقسام الشرقية من الأمبراطورية مثل العراق و دياربكر، وكان له نديم يسمى (قهوچي زاده)، وهو شخص بارع في تقليد الناس، يتحدث بعشرين لغة، ولدى حضور سفراء النمسا وبولونيا والچيك وفرنسا و روسيا، كان هذا الـ(قهوچي زاده) يقوم بترجمة لغاتهم بشكل بديع، ولدى حضور أحد السفراء الى البلاط، كان السلطان يأمره بارتداء ملابس تشبه ملابس تلك الشعوب ثم يقوم بالترجمة، وكان هذا قد قام بنظم بضعة أبيات شعرية بلهجة (دياربكر) وذلك من أجل تسلية السلطان والحاضرين.

متنزهات دياربكر:

إن حدائق و بساتين دياربكر المسيّجة، لا نظير لجمالها في العالم، ففي بداية الربيع وبعد سكون الفيضانات وبعد ان تصبح المياه رائقة، يتوجه الأغنياء والفقراء من أهالي دياربكر مع نسائهم واطفالهم الى ضفاف النهر، وتقوم كل عائلة بنصب الخيام في المكان المخصص لها على الضفة، ويزرعون البطيخ والرقي والخضروات على ضفافها، ويزرعون نوعاً من الريحان كحواجز بين بساتينهم، وفي مدة شهر يرتفع الريحان بحيث لا يمكن



مشاهدة الطرف الآخر منه، ويقومون بصنع العرائش على الضفاف، ويضعون الريحان هذا على السطح والأطراف الأربعة من العريشة، وبعد فترة التزهير، تقع بذورها على الأرض وينبت منهاجيل جديد من الريحان، ولجميع هذه العرائش سواقي وأحواض خاصة بها، تمَّ اجراء الماء فيها من الشط، وتستمر الأفراح والأحتفالأت وتناول المأكولات والأغاني والتنزه على هذه الضفاف لمدة سبعة اشهر كاملة، حتى ان اصحاب الحرف والمهن يمارسون مهنهم هناك، اذ تتوفر جميع المأكولات والمشروبات هنا، وحتى الناس الذين لديهم أعمال داخل المدينة، تراهم يرجعون الى بساتينهم وحدائقهم على ضفاف النهر مساءً.

يشتهر بطيخ دياربكر بكبر حجمه وحلاوة مذاقه، وتنبعث منه رائحة كرائحة المسك، تزن كل واحدة منها (٤٠- ٥٠) حقَّه تقريباً وله لون أخضر، ويهدى الى مختلف المدن والبلدان، وتصنع من هذا البطيخ مع الـ(دارسين) والرز والقرنفل انواع من الحلوى تفوق عسل (آتين) في حلاوتها... ولكن انواع الرقي فيها غير جيدة، أما ورود الريحان هنا فتكبر لدرجة ان سيقانها تستعمل بعد سبعة أو ثمانية أشهر كأعمدة للخيام، أو كدعائم أو مساند.. كما تستعمل عيدانها لاشعال النار مما يبعث منها رائحة طيبة..

ويقوم الأهالي ليلاً وعلى جانبي النهر بإضاءة الشموع وأنواع السراج والفوانيس، اذ يقومون بتثبيتها على قطع خشبية ويقذفون بها الى النهر مما يشكِّل منظراً خلاّباً، وتتحول ظلمة الليل الى وضح النهار، وهم مشغولون بالسرور و الأفراح والدعاء من الله للدولة.. متنزه (قوس) هو قطعة من الجنة، حتى ان السلطان مراد الرابع لدى زيارته لدياربكر، نزل في هذا المتنزه وقضى وقته هناك، وانَّ هذا المتنزه الذي هو على ضفة النهر، لا يمكن وصفه لا بالقلم ولا بالقول.



الأشياء الأخرى في دياربكر:

يتكون سكان أطراف المدينة من خليط من الكرد و التركمان والعرب والعجم، كما يوجد الأرمن داخل المدينة، وبما ان قلعة دياربكر تقع على ضفة النهر، لذا تسمى بجزيرة دجلة، وبما انها تقع بين نهري دجلة والفرات لذا تسمى بـ(الجزيرة).. ونظراً لاعتدال المناخ فيها وعذوبة مياهها، فان سكانها يتصفون بالحسن والجمال، وأطفالهم اذكياء و شجعان، كما يتحدث الناس فيها بالكردية والتركية والعربية والأرمنية، وهم يحبّون الغريب ويحسنون الوفادة ولطيفو المعشر، وفيهم روح الدعابة، كما يبرز منهم ذوو اقلام حادة، ويتصف رجالهم بالصدق والديانة، اما نساؤهم فيتصفن بالأدب والأخلاق الحميدة، ليس نساؤهم فحسب، بل حتى بناتهم لا يتواجدن في الأسواق، وحتى لو سارت احدى بناتهم في الأسواق، فسيوجّه اللوم لها ولوالدها.. نعم الى هذه الدرجة يحافظون على اخلاقهم.

مزارات دياربكر:

يوجد في القلعة الداخلية، قرب سراي الپاشا وفي شارع خالد، (مزار) لشخص مبارك ومعروف باسم (الشهيد ابن خالد بن الوليد)، ففي الوقت الذي قام فيه (خالد) بالحملة على دياربكر وانتزاعها من قيصر الروم، وحكم هذه المنطقة، توفي ابنه هنا ودفن في هذا المزار الذي يزوره الناس.

و مزار (همزة بابا) خارج القلعة، اما (الشيخ الرومي) الشيخ الكبير والمتدين وصاحب الكرامات الألهية، فهو جناب (الشيخ الرومي) الذي كان من أهالي (اورمية) في اذربيجان، اذ دفن أجداده (قوجغه سلطان) و (شوري سلطان) في أورمية، وسأتحدث عن ذلك في الوقت المناسب باذن الله، ان هذا الرجل العظيم كان ثرياً جداً، وكان له اكثر من (٤٠) الف مريد، وهو الذي جلب الشهرة لطريقة الخواجات الصوفية.



كان أستشهاد الشيخ الرومي في زمن السلطان مراد الرابع، بسبب الوشاية من قبل بعض المنافقين والمفسدين لدى السلطان، مدّعين من ان الشيخ الرومي في دياربكر، ينوي القيام باسم الطريقة المهدية بالانتفاضة عليه، وهو يقوم لهذا الغرض بجمع المريدين والدراويش الفقراء والمعدمين حوله، وأمر السلطان في البداية بالتريث، وبعد اربعة سنوات عندما كان السلطان يتوجه في طريقه الى بغداد، مرّ قرب دياربكر وعند نهر (مراد) قام بعض وجهاء دياربكر بمقابلته هناك، وقام الشيخ ايضاً بمقابلته بكل جرأة، فسلّم عليه قائلاً (السلام عليكم يا خونكار) اي يا (سلطان)، ولكنه مدّ في لفظة (خوون) اي الدم، فبادره السلطان قائلاً (يا شيخ لماذا مددت في كلمة (خوون)، فأجابه الشيخ قائلا (ايها السلطان، لانك ستتوجه الى بغداد وتفتحها، وتثأر من اعدائك وتسيل دماءهم)، وما ان يسمع السلطان عبارة (فتح بغداد) حتى تتفتح اساريره قائلاً (يا شيخ، هل تعتقد بانني سأرجع سالماً الى استانبول؟) فأجابه الشيخ (نعم ستعود الى دياربكر هذه، وتسيل مزيداً من الدماء دون وجه حق وتعود الى استانبول). فأراد السلطان ان يجزل له العطاء، ولكن الشيخ رفض، بل طلب منه تخفيض الضرائب على الخانات والضرائب الأخرى، فينفذ له السلطان ذلك..) يتوجه (مراد خان) نحو بغداد، ويحتلّها بعد استشهاد (طيار محمد پاشا) واثناء رجوعه يمّر بدياربكر ويلتقي بالشيخ مجدداً، ويريد ان يجزل له العطاء فيرفض الشيخ مجدداً، فيقوم المنافقون والمفسدون بعملهم مرة أخرى، ويقولون للسلطان بان (هذا الشيخ له معرفة بالكيمياء ولديه عشرة آلاف كيس ذهب، وفي اي وقت يريده يستطيع تحويل اواني وادوات مريديه من النحاس الى الذهب، واذا شاء يوماً ان يتمرد على الدولة، فسيخلق مشكلة كبيرة) ولكن السلطان مع ذلك لم يسمع كلامهم.



فيجلس السلطان يوماً مع الشيخ ويسأله (يا شيخ هل ترى ان علم الكيمياء هو علم صحيح؟) فيجيبه الشيخ (نعم يا سلطاني، ان الكيمياء هو من عمل الشيوخ، لكي يُهدئوا من فوران انفسهم، يقومون بصنع حبّة من الذهب الخالص ويبلعونها، فان المتصوفة يحتاجون لعلم الكيمياء، لهذا الغرض، والاّ فان خزائن قارون لا تساوي عندهم شيئاً)، فيقول له السلطان (يا ليتني رأيت شخصاً على معرفة بهذا العلم، لانني ليست لديّ قناعة بذلك)، فيقول الشيخ (انني استطيع القيام بهذا العمل أمامك، بشرط ان لا تكون هناك مسؤولية لي...). فيتوجه (مراد خان) لبيت الشيخ ويغلقان الباب على نفسيهما، ويلتقيان هناك صدفة ببنت امير الدروز (ابن معان الشامي) التي كانت معروفة بالجمال والمكر ولا مثيل لها في الدنيا، اذ كانت بين حرم الشيخ، فتأتي لخدمة السلطان وتدعو له كثيراً، كما تعلمت ذلك من والدها، وبعد كلام طويل، تشعل ناراً وتأتي بقنطار من النحاس فتذيبه، وتلقي فيه الأكسير بما يعادل حبةً من عدس، فيتحول النحاس فوراً الى الذهب الخالص، فيقوم الشيخ بصنع بضعة حبوب من هذا الذهب، ويبلع هو حبة واحدة، ويعطي ثلاثة حبوب للسلطان فيبلعها، ولا يستطيع السلطان بعدها ليوم وليلة من تناول اي شيء، لذا يتأكد السلطان أن كلام المنافقين والمفسدين هو صحيح، فيقوم بارسال الرجال لخنق الشيخ وابنة (ابن معان) في بيتهما، ويقومون بدفنهما خارج بوابة الروم، ثم يرجع (مراد خان) الى استانبول ويتوفى بعد مدّة.(١)

١- يبدو ان السبب الحقيقي في قتل هذا الشيخ الجليل من قبل السلطان مراد الرابع، هو ماذكره الوشاة والمنافقون من انه يشكل مع مريديه خطراً على الدولة العثمانية وسلطانها مراد الرابع، وذلك لكثرة المحبين والمريدين من اتباع طريقته الصوفية، اما ماعدا ذلك وماذكر عن معرفته بعلم الكيمياء، فان معرفته بهذا العلم، لا تشكل مسوّغاً لقتله، فعلم الكيمياء، كان علماً شائعاً بين العلماء، قبل ذاك بقرون،



أن (ملك احمد پاشا)(١) هو الذي حدّثني بهذه الرواية، اذ كان حينها يقوم بوظيفة (السلاحدار) لدى مراد خان، ثم اصبح والياً على دياربكر، وبما انه كان له اعتقاد بالشيخ، لذا كان يأتي لزيارته، مراراً.

أما مرقد الشيخ (مصلح الدين ملا عزيز لاري) الذي كان من أهالي (لاري) في هندستان، وكان عالماً دينياً وسائحاً، اذ كان قد أتى سائحاً الى بلاد الروم واصبح نديماً للسلطان ومشهوراً.. ثم أصبح بعد ذلك ينشر طريقته الصوفية في مسجد (خسروية) حتى مماته، ودفن قرب مرقد (الشيخ الرومي)..

وفي دياربكر مزارات اخرى، ولكن المعروفة منها هي التي ذكرناها،...

وفي كل مرة مررتُ بدياربكر، كنت اذهب مع (فراري مصطفى پاشا) ووجهاء المنطقة الى الصيد و السياحة، ولكنني في هذه المرة اتيتُ مع (ملك احمد پاشا) في مهمّةٍ رسمية، وليست لدينا خيم وتجهيزات ضرورية، لذا بقينا على حالنا، ولقد توجّه الوالي (مصطفى پاشا) ب (٤٧) الف مقاتل الى سهول ماردين وسنجار للفصل في القتال الناشب بين شيخ عرب الشام (الشيخ علي فارس) وعشيرة (طي).. لذا توجهت لغرض السياحة ولأنجاز

وعلم الكيمياء القديم كان يعني بتحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة كالذهب، وقد جهد العلماء كثيراً في ذلك معتمدين على سائل معروف سمّوه الأكسير، الذي يقوم بتحويل معادن اقل ثمناً مثل النحاس والفضة والزئبق الى الذهب، وقد ورد مصطلحا الكيمياء و الأكسير في الشعر القديم منذ عدة قرون، وبنفس المعنى، وما علم الكيمياء المعاصر الأ وليد الكيمياء القديم.(ر.ف)

١- ملك احمد پاشا، هو الصدر الأعظم في الدولة العثمانية في ذلك الوقت، والذي اصبح والياً على دياربكر، ثم اناط به السلطان مراد الرابع، مهمّة القضاء على امارة (بدليس) الكردية واميرها الشجاع (عبدال خان)، كما سيرد ذلك بالتفصيل في الصفحات القادمة، وما هذه الجولات المكوكية لـ(ملك احمد پاشا) ومؤلف هذا الكتاب (اوليا چلبي)، الأ لذلك الغرض كما سيتضح ذلك مستقبلاً.(ر.ف)

٣

مهمتي ايضاً مع (٢٠٠) شخص من الأصدقاء والخدم من دياربكر نحو القبلة متوجهين الى قلعتي ماردين وسنجار..

توجّهي نحو قلعتي ماردين و سنجار:

عندما خرجنا من دياربكر، اصبح الزاب الى الشرق منّا و توجّهنا صوب (الجزيرة) اذ وصلنا قرية (گوگصو) التابعة لدياربكر.

الجزيرة الكبرى:

قبل ان يخلق الله جلّ وعلا هذه الدنيا، كانت هذه الجزيرة عامرة، وهي جنّةٌ تقع بين شطّ العرب(١) (دجله) والفرات كانت. ففي البداية من طرف الشمال تأتي قلعة (خربوط) وقلعة (پرتك) التي تقع بين الكورد الأيزوليّة.

وينزل احد اطراف هذه الجزيرة نحو الجنوب، اي نحو القبلة، الى ان تصل الى سهول بغداد و الكوفة وكربلاء، ومن هناك تصل الى قلعة (القرنة)، اي انّها جزيرة واسعة وفسيحة جداً، حيث يصل طولها الى (٤٦) مرحلة، وعرضها بين (٣) الى (١٥) مرحلة، وتوجد داخل هذه الجزيرة (١٧٦) قلعة قائمة ومُحكمة وقوية، ومنها (٧٦) قلعة هدّمت في عصر هولاكو وتيمورلنگ، اما القلاع التي بقيت سليمة وعامرة حتى هذا اليوم فهي قلاع:- دياربكر، أگيل، أرغني، خربوط، پرتك، صاغمان، چمشگزك، چپاقچور، گنج، اتاقة، جسقة، قولپ، ترجيل، مهرانية، وموش، وجميعها تقع في جهة الشمال، اما قلعة (پالو) فهي تقع خارج نهر (المرادية) اما (ملاطية) فتعتبر خارج الجزيرة. اما قلاع چرمك عيدهر، چونكوش، سمياط، سن روحة، رحية، سيورك، حديثة، خزة، دير، عانة، سلمة، مرقيا، رصافة، الرقة، حرّان،

١- شطّ العرب: لقد وردت في الكثير من الكتب التاريخية والأدبية تسمية شط العرب، ويقصدون به دجلة. (ر. ف)

حصاد، روحا، قلعة الروم، بيرچك، فجميعها تقع ضمن هذه الأرض المقدسة.

أما ماردين، حصنكيف، خاس تپة، سنجار، تل هوار، الموصل، نصيبين، جزرة، عمادية، عقرة، فتقع في الشرق وهي خارج الجزيرة، والمكان الذي حدثت فيه معركة (صفين) بين الأمام علي و عائشة، بنيت قلعة فيها، تسمى قلعة (جعبر)(١) ورغم وقوعها شرق الفرات، الأ انها تعتبر من الجزيرة، اما قلاع (هيزان، ماكسين، تل الجزيرة، كفرتوثا، بلد الخطيب، مدينة الخضر، وحديثة) فتقع في وسط الجزيرة، اما قلعة تكريت فلا تعتبر من الجزيرة وكذلك قلعة (قشلر).

وبعد الأستراحة في تلك القرية، توجّهنا نحو القبلة، وعبرنا منطقة مليئة بالأحجار وخلال هواء حارّ. قطعنا الطريق، وكانت محطة رحلتنا في مضيق (زر زيوان) وهي منطقة خطرة وغير أمينة، نعوذ باللّه، وكان سهل ماردين وسنجار في الجنوب ونحو القبلة. ومن هناك وصلنا قرية (ماعون) ومن هناك توجّهنا نحو الجنوب، وبعد سبع ساعات وصلنا مزار (شيخ زولي) ثم وصلنا قلعة ماردين.

قلعة ماردين أو عاصمة دارا:

كتب المؤرخون الروم واليونان وحسب معتقداتهم المسيحية، أشياء خيالية حول هذه القلعة، أما (المقدسي) فيقول ان سبب بناء هذه القلعة هو (النبي يونس)، اذ كان في فصل الشتاء يسكن بلدة (الخطيب) قرب الموصل، امّا في الصيف فكان يتوجّه الى المصايف في جبال

١- لقد أخطأ المؤلف في ذلك، فان معركة (صفين) التي وقعت في المكان الذي اشير اليه، انما وقعت بين الأمام علي و معاوية، اما المعركة التي وقعت بين الأمام علي و عائشة فتسمى بمعركة الجمل. (ر. ف)



(ماردين). والى الآن يوجد كهف في جبل ماردين، توجد في داخلها تكية تسمى بتكية (النبي يونس)، وفي تلك العصور كان هذا الجبل يسمى جبل (قوچ)، وكان هناك تنّين كبير يتواجد في تلك الكهوف، كان قد بلع عدة آلاف من أمة النبي يونس، كان الذين لا يؤمنون بهذا النبي، قد طلبوا منه، قتل هذا التنين، لكي يؤمنوا به، فقام هو بقتل ذلك التنّين بضربة حجر واحدة، وآمن به على أثر ذلك ثلاثة آلاف شخص دفعة واحدة، وقاموا ببناء بيوتهم حول ذلك الكهف، وبدأوا بأعمالهم هناك، وزاد ثراؤهم بعد ذلك يوماً بعد يوم. لذا سمّوا ذلك الجبل بـ(جبل مار)(١) ثم اطلقوا على المدينة اسم (ماردين)، وانتقل الحكم في تلك القلعة من ملك الى ملك، حتى أصبحت عاصمة (دارا) في حينٍ ما. وكان (دارا) يحبّ الأقامة في ذلك المكان كثيراً، اذ كان يقضي اوقاته في الصيف هناك بالصيد واللهو، اما في الشتاء فكان يرجع الى مدينة (دارا) قرب (نصيبين). وعندما انتصر (الأسكندر اليوناني) على دارا وأصبح الحاكم على اذربيجان وايران وتوران(٢)، قام ببناء عدد من الأديرة الكبيرة هناك،(٣) وفي زمن (النبي يحيى) كانت هناك دار كبيرة للأصنام تعود الى (بختنصر) داخل ماردين، ومن اجل قتل (النبي يحيى) توجّه (بختنصر) ذاك من (ماردين)، وقام

١- جبل مار: يعني جبل الثعبان في اللغة الكوردية، وهنا يؤكد المؤلف أنّ تسمية المدينة آتية من مصطلح كوردي. (ر.ف)

٢- يقصد المؤلف، الانتصار الذي حققه الأسكندر المقدوني على (دارا) في معركة (گوگميلا) التاريخية في عام (٣٣١ق.م) و گوگميلا تقع في سهل (نافكور) المعروف والواقع بين دهوك واربيل والموصل. (ر. ف)

٣- لقد أخطأ المؤلف في تسمية دور العبادة تلك بالأديرة، لان الأسكندر جاء الى الحكم وانتهى منه، قبل ميلاد السيد المسيح (ع). (ر. ف)



بتخريب كل من حلب و الشام وبيت المقدس وصفد وعسقلان وجميع الأملاك الأميرية، ثم رجع الى ماردين، لذا يهتم المسيحيون كثيرا، بمدينة ماردين هذه. وفي عام (٧٩٥)(١)، قام تيمور بمحاصرة هذه المدينة لثلاث سنوات، وعندما لم يستطع من احتلالها، توجّه الى بلاد الروم، وفي عام (٩٢٠) وبعد الانتصار في (چالديران) قام السلطان سليم خان، بارسال كل من (بيقلي پاشا) والملا ادريس العمادي مع مائة الف مقاتل لهذه القلعة، وبعد مفاوضات لمدة (١١) يوماً، سلّم الكورد هذه القلعة لهم بدون قتال، وتوجّهوا الى قلعة سنجار. وفي عام (٩٤١) عندما توجّه (سليمان خان) لغزوة بغداد، جعل من قلعة ماردين (سنجاق)اً، ومركزاً للـ(بگ)(٢)، وحسب القانون فان الضريبة الأميرية لها هي (٢٠٠) الف اقچة، ويدفع للـ(بگ) (٢٠) الف قرش. ولكن ادارة هذه المنطقة تتطلب شخصاً شجاعاً وذو عزم، ولا ينفع لهذه المنطقة الشخص المرن والهادئ. لان احد اطرافها هم الكورد ذوو الشعر الطويل(٣)، والطرف الأخر من الكورد الـ(شقاقي، آشدي)، وفي السهول توجد عشائر (كوچبو) التركمانية، وغير بعيد عنها توجد عشيرة (طي) العربية الرحالة.

لذا يحتاج اخذ ضرائب الأغنام والعُشر وايجارات المراعي منها لشخصٍ

١- جميع التواريخ الواردة في الكتاب، هي بالتقويم الهجري الأسلامي. (ر.ف)

٢- مصطلح سنجق او سنجاق، كان يعادل (القضاء) كوحدة ادارية عصرية، والـ(بگ) كان بمثابة القائمقام على ذلك القضاء. (ر.ف)

٣- الكورد ذوو الشعر الطويل: هو مصطلح خاص، يصف به المؤلف، الكورد الأيزدية من الساكنين في جبل سنجار الذين كانوا ولا يزالون يقومون بتطويل شعر رؤوسهم وصنع ضفائر منها، تنزل الى ما تحت اكتافهم، وسيرد هذا المصطلح كثيراً في مبحث قلعة سنجار. (ر. ف)

قويّ جداً. يوجد ل (ماردين) (٣٦) زعيماً،(١) و(٤٦٥) تيماراً(٢)، ويوجد (بگ) للفوج ورئيس الانكشارية، وحسب القانون، فان لابسي الجبب(٣)، يوجد منهم الف وسبعون جندي مسلح هناك والذين يتوجهون مع الـ(بگ) للقتال، أما (القاضي) فيها، فيحصل على ثلاثة آلاف قرش من اطرافها، كما يوجد للمدينة كل من: المفتي، النقيب، المختار، رئيس الانكشارية، رئيس الشرطة، نائب المدينة، رئيس التجار، أمير تنظيم الماء، أمين الگمرك، ورئيس القلعة، مع موظفين آخرين.

منظر قلعة ماردين:

انّها قلعة قائمة على جبلٍ بلون البلوط، عالٍ نحو السّماء، يبتعد عن دجلة بمسافة مرحلتين، تقع في أحد براري الجزيرة، وهذه القلعة يصعب تعريفها، ومهما يكن من امر، فسأقوم بوصف ما يمكن تشبيهه بقطرة من البحر.

انّ هذه القلعة عالية، الى درجة انّ جدران أبراجها تصل الى الغيوم، لذا فلا يمكن مشاهدة أعالي تلك الأبراج الى حين الظهيرة حينها تتفرق عنها الغيوم، لقد شاهدت العديد من القلاع العالية والكبيرة في رحلاتي، ولكن لا تصل أية قلعة الى قلعة ماردين، لانّ القلعة من الأسفل الى الأعلى تعلو لمسافة فرسخين، ويمكن مشاهدة المسافات لما حولها لحدود اربعة مراحل، اذا نظر اليها من الجهات الأربع، ومن هذه القلعة يمكن مشاهدة قلاع نصيبين

١- زعيم: او صاحب الزعامة، هو قيام السلطان بأقطاع أراضٍ على كبار ضباطه، بحيث تدر عليه دخلاً يتراوح بين (٢٠- ١٠٠) الف اقچة.

٢- تيمار: هي منح مقاطعات زراعية من قبل السلطان بحيث تدر دخلاً بين (٣- ٢٠) ألف أقچة.

٣- لابسي الجبب: يقصد به المؤلف الجنود الذين كانوا يلبسون الملابس الرسمية. اي الجنود الذين في الخدمة. (ر. ف)



وسنجار وجبل سنجار والسهول الواسعة حولها، واقول بصراحة، بان احتلال هذه القلعة ليس في مستطاع البشر، الاّ اذا تسبّب الجوع باستسلام الساكنين فيها. ويوجد في داخل القلعة العديد من الكهوف والشقوق والزوايا، ولها من الماء ما يكفي لمدة عشر سنوات، وان سقوط ايّ مطر من السماء، سيجعل من جريان المياه من الأعالي والقمم بحيث لا تضيع منها قطرة واحدة، بل تنساب في جداول حجرية وتصل الى مخازن المياه فيها، ولقد خزنت في كهوفها الحبوب من الذّرة والدّخن والرزّ قبل ستمائة سنة وتشاهدها اليوم وكانها الآن حملت من البيدر، وفي كهوف اخرى، فُرشت الحصران ونثرت عليها الحبوب مثل الحنطة والشعير والعدس والحُمص، وفي كل سنة توزّع هذه الحبوب، وتوضح مكانها حبوب جديدة، ويوجد في القلعة كمية من العتاد، بحيث لا يمكن تعدادها، مثل البارود الأسود وقذائف المدافع وانواع السلاح، وهي كثيرة لدرجة ان مجرد احصاءها يحتاج لكتاب مستقل. اما القمّة الأكثر علواً في القلعة والتي تصل الى السّماء، فيوجد فيها بعض الآثار، ولا حاجة لوجود الخنادق هنا، ولو نظرت الى الأسفل من أية جهة فسيصاب رأسك بالدّوار، لانها عبارة عن جدران واحدة متحدة وملساء بعد التجول في القلعة ومشاهدة قلعة ماردين، سمعنا بان (مصطفى پاشا فيراري) موجود في قلعة سنجار، لذا توجّهنا نحن ايضاً صوب سنجار.

توجهنا من ماردين نحو الجنوب، وبعد مسيرة ثلاثة ساعات وصلنا قلعة (گولي)، وهي قرية كوردية تتكون من (٥٠٠) بيت، وتقع في احد السهول، ويبدو منظر قلعة ماردين جميلاً من هنا، ولقد تقاتل (دارا) شاه ايران، هنا مع الروم في معركة ثقيلة، وفرّ بعدها منهزماً صوب (قره دارا) قرب نصيبين. وفي هذا السهل، اي سهل (گولي) لا تزال هناك تلال من



عظام الجنود الفرس القتلى حينذاك لا تزال ماثلة للعيان، وفي الطرف الآخر توجد عظام جنود اليونان القتلى على شكل اكوام. ومن هناك توجّهنا خلال السهل الى قرية (قزل تپة) وهي تعود لـ(ماردين) ثم توجهنا الى قلعة (خاتونية).

أوصاف قلعة خاتونية:

بما انّ (زبيدة خاتون) زوجة هارون الرشيد هي التي اسست هذه القلعة، لذا تسمّى (خاتونية)، وحسب قول صاحب الشرفنامة، فان والدة ملك سنجار هي التي اسست القلعة وسمّتها بـ(سور خاتونية). وفي منطقة (ماردين) وعلى الأرض الواسعة لسهولها وعلى تل مرتفع مربع الشكل ومستطيل اسست القلعة، ولها منفذ من الجهة الجنوبية، وقد اسست من الحجر المنقور وهو بناء جميل، ويوجد داخلها مسجد مع سبعين بيتاً، وليس لها سوق او قيصريّة، يوجد فيها سبعون مقاتلاً ولها ما يكفيها من العتاد، ولم اعرف طول القلعة وعرضها.

من هنا، توجهنا نحو الجنوب، ووصلنا مكاناً يسمّى (كنديلي) وهي نهاية حدود ماردين، وهو مكان غير آمن، اذ يقوم الكورد من (اشدي) و (شقاقي) بأعمال قطع الطريق، ثم صعدنا جبلاً عالياً. ومررنا خلال الصحراء الى ان وصلنا قلعة (الشاه سنجار). والى الأسفل من هذه القلعة وفي اليوم الأول من رجب عام ١٠٦٥ وصلت لخدمة (مصطفى پاشا فيراري) والي دياربكر وسلّمته رسالة (ملك احمد پاشا). وقد سُرَّ بقراءة الرسالة وقال (ان شاء اللّه سنؤدي قرض ملك احمد پاشا المتكون من (٣٧) كيساً، وسأدبّر له حوالي مائة خيمة وسأرسلها له)، ثم نصب لي خيمة قرب خيمته وجعلني ضيفاً عليه. فبدأت بالسياحة ومشاهدة قلعة سنجار.



منظر قلعة سنجار:

في الوقت الذي كانت فيه سفينة النبي نوح (ع) تطفو وتدور على امواج الطوفان، ضرب جزءٌ منها جبل سنجار ولحقت بها بعض الأضرار، فقلق النبي نوح، وصرخ الـ(٦٧) شخصاً الذين كانوا على متن السفينة، فتقدم ثعبان من النبي نوح وقال له: لو اشبعتني من لحم البشر، فسانقذ لك سفينتك، فقال النبي نوح: نعم، ساشبعك من لحم البشر، وبناءً على هذا العهد، تقدّم الثعبان وسدّ بذيله الخرق الذي حدث في السفينة، والتفّ على مكان الخرق، ولم يسمح بتسرّب قطرة واحدة من الماء للسفينة، لذا فرح الناس وقاموا بتفريغ السفينة من الماء الذي كان قد تسرّب اليها، وعندما ابتعدت السفينة عن ذلك المكان، قال نوح (هذا جبل سنّ جور). اي ان هذا الجبل قد ظلمنا، وبعدها تحولت (سنّ جور) الى سنجار، وفي الحقيقة انّ تتؤات هذا الجبل مسنّنة وحادّة، لذا سمي بـ(جبل سنّ) ثم زادوا عليها (جار) فأصبحت سنجار(١)، وانّ نتوءات الذي خرق سفينة نوح يقع شمال قلعة سنجار وقلعة نصيبين. وبدون شك ان سفينة نوح ضربت احدى قمم جبل سنجار، اذ انّ المقدسي قد ذكر ذلك بالتفصيل.وبعد دوران على الماء، استقرت سفينة نوح على جبل (الجودي) على بعد مرحلتين من شمال سنجار، بين قلعتي الموصل ونصيبين، وعندها خرج منها الذين كانوا على

١- هذا هو رأي المؤلف، وهو رأي خيالي، لانّه من غير المعلوم أن كان النبي نوح (ع) يتكلم اللغة العربية، وبصدد تسمية سنجار، فنحن نعتقد ويعتقد سكانها، الأصليون من الكورد، بأن أسمها الصحيح هو (شه نگال) كما لفظوها حتى الآن وليس (سنجار) كما تسمى بالعربية، وكلمة (شه نگال) المركبة تأتي من كلمتي (شه نگ) اي الجميل مع(ئال) اي الطرف او الجانب، لذا فكلمة (شه نگال) تعني الطرف الجميل أو الجانب الجميل، وكذلك تعني كلمة (ئال) الأحمر او الملوّن او الزاهي ايضاً، لذا تصبح التسمية (الأحمر الجميل) او الملوّن الجميل. (ر. ف)



متنها و شكروا اللّه، ثم قاموا بالطبخ واكلوا الطعام، وسمّوا ذلك الطعام بـ(طعام عاشور) لانّ ذلك اليوم كان هو العاشر من محرّم. وان الفترة من يوم الطوفان والى مولد نبي الأسلام، حسب قول (محمد بن اسحاق) هو (٤٤٩٠) سنة، وان الزمن من آدم (ع) والى مبعث النبي هو (٦٧٥٠)(١)سنة. وان جميع المؤرخين متفقون على ذلك. ومنذ وقت النبي نوح، كانت هذه قد تحولت الى مدينة كبيرة، وكان اسم ملكها هو (الملك كورديم) وكان يحكم امة نوح، وقد عاش الملك (كورديم) لفترة طويلة وخلّف من نسله العديد من الأبناء والأحفاد، وكانت لهم لغة خاصة، ليست هي بالعربية ولا بالفارسية، وان تلك اللغة باقية حتى الآن. ثم قام النبي نوح بزيارة سنجار من جبل الجودي ودعا لها بان تكون معمورة.

اسباب خلق القمل والبرغوث والبعوض والفأر والعقرب:

بعدما انقذت سفينة (نوح) تقدّم الثعبان منه وقال له (ايّها النبي) اين هو العهد الذي عاهدتني عليه، فالكريم اذا عاهد وفى).

فاندهش (نوح) ولم يعرف كيف يجيبه، فنزل جبريل (ع) وقال له (اللّه يسلّم عليكم ويقول، انا الذي انقذت السفينة من العاصفة، فلماذا تنسب تلك الشجاعة للثعبان؟ فأت بذلك الثعبان وألقه في النيران، لكي تطلّع على العجائب، واشبع ذلك الثعبان من لحم البشر) فقال له نوح (ايها الأخ جبريل، فكيف لي ان القي بالثعبان في اتون النيران؟) فقال له جبريل الأمين (لا عليك، بل يجب ان تقرأ آية (سلام على نوح في العالمين)، فقرأ نوح الأية (سلام على نوح في العالمين) وتناول بيده الثعبان، فأضطرب الثعبان ورمى بنفسه في النيران واصبح هشيماً تذروه الرياح، وحسب

١- هذه السنوات الواردة هنا هي خيالية، ولا سند علمي للسنوات التي ذكرها المؤلف. (ر. ف)



نصيحة جبريل ايضاً، قام النبي نوح بتذرية رماد الثعبان في الهواء، فهبّت عاصفة شديدة، وضربت بذلك الرماد في وجه أمة نوح، فأصبح رماد جلده قملاً، ورماد لحمه برغوثاً، ولهذا السبب يقوم القمل والبرغوث حتى هذا اليوم وحسب عهد النبي نوح، بازعاج الناس، أما رماد عظامه فوقع على الأرض واصبح ذباباً، اما عظام جسده فأصبحت عقرباً، وأصبح رماد أضلاعه (أم أربع وأربعين)، ورماد كبده اصبح ابو بريص ورماد قلبه اصبح زنبوراً وبعض الحشرات الأخرى. فالله وحده قادر على كل شيء.

أما مؤرخو الفرس، فحول تسمية سنجار يقولون: ان أحدى جواري ملك ايران (دارا) أصبحت حاملاً، وقال المنجّمون بان هذه المرأة لو ولدت في ساعة مباركة، فسيصبح طفلها ملكاً على العالم، فأمر (دارا) أن تكون هذه المرأة تحت رعاية شديدة، فولدت المرأة طفلاً جميلاً، ولكن بسبب بقاء هذا الطفل لمدة (٣١٤) يوماً في بطن امّه، لذا سمّي بـ(سنجار) وبعد وفاة (دارا) اصبح (سنجار) ملكاً مستقلاً، وهاجم (الروم) الذين كانوا قد فرضوا على والده الخراج والضرائب، وبما ان مدينة سنجار هذه كانت محلّ ولادته، لذا قام بالعناية بها و تعميرها، وفي زمن (تيمورلنگ) فرض الحصار على هذه المدينة، وبعد سبعة اشهر من الحصار، هدّمت جميع دورها ولم يبق منها غير قلعتها القديمة.

شكل قلعة سنجار:

ان البناء الذي بنى هذه القلعة، بناها على شكل قلعة معرّة النعمان، فهي قلعة قويّة ومحكمة على جبلٍ عالٍ من غير خنادق. والقلعة ذات اضلاعٍ خمسٍ ولها منفذ واحد، ومحيطها يبلغ (٧٠٠٠) خطوة وفي داخلها توجد ثلاثمائة بيت من الطين فحسب، وسكانها من الكورد والأعراب، وهي مركز قضاء تابع لدياربكر، ولها آمر الفوج ورئيس الانكشارية وقائد وآمر القلعة



مع مائة من الجند، ويأخذون الأوامر من (بگ) ماردين، وفيها كمية كافية من العتاد والمدافع الصغيرة، وليس فيها غير مسجد واحد ذو حجرة واحدة. وفي اراضيها الوعرة المليئة بالحجارة، توجد بساتين جيدة تنتج فواكه لذيذة تعادل فواكه (عنتاب)، مثل العنب الحلو والطري. وتقع قلعتها وسط صحراء واسعة، تسمّيها القبائل العربية ببلاد ربيع، تسكنها قبائل (كيسي) و (طي) العربية، وفي هذه الصحراء لا توجد اراض اعلى من قلعتها. ويصنع سكّانها الخبز من الذرّة، وفيها العسل الأبيض اللذيذ، تقع هذه القلعة جنوب قلعة (نصيبين)، ومن هنا والى الموصل، تبلغ المسافة مرحلتين سريعتين، أو ثلاث مراحل مريحة، وينبع من تحت صخور هذا الجبل وسفوحه، حوالي ٧٠- ٨٠ ينبوعاً من الماء، تتجه بعد ارواء (بلاد ربيع) الى الغرب، حتى تصب في نهر الفرات، ولنتحدث قليلاً عن انهار هذه المنطقة:

ينبع نهر (هرما) من جبال نصيبين، ويتفرع منه فرع يسمّى (ثرثار)، ويتجه هذا الفرع نحو (بلد الخطيب) ومن هناك يمر خلال وادي سنجار اذ يروي تلك الأراضي ويصب في دجلة قرب تكريت.

أما الفرع الآخر لنهر (هرما) فيمر خلال الصحراء لمسافة طويلة، ويصب في نهر الخابور، قبل ان يلتقي الخابور بـ(قرقيا)، ثم يلتقيان أي الخابور وقرقيا ويصبان في نهر الفرات..

أن هذه ليست انهاراً كبيرة، ولكن جميعها تصب في نهر الفرات. كان (مصطفى پاشا فراري) مع جيشه اللّجب قد نصب خيامه على أحد جوانب قلعة سنجار، دون أن يعبره أحد من (٤٥) ألفاً من الكورد الأيزيدية والبابرية، أي اهتمام ودون أن يخجلوا او يخافوا منه، ولم يرسلوا له حتى هدية بسيطة، وكان الپاشا قد غضب بسبب ذلك كثيراً، وقال لي (لقد علمت يا اوليا چلبي، بان ملك احمد پاشا ايضاً عندما قدم الى هنا في احدى المرات لم يهتم به هؤلاء من



أصحاب الشعر الطويل ولم يحترموه، وكان قد قام بالانتصار عليهم ونهب اموالهم هل تحدّثني عن ذلك؟) فقلت له نعم، اسمعني وقلت:

(في الوقت الذي كان فيه ملك أحمد پاشا والياً على دياربكر، كان الأيزيدية من جبل سنجار، يقومون بنهب قرى ماردين وسلب المارّة والمسافرين، فتوجه الناس الى الپاشا وأشتكوا من ذلك، فقام الپاشا باخراج المشتكين من عنده وطردهم بنفس بارد، ولكنه في قلبه، كان قد قرّر الانتقام من ذوي الشعر الطويل، وفي أحد الأيام ارسل رسالة متضمنة بعض الطعون، الى خان (بدليس)، فجاوبه الخان بجواب عنيف على الرسالة، فتحول ملك پاشا الى نار، واقسم بارسال جيوشه على خان (بدليس)، ونصب الخيام والمقرات واعلام الحرب(١) على ضفاف النهر في مركز (سعدي)، وأرسل الرسل الى ايالة وان (٢) وجميع انحاء كوردستان، وجمع الجيوش حوله، وجمع في دياربكر (٧٠) لواءً من القوات والمرتزقة، وهما من قوات المشاة، وكل فوجٍ يجب ان يحتوي على مائة ضابط، وعندما وصل الجيش الى قلعة ميافارقين، قام (عبدال خان) أمير بدليس، بارسال كل من الملا محمد الهكاري والملا جبرائيل الزريقي وعلي آغا المودكي وعلي آغا قوناغ دره، مع وفد يتألف من (٧٠) رجلاً من الوجهاء، وذلك لعقد الصلح.. فأتى هؤلاء الى طرف الپاشا وجلبوا معهم (٨٠) كيساً(٣)

١- في الأصل التركي: توغ، والـ(توغ) يعني، شعار تركي قديم يتكون من علم ابيض يعلوه ذيل حصان، يحمل في اوقات الحرب، ينظر كتاب، تاريخ العراق في العهد العثماني لمؤلفه علي شاكر علي الطبعة الأولى، بغداد عام ١٩٨٥ ص (٢٥). (ر. ف)

٢- الأيالة: في المفهوم العثماني، تطلق على اكبر وحدة ادارية في الدولة العثمانية ويكون على رأس الأيالة، حاكم يسمى (بگلر بگي) اي (بگ البگوات) برتبة مير ميران. المصدر السابق ص (٢١). (ر. ف)

٣- الكيس: كيس يحوي ليرات ذهبية، يتم دفعها دون عدّ الليرات، أن الكيس نفسه يحوي ألف ليرة ذهبية. (ر. ف)



لمصاريف الطريق للپاشا، مع عشرة بغال وعشرة من الخيول الأصيلة اخرجها من الحظائر، مع عشرة من الغلمان والجواري، كذلك جلبوا معهم هدايا كثيرة للآغوات وتوابع الپاشا، بحيث ادخل المسرّة الى قلوب جميعهم، وشكروا اللّه على أنقاذهم من الحرب، وفي الليلة التي اعلن فيها الپاشا الغاء قرار الحرب، عيّن (محمد امين پاشا بن شمس پاشا) قائداً لألف من العساكر، وأختلى به وأوعز له بأمر ما وأرسله الى ضفاف النهر في دياربكر، وارسل رسالة مطمئنة الى خان (بدليس)، ارسلها مع (احمد آغا ارغني) مع بعض الوجهاء الى (الخان).. وقام بارجاع اعلام الحرب الى الخلف، وتوجّه مع (٧٠) الف مقاتل الى ضفاف النهر في دياربكر، ونصّب كلاً من (قره محمد كتخدا) و (رجب آغا)، كقائدين للجيش اللجب، اما هو فتحرّك على عجل في تلك الليلة، وعبر النهر من مضيق (زرزيوان) وتناول طعاماً خفيفاً قريب الظهر قرب قلعة (ماردين)، ثم توجّه مسرعاً، ووصل عصراً مع (٤٠) الف مقاتل وحاصر جبل ذوي الشعر الطويل. وفي الوقت الذي كان فيه (محمد امين پاشا) قد بدأ بالقتال مع ذوي الشعر الطويل، قامت قوات الپاشا بالدخول في المعركة الى الجنوب من جبل سنجار، وبعد ثلاثة ايام من القتال، كان هذا السهل قد أمتلأ بالجيش وبالخيام، وكان انتصاره على الكورد يظهر شيئاً فشيئاً.

عندما سمع (مصطفى فراري پاشا) هذا الحديث، تملّكه العجب وقال (يا اوليا افندي، كيف دخلتم بينهم، وما الذي فعلتموه للانتصار عليهم وأخذ الثأر من هؤلاء الكورد؟ اذ أن قلبي قد أمتلأ غيظاً على هؤلاء، وقد استلمت حتى الآن عدّة رسائل من السّلطان ولكنني لم أذكر هذا لأحد، ولقد قمت بحجّة خان بدليس بتهيئة الجيوش لمرة او مرتين، وتوجهت الى هنا، ولكنني لم أستطع فعل شيء، الأ تقل لي ما الذي فعلتموه انتم؟).



فقلت له، (يا جناب الپاشا، كان ملك احمد پاشا يملك تحت سلطته حينذاك (٧٠) لواء من الفرسان والمرتزقة وعشرة آلاف آغا ومستخدم، وكان جميعهم من الأباضية والشركس والگورجين (الجيورجين)، وفي اوقات المعركة، كانوا يخجلون من بعضهم البعض ولم يكن يعرفون التراجع، وكانوا جميعاً يدعون في قلوبهم ويقولون، أن شاء اللّه سنثأر لهزيمة (نصوح پاشا) ومقتل سبعة آلاف من شهدائنا هنا) وبهمةٍ من ملك احمد پاشا وصل الغزاة من طرفنا الى قمة الجبل، وحدث قتال من جميع الأطراف، بحيث لم يحدث قتال مثله حتى الآن، وفي حالة الألتحام الأول، وقع من عندنا سبعمائة شهيد بطل، كما قتل من ذوي الشعر الطويل ثلاثة آلاف وسبعون شخصاً، وفي ذلك اليوم امتدّ القتال حتى حلول الليل، و في وقت عدم الرؤية توقف القتال، ووقف كل طرف في مكانه مستعداً، ووضع الحرّاس على اهبة الأستعداد.

حديث حول الكورد ذوي الشعر الطويل:

يسمّى احد جوانب جبل سنجار، بجبل (ذوي الشعر الطويل)، لانّ سكّانه يرسلون شعرهم مثل النساء، وهم وسخون جداً وغير نظيفين، ويمتلئ شعرهم بالقمل وبيوضه ويصنعون الـ(شال وشپك)(١) من الصوف الملوّن، ويضعون الحزام من الحرير(٢)، وتتكون عماماتهم من الطواقي و الحرير

١- وردت تسمية (الشال وشپك) في الأصل التركي، أي أن ملابس الكورد كانت لها نفس التسمية في ذلك الحين في عام (١٦٥٥)م ولازالت باقية حتى اليوم، وعادة ما تصنع من الصوف، ويتم تصنيعها محلياً، وتصنع حتى اليوم في بعض بيوت المسيحين في كوردستان، أو في المعامل. كما تدل هذه الملاحظة، ان الكورد في سنجار كانوا يلبسون الملابس الكوردية الكاملة، مثل الشال والشپك وعماقة الرأس وحزام الخصر. (ر. ف)

١- الحزام: يقصد به الحزام الكوردي المتكون من القماش الملوّن الزاهي، ويلفّ على الخصر عدّة لفّات ولا زال موجوداً حتى اليوم. (ر. ف)



الملوّن، اما احذيتهم فتكون اما من الأحذية الجلدية أو اليمني أو الحذاء ذو الذيل أو پوچلي أو پينه دي أو المئوي أو الألفي أو القبقابي(١)، وذلك لكون منطقتهم منطقة جبلية وطرقهم تكون وعرة ومليئة بالحجارة، أما اسلحتهم فتتكون من السيوف والخناجر والبنادق والـ(جاب- جاب) التي يستعملها الرّماة من أهل (عنتاب) لرمي السّهام ويشدونها على ظهرورهم، وهم رماة ماهرون في رمي البنادق لدرجة انهم يستطيعون اصابة عين البرغوث ومرفق الجمل، ولو رأيت بنادقهم فسوف لن تشتريها بقرش واحد، ورغم ذلك فهم يصيبون بها الأهداف بدقة.

اما الناس هنا فهم قصار القامة على الأكثر، رؤوسهم مدوّرة وأعناقهم قصيرة، وكانّ رؤوسهم خارجة من بين أكتافهم، وأكتافهم عريضة، أما صدورهم المليئة بالحقد فهي واسعة، خصورهم رفيعة، أما زنودهم وأفخاذهم فهي ثخينة و مابين أرجلهم منفرجة، انهم شجعان جداً، ولكنهم ليسوا فرساناً ماهرين، عيونهم سوداء مدوّرة، حواجبهم كثيفة جداً، ويطلق عليهم الكورد الآخرين تسمية ذوي الشوارب الثمانية، وذلك بسبب الشاربين والحاجبين وخصلتي الشعر الخارجتين من انوفهم والخصلتين الخارجتين من ثقوب آذانهم. وأجسامهم مغطاة بالشعر مثل اجسام الماعز الأسود، اما السنتهم فذات اخدود واحد، واسنانهم تشبه أسنان الخيول، وتصل أعمار أطفالهم الى عشرة سنوات ولا يزالون صغاراً، وعندما يتجاوزون العشرة سنوات، يظهرون وكانهم رجال في عمر العشرين سنة، وهم قساة جداً، وتصل شعور نسائهم حتى مرافقهنّ، ويبقى اطفالهم في بطون امهاتهم لمدة سنة كاملة ثم يولدون، وعندما يولدون، يطعمونهم حليب الكلبة السوداء

١- هذه انواع الأحذية التي كانت شائعة في ذلك الوقت، آثرنا ايراد اسمائها كما ورد في النص. (ر. ف)



قبل ايٍّ شيء.(١)

ولو رمى اي واحد حجراً على أحد كلابهم، فانّه سيقتل فوراً، فكل واحد منهم سواءً كان كبيراً أو صغيراً يملك كلباً من الكلاب، ولو حضروا لتناول الطعام، فانهم يضعون الطعام للكلب أولاً، حتى اذا شبع الكلب، حينها يبادرون هم لتناول الطعام، وتنام كلابهم معهم، ويباع ويشترى الكلب الأسود بـ(الف قرش) أو عشرة بغال.

ولو توجّه هؤلاء الكورد لايِّ مكان، فهم يحملون معهم البصل والخبز والأقط(٢)، في أحزمة ظهورهم، وكلّ من يضرب رأس بصل بيده ويحطمه فيجب تحطيم رأسه، والغريب لديهم، انّه لو مات احد أغنيائهم، فهم يغسلونه بماء البصل، ويملئون قبره بالبصل(٣)، ولقد سألت كثيراً عن سبب هذا الأمر من أسراهم، وكانوا يتهرّبون من الجواب، ويجيبون بأن (البصل طيّب، ومن غير هذا فهناك قول مأثور، يقول بانه سئل احد الأكراد، لو اصبحت ملكاً فماذا ستأكل؟ فقال مدقة البصل،(٤) وفي الحقيقة هم يحبّون البصل كثيراً.

وهناك امر غريب آخر لديهم، فلو رسمت دائرةً حول اي كردي، فحتى لو مات فانه لن يخرج من تلك الدائرة، الى ان يأتي احدهم ويزيل أحد أجزاء تلك الدائرة.

وفي هذه البلاد، لو ولدت الكلبة، فأنهم يحتفلون بذلك، ولو نفقت

١- هذه سفاسف، واقوال تافهة، لا تمت للحقيقة بصله.(ر. ف)

٢- الأقط: هو لبن مجفف خال من الدهون، ويسمّى بالـ(كشك) في اللغة الكوردية.(ر. ف)

٣- هذه ايضاً سفاسف لا طائل منها. (ر. ف)

٤- مدقّة البصل: هو القضيب النابت في وسط اوراق البصل وهو عضو التانيث فيها. (ر. ف)



احدى الكلاب السوداء، فانهم يغسلونه بماء البصل ويكفنونه، ويأخذونه الى مقبرة الكلاب، مصحوباً بالبكاء والعويل، ويقومون بتوزيع الكباب على الكلاب الأخرى تكريماً لروح الكلب الميت، وفي الحقيقة انهم يملكون كلاباً بحجم الأسود، لذا لا وجود للذئاب هناك. ومن الغريب انه رغم كون (سنجار) احدى الأماكن المقدسة، ولكن يوجد فيها ناس ملحدون، ونفس الشيء يقال عن (الشام) الذي هو مكان مقدس، اذ توجد في جبالها فرق مثل (العقلي والقزلي والمرواني والشيماني والنصيري) الذين لا وجود لدين حقيقي بينهم.

ان واردات هؤلاء الكورد ذوي الشعر الطويل هي كثيرة، فعندهم منّ السّما، وهناك طائر يسمّى (السلوى) يعيش بينهم ويصيدونه، ولديهم العسل والعنب اللذيذ الذي لا مثيل له في الدنيا، كما ان (الزبيب) الخاص بهم، يصل عن طريق التجارة الى بغداد والبصرة والأحساء، كما توجد لديهم اشجار التوت، لذا يكثر حرير القز بينهم، حتى ان الأقمشة الحريرية التي تنسج في قلعة ماردين هي من حرير هذا المكان، وبسبب كون المناخ في جبل سنجار مناخاً منعشاً، لذا تكون أراضيهم خصبة، أما السهل فهو في ايدي العرب.

وفي اليوم التالي، عقد اجتماع كبير حول مشكلة ذوي الشعر الطويل في مقر (مصطفى باشا فراري)، وكتبت لهم رسالة ورد فيها (انّه يجب عليهم ان يخضعوا للسلطان العثماني، وأن يدفعوا ضرائب المزروعات والغنم وجميع الضرائب الأخرى، وسلّمت هذه الرسالة الى وجهاء ماردين وبعض الوجهاء الآخرين الذين اختارهم (بگ) سنجار، كما أصبحتُ انا ممثلاً، لمصطفى باشا، وصعدنا، وفي القمة اخذونا الى قرية (باپير)، وكان وفدنا يتألف من ثلاثمائة شخص وأصبحنا ضيوفاً على ذاك الـ(باپير) الذي كان كبيرهم، وسلّمناه الرسالة، ولكنه لم يهتم بها أكثر من



الأهتمام باوراق بعض الحلواتيين(١)، وقرأت الرسالة على رؤوسائهم، وقام الماردينيون بترجمتها الى الكوردية، فاجابوا قائلين: (لا تخيفونا بحادثة ملك احمد باشا، فلا وجود لرجلٍ مثله، ولقد سمعنا بتوجّهه الى وان، ولو عاد واصبح الآن والياً على دياربكر، فاننا سنخضع له جميعاً، اما بصدد هذا الـ(مصطفى باشا) فسنعطيه احمال عشرة بغال حمراء من الحرير، ولا غير ذلك!)، وأرسلوا تلك الأحمال العشرة من الحرير، كما جلبوا لوجهاء الوفد، كلّ قدر (٥) اوقيات من الحرير، اما لي، فيبدو أنهم عرفوني، وأهدوني حمل بغل من الحرير وحمل بغل من التين المجفف والزبيب وهذ الانواع من الأشياء، وكنّا في تلك الليلة ضيوفهم، ولقد قمنا منذ الظهر وحتى حلول الظلام بالتجّول والسياحة هناك. وكانت قد مرّت (١٥) سنة على معركة ملك احمد باشا، وكانت التخريبات الناتجة عن ذلك قد رممت من جديد، وكان قد ظهر بينهم من الشباب، ممن لا يمكن وصفهم.

وفي الصباح التالي، رجعنا مع هدايانا، لطرف (مصطفى باشا فراري) وأعطيناه الحرير العائد له، فغضب لذلك كثيراً وهدّد قائلاً (لا بدّ لي من الهجوم عليهم)(٢)، ثم كتب الرسائل الى جميع مناطق دياربكر، طالباً منهم القوات الحربية.

ذهابي من دياربكر الى وان

لقد استعملنا القوارب في عبورنا للشط، وتشبه هذه القوارب السفن في كون أرضيّاتها مفروشة بالبسط والسجاجيد، كما تحمّل بأثقال وأحمال

١- يقصد (اوليا چلبي) بذلك، ان كبير الأيزديين لم يهتم برسالة الوالي العثماني، اكثر من اهتمام (الحلواتي) بالأوراق التي يلف بها الحلوى للزبائن. (ر. ف)

٢- كان هذا هو دأب الولاة العثمانيين مع المناطق الكوردية المختلفة القابعة تحت حكمهم، فرغم الهدايا الطائلة للوالي والوفد، اصّر الوالي على مهاجمتهم وتخريب قراهم، وكانت هذه السياسة البغيضة هي التي اقامت الشعوب المختلفة ضدّهم. (ر. ف)



كثيرة، وتربط الخيول والحيوانات عليها في أماكنها الخاصة، أما ركّابها فيستريحون ويقضون اوقاتهم في لعب الشطرنج والنرد والنظر الى جانبي الشط، وفي أوقات وجبات الطعام، تطبخ الأطعمة في مطعم القارب وتقدم للراكبين، وبهذه الطريقة يسافرون عن طريق الماء الى ان يصلوا بغداد والبصرة بكل راحة. ولهذا النوع من السفن، ينّاؤوها الخاصّون بها، وترى في جنوب جسر (دياربكر) دائماً بعض القوارب وهي حاضرة للسفر.

بعد عبورنا، بين الشمال والشرق، بساعة، وصلنا قرية (سعدي) وهي قرية عامرة بالبساتين والرياض وسكّانها من المسيحيين، ولكن فيها لصوص كثيرون، ففي تلك الليلة سرقوا منّا خيمة، ولكننا قتلنا منهم اثنين وأستردننا الخيمة منهم.

وفي الصباح، توجهنا نحو الشرق ايضاً، وعبرنا من داخل روضة طيبة حتى وصلنا الى (چول تپه)، وهو تلّ جميل في وسط هذا السهل، وحوله وفي اطرافه قرى عامرة، وترعى حيوانات والي دياربكر في هذه المنطقة، وتشتهر هذه المنطقة بالنبتة ثلاثة الأوراق والبرسيم وحشائشها الخضراء، كما يوجد هنا لصوص اشداًء، ولكونها مركزاً للكورد من الـ(خالتي و چكواني و زنادي) فلا يأمن الناس من النوم هنا براحة، ثم توجهنا شمالاً الى ان وصلنا قلعة (ميافارقين).(١)

أوصاف قلعة ميافارقين:-

تقع هذه القلعة بين نهري دجلة و باطمان، وبما ان هذه القلعة تقسم النهر الى فرعين لذا تسمّى (قلعة ماء فارقين) ثم سميت خطأً بـ(ميافارقين). ويسمّيها العجم بـ(قلعة ميان فرق) اي بمعنى نحيل الخصر، وكانت في

١- تتبع حالياً قضاء (سليڤان) من الناحية الأدارية، والتي تدخل ضمن سنجق دياربكر. الهامش في الأصل التركي ص (٧١).



السابق مدينة كبيرة و قلعة قديمة، وكان مؤسسها الأول هو (حانديك شاه) من أمة النبي جرجيس، ولكن الناس هنا لم يكتفوا بعدم الأيمان بالنبي جرجيس، بل قاموا بحرقه اربعين مرة و نثروا رماه في الهواء، وكان رماده يجتمع بامراللّه من جديد ويحيا مرة اخرى، وان هذه الحادثة مذكورة في العديد من الكتب القيّمة، وحتى الآن لا ينبت النبات فوق قمة الجبل الذي نثر فيه رماد النبي جرجيس، لذا دعا النبي جرجيس على هذه الملّة، فخرج تنين من جبل (سبحان) على ساحل بحيرة وان(١)، وبلع جميع افراد تلك الأمّة وبقيت قلعتهم فارغة، ثم اتى (بختصر) وهدّم القلعة، ثم وقعت القلعة في ايدي العباسيين وقاموا بتجديدها، ثم اتى (هولاكو) فقتل الناس مرة اخرى وهدّم القلعة، ثم قام (سيف الدولة الحمداني) بتعميرها، بشكل بحيث اصبحت اية للجمال في كوردستان، وكان تعميرها بشكل بحيث كان يخرج منها (٧٠) الف فارس من الأبطال، ما عدا المشاة الذين لا يعرف عددهم الاّ اللّه، وتظهر كثرة هذه الجيوش بشكل بحيث كانوا يستعملون في مطاعمها عدد اربعين حملاً من الملح في كل يوم، وحتى الآن لا زالت اسس سراي (سيف الدولة) موجودة، ثم اتى تيمورلنگ وخرّبها، ولازالت الآثار القديمة لتلك الكارثة موجودة على جدران القلعة حتى اليوم.

وفي عام (٩٢٠) لدى رجوع (السلطان سليم خان) من غزوة (چالديران)، عيّن (بيقلي محمد پاشا) قائداً لفتح دياربكر، واستسلمت هذه القلعة بدون قتال، وحسب امر (سليمان خان) اصبحت مركزاً للقضاء داخل منطقة (قره آمد) ويحصل (البگ) سنوياً على عشرة اكياس، وقضاؤه هو عبارة عن (١٥٠) اقچة.(٢)

١- يقصد به المؤلف جبل (سيپان) المطّل على بحيرة وان. (ر. ف)
٢- الأقچة: كانت عملة عثمانية متداولة حينذاك، ويبدو انها كانت الضريبة التي يدفعها (بگ) القضاء للحكومة العثمانية. (ر. ف)



ويحصل القاضي على ثلاثة اكياس سنوياً ولها آمر اللواء ورئيس الانكشارية ورئيس الشرطة، ولها المفتي والنقيب وقائد الجيش وقائد الانكشارية ومسؤول القلعة، وليس فيها انفار ولا مخزن للعتاد، وبما انها تتوسط العشائر لذا لا حاجة لتلك الأشياء، وهناك بضعة مدافع وضعت من قبل آمر اللواء في داخل القلعة، ويقومون باطلاقها بمناسبة قدوم أيام العيد وكذلك لدى رؤية هلال شهر رمضان، وذلك لاطلاع ابناء القرى على تلك المناسبات.

شكل قلعة ميافارقين:

يقول مؤرخو الروم حول هذه القلعة، (بانها جزيرة كبيرة بين دجلة والفرات)، ولكن قولهم هذا خطأ، اذ قمت انا بالتجول في هذه المنطقة لمدة عشر سنوات، وأعرفها شبراً شبراً، اذ يجري كلّ من نهر (مراد صو) و (نهر الفرات) ويلتقيان قرب (ملاطية) بجانب (خان الفحم)، وبعد اربعين مرحلة يلتقي قرب قلعة (القرنة) مع نهر (دجلة)، ويكوّن الأثنان (شطّ العرب). امّا (دجلة)، فيجري من سفوح (قرقيا) في (دياربكر)، ويمّر ب (حصنكيف، والجزيرة والموصل وبغداد)، ويلتقي مع الفرات جنوب القرنة، وعند عبور جسر (دياربكر) نحو الشمال، وبمسيرة يومين، تصل الى (ميافارقين)، فكيف اذاً تصبح هذه القلعة جزيرة بين دجلة والفرات؟ وبعد التدقيق ظهر لي ان هذه القلعة هي بين دجلة ونهر باطمان، وهذه القلعة تقسم هذين النهرين. أسست هذه القلعة، على سفح جبل ميافارقين وعلى بعد رمية مدفع نحو الشرق، وبنيت داخل سهل مرتفع وبين المروج وبالحجر المنقور، بشكل مربع، انّها بناية قديمة، ولكن احجار جدرانها يكون الواحد منها بحجم الفيل، ولا يزيد ارتفاع الجدران فيها عن عشرين ذراعاً، وعرض الجدران هو خمسة عشرة ذراعاً، واراد (تيمورلنگ) في وقته ان يهدّم هذه



القلعة، ولكنه لم يستطيع الى ذلك سبيلاً، فتركها(١)، ويتكون محيطها من (١١) الف خطوة، اما الخندق الذي يدور حولها فقد امتلأ بالرمل والتراب، وتمتد القلعة على شكل مربع من الشمال الى الجنوب، ورغم كونها قلعة قديمة، الاّ ان البنايات المميّزة فيها قليلة، وفيها حوالي الف بيت طيني ذات طابقين وذوات حدائق، والبنايات المشهورة فيها هي سراي (البگ) وسراي (سجاه بگ) وفيها عدد قليل من الأسواق والقيصريات.(٢)

تنبع العيون حول هذه القلعة من جميع الجهات، ويسمّى احد تلك العيون بـ(عين الحوض)، وقد شرب الأسكندر الكبير(٣) من مياهها واعجب بها، لذا عمل لها حوضاً، وفي الحقيقة انها عذبة وكانها ماء الحياة وتشبه الزجاج في صفاءها ونظافتها. وبعد ترويتها للرياض والبساتين تسير نحو الأسفل وتصب في النهر. كما يوجد في الأراضي المحيطة بالقلعة نهر يدعى (باسنفا)، وهو يبعد عن القلعة قليلاً، وهذا النهر ايضاً يقوم بارواء بعض القرى والأراضي ويمّر في جزيرة (ابن عمر)، ويتجه نحو الشرق، وبعد خمسة فراسخ(١) يصب في

١- تيمورلنگ: عاش بين عامي (١٣٣٦- ١٤٠٥)م، حفيد جنگيزخان ملك المغول، اعتلى العرش عام ١٣٧٠م، اخضع منطقة الشرق والأوسط كلها تقريباً وخرّب ودمّر العديد من مدنها، أتخذ (سمرقند) عاصمة له. المنجد ص (١٨٩). (ر. ف)

٢- القيصريّة: نوع من الأسواق القديمة، وهي مجموعة من الدكاكين المتراصة مع بعضها، تقابلها مجموعة اخرى من الدكاكين في الطرف الآخر، وتكون سقوفها موحّدة، اذ لها مدخل واحد ومخرج واحد. ولا زالت البعض من القيصريات موجودة في المدن القديمة. (ر. ف)

٣- الأسكندر الكبير او المقدوني، عاش بين عامي (٣٥٦- ٣٢٣) قبل الميلاد، من أشهر الغزاة الفاتحين، اجتاح مصر والشام والعراق وبلاد الشام. المنجد ص (٤٥). (ر. ف)

١- وحدة قديمة لحساب المسافات، يبلغ طولها الآن ثمانية كيلومترات، ومنهم من يرى انها ست كيلومترات. (ر. ف)



دجلة، كذلك توجد في جبال ميافارقين ينابيع اخرى، تتحد مع بعضها وتعبر قلاع حصنكيف والجزيرة والموصل، ثم تصب في دجلة.

تتمتع هذه القلعة بمناخ طيب، لذا يشتهر اكرادها بالجمال، وفيها عنب جيّد، الطرف الشمالي من القلعة جبلي، وهناك بساتين وجنان على الجبال، يتصف اهلها بقوة البنية والعافية، أما طرف القبلة من القلعة فتكون صحارى الى أن تصل الى حصنكيف، ومن جهة الشرق، فتعبر جسر (باطمان) وبمسيرة يوم واحد، تصل الى قلعة (خسروية)، ثم تتوجه نحو القبلة، وبمسيرة سريعة ليوم واحد تصل (الجزيرة).

مزاراتها:

يوجد مزار الشيخ نجم الدين الحوراني داخل القلعة، كذلك يوجد داخلها قبر (الملك سيف الدولة الحمداني) الذي قام بتجديد هذه القلعة وحسب رأي (المقدسي) المؤرخ، فان مدينة (جودي) كانت اول مدينة تم بناؤها بعد طوفان (نوح) ثم قلعة سنجار، والثالثة كانت (ميافارقين) هذه، اما صاحب مدينة (جودي) والذي كان يسمّى بالملك (كوردوم)، وكان من امّة (نوح) و عاش مدة ستمائة عام، وقد تجّول في جميع ارجاء كوردستان، وعندما وصل (ميافارقين) اعجب بمناخها فسكن فيها، وكان له ابناء وابناء اخوة واحفاد كثيرون، وقام هؤلاء الناس بايجاد لغة خاصة، ليست هي العربية ولا الفارسية ولا العبرية ولا الفارسية القديمة (دري)، وتسمّى تلك اللغة الآن باللغة الكوردية ويتم التحدث بها في كوردستان(١)، ولكن اللغة الكوردية اصبحت الآن تتكون من اثنتي عشرة لهجة، بحيث لا

١- هذا هو رأي المؤلف (أوليا چلبي) حول كيفية تكوّن اللغة الكوردية، كذلك حول كون الكورد اقدم امة سكنت المنطقة بعد طوفان نوح (ع) وان ملكهم كان يسمّى (كوردوم). (ر. ف)

تتشابه كلماتها مع بعضها، ويحتاجون لمترجم للتفاهم بينهم.

يصل الطرف الشمالي لهذه البلاد الى (ارضروم) وفيها وان وهكاري والجزيرة والعمادية والموصل وشارزور وحرير واردلان وبغداد ودرنة ودرتنگ، الى ان تصل الى البصرة، فهي بلاد يبلغ طولها (٧٠) مرحلة سير، وكوردستان هذه هي بلاد صخرية، تقع بين العراق العربي وبلاد عمان، وينتشر بين جبالها وفي مدنها ستة آلاف عشيرة وقبيلة، وان شاء اللّه سأقوم بالتحدث في الوقت المناسب عن هذه العشائر والأمراء بالتفصيل، أما عرض كوردستان فليس بقدر طولها. يحدّها من الشرق حدود العجم، ومن حرير واردلان وحتى بلاد الشام وحلب يتراوح عرضها بين (٢٠-٢٥) مرحلة(١) والجزء الضيق من هذا العرض يكون بخمس مراحل، ويوجد في هذا الأقليم خمسمائة الف مقاتل من حملة البنادق وجميعهم شافعيّون ولهم مجموع (٧٥٠) قلعة وجميعها عامرة.

وتنتشر بينهم عدة ألسنة مختلفة مثل (زازا، لولو، هكاري، عونيكي، محمودي، شيرواني، جزيري، پساني، سنجاري، حريري، أردلاني، صوراني، خالتي، چكواني، عمادي وروژكي).(٢)

ونكتب ادناه شيئاً بأكثر لهجاتهم فصاحة. (٣)

١- كانت هذه هي حدود كوردستان في زمن أوليا چلبي، من شمال مدينة أرضروم في كوردستان الشمالية والى البصرة- طولاً، ومن حدود بلاد العجم وحتى الشام وحلب عرضاً، فليتأمل القارئ الكريم، حدود كوردستان في عام ١٦٥٥م. (ر. ف)

٢- يورد (أ چلبي) هنا أسماء (١٦) لهجة كوردية والتي يسمّيها خطأً بالألسنة او اللغات، ولا ضير في ذلك، ولكن تحولت اللغة الكوردية الآن الى خمسة لهجات رئيسية، كما ان بعض اللهجات التي ذكرها (اوليا چلبي) هي انما لهيجات لبعض المدن او العشائر. (ر. ف)

٣- يقصد بها المؤلف اللهجة الكرمانجية، وهي التي كان يسمعها وحاول أن يجمع منها بعض الكلمات والتعابير، عندما تجوّل في المدن والقرى الكوردية الشمالية. (ر. ف)



الأعداد باللغة الكوردية: (١)

واحد	اثنان	ثلاثة	اربعة	خمسة	ستة	سبعة
یەک	دوو	سێ	چار	پێنج	شەش	حەفت
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

ثمانية	تسعة	عشرة	احدعشرة	اثنتاعشرة
هەشت	نەهـ	دەهـ	یاگزدە	دوازدە
٨	٩	١٠	١١	١٢

تۆ كرمانجی وەرە رۆنێ، سەلامەت هاتە، حالێ تە چیە، خۆش قلاوی، (ئەزێ باشم)، هەرە شوغلێ خوە، هەسپی سواریە، وەرە رۆنە، وەرە خوار، هەرە ژوور، هەرە بینە، هەیە نان، هەیە، چ هەیە بینە، مریشک هەیە بینە، نزانم مریشک، تو درەودکەی، هەیە چەندەک،

نزانم هەرە بینە، رادبم سەرێ تە چارتا دکەم، بسەرێ خانێ تە، وەرە رۆنێ كرمانج، بسەرێ میرێ تە، وەرە، هەرە، رابە، زانم، نزانم، نان، ئاو، گۆشت، هەنگوی، دبس، تراماله، زدبەش، هژیر، پەز، بزن، سێو، ئەسكرک، مێویژ، گۆز، شاپک هەیە، هەیە، فرۆشی، فرۆشم، بە چەند فرۆشی، چاریک، گۆپاڵ، لكان، تاخوک، خیوەت، چوومە جزیرێ، كەلەک بەردانێ، بۆچی تە

١- لقد ثبت المؤلف في الأصل التركي عبارة (لسان اكراد صورات) وتعني هذه العبارة (الأرقام او الأعداد في اللغة الكوردية) ثم ادرج بها الأعداد باللغة الكوردية، ولكن يبدو ان مترجم الكتاب الى اللغة الكوردية، لم يفهم العبارة وترجمها على الشكل التالي (زمانی كوردی سۆرانی)، كما لم يكمل ادراج الأعداد الكوردية التي كتبها المؤلف التركي، وفي الحقيقة ان السائح التركي لم يدخل المنطقة التي كان اهلها يتكلمون باللهجة السورانية لكي يكتب شيئاً عن السورانية، وهذا خطأ وقع فيه المترجم الى الكوردية، ينظر بصدد ذلك الأصل التركي ص(٧٥) والترجمة الكوردية ص (٩١). (ر. ف)



ودلمن كر؟ ئيرو دوو رۆژه، مەكان دووره، خان عاليشانه، ئى شەڤ چ شەڤه، شەڤەكه تارى باران دبارى، شەڤەكه حاجيان، بەژنەک زراڤه خال خالاّتەيه، گو هەر دگوهان. (١)

وتكون معاني هذه الكلمات والجمل كما يلي:

انت كوردي تعال اجلس، اتيت بالسّلامة، كيف حالك، أنا جيد، اذهب لشغلك، أركب الحصان، تعال اجلس، انزل، اذهب للداخل، اذهب واجلبه، هل يوجد خبز، يوجد، آت بما موجود، آت بالدجاجة اذا وجدت، لا اعرف عن الدجاجة، انت تكذب، يوجد القليل منه، لا اعرف اذهب واجلبها، لو قمت لحطمت رأسك لأربعة اجزاء، قسماً برأس الخان، تعال اجلس ايها الكوردي، قسماً برأس اميرك، تعال، اذهب، قم، اعرف، لا أعرف، خبز، ماء، لحم، عسل،

دبس، عنب، رقي، تين، غنم، ماعز، تفاح، عرموط، زبيب، جوز، هل يوجد صدرية، يوجد، هل تبيع، ابيع، بكم تبيع، حزام، عصا، حذاء، صدرية الثلج، خيمة، ذهبت لنهر الجزيرة وأرسلت فيها القوارب، لماذا فعلت هذا بي؟ هذا هو يومان، المكان بعيد، الخان عالي الشان، يا لها من ليلة

١- ان هذه التعابير التي يدونّها المؤلف (اوليا چلبي) هي في معظمها من لهجات كوردستان الشمالية، وخاصة لهجة (بوتان)، وهي المنطقة التي تجوّل فيها المؤلف اكثر من غيرها. (ر. ف)

اما الكلمات غير المفهومة التي وردت في النص الكوردي فهذه هي مع معانيها:

ترامالە: ترى، عنب

اسكرك: هرمي، عرموط

چاريك: شويتك، حزام الوسط

لكان: پيلاڤ، حذاء

تاخوك: چذخى بەڤرى، صدرية الثلج. (ر. ف)



هذه الليلة، ليلة ظلماء وتسقط فيها الأمطار، ليلة الحجَاج، ذات قامة ممشوقة وذات شامات وتحمل الأقراط في آذانها. ( )١ ونكتفي بهذا القدر.

جسر باطمان:

توجّهنا من قلعة (ميافارقين) نحو الشمال مباشرة وعبرنا جسر (باطمان)، وفي موضع هذا الجسر، يسير الماء بقوة واندفاع شديدين الى درجة ان صوته يملأ أذن الانسان، وهنا هو مفرق طرق دياربكر وميافارقين وحزو وبدليس ووان واماكن اخرى في كوردستان، وقد قام رجل من اهل الخير من العباسيين ببناء هذا الجسر من ماله الحلال الخاص وصرف عليه ثلاثة آلاف كيس، وقد جلب خيرة البنائين من اماكن عديدة لبناء هذا الجسر، وان هذا الجسر هو اكبر واعلى واقوى جسر من بين جسور الاناضول، وفي هذا المكان، يكون الجبل في احد طرفي النهر بينما تكون الرمال في الطرف الآخر وقد رأى البنّاءون ان افضل طريقة هو ان يكون الجسر ذو قائم واحد، وقد حفروا اساسات عميقة وقوية من الطرفين، وقد رفع وسطه نحو الأعلى بقدر طاق كسرى بحيث يمكن مشاهدته من الأطراف، ويمتد الجسر من هذا الطرف الى الطرف الآخر بـ(١٧٣) خطوة، وأن جسر (موستار) في بلاد (الهرسك) ذو فسحة واحدة ايضاً، ولكن لا يساوي هذا الجسر، أي جسر آخر في جماله واستقامته وقوّته. لذا اقول للقراء بانني قضيت جُلَّ حياتي في السفر والترحال، ولكن اللّه اعلم بأنني لم أصادف في حياتي

١- يعلّق مترجم الكتاب الى الكوردية الأستاذ سعيد ناكام علي هذه التراكيب الكوردية التي دوّنها اوليا چلبي بالتعليق التالي (يظهر ان اوليا چلبي كسائح، قد سأل عن الجمل التي يحتاجها اي اجنبي في تجواله في بلد ما، ويريد ان يعرفها، وقام بكتابتها مثل: تعال، اذهب، دجاجة، خبز، بكم...) انظر الهامش رقم (١١) في صفحة (٩١) من الترجمة الكوريدة للاستاذ سعيد ناكام، وتمت ترجمة الهامش الى العربية من قبلي. (ر. ف)



قنطرة مـهـيـبـة مـثل هذه وأنني أرى بان الذين درسوا علم الهـيـئـة والحكمة(١)، لا يمكنهم العبور من على هذا الجسر ويجب ان ينقلوا الأحمال الثقيلة والكبيرة بالقوارب من الأسفل من هذا الطرف الى الآخر، اذ قام بنّاء الجسر بتضييق وسطه كثيراً، لكي لا ينقلوا الأحمال الثقيلة على الجسر، لذا يخاف الشخص من النظر الى الأسفل عندما يمّر عليه، ولكن اطرافه تكون واسعة، ويوجد مدخل حديدي في كل من طرفيه، كما يوجد قرب المدخلين، (خان) لكي يبيت فيهما المسافرون، وفي اسفل الجسر، توجد غرف عديدة، ذات شبابيك، ومداخل جميلة لكي يلجأ اليها المسافرون للتحدث، أو تمشية أمور الكمارك أو صيد السمك، وانّ الأعمدة الحديدية التي استعملت في هذا الجسر هي من فولاذ (نخجوان)، ولقد قام الحدّادون بصنع هذه الأعمدة بشكل فني وربطوها مع بعضها بشكل مزخرف، بحيث يكون محلاً للاستحسان.

ويقف في احد طرفي الجسر، رجال بگ (حزو)، يأخذون الضريبة من القادمين من طرفهم، اما الطرف الآخر فيقف فيه رجال بگ (ميافارقين) الذين يأخذون الضريبة من الذين يعبرون الجسر من طرفهم، ومن غير الـ(خانات)(٢) والغرف التي تحّدثنا عنها، فلا توجد هناك بيوت أخرى،

١- علم الهيئة: علم قديم كان يبحث عن احوال الأجرام السماوية. (ر. ف)

٢- خان، خانات: كانت هذه عبارة عن أماكن للراحة مثل فنادق هذا اليوم، وكانت الخانات موجودة في المدن، اومنتشرة على طرق المسافرين، وكانت عادةً تتكوّن من طابقين، الطابق الأرضي، على شكل حظائر، تستعمل لأيواء الدواب والحيوانات المختلفة، اما الطابق العلوي فمخصص لمبيت الناس وكانت هذه الخانات موجودة في كوردستان حتى اواسط القرن العشرين، وبعد انتشار السيارات في كوردستان، أصبح السفر سهلاً واصبحت المسافات قصيرة بين المدن، لذلك انتفت الحاجة لوجود الخانات، وانتشرت الفنادق. (ر. ف).



ويوجد في سهل (حسن قلا) في ارضروم جسر (چوپان) الكبير جداً ولكنه لا يصل هذا الجسر في حجمه، وقد وضع الجسر على نهر (أرگانسي) الذي ينبع من جبال (رهبان) ويصل الى مدينة (پروسه)، وقد أرادوا أن يبنوا عليه جسراً مثل جسر (باطمان)، ولكن اين هذا من ذاك؟ وفي الحقيقة فقد قام المهندس البنّاء بتخصيص كل خبراته لبناءه دون تقصير من عنده.

لقد استعمل في بناءه من الأساس السفلي والى اعلى ارتفاع فيه، أحجار مثل احجار قلعة دياربكر، التي لا يصل الى صلابتها حتى حجارة القداّحة(١)، وانّ الدرج الذي بني قبل سبعمائة سنة يبدو وكأنه خرج الآن من تحت أيدي البنّاء، أمّا انا فخفت من المرور عليه راكباً، لذا ترجّلت ومررت عليه ماشياً، لذا فمهما كتبتُ عن هذا الجسر سيكون قليلاً، فليديمه الله، آمين.

من هناك، سلكنا طريق ساحل نهر (باطمان) وتوجّهنا نحو الشرق حتى وصلنا (خاص چاير) وخلدنا للراحة، وقام زملائي بنصب الخيام، ونصبوا خياماً على اغراض الپاشا، وقمنا بربط بغاله قريباً منّا، ووضعنا الحراس على الأطراف الأربعة لنا، ولم نذق طعم النوم لتلك الليلة، وذلك لتواجد اللصوص من (ترجيل وأوطاق ومهراني) في الجوار، فتوكلنا على الله، اذ يقوم اللصوص بسرقة الكحل من العين والكلمة من الفم، وبقدرما هم شجعان ومحاربون جيّدون، فهم في السرقة ايضاً لا نظير لهم، وتعتبر

١- حجارة القدح، او حجارة القداّحة:
نوع من الأحجار الصغيرة الصلبة جداً، كانت تستعمل في السابق في كوردستان بدلاً من الشخاطة أو القداّحة، وكانت تضرب ببعضها البعض، بواسطة اليدين، فتتطاير منها الشرارات، التي يشعلون بواسطتها الغليون أو السيجارة، ويضعها الرجل في جيبه بعد الأستعمال. وقد ذكرها المؤلف هنا، كمثال على الصلابة والقساوة. (ر. ف).



هذه الأرض تابعة لـ(حزو)، ومن هنا توجّهنا الى قلعة (حزو).

اوصاف قلعة حزو:

يوجد جبل كبير في شمال هذه القلعة، يسمى جبل (زو)، وقبل بناء هذه القلعة، كان (قره يوسف خان قره قوينلو) موجوداً مع عشيرة (قره زو) بين هذه الجبال، لذا سميت بهذه التسمية، ثم قاموا ببناء مدينة هنا سميت بمدينة (زو) ثم اصبحت قلعة (زو)، وقام (حسن شاه) الأذربيجاني باحتلالها، ثم استولى عليها (تيمورلنگ) وخرّبها، ثم وقعت بعد ذلك بأيدي احد اجداد (عبدال خان) حاكم بدليس وقام بتعمير هذه القلعة.(١)

في عام (٩٢٠) عندما رجع (سليم خان) من غزوة (چالديران)(٢)، وقام خان بدليس بأبداء الولاء له، استسلمت هذه القلعة له ايضاً. لذا وحسب

أمر سليم خان وبكتاب صادر منه، رجعت حكومة هذه القلعة الى (خان) بدليس، وقبل اوامر سليمان خان، كانت هذه واحدة من خمس حكومات تابعة لدياربكر، كان السلطان يرسل لها الرسائل بعنوان (جناب...). وفيها قائد اللواء ورئيس الانكشارية ولقضائها (١٥٠) أقچة، ولكن بما انها كوردستان، وكثيراً ما تحدث فيها الكوارث الطبيعية، فليس لها (كتخدا) الجيش(٣) وامير الانكشارية والمفتي والنقيب، وكلّ امورها هي بيد آمر القلعة، حتى انّ القلعة ومخزن السلاح وصاحب

١- دائماً يكون التخريب من قبل أعداء الكورد، ويكون التعمير من قبل الكورد. (ر. ف)

٢- يقصد بها معركة چالديران التي وقعت في عام (١٥١٤)م بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية. (ر. ف)

٣- كتخدا، كلمة فارسية الأصل، تأتي بمعنى مختار القرية، وقد تخففت الى (كهية) والمؤلف يقصد بـ(كتخدا الجيش) هو نقيب الجيش، وليس قائده. (ر. ف)



القلعة(١) مع افراده كلها تتبع آمر القلعة.

شكل قلعة حزو:

هي قلعة صغيرة على صخور مسننة في سفح جبل حزو، محيطها هو بحدود (١٦٠٠) خطوة، يحدّها من الجانب الشرقي سفح الجبل، اما من جهة القبلة فهي منطقة سهلية وذات بوابة حديدية، طريقها وعر جداً، والسير من الأعلى الى الأسفل صعب جداً، وفي داخل القلعة يوجد (١٥٠) بيت طيني من دون رياض وبساتين، والنصف الأيمن من القلعة، احتله سراي القائد (مرتضى بگ) والسراي هو عبارة عن غرف فوق غرف، وان (مرتضى بگ) هذا هو صهر (عبدال خان) امير بدليس، وهو رجل نجيب وغني ومتحدث جيّد وكريم الى ابعد الحدود، وهو ذو ايدٍ نزيهة وذو قلب صاف وشجاع ورجل الميدان وبطل وهادئ، حللت عليه ضيفاً في (السراي) لليلة واحدة، وله في السراي خزّان للماء، ويوجد مسجد داخل القلعة، أما البيوت الأخرى فجميعها تقع في أسفل القلعة.

مدينة حزو:

تقع المدينة في اسفل القلعة، تحو القبلة، وهي مبنية على قطعة أرض فسيحة وتتكون من حوالي الف بيت، وبيوتها مرشوقة بالطين،(٢) ويقع مسجد شرف خان داخل السوق وهو مسجد مشهور، وفيها حمّام وسخ وصغير الحجم مع ثلاثة دكاكين، ولقد قام حاكمها الحالي (مرتضى بگ) ببناء (خان) فيها أشبه ما تكون بالقلعة، وبما أن هذه المنطقة تكون صخرية وقاسية، لذا لا

١- صاحب القلعة يختلف عن قائد القلعة، فصاحب القلعة، هو الذي تكون مفاتيح ابواب القلعة وضبط اقفالها من مسؤوليته، اما آمر القلعة او (قائد القلعة)، فهو القائد العسكري للقلعة. (ر. ف)

٢- مرشوقة بالطين: أي الملاط، او البياض او اللّبخ بالطين. (ر. ف)



وجود للبساتين الجيّدة فيها، ويشتهر أهلها بالشجاعة والجرأة، وهم فرسان ومشاة معروفون، ولا مثيل لهم في القتال بالسيوف الشيخانية والمقراوية والزوزكية، وكذلك في اصابة الأهداف بالسّهام، وهم متدينّون وعلى المذهب الشافعي، ويأتي الى هنا الكورد من الـ(خالتي) والـ(چكواني) والـ(زيباري)، وفي موسم الصيف، ولكن هؤلاء لا يتعاملون معهم كثيراً وبعد التجوّل هنا، ارسل (مرتضى بگ) بعض الرجال معي، لأصطحابي في التجّول في الأسفل أيضاً، وهي متكونة جميعاً من الصخور والجبال والوديان والأراضي الوعرة، وجميعها تكون تحت سلطة حاكم (حزو).

شكراً للّه، أنني التقيت هنا بـ(ملك احمد پاشا)، وبعد تقبيل يده، سلّمته الرسائل من والي دياربكر (مصطفى پاشا فراري)، مع توصيل الأغراض التي كانت مرسلةً اليه، ولقد فرح الپاشا بكل ذلك، وقام بتوزيع الخيام على الخدم والحشم، كما وزّع (٣٧) كيساً، ثمناً للعلف لخيول الجيش، وقد عطف عليّ الربّ، بانقاذي من تحمّل اعباء هذه الأغراض التي كانت بذمتي، وفي اليوم التالي، تحركت تلك الجيوش الغفيرة، وعبرنا منطقة صخرية وعرة، وحططنا الرحال قرب ضريح حضرة (السلطان أويس) الذي يقع ضمن أراضي (حزو)، وهو عبارة عن مرقد كبير على تلّة واسعة وقرب عين للماء، ان (أويس) هذا، ليس هو (أويس القرني)، اذ يكون مرقده وهو في مدينة (قرز) باليمن، أما هذا فهو من العباسيين، الذي تنازل عن خلافة الدنيا وأصبح خليفة للطريقة، ولقد توجهت أنا الى مرقده وقرأت عليه سورة (يس) ودعوتُ كثيراً اذ يقول الحديث الشريف (اذا تحيّرتم في الأمور، فأستعينوا من أهل القبور)(١)، وكتبت شعراً على

١- نص هذا الحديث موجود في الأصل التركي، ولا يوجد في الترجمة الكوردية. (ر. ف)



جدار مرقده. وتوجهنا من هناك وعبر ارض وعرة وصخرية، نحو الشرق، حتى وصلنا قلعة (كفندر)...

مدينة (جالندر) او قلعة (كفندر):

هنا ارض كوردستان ايضاً. ففي عام (٩٢٠) عندما خضع استاذ المؤرخين (شرفخان) للسلطان سليم اهداه السلطان هذه القلعة واضافها الى حكومته، وهي الآن تابعة لـ(بدليس) وتحت سلطة خان بدليس ومقر للامير.

تقع القلعة في وادي، على ضفة النهر، وشيّدت على قطعة أرض صخرية خضراء وهي صغيرة ومن غير خنادق، ولها بوابة واحدة، وفي داخلها مسجد مع سبعين او ثمانين بيتاً ولا شيء غير ذلك، يعيّن فيها صاحب القلعة وبعض الحرّاس من قبل (الخان). اذ انّ هذه القلعة تكون تابعة له، امّا خارج القلعة فيوجد سبعين الى ثمانين بيتاً طينياً من دون دكاكين وسوق.

ومن قلعة (كفندر) ونحو الجنوب، وفوق جبال عالية تشاهد قلعة (زريقي)، ولقد قام (بگ) هذه القلعة بجلب هدايا كثيرة للپاشا، وقام الپاشا بتكريمه ببعض الهدايا ورجع الى قلعته، أما نحن فبدأنا بالمسير مع الپاشا متجهين نحو الشرق على طريق وعرة وصعبة العبور وعلى ساحل نهر (بدليس) الى ان وصلنا سهل (چمندر) وهو جزء من جبال (زريقي)، وفي هذا المكان يمّر نهر بدليس في واد كبير نحو الأسفل والى الجانب الآخر من قلعة (حصنكيف) يلتقي بنهر دجلة.

لقاء ملك احمد پاشا مع خان بدليس العالي المقام وضيافته الكبيرة:

ظهر (عبدال خان) مع جيشه في تلك الأراضي الصخرية، وعندما وصلوا قربنا، ترجّل (الخان) من صهوة حصانه، وتوجه نحو الپاشا، وترجّل الپاشا ايضاً، ثم احتضن احدهما الآخر وتبادلا القبل والسلام الكلام، فقال



الخان (تفضّلوا بالركوب مرة اخرى، اذ سنتناول شيئاً من الفطور قريباً).
فركب الپاشا مرة اخرى وتبعه هذا الجيش الكبير، وتمّ دق الطبول ثماني مرات، فشاهدنا فجأة وداخل هذه المروج اشكالاً عجمية و كوردية و تركمانية، وكانت المروج مزيّنة وتضم خياماً كثيرة بحلّة تركمانية وخيام عثمانية واخرى كوردية.

ترجّل الپاشا وتوجّه نحو المقر الذي كان مخصصاً له، ثم فرشت ورتبت الأسمطة المحمدية، وأصطفت صحون الذهب والفضة ومواعين وأواني الفغفوري، فأكل منها الثلاثة آلاف من عساكر الپاشا مع الثلاثة آلاف من خدم وتوابع الخان، وجميع الرجال والوجهاء الذين كانوا قد حضروا لاستقبال الپاشا وجميع الأهالي من الكورد الذين أكلوا وشبعوا من هذه الوليمة، وكانت لازالت كمية كبيرة من الأطعمة باقية وفضلت عنهم، ولدى نهوضنا من الوليمة احنى الخان العالي الشان رأسه أمام الپاشا، وقدّم له (١٢) ابناً له، مع (٧٠) من البگوات ورؤساء العشائر الكوردية ووضعهم في خدمته وقال للپاشا:

(يا سيّدي، فلتكن هذه الخيام السبعة التي أخذتم الأستراحة فيها، مع (٥٠) ماعوناً فضياً، و (١٠٠) ماعون فغفوري، وجميع المفروشات والبسط وجميع الحاجيات الأخرى، هديّة لكم، يرجى التفضل بقبولها، كذلك نهدي لكم أربعة غلمان من الشركس وأربعة من الأباضية وأربعة من الگورجين، وهم خدم خاص بنا، يكونون هديّة لكم).(١)

١- كانت العادة جارية حينذاك، أن يؤخذ غلمان وفتيات الأقوام التي يغزوها العثمانيون في الفتوحات الأسلامية، كغلمان وجواري في قصور كبار المسؤولين والقادة والأمراء في الدولة العثمانية، ولما كان أولئك الغلمان والجواري ملكاً خاصاً لذلك الأمير أو القائد، فكان يحق له التبرع بهم أو تقديمهم كهدايا للآخرين، وعادة ماكان أولئك من أبناء الأقوام غير المسلمة التي تجاور الدولة العثمانية، مثل الذين وردت اسمائهم في هذا المكان. (ر. ف)



وقـام البـاشـا باخـراج خنجـره الحـادّ من حـزامـه، الذي كـان هدّيـة من (السلطان مراد خان)، ووضعه في حزام (الخان) كهدية، ثم اهدى جلد سنّور للخـان وثلاثة جلود لأولاده مع (١٧٠) حزامـاً مطرّزاً بالذهب، مع توزيع هدايا ثمينة اخرى لتوابعه وخدمه وحشمه. ركب الپاشا مرة اخرى، وتمّ دق الطبـول، وعبر هذه الوديان والتـلال، توجّـهنا نحـو مـدينة بدلـيس، في ذلك الوقت شـاهدت بعـضـاً من توابع الخـان يتـجـمّـعـون حـول أحـد الأشـخـاص ويضـحكون، فتـعـجبتُ من هذه النـكات السـمـجة وقلت مـاذا سـيكون هذا فتقربت منهم.

منظر غريب:

كـان هناك رجل كوردي غريب الهـيئة وكريه المنظر، يضع عـمامـة كبيـرة على رأسـه بقـدر عشّ اللقلق، وكـانت لـه لحـيـة حـمـراء وبيـضـاء و صـفـراء وزرقاء مختلفة وطويلة تصل الى منتصف قـامته، بحيث لم تكن تصلح الأ لمدفع شهر رمضان، كان يركب حصاناً ولكن ايُّ حصان، يضرب بأطرافه الى الأمـام في الوقت الذي ترجع فـيـه الأطراف الخلفيـة وراءه، يسـيل الماء من عـينيه وأنفه وفـمه، لم يبق نور في عـينيه، جسـمه يشـبـه الدولاب المتهرئ، بحـيث تظهـر أضـلاعـه وعظامـه بكل وضـوح، يرتجف مـثل السـكران ويدور لهـذه الجهـة وتلك، يتدلى خرج كـبـير من على ظهـره، ويمسك صـاحبـه بـثعبـان حيّ في يـده ويسـتـعـمله كـسـوط، وبهـذه الحـال ينزل مـن فـرسـه ويركـب مـرة اخـرى، فـيـضـحك الناس من حالـتـه، ناداه احد خـدم (الخـان) الذي يسـمّى (قـربان علي) وناوله لـيـرة واحدة وقـال له (فـداك يـا مـلا مـحـمّـد، ان تجري بفرسك مرة واحدة) فقلت له (يا ترى كـيف يستطيع هذا البائس الجري فلو جرى مرة واحدة فأنّه سيفـارقنا الى العالم الآخر) وما أن قلت ذلك حتى شدّ ذلك الشـخص ركبـتيـه على الفرس وضربه بالثعبـان، فشـاهدت منظراً غـيـر



مألوفاً، اذ تكوّم الفرس على نفسه وأنطلق كالبرق بجانب الپاشا والخان، بين تلك الصخور والآكام والمنخفضات، فتملّكنا العجب، بينما كان عساكر الخان يضحكون ويقولون لا تعجبوا من ذلك، وقد رجع الرّجل بنفس الشكل بين تلك الصخور والحجارة وبكل خفة، ودخل بين عساكر الخان، فتقربت منه، لكي اعرف أن كان يعطي الماء لفرسه، ولكن لاشيء، غير سيلان الماء من عينيه الغائرتين، يا الهي ما هذا؟ فنظر اليّ الرجل وقال لي مبتسماً (ها يا رجل، لماذا تنظر اليّ هكذا؟ هل تريد شراءه؟ انّ هذا الحصان وصلني من ميراث جدّي الأكبر، فحتى لو طلبه الپاشا خاصتك منّي فسوف لن أعطيه، فلو وضعوا هذه الدنيا في يديّ، فسوف لن ابيعه)، ولقد قال كثيراً من تلك الفكاهات.

قال رئيس الطهاة لدى الخان المدعو (مصطفى)، (يا أوليا چلبي ماذا تظنّ بهذا الحصان الهالك وما هو؟ انّه عمود خشبي يعود لأتون أسرة الخان، وبما ان الخان لم يعط هذا الملاّ حصاناً يمتطيه، وقال له بأنك لا تصلح بأن تكون ضمن العسكر، أذ ستكون مثار سخرية، فذهب الملاّ وجاء بهذا العمود الخشبي وجعله حصاناً وركبه، وحصلت هذه النكتة التي رأيتها، ولكنّ الخان غاضب من هذا الأمر، لكي لا يظنّ الپاشا ان الخان يجمع حوله السحرة والسيميائيين والكيميائيين). (١). فطار العقل من رأسي بعدما سمعت هذا الأمر وقلت (حقاً يا رئيس الطهاة، هل هذا صحيح؟

فقال، (قسماً بالروح الطاهرة للسلطان أوحد الله، أن هذا الأمر صحيح

١- السيمياء: قديماً كان، علم معرفة الحيّل والخدع البصرية مثل المشي على الحبال وما الى ذلك من امور.

الكيمياء: علم الكيمياء القديم كان يعني بتحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة مثل الذهب. (ر. ف)



من دون زيادة أو نقصان، فان هذا الملاّ ليس رجل نكات او فكاهات، ففي بعض الأحيان يركب قضيباً من الحديد أو الخشب، أو ينفخ في قربة ويركبها ويتخذ سبيله، وفي بعض الأحيان يركب القطط او الأغنام او الكلاب، وغيرها من أنواع الحيوانات ويسابق بها الريح وكأنها (دلدل) الأمام علي)(١). وبما انني لا اعتقد بمثل هذه الأمور، لذا قلت لرئيس الطهاة أن يريني شيئاً أراه رؤية العين، فقال، خيراً، تعال معي، فتبعنا معاً (الملاّ محمد) وشاهدناه يدخل احدى بساتين الخان من أحد الأبواب في الطرف الآخر، وهو يتوجه الى (الأتون)، فنزلنا من خيولنا وتبعناه دون ان يدري بنا، وكان يصحبني ثلاثة من خدمي، فشاهدناه ينزل من فرسه، ويتناول الحيّة ويضعها في الخرج، واستخرج قطعة قماش من الخرج فربط بها لسان الحصان، وصرخ صرخة عالية، فرأينا أن الدنيا قد أظلمت ولم أشاهد شيئاً، وبعد أنجلاء الظلام، رأيت عمودا خشبياً موجوداً في مكان الحصان.

قال له رئيس الطهاة (ها ايها الملاّ، هل ربطت حصانك السريع في هذا الأتون؟)، ومن دون انكار قال الملاّ (لقد طلبت من الخان، فلم يعطيني حتى حصاناً حقيراً لكي أركبه، لذا قمت بهذا العمل، واللّه كان يجدر بي أن أركب (باغدو) وهو حصان رئيس عمال السراي، ولكن أتى الجيش العثماني ولم أستطع ذلك، لذا ركبت هذا..) ثم سأل الملاّ من يكون هؤلاء؟ فقال له انّ هذا هو نديم الپاشا وهو رجل مسلم وحافظ للقرآن، ففرح الملاّ من ذلك، وأصبح صديقاً لنا، وسأتحدث في فرصة اخرى باذن اللّه عن افعاله الغريبة. دخل ملك احمد پاشا مع جيشه اللجب مدينة بدليس وسار فيها، وكان الناس واقفين في اليمين واليسار على الطريق لأستقباله، وقام هو بنثر كميات من الذهب وقطع النقود الصغيرة على أولئك الناس بدون

١- (دلدل)، يقال انه كان اسم فرس الأمام علي كرم اللّه وجهه. (ر. ف)



حساب، فدخلنا حدائق الخان العالي المقام وأصبحنا ضيوفاً عليه، وصدر الأمر بالأستراحة هنا لمدة عشرة أيام، وبدأنا نحن بالتجوّل ومشاهدة مدينة بدليس.

أوصاف مدينة بدليس القديمة:

يقول مؤرخو الروم والعجم، ومنهم، (المقدسي) وصاحب الشرفنامة (السلطان شرف الدين) (١)، بأن الأسكندر، كانت قد نبتت على جانبي رأسه زائدتان لحميتان وكانتا تشبهان (القرنين) لذا سميّ بـ(ذو القرنين)، أي صاحب قرنين، وكان الأسكندر قد حكم مرتين، كل مرة حكم فيها (٣٢) سنة، لذا سميّ بتلك التسمية، اذ يظن البعض ان كل (٣٢) عاماً هو قرن.

وعندما أحتل (الأسكندر) هذه المنطقة، أتى الى ضفة النهر، وشرب من ماءها، وعندما شعر بأن هذا الماء يصلح لمعالجة آلام الجسم بشكل جيد، اتى الى دياربكر ومنها سار في ضفة (باطمان) الى ان وصل الى جنوب قلعة (كفندر)، وشرب من عيون الماء التي تنبع من جبال بدليس، فيقوى نظر عينيه، وعندما وصل بدليس رأى انّ النهر ينشطر الى قسمين، وشرب من الماء الذي ينبع من وادي (اويخ)، ورأى انّه لا فائدة من هذا الماء، ولكن شرب من المياه التي تنبع من الجانب الأيمن من مدينة بدليس والتي جعلته ان ينام بشكل جيّد، فيبقى هناك لمدة سبعة أيام، وأستمر على شرب تلك المياه، فشفي من كل الأسقام التي كانت في جسده، فينادي (أن نادوا لي خادمي بدليس)، وعندما يأتي الخادم، يقول له الأسكندر (يا خادمي الأمين، كلّ ما تطلبه منّي من آلاف اكياس الذهب، اصرفه هنا، وشيّد لي

١- يقصد به المؤرخ الكوردي المعروف شرفخان البدليسي، صاحب الشرفنامة. (ر. ف)



هنا قلعة محكمة، بحيث لا أستطيع بكل قوّتي من فتحها لدى رجوعي اليها مرة أخرى). وحسب هذا الأمر، قام (بدليس) بجمع كل البنّائين والمهندسين المتوفرين، وشرع في بناء القلعة...

لقد توفي الأسكندر بمدّة (٨٨٢) عاماً قبل مبعث النبي (ص)(١)، ويكمل بناء القلعة، ويرجع (الأسكندر) من معركة (چماپور)، ويأتي ليفرض الحصار على القلعة ولا يستطيع احتلالها، فيطلب من (بدليس) الخروج من القلعة فلا يخرج، فيعتقد بأن خادمه قد اعتصم وشقّ عليه عصا الطاعة، فيقوم الأسكندر بهجوم ليلي عليه بكل جيشه وقواته، لكن من دون فائدة، فيرسل رسالة الى (بدليس) وينصحه بالتراجع عن غضبه وخروجه من القلعة، فلا يطيعه (بدليس)، ويبدأ باطلاق السهام وأحجار المنجنيق من القلعة على جيش الأسكندر ويقتل منهم الكثير، وتستمر هذه الحالة لمدة أربعين يوماً، وفي اليوم الحادي والأربعين، تخرج من ثقب كهف في اسفل القلعة آلاف من الزنابير الحمراء، بحيث يبلغ حجم كل واحد منها حجم العصافير وتنتشر تلك الزنابير بين جيش الأسكندر ولا يبقى رجل او فَرس في جيشه الأ ويهرب ويتفرق، أما الأسكندر فيصاب بمغص بطني ولا يستطيع صبراً، فيتوجه الى سهل (موش).. ثم خرج (بدليس) مع مقاتليه وخزائنه من القلعة ووضع مفاتيح القلعة على طبق من ذهب، وضعها أمام الأسكندر، وقبّل الأرض بين يديه، فقال له الأسكندر، (أيها الملعون، لماذا

١- انّ (الأسكندر ذو القرنين) الوارد ذكره في القرآن الكريم بأسم (ذو القرنين)، يختلف عن الأسكندر المقدوني، الفاتح المعروف الذي عاش بين العامين (٣٥٦- ٣٢٣) قبل الميلاد، فالأول كان رجلاً صالحاً، أشير الى صلاحه في القرآن الكريم، بينما الثاني كان غازياً وفاتحاً لعدد كبير من بلدان الشرق الأوسط، وهو الذي اشار اليه اوليا چلبي. (ر. ف)



عصيت عليَّ ولماذا تسببت في مقتل كل اولئك الجنود)، فقال بدليس (هل نسيت يا سيِّدي، عندما امرتني ببناء قلعة قويّة، بحيث لا تستطيع حتى أنت من فتحها؟). فعفا عنه الأسكندر وسلّمه الحكم على القلعة، وتحوّل اسم قلعة (بدليس) خطأً الى (بتليس) وبما انّ أول بناء للقلعة تمّ على ايدي الأسكندر، لذا يسميّه مؤرخو العجم بـ(عاصمة الأسكندر)، ويسمّيه اليونانيون (پزگار مگال الكسندره) اي (القلعة الكبيرة للاسكندر)، وحتى الآن فهناك آثار واعمال الروم ظاهرة عليها من عدّة اماكن، وباذن اللّه فسأكتب عنها في الوقت المناسب.

ان هذه القلعة من قلاع كوردستان، انتقلت من ملك الى ملك آخر، بالتالي، اذ احتلها حكام آذربيجان مثل (قره يوسف قره قوينلي) و (حسن الطويل الآق قوينلى) وبقوا فيها لمدة، وللمرة الأولى، في زمن العباسيين، استطاع السلطان (اوحده اللّه) من اخراجها من ايدي الروم المسيحيين، ثم استولى عليها (حسن الطويل) و استردّها منهم، وفي عام (٨٦٨) انكسر (حسن الطويل) ذاك، في سهل (تورجان) ووقعت القلعة بايدي عائلة السلطان (اوحدالله) وبعدها في عام (٩٢٠) عندما خضع خان بدليس للسلطان (سليم خان) تأسست هنا حكومة مستقلة وسلّمت لهم، وعند صدور الأوامر السلطانية، تفتتح تلك الأوامر بلقب (الخان العالي المقام) له.

أشكال وأراضي قلعة بدليس:

على ارض صخرية واسعة بين جبلي (ديوان) و (اويخ)، وفي الطرف الأيمن منها حيث يلتقي نهران، اما في الطرف الأيسر، فهناك وادي (اويخ)، هناك قمة عالية تصل برأسها الى الغيوم، بنيت عليها هذه القلعة، ويبلغ حجم كل حجر من احجار البناء حجم الفيل الواحد، وتبلغ



المسافة من الأسفل الى الأعلى (٦٠٠) خطوة، وطريقها صعب ووعر، والقلعة بشكل مستطيل بأتجاه الشرق الى الغرب، والبرج الغربي للقلعة عالٍ جداً، اما الوادي السفلي لها، فعميق كعمق وادي جهنّم. وهناك بئر مائي في هذا البرج، يصل الى الأسفل، حيث يلقى فيها الأشخاص الذين تصدر الأحكام بقتلهم، حيث يتقطعون الى اجزاء لدى تدحرجهم الى هذا المنخفض لذا يسمّى هذا البرج، بالبرج الدموي.. وفي الزاوية الغربية من البرج الآخر وقرب سراي (الخان) هناك مخزن للعتاد، وهو مسنن بعدد (٦٧٠) سنّاً وعرضه يمتليء بالثقوب والخنادق، وفي الأسفل توجد ثقوب للسهام ورمي الطلقات. وبنيت الجدران بشكل ثنيات بحيث تظهر جوانب تلك الأبراج لبعضها البعض، ويوجد في جميع تلك الأبراج اماكن للحراس، وفي الأسفل هناك طريق للنزول الى المدينة، ولها معبر حديدي بثلاث فواصل، وبين تلك الفواصل هناك جهزت انواع من الأسلحة، والحراس الموجودون فيها متهيّئون ليلاً ونهاراً ولا يدعون مجالاً لاي رجل أو امرأة للدخول اليها.

انّ الجهات الأربعة للقلعة محاطة بوديان عميقة، وهي أعمق من بئر بابل، لذا لا حاجة لوجود حواجز، واطرافها مبنيّة من جميع الجهات، بنتوأت حجرية ذات قطعة واحدة وملساء، بحيث تصل رؤوسها الى الغيوم، ومحيطها يصل الى ألفين وتسعمائة خطوة ولكن طرف القلعة لم استطع من قياسه لوجود بيت الخان فيه، وهو يزيد عن ألف خطوة، لذا قد يصل المحيط الكلّي الى أربعة آلاف خطوة. أما جدرانها فيصل أرتفاعها الى ثمانين ذراعاً وعرضها عشرة اذرع، ويوجد داخل القلعة ثلاثمائة بيت، ويحتلُّ سراي الخان نصف المكان أذ قد بنيت الطوابق فوق بعضها البعض، مثل شكل بناء الروم والعجم، وغرفها وقاعاتها جميلة وطيبة، وكل (خان)



أتى بعد الآخر، أضاف من عنده على البناء ما اراده، وخاصةً (عبدال) خان الذي صرف عليه الكثير من الأموال، وبنى (السراي) على صورة سراي (فيداقا). وجميع شبابيكها وشناشيلها ظاهرة على الأبراج والجدران، ويشاهد جبل (ديوان) من مدينة بدليس، ويوجد في جبالها العديد من الكهوف، وقد ملئت بالحبوب المختلفة، وبين هذه الكهوف يوجد طريق يصل الى النهر، ومن غير المسجد والمدرسة، لا يوجد ثمة من بناية كبيرة اخرى.

أيالة بدليس وحكومتها:

هي حكومة مستقلة تتبع ايالة (وان) وواردها يعود للـ(خان) بأمر من السلطان، وفي كل يوم يعطى كيلو من (الأقچة) للخان، وتكون هذه الأيالة بدرجة أيالة (وان)، ويعود لحكومتها الفا جندي، ففي حالة حدوث قتال او لاجل البناء والعمران في (وان)، يذهبون الى هناك للمساهمة مع حاكمها، أما القوافل التي تدخل المدينة، فتعود ضرائبهم الى (الخان)، اما الرعية من اليعاقبة والعرب في داخل المدينة، فيدفعون الجزية للخان، وفي كل سنة يأتي (آغا) من وان لكي يستلم مبالغ لمصاريفه، ويدفع رواتب رجاله منها، اما الخراج والضرائب التي تجمع من سهل (موش) فتعطى للخان ايضاً، فهي له بأمر من السلطان مراد الرابع، ويعطي الخان منها رواتب مسؤول القلعة مع (٢٠٠) رجل من رجاله، اما مفتاح القلعة فيكون لدى الخان نفسه ليلاً ونهاراً، فهو يملك حكومة مستقلة وكبيرة بهذا الشكل.

حدود ايالة بدليس:

تصل حدودها من الجانب الشرقي الى (تحت وان) وهي أماكن تصل الى سواحل بحيرة (وان)، كذلك توجد في الجانب الشرقي، قلعة (وستان) الهكارية، ومن الشمال توجد (شيروان) ومن طرف القبلة تصل لحدود (هيزان)، كذلك من طرف القبلة وعلى بعد مرحلة واحدة تصل لحدود بگ



(زرقي)، ومن طرف الغـرب وبحـدود ثلاثة مـراحل تصـل الى حـدود بگ (حزو) التـابع لدياربكر، وكذلك على بعد ثلاثة مراحل نحو الشمال تصل الى حـدود بگ (ترجـيل) وبعـد أربعـة مـراحل تتـجـاور مع حـدود بگ (چپـاقـچـور)، ومن طرف النجم،(١) هناك سـهـل (مـوش) واراضـي (نامرودان) التابعة لأرضروم، ومن طرف الشـمـال وبثلاثة مراحل تصل الى (ملازگرد) التابعة لأرضروم، وفي طرفها الشمالي الشرقي يوجد (سنجق) يتبع (وان) فيه بگ (خلات) على ساحل البحيرة، اما من الطرف الشرقي فلا تتجاور مع احد، اذ هناك بحيرة (وان)..

تتبع الخان (سبعون) قبيلة وعشيرة، وأحدهم هو (علي بگ) من عشيرة (مـودكي)، الذي يكون تحت امـرته (٧٠٠) مـسلّح بـالبنادق، ويسـتطيع (الخـان) في أي وقت يشـاء، جمع (٧٠) الف مـسلّح من هؤلاء، ويوجد داخل مدينة بدليس (٤٠) الف مـسلّح تابعين لعـشـيـرة (روژكي). ولكن هؤلاء ليسوا شجعاناً ومقاتلين كبقية الكورد، فهم ناعمون ولحاهم مصبوغة بالحناء، ويضعون الكحل في عيونهم، وهم نظيفون وطيّبو الكلام، وحسب سجّل (الخان) يوجد في (بدليس)(٤٣) الفاً من الرعايا المسيحيين، وتقسم الجزية المأخوذة منهم بالتناصف، نصف الى القـوة العـسكرية ونصف الى (عبدال خان) وتوجد في هذه الأيالة، (١٣) زعامةً و (٢١٤) تيماراً، ولها آمر اللواء وزعيم الأنكشارية واليوزباشي، وحسب القانون يوجد فيها ثلاثة آلاف جندي، يلبسون ثياب الجندية، وهم تحت امرة الخان، ويتوجّهون للقتال مع المقاتلين التابعين لمعسكر وان. أما رتبة قضاء بدليس، فهي (١٥٠)

١- لقد ورد في النص التركي (بيلديز طرفي) أي من طرف (بيلديز) وقد ترجمها المترجم الى الكوردية بـ(طرف النجم) ولكن اي نجم هذا فربما تكون هناك قرية أو مدينة أو منطقة تسمى (بيلديز). (ر. ف)



أقچة، وتتبع هذا القضاء (١٧) ناحية، واشهرها هي، مردكي، صورپ، كوار، كواش، زردخان، أما القاضي في بدليس فيستلم (٨٠) كيساً في كل سنة، ولو اتفق مع الخان فيمكنه الحصول على اكثر من ذلك، ويوجد فيها المفتي ونقيب الشافعية، ومسؤول القلعة، وجامع الضرائب، وأمير البحرية(١)، حيث يعيّنون جميعا من قبل (الخان)، ما عدا آغا الخراج و زعيم الأنكشارية اذ يتم تعيينها من قبل السلطان، كما يوجد فيها رئيس الشرطة، ورئيس المكاييل والموازين وأمين الأصباغ.

جوامع بدليس:

يوجف في بدليس مائة وعشرة محراباً، واكبرها هو الجامع القديم للسلطان شرف الدين، بُنيَ هذا الجامع قرب عين (الأسكندر) وعلى الجسر وهو بشكل جميل، وقببها وجدرانها قويّة، وفيها منارة عالية ومستقيمة، ليس لها مثيل في بدليس، لا بل في كوردستان برمّتها، وفي القلعة الشمالية يوجد جامع (بدليس) الذي اسسه مؤسس مدينة بدليس، وكانت كنيسة في السابق ثم جعلها السلطان اوحدالله جامعاً، وهو جامع قديم بدون فناء وبدون منارة، كما يوجد جامع (سراج خان) قرب السياج السفلي ويقصدها عدد كبير من الناس، والجامع من دون فناء ومنارة ايضاً، كما يوجد جامع (شرفخان) في ساحة سباق الخيول، وهو جامع جميل وجديد، فكانت هذه هي الجوامع الكبيرة التي ذكرناها.

ومما يزيدها جمالاً، هو ان جميع هذه الجوامع مفروشة بالبسط العجمية وقطع اللباد الأصفهاني وتشعل فيها مدافيء كبيرة، تصرف عليها النقود

١- في الأصل كلمة (شاهبندر) وتعني بمعناها الدقيق، أمير البحرية، ولكنها أبتعدت قليلاً عن معناها الأصلي، واصبحت تعني رئيس التجار او رئيس التجارة التي تأتي من بعيد، عن طريق البحر وبواسطة السفن. (ر. ف)



من أموال الوقف، تسدُّ نوافذها وأبوابها في الشتاء فتصبح من الداخل دافئة كالحمام، وينكب داخلها العلماء وطلبة العلم على الدراسة والبحث وزيادة معلوماتهم، وحتى ان الماء في المرافق وأحواض الوضوء يكون دافئاً، أما طلاب العلم الذين ينهون دروسهم، فيلعبون الشطرنج في احد الأركان، أذ يكون لعب الشطرنج مباحاً حسب المذهب الشافعي، ولكن يحدث ضوضاء وتحدث مشاكل احياناً حول لعب الشطرنج، ويقال ان رجلاً قتل في مرة من المرات بسبب الشطرنج، لذا منع الشطرنج لفترة من الوقت، ثم بدأوا بها مرة اخرى، ويتجوّل رجال الدين الكورد متسلحين بالخناجر عادةً.

المساجد:

مسجد القريشي، مسجد علمدار، مسجد ممي دده، مسجد شيخ العرب، مسجد الشيخ ابراهيم، مسجد عين البرود، مسجد ابن الأفضل على ضفة نهر حصول، مسجد الشيخ حسن، مسجد كتخدا عمر، مسجد خسرو پاشا، مسجد مغارة، مسجد زيدان و مسجد ملا قاسم، وجميع هذه المساجد فيها مياه باردة ودافئة أسوةً بالجوامع الأخرى.

المدارس في حجرات الجوامع:

مدرسة السلطان شرف، مدرسة كوتك ميدان، مدرسة ورسنكي حاجي بگ ومدرسة الخطيبية، ويوجد في كل من الجوامع التي تلقى فيها خطب يوم الجمعة ومدارسها، مدرس واحد أوأثنان من المدرسين الذين يقومان بتدريس الدروس العامّة(١) أن اهلها يمتازون بالذكاء

١- يبدو ان المدرس الأول او الأساسي في تلك المدارس، هو العالم الدينّي الذي يقوم بتدريس العلوم الدينية لطلاب العلم، يساعده في ذلك اثنان من المدرسين اللذان يقومان بتدريس العلوم العامة كما ورد في النص، وهي علوم مثل الفلك والرياضيات والطب.... والخ. (ر. ف)



المفـرط والفـهم، وهم منكبّـون في هذه المدارس على علوم الحـديث وتفسير القرآن.

مدارسها:

يوجـد في بدليس (٧٠) مـدرسـة، وافـضل تلك المدارس هي مـدرسـة شرفخان ومدرسة خسرو پاشا ومدرسة الخاتونية ومدرسة السوق، ومدرسة بشارت آغا. وفيها سبعون عيناً للماء وأحدى وأربعين محلاً لشرب الماء مجانا (في سبيل الله) واشهرها هي محلات خسروپاشا وسراج خانة والصاغة. وفيها حوالي عشرون تكية للطرق النقشبندية والگولشني والبكتاشية.

محلاتها:

محة خسروپاشا، شام، زيندان، چوروم، چيندار، قزل مسجد، شيخ حسن، جيرك، كچور، كوك ميدان، كوموص، تقلبان، نقشود، جسر العرب، ميدان أوول، قره دره، آويخ، دگرمان، بستان الخان، وفيها (١١) محلة للعرب والمسيحيين، ولكن لا وجود في هذه المدينة لليهود و الأفرنج واليونانيين، ويتّصف المسيحيّون فيها بكونهم تجاراً كباراً واغنياء.

السرايات (جمع سراي):

سراي الخان، سراي بشارت آغا، سراي لاله مصطفى آغا، سراي قره محمد آغا، سراي آمر الفوج كتخدا حيدر، سراي شاكر آغا، سراي خليل آغا.

الخانات:

فيها تسعة خانات، خان مطافان، خان الشاه، خان الخاقونيّة، خان خسرو پاشا، خان شرفخان والخان الكبير على الجسر.



الأسواق و القيصريات:

يبلغ عدد دكاكينها جميعاً الفاً ومائتا دكان، واكثرها بهاءً هو سوق خسرو پاشا قرب السور السفلي، ولهذه القيصرية من طرفيها ابواب حديدية، وهي مبيّضة من داخل ومرتبّة جداً، وكل من يدخل هذا السوق يظن انه في سوق (كليجة) في (پروسه) ومن غير هذا السوق، فهناك سوق الصّاغة، الذي هو مرتّب جداً، كما يوجد فيها سوقان للدباغة، وانّ الجلود والألبسة الجلدية التي تصنع في بدليس لا مثيل لها في الدنيا. وان النقوش والأصباغ التي تنقش عليها، لا مثيل لها في هذه الصنعة، وان التعامل مع صبغ (أسپر) هو خاص بهذا المكان، وجميع المصابغ هنا هي من املاك (الخان) ولا علاقة لاحد آخر بها.

سوق العلوة:

توجد العلوة الأميرية في مكان، بحيث يرد الحرير والأقمشة الفاخرة والمأكولات والمشروبات المختلفة الى هذا المكان، فتوزن بالقبّان(١) ويؤخذ منها (العُشر) الخاص بالأمير، ثم تباع، ولا يستطيع احد بيع الأشياء، بأكثر من السعر المقرر.(٢)

جسورها:

يوجد في بدليس (١١) جسراً موضوعاً على (١٧) وادياً موجوداً

١- القبّان: هو الميزان القديم والذي لا يزال يستعمل لوزن الأشياء الثقيلة، مثل وزن أكياس الحبوب أو صناديق الفاكهة بها. وقد توسع معنى (القبّان) بين شعوب الشرق الأوسط، بحيث أصبح المحل الذي يستعمل فيه القبان يسمى (قبّان) او (قپان)، او يسمى (العلوة)، لذا استعمل مؤلف الكتاب الأصلي كلمة (قپان) للدلالة على محل بيع تلك الأغراض، وتسمّى الآن بـ(العلوة). (ر. ف)

٢- يظهر من هذه العبارة، ان تحديد الأسعار كان موجوداً منذ ذلك الزمان في أسواق بدليس. ولا يستطيع احد مخالفة تلك الأسعار. (ر. ف)



فيها، وهي جسور محكمة وجميلة، أما جسر الخاتونية في أسفل القلعة، فقد بني على الوادي الذي تتحد فيه مياه منبع الأسكندر مع منبع (اويخ) وكذلك يوجد جسر نهر حصول، وجسر عين البرود، وجسر بستان دخال، وجسر محلة قره دره، وجسر محلّة العرب قرب مسكينان، وجسر محلة دگرمان، وتوجد في طرفي هذه الوديان أبنية مرتفعة وكبيرة ذوات حدائق وبساتين.

البنايات والبيوت:

توجد في القلعة العليا والقلعة التي داخل السور، خمسة آلاف بيت عامر وجميل متوزعة على (١٧) محلّة، وقد أُجري على البيوت الملاط الطيني، والكثير منها تطل على البيوت الأخرى، كما توجد بيوت مبنية على المرتفعات وهي ذات هواء عليل، اما السور السفلي فتكون بيوتها غير محيطة بالقلعة، فالقلعة السفلى تضم فقط الأسواق والقيصريات وسوق الصاغة وبضعة مئات من البيوت، وتضم أفنية جميع البيوت الأشجار والنباتات، وبما انَّ بيوتا مبنية على التلال وفي الوديان، لذا تعطي منظراً جميلاً جداً، بحيث اصبحت نقوشاً جميلة في جنة كوردستان، والقلعة السفلى ليست محكمة كثيراً، وربما تكون القلعة من الآثار الباقية منذ عهد العباسيين لذا تتصف جدرانها بالأتّساع، وتقع جدرانها الجنوبية في ماء النهر، لذا اصبح الماء حاجزاً لها من تلك الجهة، اما البوابتان فتفتح أحداها من طرف الشرق والأخرى من طرف الغرب.

اهاليها:

يوجد هنا الكثير من الرجال المعمّرين بحيث يظن المرء انهم لا يستطيعون الكلام، ولكنهم يستطيعون ركوب الخيل والضرب بالسيف والذهاب الى السفر والتجارة، لا بل حتى الصيد، العمر الأعتيادي لهم



يكون بين الستين والخامسة والسبعين، اما المعمّرون منهم، فتصل اعمارهم الى المائة عام، بينما تكون وجوههم نضرةً وحمراء وبيضاء وذوو صحة جيدة، وبما ان الكورد هم قوم ذوو شعر، لذا تنبت لحى وشوارب ابنائهم منذ العاشرة من العمر، ويصبحون رجالاً، انا لا اعلم ان كانوا يسمحون لنسائهم بالذهاب الى الأسواق ام لا؟ ولكن نساؤهم تتّصف بالأخلاق العالية وجميلات جداً، وهنّ محجبات وزاهدات مثل رابعة العدويّة.(١)

علماء الدين:

يوجد بينهم رجال دين لا مثيل لهم في عصرهم والذين عرفتهم هم هؤلاء: ملا حسن ذو العين الواحدة، ملا زين الدين، ملا زاده، ملا ابو بكر (امام الشرقية)، ملا علي افندي محراب زاده، ملا جبرائيل، ملا موسى الهكاري، ملا اسرافيل، الملا البوتاني.

الأطباء:

الملا موسى، الملا رمضان، قره سجاد، گنجي علي، صاريلي زاده الذي لا مثيل له، وبما ان هنا (كوردستان)، وتكثر فيها المشاكل والمنازعات، لذا فلديهم جرّاحون جيّدون، ومنهم مشهورون مثل (الأسطة حيدر، ابن بشارت، صفي قولي، وسيف علي).

المتديّنون:

يوجد فيها حوالي ألفي شخص متديّن ومتّقي من الذين لا طمع دنيوي لديهم ولم تصل أياديهم الى المال الحرام ولا يعرفون الأفراح والملذّات، ويشتهر منهم الشيخ حسب زاده.

١- رابعة العدوية: متصوفة من البصرة، توفيت عام ١٣٥هجرية، اشتهرت بالتصوف والعبادة. (من المنجد)، (ر. ف)



شعراؤها:

في هذه الفترة التي كنت هنا، عرفت منهم سبعة شعراء من الذين يملكون دواوين شعرية ومنهم، (كاتب چلبي) وهو الكاتب في ديوان (الخان)، (ملا رمضان چلبي)، (جنّتي چلبي) و.. (گنجي چلبي)، ويملك الأخير منهم ديواناً بقدر ديوان (خماسية النظامي).(١)

الأصدقاء الذين عرفتهم هنا وأصبحنا بمثابة الأخوة:

عرب خليل آغا، شاكر آغا، خطيب شرفخان الذي هو شقيق كتخدا حيدر المقتول، اسلام آغا، سلمان آغا، مامش آغا.

الدراويش والأولياء:

الدرويش پوشو، في سوق خسروپاشا، كلخاني ممو، الملا عروض، وهؤلاء هم من الذين تظهر منهم كرامات.

الملابس:

بالرغم من ان هنا هو كوردستان، ولكن ينتشر لبس سترات جلد السنور بين الوجهاء وأفراد حاشية الخان، أما متوسطوا الحال منهم فيلبسون (الشياق) الذي يصنع في مدينة (معدن) قرب (شيروان)، وكثير منهم يلبسون الچوخ السنّوري و الـ(قنطوش)، اما ملابس الفقراء منهم فهي من نوع (بوغاص)، والذي سمعته من الأصدقاء، ان النّساء هنا تلبسن الملابس البيضاء وتضعن الحجاب، كما تضعن الطاقيات الذهبية والفضية على رؤوسهن وملابسهن مصنوعة من الحرير بالكامل.

١- لم يبيّن المؤلف التركي، ان كانت دواوين هؤلاء الشعراء بالكوردية أو الفارسية أو أية لغة أخرى، وتشبيه ديوان الشاعر الأخير بديوان خماسية نظامي، هي أشارة الى الشاعر الفارسي المشهور (نظام الدين گنجوي) صاحب (خمسه نظامي) وهو تشبيه مهم وعالي الدرجة. ونظامي گنجوي هو من كبار شعراء الفرس عاش بين عامي (١١٤٠- ١٢٠٣)م. (ر. ف)



أسماء الرجال:

حيدر آغا، بشارت آغا، چندان آغا، صالحان آغا، زجري آغا، سيفي آغا، شرف بگ، ضياءالدين بگ، بدربگ، شمس الدين بگ، عالمشاه بگ، كرار قولي بگ، يشار بگ، لقد خفت من السؤال عن أسماء النساء، اما زوجة (الخان) فهي ابنة (زال پاشا) وزير سليمان خان، وتسمّى (خانم سلطان) ولها مائة جارية.

أما عبيدهم فأغلبهم من (الكرج) وذلك لان (گرجستان)(١) تقع في الطرف الشمالي وهي قريبة منهم، وأسماء العبيد هي: سياووش، رستم، كاظم، شاكر، خندان، قينان، اولان اپاردي، سلمان، دولت، خان ويردي، سهراب، شاسوار.

اما الجواري فلا تأتين للاسواق أو للخارج، واسماؤهنَّ هي: دلدار، تابنده، اگلنجه، چشم سياه(٢)، گه وهه ر، شماسه، دلارام، ثريا، گولي، كوكبان، نوريان، ياغجينان.

أن بدليس مبنية على مكان صخري، ولها هواء عليل ويهب عليها النسيم صباح.

حماماتها:

حمام سراي خان داخل القلعة، حمام بداغ بگ، حمّام شرفخان، حمام

١- گرجستان، وتسمّى بالعربية (جورجيا) وكانت حينها، تتعرض لحملات الفتح الأسلامي، ويؤخذ غلمانها وبناتها عبيداً وجوارٍ للمسلمين، في حالة عدم اعتناقهم الأسلام، فيسوقونهم الى بيوتهم ليعملوا خدماً وجواري في بيوت المتنفذين من المسلمين، وهذه البلاد أصبحت فيما بعد جمهورية تابعة للاتحاد السوفياتي السابق، ثم أصبحت جمهورية مستقلة، بعد تفكك الأتحاد السوفياتي، وهي تقع الى الشمال من كوردستان الشمالية. (ر. ف)

٢- چشم سياه: هو اسم فارسي، ويعني ذات العيون السوداء. (ر. ف)



دبانلي في المدبغة، اما في القلعة السفلى، فيوجد حمّام خسرو پاشا المزدوج، الذي يتّصف بالماء والهواء العليل وله حوض جيّد، وحسب قول صديقي بشارت آغا، فهناك ستمائة بيت من الأهالي يملكون حمّاماتهم الخاصّة، وذلك لأنهم لا يرغبون في خروج نسائهم الى الحمّامات الخارجية، وهم يغضبون عند مشاهدة النساء في الأسواق.

الأماكن العجيبة:

١- يوجد خلف القلعة، جبل (ديوان) المشهور، وتوجد في قمة هذا الجبل العالي مصطبة، يمكن منها مشاهدة بحيرة وان و قلعة وان وسهل راهول و رياض موش ووادي جبل (دليكلي)، وكان بالأمكان مشاهدة جميع القرى والقصبات هناك لولا وجود هذه الجبال العالية، ومن الواضح وجود بعض الطلاسم المخفية على ذلك الجبل، ولكن الناس لا يعرفون بذلك.

٢- يوجد في محلة (تقلبان) وخلف حديقة حرم (عبدال خان)، وبين الجبلين، سدٌّ صَنَعَ خلفه بحيرة صناعية جميلة.

٣- يوجد تحت القلعة الداخلية للمدينة وداخل الخان الموجود على جسر الخاتونية، كهف عجيب، وفتحته تعلو لقامة ثلاثة رجال، يأتي من داخلها صوت وضجيج، لا يعلم احد مصدره، وحسب كلام (المقدسي) فهو ذاك الكهف، الذي خرجت منه الزنابير و هاجمت جيش الأسكندر.

ولقد ذهبت مع صديقيَّ (مهمان قولي) و (سيفالي) لمشاهدة ذلك الكهف، وتصادف وجود جثة كلب منفوق هناك، فقال (سيفالي) بانّ هذه الجثة، ستنشر النتن في هذا المكان، لذا نادى على احد رجاله و أمره بالقاء تلك الجثّة في الكهف، وماهي الأ وشاهدت ان جثّة الكلب خرجت من الكهف وهي مجزأة ومقسمة، فكدت اموت من الخوف وأسرعت بالخروج من هناك.



٤- امّا (الخان) الذي تحدّثنا عنه، فقد اسّسته (هماخاتون) بنت السلطان (أوحد اللّه)، ومن غير هذا (الخان) فهناك مؤسسات خيرية أخرى في مدينة بدليس، وأحدى الأعمال الخيرية الأخرى التي انجزتها هذه (الخاتون) هو فتح (نفق) على طريق مدينة بدليس من الجنوب الغربي نحو الأسفل الى قلعة (كفندر)، وكان يجب قبلاً على كل المسافرين والتجار والمارّة ان يمرّوا في هذه الطريق الوعرة و هم ممسكون باعنّة خيولهم، وهذا الجبل هو من النوع الصخري الذي لا تؤثر فيه حتى القضبان الحديدية. لذا قامت (الخاتون) بصرف مبالغ كبيرة وجلبت البنّائين، لفتح نفق كبير في هذه الصخرة، وذلك لكي يسهل فيه مرور الناس وان لا يضطرّوا لتسلّق قمة الجبل ثم ينزلون منه في الطرف الآخر.

وفي الحقيقة فأن هذا العمل الذي أنجز عجيب و جالب للنظر بحيث يشبه أعمال عفاريت الجنّ! ولو ناديت بـ(ها) بصوت عال في فتحة النفق، فأن صداه يأتيك من الجبال المحيطة بك بأصوات قويّة، بحيث تصيب الانسان بالجنون ويخاف المرء هنا من النظر الى الأسفل، وذلك لعمقه وبعده بحيث يدور الرأس بسببه.

الأنهار والينابيع:

يصل عدد الينابيع والأودية والسواقي التي تجري فيها المياه الى (٢٠)، ومن غير هذه فتجري المياه في كافة الوديان وتنبع منها العيون، ولكن هذه العيون ليست كبيرة جداً، لذا سأكتفي بالتحدث عن الانهار:

(عين الأسكندر)، ينبع من شرق القلعة (عين اويخ)، ينبع من جبل (ديوان) وتحت جسر الخاتونية مقابل القلعة يمتد مع (عين الأسكندر).

(عين البرود)، الذي يصب في (عين الأسكندر) ايضاً.

(نهر حصول)، ومياهها عذبة تصب في عين الأسكندر، وبما ان هذا



النهر يجري من الأعلى، فله خرير كبير.

(عين تقلبان)، وهو النهر الذي صنع منه (عبدال خان) بحيرة. كما ان وادي (نقشوت) له ماء عذب، كما ان ماء (قره دره) يكون مالحاً قليلاً ولكنه مفيد.

(وادي المطحنة)، يصفه الأطباء بانّه ماء مفيد للصحة، وأي شخص يشرب منه لمدة اربعين يوماً بشكل متواصل، فسيشفى من اليرقان والسعال والبلغم وضيق النفس، وهو ماء جارٍ، وينبع من الجبال المجاورة لبدليس، وينزل ليسقي البساتين والرياض العائدة لبدليس ثم ترتوي منه البيوت والجامع والخان والحمّامات، ثم يخترق المدينة ليصل الى المدبغة ثم ينزل الى الأسفل، وكل من يشرب كثيراً من هذا الماء يصاب بالسمنة، لذا فالخيول والحيوانات هنا تكون جميعها سمينة. وبعد الأستفادة المطلوبة من هذه الانهار وترويتها لكل ذلك، تتجه نحو الغرب ثم تتحد مع بعضها، وتعبر منطقة صخرية ووديان عميقة تمر منها بصوت عال من الخرير، وقبل ان تصل الى قلعة (كفندر) تتجه نحو الجنوب وتصب في واد كبير وبعد مسيرة يومين تمر بقلعة (حصنكيف) وقرب جسر (باطمان) تتحد مع نهر (باطمان). وان شاء اللّه، عندما أقوم بترجمة كتاب (هيئة الأرض) ل (پاليامونط) للتركية، فسأتحدث عن ذلك.

لهجة الكورد (الروژكية):

رغم كون هؤلاء من الكورد القدامى، ولكنهم يتحدّثون مع بعضهم البعض بسلاسة وفصاحة، وتوجد في لهجتهم بعض المفردات التي لا يفهمها الكورد الآخرون، امّا هم فيعرفون اللهجات الكوردية الأثنتى عشرة بشكل جيد.

ان الرئيس العالي المقام جناب (عبدال خان) هو شاعر وبليغ وكاتب



ومؤلف واستاذ في كافة انواع الفنون، وقد الّف قصيدة بالتركية وقام بتخميسها باللهجة الروژكية، وتلحّن وتغنى على مقام السيگاه.

بساتين بدليس:

حسب سجل المسؤول عن توزيع المياه لدى الخان فهناك عشرة آلاف بستان في بدليس، ويعيش سكان بدليس كباراً وصغاراً ووجهاء وفقراء مدة ثمانية اشهر من كل سنة في البساتين، ويوجد داخل كل بستان حوض ومياه دافقة ومزراب وبيت جميل، وقد أُحتلت هذه البساتين أرضاً واسعاً ومتباعدة، والبساتين الجميلة منها تعود للمسيحيين اليعاقبة، وقد أحاطوها باسوار عالية و صنعوا فوقها ابراجاً تشبه القلاع، ولهم من البساتين ما تدرّ عليهم الفي قرش في كل عام. والبساتين المشهورة فيها هي بساتين (شيرك وبغدو وعربلي وحيدر و قره مراد) وأحياناً يأتي الخان بنفسه الى هذه البساتين للتنزّه، وفي أيّ وقت ترتاد هذه البيوت التي يسمّونها البيوت الصيفية يأخذك العجب منها، اذ ما أن تدخلها حتى تهب عليك الروائح الطيّبة، وتنفتح اسارير قلبك لرؤية هذه الغرف الجميلة، وقد زرعت أشجار الحدائق على شاكلة رقعة الشطرنج، امّا الطريق الذي يسمّونه (شارع البساتين)، فقد زرعت أشجار الكروم على جانبي الطريق، وثبتت على اعمدة على الجانبين مثل العرائش (كپرات) وتتدلى منها عناقيد العنب، بحيث تدخل المسرّة الى قلوب السائرين في ظلالها.

بستان الخان العالي المقام:

يقع هذا البستان الذي يشبه جنّة أرم في غرب مدينة بدليس وعلى سفح جبل (تقلبان)، وهناك مضيق في الجنوب و الشرق منه، وواد تجري فيه المياه، وقد تم تعديل الأرض من سفح الجبل وحتى القمة باليد، بينما هناك أراض مستوية بشكل طبيعي، وقد أسست جدران تشبه القلاع من جانبي هذا المرتفع



مع سور عال بحيث لا تنقصه الاّ الأبراج، وتوجد في غربه و جنوبه قمة تتعالى الى الفضاء، وقد بنيت سراي (الخان) على هذين الجدارين العاليين القويين، مع الغرف العديدة و المضائف التي صنعت فيها الشبابيك والشناشيل الجميلة ويطلّ السّراي من جهة الشرق على وادي المطحنة.

يوجد هنا سبعمائة غرفة لجنود الخان، والطابق السفلي لتلك الغرف هي حظائر للخيول، ولهذا السراي اربعة مداخل، أحد تلك المداخل وهو الشرقي يمر من وادي المطحنة متجهاً الى المدينة وهو طريق صعب ووعر، والمدخل الآخر يفتح من جهة الغرب وهو باب (كفندر)، ومدخل آخر، يتجه نحو الغرب ايضاً.

ويسمّى باب الجبل، أما المدخل الرابع فيتجه نحو الشمال ويفتح نحو الوادي الذي يؤدي الى محلة (تقلبان)..

الأرض الممتده من خارج السراي وحتى الساحة المركزية واسعة ولا وجود للأحجار فيها، وقد فرشوا الساحة برمل ناعم، أذ يقوم الجنود بالتدريب فيها، اذ يتدرب فيها رماة الرماح والمتدربون على الالعاب البهلوانية ورماة الرصاص والمتدربون على المصارعة ورماة الشيش ولاعبي الاكروباتيك،(١) وجميع المتدربين هنا يتفننون في ابداء مهاراتهم ويستلمون جوائزهم من الخان، وخلف هذه الساحة توجد بيوت جنود الخان، وتفتح شبابيك بيوتهم على ساحة التدريب، وفوق كل هذه البيوت، توجد طبقة فوق طبقة حريم الخان، وقد وضع الكاشي(٢)،

١- في الاصل التركي (چنبر باز) وهم اللاعبون على الحبال، مثل ألعاب السيرك والاكروباتيك حالياً. (ر.ف)

٢- وردت كلمة (كاشي) في الاصل التركي، ويبدو أنها كلمة قديمة متداولة بين شعوب الشرق الأوسط. (ر.ف)

٣

الصيني على أرضية تلك الغرف وهي متينة مثل سدّ الاسكندر، ولهذه البيوت باب حديدي يحرسه ليلاً ونهاراً، اربعين الى خمسين من الطواشي وتابعي الخان المسلّحين.

ولم اعرف ما موجود في غرف حريم الخان، لأنها لم تكن تعنيني، ولكنني علمت بأنها عبارة عن ساحة تحيط بها حوالي ثلاثمائة بيت. ويوجد داخل الحرم حوالي (٤٠) الى (٥٠) دكاناً تعود للخان، وهي مليئة بالمتاع والأغراض، والأشياء الموجودة في هذه الدكاكين لا وجود لها في الأماكن الأخرى.

عبدال خان الفنّان ذي الألف فنّ:

في البداية أقول أنّه خبير في الفلسفة والعلوم العجيبة والكيمياء والسيمياء(١)، وحسب قول النبي (ص) الذي نصّ في حديث صحيح على أن (العلم علمان، علم الأديان وعلم الأبدان) فقد جعل من نفسه طبيباً يفوق (جالينوس وأبوقراط وسقراط وفيلوس)(٢) وبما أنّهم كانوا أطباء في زمانهم القديم، الاّ ان (عبدال خان) فاقهم بسبب كثرة الأمراض وضعف الناس في هذا الزمان، فهو خبير في فحص النبضات وتشخيص الأمراض وتسمية الادوية والمعرفة بأمور الدم، اذ يقصده من المسنّين الذين وصلوا الى الثمانين من عمرهم، أو من مدمني المخدّرات (الترياك) الذين هم على حافة الهلاك فيداويهم ويرسلهم الى الحمّام يومياً حتى يشفوا من أمراضهم، ويعود أولئك الاشخاص من انصاف الميّتين الى الحياة من جديد، ويتحوّلون الى أشخاص آخرين ذوي وجوه حمر ونشطاء وذوي صحة جيدة، فهو يقوم

١- الكيمياء والسيمياء: هما علمان قديمان، أما علم الكيمياء القديم فقد كان يعني بتحويل المعادن الرخيصة أو الخسيسة الى معادن ثمينة مثل الذهب والفضة، اما علم السيمياء، فكان علم المعرفة بالحيل والألاعيب، والخدع البصرية. (ر. ف)

٢- أطباء يونانيون قدماء وفلاسفة معروفون. (ر. ف)

بتلك الأعمال أسوة بالسيد المسيح (ع)(١) اما في مسألة الجراحة فلا نظير له، فالذين يقعون من على ظهور الخيل أو يصابون بكسور في الأرجل أو الخلع العظمي، ما أن تصل أيدي (الخان) اليهم، ويعالجهم لمدة سبعة أيام، فيجعلهم ينهضون من جديد ويبدأون بالسيّر على أرجلهم وهو فارس جيّد، فما أن يمتطي ظهر الخيل، ويقوم بالألعاب البهلوانية ويلعب بالكرة والصولجان،(٢) حتى تحسبه (رستم)(٣) زمانه..

كما انّه درس كتب (البيطرة)، ويعرف بأمراض وعلل الحيوانات، وهو صّياد ورام جيّد على الهدف لا نظير له، وهو يملك العديد من طيور الصيد التي قام بتربيتها وجعلها طيوراً أليفة مثل:

(بوزدوغان، چاقر، بالبان، زغنوس، شاهين، سيفي، سنقر، طيفورك، قرقل، قرچينا، كوچوكزود، لينكح، قرقوش، آتماجه، قره كوك)(٤).

و في وديان بدليس يقومون مرة واحدة في السنة بصيد الدرّاجي(٥) (القبوج)، وفي احدى تلك الأيام قاموا بصيد سبعين ألفاً من (القبوج) حسب ما هو مدوّن في السجل، وهناك أسلوب خاص لصيد تلك (القبوج) حسب توجيهات الخان و كما يلي:

١- وردت في القرآن الكريم، آيات عديدة، تشير الى أنّ النبي عيسى عليه السلام، كان يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص. بأذن الله، فتعالى الله عمّا يشركون. (ر. ف)

٢- الكرة والصولجان، كانت لعبة قديمة، يلعبها الفرسان وهم على ظهور الخيل، فيضربون الكرة التي هي على الأرض، بالمضرب أو العصا التي كانت تسمى بالصولجان الذي في أيدي الفرسان. (ر. ف)

٣- بطل أسطوري فارسي، وردت سيرته وأخباره في كتاب (الشاهنامة) للفردوسي. (ر. ف)

٤- هذه أسماء الطيور التي كان (عبدال خان) يربّيها في بيته ويأخذها للصيد معه، ومعظم الأسماء هي باللغة التركية. (ر. ف)

٥- طائر الدراّجي أو القبج، والذي يسمّى (كهو) باللغة الكوردية، هو طائر جميل يعيش في كوردستان و غيرها من البلاد، ويملك هذا الطائر منزلة خاصة لدى الاكراد. (ر. ف)



ينتشر الأكراد لمدة ثلاثة أيام في الجبال والوديان، ويطلقون الرصاص، بشكل يؤدي الى تجميع الحيوانات البرية والطيور الى أماكن الصيد، وفي اليوم الثالث يبدأ الخان ورجاله والناس الآخرين، ويصيدون مئات الآلاف من الطيور والقبوج، ومنذ ذلك اليوم ولمدة ثلاثة أشهر، تباع تلك القبوج، وينصرف الناس عن أكل لحوم الأغنام والخرفان. ويشبه (الخان) في مراسيم الصيد هذه والمهرجانات، يشبه (منو شهر)، حيث لا يعرف الكلل والملل، بحيث لو أصيب أحد طيور الصيد أو وقع أو جرح، فيترجّل (الخان) بنفسه لمعالجته، ويبدأ بالصيد من جديد، فمنها ما أصيب برأس سهم في بطنه، أو كسرت أجنحته أو تأثر منقاره، فيقوم (الخان) بمداواته حتى يطيب، ولو وقع أحد الطيور و نزف الدم من أحد مواضع جسمه، فيقوم بغسل ذلك الوضع بالخل لمرتين ويخلط مسحوق (قيومچي)، وحبوب القرع المائي، فيطحنها جميعاً، ثم يخلطها مع عشب (سيغير) ويضعها على موضع الجرح، فيقوم هذا الدواء بجمع الدم الفاسد في مكان ما، ثم يقوم بفتح ذلك المكان بالشفرة لكي يخرج الدم الفاسد فيطيب الطائر، وهذه واحدة من تجارب (الخان)..

وهو خبير في معالجة ومداواة العيون الى درجة، انّ الشخص الذي أصيبت عينه بتجمّع الماء الأسود قبل أربعين عاماً، فيضع الخان قلماً رفيعاً جداً تحت عينه ويفرغ منه الماء الأسود(١) وتعود عيونه الى حالتها الطبيعية، ولقد رأيت بعيني، بأن العيون التي غطّاها الغشاء فوضع له (الدهنج) الهندي مع سويق الـ(شياف)(٢)، وعالجها بوضع قلم شبه

١- يقصد بالقلم هنا، القلم الرفيع الذي يسمّى بـ(الميل) أيضاً الذي يوضع بواسطته الكحل في العين، أو يستعمل لازالة غشاوة العين. (ر. ف)

٢- الأسماء التي وردت في المتن التركي هي أسماء لأدوية قديمة كانت شائعة في ذلك الزمان. (ر. ف)



بيضوي ورفع عنها الغشاء الذي كان مثل الغشاء الخفيف للبصل..

ومن غير هذا فهو خبير في أمور البناء، ولقد وضع هو بنفسه، الخرائط لمعظم الأماكن في هذا السراي الفخم.

وله شهرة واسعة في تجليد الكتب، والرسم والخطّ، أمّا في الشعر، فأشعاره في مصاف أشعار (حالتي عزمي زاده)، وهو عالم الى درجة أنّه يمسك بالكتاب العربي بيديه، ويترجمه فوراً الى اللغة الفارسية، كما له خبرة في التركية والفارسية، أمّا السيوف التي يصنعها (الخان) بنفسه، فقويّة ولا مجال للألتواء أو الانحناء في حافتها. ويقوم أحياناً بنسج أغطية السروج وتطريزها، ولو بيعت لجاءت كل واحدة منها بـ(ألفي قرش)، وكان من عادته ارسال اثنتين منها كلّ عام الى السلطان.

وهو ساعاتي عبقري، فيصنع بنفسه الساعات اليومية والشهرية والسنوية والساعات التي توضع فوق الأبراج، والساعات ذات الارقام الذهبية، والساعات المنبّهة بشكل بحيث لا توازيها ساعات (جان بتروكشير)، ويقال بأنّ (محمد خان الفاتح) كان يملك ساعة موضوعة في فصّ خاتم يده، ولقد قام الخان بوضع ساعة على فصّ خاتمه، وهي جميلة ودقيقة لدرجة أنّها تشبه أعمال السحر، ولقد رأيت خاتماً آخر من هذا النوع في أصبع (أوليا بگ المحمودي) والذي هو أيضاً صهر الخان، وقد صنع (الخان) له هذا الخاتم، ومن غير هذا فانّ الخان يعرف صناعة الأختام والنقش. اما في فن الموسيقى والغناء فلا يمكن وصفه فهو يعرف مقامات الـ(راست) والـ(دوگاه) بشكل جيّد، وكذلك فهو أستاذ في قراءة الزجل والذكر والتصنيف والمربّعات والوارسقي والشرقي والـ(سرچيا) بحيث لا يلحقه أحد، وبالرغم من أنّه يملك صوتاً عالياً للغاية ولكنّه عندما يمسك بآلة موسيقية ويبدأ بقراءة شعر (حافظ) بأربعة وعشرين أصولاً، فان



الطيور في السّماء تمسك بأجنحتها.. وهو خبير في أمور الحياكة، ولقد قام بأهداء سجّادة من نسج يده ل (ملك احمد پاشا)، ولا أعلم ان كان لها مثيل في مصر أو أصفهان، كما يعرف الخراطة جيّداً، إذ يصنع الملعقة المدوّرة الخاصة بالحبر، والأقلام ذات الرؤوس الحادّة، والحوامل الثلاثية القوائم، والأقلام الرفيعة جداً للعيون، الدقيقة والمنقوعة، بحيث تهدى وتنتشر بين المدن، كما يصنع السّهام المختلفة الأنواع والتي تشبه أعمال السحر، اذ يصنع نوعاً من السهام بحيث يتكون السهم الواحد من (١٥٠) قطعة من القصب والذي يكون مجوّفاً من رأسه المدبب وحتى نهايته.

أما في دقّ الطبول، فهو أستاذ فيها، اذ يستطيع الجلوس بين أربعة طبول وان يضربها بشكل بارع ومنتظم، وان يلعب دور أربعة طبّالين، وبسبب هذه البراعة، فقد أقطعه السلطان مراد الرابع خراج (موش)، ففي دقّ الطبول له خبرة بحيث لا يضاهيه فيها أحد.

لقد انعم اللّه على هذا الرجل بالذكاء والوعي والعلم والفهم والعبقرية، بحيث لا يضاهيه أحد في مئات الحرف والفنون والخبرات، فهو (جمشيد)(١)، زمانه، ولو تحدّثت هنا عن كافة علومه، فسينتج عن ذلك كتاب كبير.

لقد رزقه اللّه بأربعة عشر ابناً ذكياً بهّياً، وهذه هي أسمائهم، ضياءالدين، بدرالدين، نورالدهر، شرف، اسماعيل، شمس الدين، حسن، حسين، وغيرهم، وجميع اولاده ذوو علوم ومعرفة وذكاء في مختلف الفنون.

١- جمشيد: هو ملك فارسي قديم، تروى عنه أساطير كثيرة، ترتبط بالقوة والجاه والنفوذ. ويقال حسب الأسطورة أنه كان لديه (كأس) يملأه بالماء، فيرى العالم فيه، ويسمّى ذلك الكأس بـ(جام جمشيد) أو (جام جم) اختصاراً، أي كأس جمشيد. (ر. ف)

في أحدى المرات قدم الى بدليس شخص يسمّى (تورنا) وهو من اللاعبين على الحبال (طنّاف) وعندما يقوم بألعابه على الحبال أمام الخان، يقول له الخان، ليس هذا في شيء، فيلبس الخان ثوباً ضيقاً مثل ذلك الرجل، ويمسك بعصاه الطويلة في يده، ويصعد على الحبال مثل العنكبوت ويسير عليها من هذا الطرف الى الطرف الآخر، ثم يهبط من ذلك الحبل الذي يسمّى بـ(مهد الموت) ثم يصعد عليه من جديد ويقوم بمثل ما قام به ذلك الرجل، وصدفةً تخرج احدى المسامير التي ربط بها الحبل من مكانها، ويهوي الخان من على الحبل، وفي الوقت الذي يهوي فيه مثل طيور أبابيل، يصرخ في جماعته ويقول (ها لقد نزلت من السماء أيها الشباب) ويضحك، وعندما يصل الأرض يقوم بتثبيت عصاه على الأرض، لكن العصا لا تتحمل ثقل جسمه وتنكسر، ويسقط الخان على الأرض وينكسر أحد ساقيه، ويبدأ الصراخ والضجيج والبكاء في المجلس ولكن الخان يقوم بنفسه بمعالجة ساقه ومداواته، وبعد ثلاثة أيام يخرج من المنزل ويتوجه الى المجلس، وبمناسبة ذلك الفرح، تذبح آلاف القرابين، وتوزّع الخيرات على الفقراء، وكان الخان عالي المقام، هو الذي روى لي وللملك احمد باشا هذهه الحادثة بشكل، بحيث تصيب الانسان بالضحك الشديد، ومنذ ذلك الوقت أصيبت احدى ساقيه بقليل من العرج، وكان هذا دليلاً على شجاعة وخبرة الخان.

وفي الأيام العشرة التي بقينا فيها هنا، من الصباح وحتى المساء، كان مجلسنا مليئاً بالمغنّين، والمهرّجين والفكاهيين، وكانوا يأتون للمجلس، لعرض فنونهم وكانوا يأخذون جوائزهم من الپاشا ومن الخان.. كان (الخان) يولي أرباب المعارف والعلماء احتراماً شديداً، فالذين يرون لديهم مقدرة، يأتون بأنفسهم الى بدليس، فيحدّثهم الخان، فاذا ظهر له بأنّه عالم حقّاً، فيخصص له الخان بيتاً وأثاثاً وبستاناً وجواري ويغدق عليهم الجوائز ويقوم



بأسكانهم لديه، ولهذا السبب نرى ان مدينة بدليس أصبحت مركزاً لجميع العلوم والفنون، وأيّ شخص كانت لديه مشكلة أو يروم شيئاً ما، فسيتوجه الى بدليس وسيرى علاجه هناك. اذ لايوجد في أي مكان مثل ماهو موجود في سراي الخان من عازفي الزورنا والبوريزان والقدوم زن والذيل زن وهم أساتذة كاملون من اهل المعرفة والصنعة وهو بنفسه فريد عصره في علم الموسيقى وهو يعزف حسب الـ (٢٤) أصول أنواع المقامات والصبا، فبعد وقت العشاء حسب المذهب الشافعي يخلو الجو من الاغيار، يبدأ فصل جديد ويبعث الحياة من جديد* .

شارع الخان عالي المقام:

تبتعد هذه الحديقة برمية سهم عن سراي الخان، وهو مكان طيب الى درجة لا يمكن وصفه من قبل أحد، وقد زرعت أشجار الكروم فيها، بصفوف هندسية، وتهتزّ وتتمايل في مهبّ الريح يمنةً و شمالاً، ويوجد فيها أنواع الأشجار من كل مكان ما عدا أشجار النخيل والموز والـ(جمبز) والسرو، وقد بنيت بعض الأبنية داخل البستان، بحيث صرفت خزينة كاملة على كل واحدة منها، وكأنها قصر الخورنق وقد بنيت بشكل فريد بحيث لا تشبه أية بناية منها البناية الأخرى، فالأحواض والمياه الدفّاقة التي تشاهد هنا، لا مثيل لها في بلاد الروم، وقد وصنعت في أطراف الأحواض، كميات من الحصى الناعم والرمال الملوّنة بشكل هندسي، وكأنها أصداف هندستان، وفي مراكز تلك الأحواض يتدفق الماء بغزارة من فم الأسد أو أنف الجنّ أو لسان التنّين، ليصبّ في الأحواض مرة أخرى، وبعض تلك المياه الدافقة، تدفع مياهها الى الأعلى بقوة، وصنعت في بعضها ثقوب كثيرة بعدد (٤٠- ٥٠) ثقباً، يندفع الماء من تلك الثقوب مثل مرشّة الماء فيتساقط

* - الستة أسطر الاخيرة غير موجود في الترجمة الكوردية.



الماء منتشراً ومتفرقاً مثل الشعرات الجميلة للحسناوات. وقد صنعت لبعضها أغطية، وثبتت في تركيب دولابي، فيدخل الماء تلك الدواليب وتدور حول نفسها، وهناك مزاريب ينزل منها ماء بخيط رفيع ويصبّ في كأس واسع فيحدث فيها صوتاً ناعماً جميلاً، كما أنّ هناك مزاريب أخرى تصب في بعض الطّاسات، وينتشر الماء كما في المطر ووضعت في فم بعض الدفّاقات كرات مجوّفة، تعلو وتهبط بفعل الماء ولا تسقط من مكانها.

وتوجد في هذه الحديقة جميع أنواع الورود والأزهار مثل:

ترلا، سنبل(١)، الريحان، البنفسج، الأرجوان، زيت النبات، رقبة الجمل، الكافور، الشقائق، المسك الرومي، القرنفل، الفل، الزنبق، السوسن، النرجس، بخور مريم، الياسمين، الشقائق، زهرة الختم، وغيرها من الانواع التي ملأت المكان بالروائح الزكية، امّا بالنسبة للفاكهة، فلقد جلب الفلاّحين من أصفهان وتبريز ونخجوان، ونظموا له البستان بشكل بحيث لما أتى السلطان مراد الرابع الى هنا وشاهد هذا المكان، تملّكه العجب وأطبق فمه.

منظر البحيرة الأصطناعية للخان:

يوجد عين ماء (تقلبان) خلف هذه الحديقة من جهة الشمال، وقد صنع الخان سدّاً أمام مياه هذا الوادي، وتكوّنت وراءه بحيرة كبيرة، وتوجد أنواع الأسماك في البحيرة وقد صنع الخان بنفسه، بعض القوارب الجميلة، وفي بعض الاحيان كان يركب هو وأطفاله وعائلته هذه القوارب ويقوم الخان بنفسه بالتجذيف ويتنزّهون في الماء، وقيل أنّه في أحدى المرات لم تجلس النساء بشكل جيّد داخل القارب فانقلب القارب وغرقت بضعة نساء، لذا انقطع الخان بعدها عن ذلك وأصبح يركب القارب لوحده ويقوم بصيد السمك. وفي احدى المرات فاضت مياه (چيكان) وثقب الفيضان احد جانبي السدّ، وغمرت

١- سنبل: وردة زرقاء اللون جميلة تنبت في كوردستان. (ر. ف)



المياه بعض البيوت في (تقلبان) فدعا الاكراد على (الخان) بالسّوء، فقام الخان ببناء بيوت جديدة من أمواله الخاصّة للمتضررين وعوّض عن خسائرهم.

حمّام الحديقة:

يمتد هذا الحمّام الطيب للخان من (خزينة) الى (جامه خانه) وثلاثة من أطرافها تتجه نحو الحديقة وتفتح شبابيكها على الحديقة، والزجاج المستعمل في شبابيكها، هو من النوع الملوّن، أما أطر الشبابيك فهي محفورة بالنقوش، وهي مهداة للخان من خانات العجم في تبريز(١) وقد ملئت فسحات أطر الشبابيك بالعنبر الخام، فعندما تهبّ عليها الرياح، تدخل الرائحة الطيبة للداخل، والجهات الأربع للجامخانه (مكان الاستحمام) مبنيّة من الكاشي الصيني والفغفوري، وقد كتبت القصيدة الشهيرة للشاعر (فضولي)(٢) بصدد الحمّام بخط محمد رضا التبريزي، على الكاشي الصيني، على السطح الداخلي للقبلة وعلى اطرافها العليا، وفي وسط الجامخانه (مكان الاستحمام) ينزل الماء من ثلاثمائة مكان على شكل مزاريب، أما الأرضية فمبنية من أحجار المرمر، بشكل يشبه الفرش الأميري وكل قطعة بلون من الألوان وفي مركز الحوض، هناك دفّاقة ماء، تدفع الماء للأعلى للسقف الداخلي ثم ينزل الماء من جديد، اما الخدم الذين يعملون داخل الحمّام، فانهم من الشركس والجورجيين، ويلمعون مثل القمر، وكل واحد منهم، يحمل ما يعادل الف قرش من الخناجر والسكاكين المجوهرة في أحزمتهم الحريرية، وهم في مجيء ورواحٍ بالخفاف الصدفية(٣) وكأنّهم طواويس الجنّة، وهؤلاء الخدم يحملون المناشف

١- هذا يعني، انه كانت هناك علاقات طيّبة بين أمير بدليس (عبدال خان) وأمراء بلاد العجم في تبريز. (ر. ف)

٢- فضولي: شاعر معروف، له قصائد بالتركية والعربية، توفي عام ١٥٥٦م. (المنجد) (ر. ف)

٣- الخفاف: جمع خفّ، وهو نوع من الأحذية والقصد به هنا هو (النعل) أو (النعال) الذي يستعمل في الحمّامات. (ر. ف)



والفوطات الحريرية(١) والخفاف الصدفَية للمستحمّين..

فاذا خرجت من قاعة الحمّام وذهبت للطرف الآخر، تذهب الى غرفة اخرى تسمى بغرفة (التبريد) وهي ذات قبّة كبيرة فوقها، والماء الذي في حوضها ومزاريبها الوسطية دافئ وجميع حيطانها من الكاشي الصيني مع ادخال اجزاء صغيرة من المرمر، وآلاف من المشاعل تنزل من الجدران ومن هذه الغرفة تتوجه الى غرفة الحمّام، وكأنك تدخل الى بحر من الانوار، اذ أنّ قبّتها عالية حتى وصولها الى الفضاء ولا تظهر جدرانها وأطرافها، وقد بنيت جدرانها على أعمدة، وفي داخل تلك الأعمدة يوجد البلّور والزجاج السميك والقناديل والأنوار والجزء العلوي منها قطعة واحدة من الزجاج فعندما تضرب الشمس هذا الزجاج من الأعلى، تصبح الغرفة مضيئة كالنهار.

تحيط الحديقة التي تشبه الجنّة بالجزء الخارجي من الحمّام وقاعة الحمّام التي يغرّد فيها آلاف البلابل والطيور ذوات الاصوات الشجيّة التي تبعث ألحانها من على تلك الاشجار وتطير من غصن الى آخر. ويوجد في داخل الحمّام حوض كبير، مليء بالماء وتنتشر على سطح الماء أوراق الورود والقرنفل التي تبعث رائحة طيبة في تلك الانحاء كما يوجد داخل كل غرفة من غرفة الحمّام الصغيرة ماء في أجران(٢) من حجر المرمر، وقد صنعت بشكل فنّي بحيث يرغب المرء في مجرّد مشاهدتها، وهي متنوعة من أحجار المرمر (المظلم، الپيروزي، الكهربائي، عين السمك، العقيق اليمني،

١- فوطة الحمّام: هي قطعة قماش، يلف بها الناس وسطهم عندما يدخلون الحمّام لستر العورات وتسمّى (المئزر) أيضاً. (ر. ف)

٢- الجرن، أو الأجران هي الأحواض الحجرية الصغيرة التي تملأ بالماء، والتي يستعملها اي فرد يدخل الحمّام للاستحمام. (ر. ف)



المرمر السيلاني)(١) أمّا الأعمدة المنصوبة في قاعة الحمّام فهي من الحجر السمّاقي والمرمر وقد نقرت بشكل بحيث لا يستطيع حتى صانعو الأختام من التعامل معها أو صنعها. بينما استطاع البنّاؤون القدامى من إجراء الماء داخل هذه الأعمدة، وجميع أنابيب الماء في الحمّام والطّاسات التي تستعمل في الاستحمام مصنوعة من الذهب والفضة، والهواء الذي داخل الحمّام هو عليل وصاف لدرجة ان المرء يشعر بعد جلسة قصيرة هناك بأن الشباب قد عاد اليه مجدداً. وهناك قصائد شعرية كثيرة في موضوع الحمّامات قد كتبت بخطٍّ جميل على حواشي القبّة.

أما المدلّكون ذوي الحسن والجمال، الذين لفّوا فوطات الحرير حول اجسامهم، وأرسلوا خصلات شعرهم، فيأتون ويروحون حول الناس بالليف(٢) المطرّز والصابون المعطّر بحيث تفقد الانسان شعوره كما توجد هناك مجامر(٣) البخور والعود والعنبر وهي تشتعل وتنشر الروائح الطيّبة في الحمّام..

أقول باختصار، بأن القلم واللّسان يعجزان عن تصوير ووصف هذا القصر الفخم وهذه الحديقة التي تشبه الجنّة وهذا الحمّام الذي لا نظير له، فهذا الصنع الدقيق وهذا الحسن وهذه الأبّهة التي تشاهدها هنا لا مثيل لها. فهذا انا السائح الذي أقوم بالسياحة لمدة أربعين عاماً، لم أشاهد مثل هذه الاشياء في أي مكان آخر، فيقوم الماهرون في الصنائع هنا بأعمالهم التي لم يبقوا على اي نواقص

١- هذه أنواع المرمر التي كانت موجودة في ذلك الزمان، والتي وردت نصاً في الأصل التركي للكتاب. (ر. ف)

٢- الليفة: هو الكيس الذي يستعمل في الحمّام مع الصابون، لتنظيف الجسم من الأوساخ. (ر. ف)

٣- مجمره: منقل، مناقل، تصنع المجمره من التنك أو الحديد، وتوضع فيها الجمرات للتدفئة. (ر. ف)



فيها. أمّا عن المبالغ التي صرفت لإنجاز هذه الأعمال كلّها، فاللّه أعلم بها.

عندما قدم فاتح بغداد السلطان (مراد)(١) الى هذا الحمّام للاستحمام، فرأى ان الماء البارد تفوح منه رائحة الورود، أما الماء الحار فتفوح منهه رائحة البخور، ورأى خمسة غلمان سود العيون ذوو شعر طويل في غرفة للقيام بالتدليك مع خمسة فتيات جميلات لا مثيل لهن في عمر الزهور في غرفة اخرى للقيام بالخدمة ففرح بذلك كثيراً وقال (مالذي يحدث لو كان في استانبول خاصّتي حمّام مثل هذا)(٢)، وعندما قدمنا نحن مع ملك أحمد پاشا الى هذا الحمّام، قال الپاشا (لا وجود لمثل هذا الحمّام في كلّ ارجاء الدنيا)..

وليمة (الخان) للـ(پاشا):

عندما خرج الپاشا من الحمّام، قاموا بترتيب مأكولات الوليمة على السّماط المحمّدي حسب عادة الخان العالي المقام، فوضعت مائتان من الصحون الفضّية المختومة المليئة بالمأكولات الطيبة المذاق والطيّبة الرائحة، وكانت معظم الأكلات هي (التمّن الگوكي، التمن مع الزعفران، التمن مع چلآو، البرياني، التمن الدوري، التمّن على شكل شوربة، التمن مع درمان، التمن مع العود، التمن مع العنبر، كفتة التمّن، التمّن مع الفستق، التمن مع القاورمة، التمن مع اللّوز، التمن مع الكشمش، ماستي چوپره، قورتي چوپره، لاكشه چوپره، وانواع اخرى من الچوپره، اما التمن مع لحم القيچ والتمن مع الرمان، والانواع المختلفة من الكباب

١- يقصد به السلطان مراد.الرابع العثماني الذي انتزع مدينة بغداد من الفرس الصفويين في عام ١٦٣٨م. (ر. ف)

٢- سيرى القارئ الكريم بعد صفحات من هذا الكتاب، مالذي كان يضمره السلطان مراد من حسد و غلّ وشرّ لهذا الأمير الكوردي العالي الشأن (عبدال خان) ومالذي أوصى به للصدر الاعظم (ملك أحمد پاشا) الشرير الآخر، للانتقام من الأمير (عبدال خان). (ر. ف)

٣

فحدّث عنها ولا حرج)(١).

أمّا خدم الخان الذين كانوا قد تزيّنوا بمئات الانواع من الألبسة، قد شدّوا الأحزمة المنقوشة بالكلبدون(٢) على ظهورهم، وكل واحد منهم يحمل صينية في يديه، فكانوا ينحنون ويضعونها أمام الپاشا، أما المناشف والملاعق المفضّضة والكؤوس والأواني الصينية التي صفّت هنا، فلا أستطيع وصفها، جلس الپاشا والخان الى صفه بينما اصطفّ من أولاد الخان، ضياء الدين، بدرالدين، نورالدين وشرف الدين على الجانب الآخر للپاشا جالسين على مرافقهم، وبعد تناول الطعام جلبت الأباريق والأواني الذهبية الكبيرة(٣) لغسل الايادي بالصابون المعطّر، وبعد هذه الوليمة تم ترتيب سماط آخر فوضعت الملاعق الصدفية وملاعق خشب الجوز وملاعق الحديد والسيلان والعقيق، فدخل المجلس خمسون غلاماً خفيفو الدم، وهم يحملون خمسين كأساً فيها خمسون نوعاً من العصير(٤) والتي كان قد وضع فيها (قند الشام ونبات حماة)(٥) وبعد شرب هذا العصير دخلت

١- يلاحظ القارئ الكريم، ان معظم هذه المأكولات، لازالت معروفة، وقد يكون لكل زمان أكلاته الخاصّة به. (ر. ف)

٢- الكلبدون: خيوط ذهبية اللون، تخاط بها الملابس الفاخرة. (ر. ف)

٣- القصد بالأواني الكبيرة هنا، هو انّ الأيادي كانت تغسل قديماً في المجالس، في أواني متوسطة الحجم تشبه الطشوت، وفوقها غطاء حديدي على شكل طشت آخر مقلوباً، مع الاباريق المملوءة بالماء وكانت متداولة حتى قبل بضعة عقود من السنين، وكانت تسمى (ده ست شو). باللغة الكوردية. (ر. ف)

٤- في الأصل التركي، (خوشاف) وهو عصير كوردي محلّي لذيذ يوضع فيه الزبيب والمشمش المجفف أو الأجاص المجفف، ولازال هذا العصير يصنع محلياً في البيوت الكوردية حتى يومنا هذا. (ر. ف)

٥- القند، هو السكر باللغة الفارسية، وقند الشام، هو القند المجلوب من دمشق، اما (نبات حماة) فهو سكر النبات الموجود في مدينة (حماة) السورية. (ر. ف)



أنواع أخــرى من الأباريق والأواني لغـــسل الايدي وكـــانت هذه المرة من الفغفوري والمعادن النقية.

ثم جئ بالقهوة اليمنية في الفناجين الصينية والسحلب والقرني وشاي باديان والفالوذج مع الحليب(١) فتم تناولها ايضاً.

وفي صـبــاح كل يوم، كـانت انواع الحلويات والمربيّـات وعـصـيـر ال(ريباس)(٢) والكبادي(٣) المملّح والشقاقير والخيار وغيرها تجد طريقها الى المجلس أما في وجبة الظهر فكانت نفس العملية التي تحدّثنا عنها تجري يومياً، وكذلك في وجبة المساء. فالأيام العشرة التي كان الپاشا فيها ضيفاً على الخان كانت الضيافة فيها بذلك الطراز. كما كان هناك ثلاثة آلاف وستون شخصاً من الآغوات والصكبانية(٤) والـ(ساريجه)(٥) إلى ان يصل الأمر الى سائسي الخيول، كان طعامهم جميعاً لدى (الخان) العالي المقام، كما كانت كلّ الخيول حتى الضعيفة منها تصل إليها اكياسها المليئة بالعلف وكانت (قهوة) هؤلاء الناس جميعاً من عند الخان. وفي أحد الأيام، بعد تناول الطعام قال الخان للپاشا، لدينا بعض من لاعبي الاكرويات خفيفي الحركة فاذا كانت لديكم رغبة في مشاهدة ألعابهم، فلننزل الى

١- نوع من الحلوى، تصنع من العسل والدقيق والماء. (ر. ف)

٢- نبات الـ(ريواس) نبات معروف في كوردستان، يتناولون سويقه الحامض الطعم في الربيع، ويسمى (ريباس) بالعربية. (ر. ف)

٣- الكباري: من الاشجار الحمضية. (ر. ف)

٤- الصكبانية: مجموعة من الفرسان، كانوا يساعدون في الصيد ثم تحولّوا الى مجموعة مقاتلين متمرسين.

٥- ساريجه: مجموعة من المقاتلين كانوا يساعدون في الحفظ على الأمن الداخلي في الدولة العثمانية.

أوليا چلبي/ الترجمة الكوردية/ سعيد ناكام ص (٣٦٢).



الطابق السفلي الذي يشرف على الساحة لمشاهدة ملاعيبهم في علم السيمياء(١) وطيّ المكان والأشياء العجيبة) فقال الپاشا (لا مانع من ذلك فلنذهب لمشاهدتهم) فذهبوا الى الأيوان الذي يشرف على الساحة، وكانت جماهير غفيرة تحيط بالساحة من الأطراف الاربعة، وكانوا ينتظرون البدء بتلك الألعاب.

الالعاب العجيبة للاعبين:

في البداية ظهر پهلوان من العجم اسمه (زن گوزر) وكان يلبس لباساً من القماش الاسود تقدم نحو الپاشا وأنحنى أمامه، ثم أثنى على الرسول والخلفاء الاربعة والأثناعشر أماماً، ثم دعا للسلطان العثماني وملك احمد باشا والخان العالي المقام وأولاده، وطلب الرخصة للبدء بألعابه، فركض حول الساحة لمرة واحدة بسرعة بحيث لا تضاهيه فيها خيول السباق، وعندما جاء أمام الپاشا من جديد قال (يا اللّه) وقفز في الهواء ثلاث قفزات متعاقبة ثم وقع في مكانه، ثم قفز مثل الحمامة أربعة قفزات أخرى، وكانت حركاته سريعة بحيث لا يكاد يرى جسمه الملتوي مثل الكرة المدورة، ثم وقع على يديه ورجليه ودار مثل عجلة العربة وتدحرج على نفسه من هذا الطرف الى الطرف الآخر.

ثم بسطوا له قطعة قماش متكونة من (١٦) ذراعاً فأمسك بنهاية قطعة القماش وقفز مثل البرق الى الطرف الآخر، من دون ان نشعر بتحرّك القماش. وفي مكانين قريبين من بعضهما وضع ثلاثة كؤوس زجاجية فوق بعضها البعض، ثم نطق بـ(يا حيّ) وقفز واقفاً فوق تلك الكؤوس فلم يتحرك هو ولم تنكسر الكؤوس الزجاجية، ثم نزل ووضع ثلاثة كؤوس أخرى

١- علم السيمياء: علم قديم، يقصد به علم معرفة الحيل والخدع البصرية، مثل ألعاب السيرك والاكروبات والمشي على الحبال. (ر. ف)



فوق كل مجموعة منها ، فأصبحت كل مجموعة تتكون من ستة كؤوس، وكانت تلك الكؤوس خفيفة، بحيث كان من الممكن أن تتدحرج مع النفخة الواحدة، أما هو فابتعد حوالي (٤٠) الى (٥٠) خطوة عنها، وجاء راكضاً الى ان وصل قرب الكؤوس. فصاح وقفز برجليه ووقف على المجموعتين، واللّه أعلم أنه لم يتحرك وكذلك الكؤوس لم تتحرك، وهناك انحنى للپاشا ونزل الى الأرض.

منظر عجيب آخر:

كنت قد تحدثت قبل الآن عن (ملا محمد) الذي كان قد ركب حصانه الهزيل وما الذي فعله، وقد حضر هذا اليوم أيضاً الى الميدان بنفس هيئته المتّسخة مع عمامته التي تشبه عشّ اللقلق وملابسه الرثّه، فسلّم على الپاشا وقال باللغة الكوردية (لماذا لا ترسلون في طلبي لتناول الطعام، بل تطلبونني الآن وتريدون ان أقوم ببعض الألعاب العجيبة؟) ثم تملّكه الغضب وبدا بالشتم وبالألفاظ البذيئة، ثم قال (حيّ على الصلاة، فليحيا نسل الخان، وليحيا هذا الپاشا ، ولتسعد أرواح فيثاغورس، وأبو علي سينا وأخيه ابو حارث)(١). ثم وضع كيساً على الدائرة التي كان قد رسمها البهلوان (زن گوزر)، ثم رفع يده وقال (اسمعوني أيها الناس، فان كنتم من المتّقين للّه فعلاً فأصبروا على مشاهدتي، وان لم تكونوا كذلك، فأنصرفوا من هنا قبل فوات الأوان)، ثم بادر الى نزع جميع ملابسه وأصبح

١- فيثاغورس: فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، عاشَ في القرن السادس قبل الميلاد.

ابو علي سينا: ابن سينا، (٩٨٠- ١٠٣٧)م، فيلسوف وطبيب وعالم من كبار فلاسفة الاسلام وأطبائهم، عرف بالشيخ الرئيس، قال بفيض العلم عن الله، وله مؤلفات عديدة أشهرها القانون في الطب، توفي في همدان ببلاد فارس. (ر. ف)



مجرداً من كل شيء، ثم دار في الميدان عدّة مرات، ثم أتى الى قرب كيسه وقال (أيها الخان خاصّتي وأيها الپاشا، ربّما تعتقدون ان تجردّي من الملابس ودوراني أمامكم عارياً هو عمل غير مؤدب، لأنكم تعتقدون انني كشفت عن العورتين؟ لا يا اخوتي، الأمر ليس كذلك، أنظروا اليّ جيداً).
ثم سار أمامنا جميعاً فكانت عورتاه ممسوحتين ولم نر غير الجلد، بل كانتا صافيتين وملساءتين، من الطرفين، ثم جاء بالقرب من الكيس وأخرج منها قطعة قماش على شكل مئزر عدني مطرز بمختلف النقوش، ولفّها على وسطه، ثم بدأ بالتقلب والتشقلب والتدحرج والقفز والمشي على الأيدي، وكان يصرخ قائلاً (أيها العقلاء، أيها الغافلون، يا فلان بن فلان) ثم بدأ يذكر أسماء رجال الپاشا وآبائهم وأجدادهم ويوجّه لهم الكلام، ثم نهض من جديد وقام بنزع المئزر عن وسطه أمام أعيننا ووضعه على كتفه، فرأينا هذه المرّة عورتيه اللتان هما مثل بقية الرجال بكل وضوح، ثم بدأ بالركض والقفز والطيران، ولدى ارتفاعه فوق الملأ أمسك بقضيبه، ونثر بوله فوق الناس الذين كانوا موجودين، فكل من استطاع ان ينهزم فقد لاذ بالهزيمة، أما الآخرين فتبللوا ببوله، وبدأ الناس بالأشمئزاز منه قائلين (يا ترى من أين جاء هذا الرجل بكل هذا المطر الملعون فرشّ علينا هذه القذارة) أمّا الاكراد الذين يبدو انهم كانوا على معرفة بأفعال الملاّ، فكانوا يفتحون قبضات أيديهم لبول الملاّ ويمسحون بها على وجوههم، وتوجّه الملاّ راكضاً ومع رشّات بوله الى طرف الپاشا والخان، فلاذ الخان وأولاده بالهروب من المكان، ثم تحرك الپاشا ذاكراً (لا حول ولا قوة الاّ باللّه)، ودخل الغرفة، أما الفرش والوسائد المطرّزة بخيوط الذهب والتي كانوا جالسين عليها، فقد ابتلّت ببول الملاّ، وكأنها خرجت من تحت الفيضان، أمّا الخان فقال ضاحكاً (اضربوا طلقة على هذا الملحد) ثم رجع الملاّ الى مكانه، فرأيناه قد أصبح



من دون مئزر و لا بول و لا قضيب، وانّ جميع تلك الفرش والبسط، جافّة ونظيفة وكأنّ شيئاً لم يحدث، امّا الپاشا فلم يبق له الاّ أن يقول (سبحان اللّه) ويهزّ رأسه، أمّا الخان فخلع سترته السمّورية وأهداها الى الملاّ وقال له، (ايّها الملاّ، أرنا بعض الألعاب العجيبة والخطرة وليكن على خاطري)، فأجابه الملاّ (على العين والرأس)، ثم أضاف قائلاً (أيّها الخان أصدر الأوامر لهم بأغلاق أبواب وسلالم هذا الميدان، لكي تشاهدون ألعاباً مفرحة) فأمر الخان بأغلاق الأبواب والسلالم وتحوّل الميدان الى ما يشبه القلعة المحكمة، فاستخرج الملاّ قطعاً من القماش القديم وكمية من القطن من الكيس فسدّ بها جميع المنافذ والفتحات الموجودة في الأبواب والجدران، ثم أتى الى الكيس، فاستخرج منها كأساً وشرب جرعة أو جرعتين من الماء ورمى بالكأس الى داخل الكيس، ثم أخرج قضيبه وبدأ بالتبوّل، فرأينا أرتفاع المياه في هذا الميدان، وأزداد ارتفاعه شيئاً فشيئاً وعلت أمواجه، وما ان وصلت المياه الى ركاب الناس، حتى بدأوا بالصراخ والعويل قائلين (أفتحوا لنا الأبواب، فنحن لا تعرف السباحة، باللّه عليكم) فغضب الپاشا وقال للخان (ما هذا أيّها الخان، هل تقبل ان يغرق الناس في بيتك؟) فقال الخان (لا تخف ايها الپاشا، فليس هناك غرق في الامر، بل هذا فنّ من الفنون انتظر قليلاً)، فأدرك الناس أنه لا يأتي لنجدتهم لا الپاشا ولا الخان، فقاموا بسرعة وبدأوا بخلع ملابسهم، وكان منهم من يسبح عارياً، وآخرون يتوسّلون برفاقهم لأنقاذهم، وآخرون يلوذون ويتمّسكون بأصحابهم، وكان هناك من يتلو الشهادتين ويهيئ نفسه للغرق، وأمتلأ الميدان الكبير بالصراخ والصياح والاستنجاد، بشكل لا مثيل له، ثم قام (الملا محمد) باستخراج كأسين من الكيس العائد له، وجلس وأخذ يملأ أحد الكأسين بماء الفيضان، ويسكبه في الكأس الآخر، وما هي الاّ لحظتان، حتى هدأ



الفيضان ونزل، ولم تبق قطرة من الماء في الميدان، ولو رأيت الناس في ذلك الميدان، كنت شاهدت شخصاً وقد تعلّق بقضبان شباك ما، وآخر عارٍ من جميع ملابسه، وقد وضع ملابسه فوق رأسه، وآخر صعد أحد الجدران وآخر تعلق بجسم صاحبه، وبدأ كلّ من الپاشا والخان بالضحك الطويل لحدّ الأغماء، أمّا الألوف من الناس العراة فمن خجلهم، كانوا يحاولون اخفاء انفسهم عن الأنظار، وكانت وجوههم نحو الجدران، ولم يعرفوا ماذا يفعلون، وكان آخرون يتوسّلون قائلين (أين ملابسي، أين خنجري) كانت هذه حفلة رائعة لا تتكرر بعد ألف عام آخر من الآن.

جاء (الملا محمد) ووقف أمام الخان والپاشا، فقال له الخان، (أيها الملاّ انني أقسمك برأس هذا الپاشا، ان تعرض لنا المزيد من ألعابك، وبعدها لا نطلب منك اكثر) فقال الپاشا (أيها الخان، أطرد هذا الساحر، فلقد أصاب رجالي بالذعر والخوف) فقال له الخان (لا تهتم ايها الپاشا، لن يحدث شيء) وعندما أدرك الپاشا برغبة الخان في ذلك، قال مضطراً (حسناً، ولكن لنشاهد شيئاً مفرحاً) فاقترب (الملا محمد) من الكيس العائد له، وأخرج حبلاً ملوّناً منه ووضعه تحت مئزره، ثم جلس عليه، ثم وضعه في الكيس مجدداً فسمعنا خشخشة وحركة داخل الكيس واخرج ثعبان كبير رأسه من الكيس، ثم خرج الثعبان من الكيس شيئاً فشيئاً ومدّد نفسه على الرمال تحت أشعة الشمس، ثم هدأ قليلاً، ومن ثم تحرك مرة اخرى، ثم لمعت عيناه مثل المشعل، ثم تحولت أسنانه الى مثل أسنان الفيل خرجتا من جانبي رأسه، ثم نبت الشعر على جسمه مثل الثعالب، واستمرّ في الانتفاخ لمدة نصف ساعة حتى تحوّل الى مثل حجم الفيل، ثم دار حول نفسه وحول المكان ورجع الى جانب (الملاّ)، ثم قال (الملاّ) دعوني أركب هذا الوحش قليلاً، وعندما اقترب منه (الملاّ) ضربه الوحش بذيله، واوقعه ارضاً، فقال

الناس أذا كان هذا الوحش يفعل بالملاً ما فعله، فياترى مالذي سيفعله بنا، فلنهرب من هنا، فقاموا بتكسير الباب المواجه للجبل، وبدأوا بالفرار بجماعات تشبه الأمواج، فقام الملاً باخراج عصا مثل عصا الطبل من الكيس وضرب الوحش به، فرفع الوحش ذيله ورأسه فركبه الملاً، وبدأ بالهرولة حول الميدان، وكانت النار تخرج من فمه ومناخر انفه، وفي بعض المرات كان يضرب بذيله الارض فيتصاعد الغبار في أثره، وكان الناس يرتمي بعضهم في أحضان البعض مرتجفين من الخوف، وأصيب البعض منهم بالأغماء حتى ان رئيس الطباخين لدينا أصابه الأغماء ووقع هناك.

فاضطرب الپاشا وصاح قائلاً (ايها الملاً محمد الملعون، فليكن هذا الامر في بالك هل علمت؟) وعندما أدرك الملا محمد بان الپاشا قد غضب كثيراً، فتقدم نحو الپاشا راكباً على ظهر التنين وقال له (يا أيها الپاشا أدع لي بالخير، السلام عليكم) وخرج من بوابة القلعة وهو لا يزال راكباً، و توجّه نحو الجبل، ثم غاب عن الاعين، فتجمّع الناس في الميدان من جديد، وبدأ الحديث بينهم عن الملاً.

الأدوات التي يستعملها (الملاً) في علم السيمياء:

كان الكيس الذي يعود للملاً محمد، لا يزال هناك، فنادى الخان على أحدهم (آتوا بكيس الملا محمد، ولنلق نظرة على رأسماله)، ولكن الپاشا لم يرغب في ذلك وقال (بالله عليك يا خان، أرم بهذه الاشياء الملعونة) ولكنّ الخان قال (لا يا پاشا لا، فلنلق عليها نظرة).. ففتحوا فم الكيس وأخرجوا منه الأشياء التالية: بعض الخيوط الرفيعة من الصوف والصوف الناعم ووبر الجمال، بعض خيوط الاليـاف، بعض العلب التي تحتوي على بعض الادوية والاشياء الغريبة، بعض الاشواك، الكافور، شمع العسل، القير، العود، العنبر، القطران، پليان، الزقّوم واشياء اخرى، قطع من قماش



الجاوي والصيني الملّون والمخمل الكاشاني والتبغ الشامي، وكانت جميعها وسخة و متهرئة ولا تساوي فلساً وكانت بعض العلب تحوي الدهن والمعاجين والحلويات وبعض القطع المجففة من البطيخ والرقي والعجين والقرع، وبعض القماقم، كانت تحوي الحبر والعرق والخل والشراب والنفط والسندلوس، وبعض القطع من رؤوس الاغنام والماعز والحملان، وجمجمة أسد، وعدد كبير من الثعابين والعقارب وأم أربعة واربعين الميّتة، وأظلاف واسنان الحمير والبغال والخيول والخنازير، وفي بعض العلب الاخرى وجدت بعض القواقع وجمجمة قديمة للانسان، وبعض القطع من جماجم الأسود والنمور، وقطع من جلود بعض الحيوانات مثل السنّور وإبن عرس والقاقم والفهد.. والتي كانت جميعها لا تساوي قرشاً واحداً، فقال الپاشا متعجباً (يا عزيزي الخان، ما هي فائدة هذه الاشياء التافهة؟ ففيها العرق والشراب والخل)، فقال الخان (يا پاشا، هذه مدة ثلاث سنوات، وصل فيها هذا الرجل الى هنا، وخلال تلك المدّة، لم يتذوق هذا الرجل الشراب أو التبغ أو القهوة وهو يصوم في النهار صوم داود (١) ويصلّي في الليل، وحتى الآن لم يأكل لحم أي حيوان من التي تسيل دماؤها أو تذبح، ولم تفته اية صلاة، ولم يقم بقضاء أية واحدة منها، ولقد تعلّم علم السيمياء هذا في مدينة (مراكش) المغربية، وقد عرض علمه اليوم امامكم من أجل الأستمتاع، ولكن أستطيع القول، ان كل ما عرضه هو محض خيال ولا ضرر فيه لأحد)، فقال الپاشا (فلماذا قام بأصطياد تلك الحيوانات، ولماذا جمع جلودها) فقال الخان (ان سؤالك وجيه، فالأشياء التي عرضها أمامنا، انما يقوم بها بواسطة هذه الاشياء التي خلقها الله، وهذه الألعاب تتطلب

١- يقصد به صوم النبي داود عليه السلام، إذ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، كما روي عنه في حديث شريف. (ر. ف)



البراعة والحذق، فمثلاً: عندما وضع نوعاً من الدهون على جسمه ظهر امام أعيننا وكأنه لا يملك الاعضاء الذكرية في جسمه، وعندما نشر بعض الروائح والأدوية، ظهر أمام أعيننا وكأنه يطير في الجوّ، وكان يسكب الماء من احد القماقم، فظنّ الناس انّه يتبوّل عليهم، وسكب جرعة من الماء على الارض، فظهر لنا وكأنّ الفيضان أتى على المكان، وعلا صياح وصراخ الناس وبدأوا بخلع ملابسهم، وأخرج ثعباناً من الكيس، فتحوّل امام أعيننا الى تنّين، ولكنه خوفاً منك هرب تاركاً كيسه، وأية قطعة من جلد ايّ حيوان موجودة في الكيس، يستطيع هو ان يريها للناظرين وكأنّه حيوان حي، لهذا السبب يحتفظ بهذه الجلود). فقال الپاشا (أبعدوا كيس هذا الساحر من هنا، انني ارغب في مشاهدة الالعاب الپهلوانية) فنودي مرة اخرى على الپهلوان (زن گوزر)، فأتى وبدأ بقرع طبله.

ان سطح بيت الخان يعلو على جميع السطوح من جهة الشرق، اما الجهة السفلى للبيت فهو مضيق عميق، لا يجرؤ أحد من النظر اليه، وارتفاعه هو ضعف ارتفاع منارة السليمانية(١)، و قبل الآن بيوم أو يومين، كانوا قد أتوا وكسّروا الأحجار الموجودة هناك وقاموا بتسويتها، ونشروا عليها الرمل، فكان هذا الپهلوان يعرف بأنه سيقيم العابه هناك، لذا قام بجلب كيسين من الازبال و الطين الناعم، ووضعها هناك على السطح.

تقدّم الپهلوان الى الپاشا وانحنى امامه وقال (ايها الزعيم ملك پاشا،لي رجاء واحد منك، ارجو ان تتفضلوا بالجلوس في الشرفة التي تطل على الجبل، لكي تروا ما أقدّمه لكم) فقام كل من الپاشا والخان ومن معهم من أتباع، بالجلوس هناك.

١- جامع السليمانية في استانبول الذي بناه السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠- ١٥٦٦م). (ر. ف)



وبدأ طاقم البهلوان بضرب الدفوف والطبول، أما البهلوان فاعتلى السطح وبدأ بتلاوة بعض الأدعية، ثم قال (ايها الناس انّ ما سأفعله الآن، ليس فناً من الفنون، بل هو فداء وتضحية، ارجو ان لا تنسوا ذكري وان تدعون لي بالخير، صلّوا على النبي، أما انا فوداعاً..) فقام البهلوان الظالم بوضع الكيس المزدوج للأزبال والرمال تحته وثبته جيداً، ورمى بنفسه من ذلك العلوّ الذي يناهز ارتفاع منارتين، وطار مثل النسر في الهواء، وقبل ان يصل الى الارض، قام بحركة شقلبة في الهواء على الكيس الذي تحته وحطّ على الأرض بالسلاّمة ونهض واقفاً، وكان هناك حصان مربوط ينتظره، فأعتلى ظهره وصعد مرة اخرى ووقف امام الپاشا، فقدّم له الپاشا كيساً من القروش، ثم عدنا الى الايوان الموجود في الميدان.. ثم قام طاقم البهلوان بقرع الطبول مرة اخرى، فأخرج البهلوان مطرقة و مسمارين من جيبه، وقال للخان (لو أذن لي الخان فأنني سأتسلق الجدار الذي يعلو لـ(٨٠) ذراعاً، فأذن له الخان، ودعا له بالنجاح، فوقف البهلوان تحت الجدار، وقرأ بعض الادعية، ومدّ يديه الى حيث ما تصل الى الاعلى، فدقّ احد المسمارين، ووضع المطرقة في حزامه وصعد الى ذلك المسمار الذي كان بطول شبر ونصف) وكان قد نفذ الى الجدار بعمق اكثر من نصف شبر فجلس على المسمار وقام ببعض الحركات والألعاب العجيبة، ثم نهض واقفاً على المسمار، ودقّ المسمار الثاني الى حيث تصل يداه، وقفز واقفاً على الثاني، والتفّ مثل الحيّة حول المسمار وأحنى رأسه وجسمه نحو الاسفل، وضرب بالمطرقة على المسمار السفلي حتى أرخاه وأخرجه ونهض ووقف على المسمار العلوي من جديد، ودقّ المسمار الآخر في الاعلى وقام ببعض الحركات البهلوانية عليه، وبدأ من جديد بإخراج المسمار السفلي ودقه في الاعلى وهكذا، الى ان ارتفع الى علوّ (٩) قامة من قامات الرجال حينها اخرج كيس التبغ من حزامه ووضعه على المسمار السفلي بينما



كانت رجله على المسمار العلوي وبدأ يمسك غليونه ووضع رأسه على المسمار بينما كان يهزّ رجليه في الاعلى.

نقول باختصار انه دقّ المسمار وأخرجه (٤٧) مرة، الى ان وصل الى السطح، وهناك بدأ بتلاوة بعض الادعية، ثم ضرب المطرقة والمسامير مع بعضها البعض، ثم رماها الى الاسفل، وصاح قائلاً (أيّها المسلمون، كانت آلاتي هي المطرقة والمسامير، فقلد رميتها، فكيف سأنزل من هذا المكان، فلا حلّ لي، غير ان ارمي بنفسي الى الاسفل، واللّه اعلم بانني قد برأتكم من دمي، فأدعوا لي بالخير) قال هذا واخرج من جيبه زوجاً من الكفوف، فلبسها في يديه، وبعد النطق بأسم اللّه ويا اللّه رمى بنفسه فتعالى صراخ الناس وقالوا بأن البهلوان انتحر، ولكن كفوف البهلوان كانت مصنوعة من الحرير، وكان هناك خيط حريري رفيع يرتبط بكل كفّ من الكفوف، كان قد ثبّت رجليه على الحائط، ونزع الكفّين بكل براعة من يديه، ووصل الارض بكل هدوء، ونهض واقفاً، فرمى له الپاشا بحفنتين من الذهب.

في الوقت الذي كنّا نشاهد فيه هذه الألعاب البهلوانية، كان هناك قريب من أقرباء حكّام (هكاري) كان يجلس الى جانب الخان مباشرة وكان رجلاً عالماً ووجيهاً. يدعى (ملا علي).. وكان رجلاً مشهوراً في تسلّق الجبال، عندما شاهد هذه الالعاب تحرّك لديه العصب الكوردي، فقال للخان (يا زعيمي هل يجوز ان تأتي برجل سارق غريب، يصعد الى سطح منزلك بواسطة الألعاب البهلوانية، ألا يستطيع هو ان يصعد بنفس الطريقة الى السطح، وأن يقوم بعمل شرير؟ ودون ان تفكرّوا بكل ذلك تصفّقون له وتنثرون عليه الذهب، انا لم احترف مثل هذه الأفعال، ولكن أنظروني ماذا سأفعل)، قال ذلك ونزل الى الأسفل، وفي الأسفل خلع عنه السترة السمّورية، ثم تمشى قليلاً وقال (لقد صعد هذا البهلوان الى السطح بواسطة



المطرقة والمسامير، فأنظروا اليّ وشاهدوا كيف سأصعد؟) ثم حرّك يده على الجدار، الا أن شاهد له شقّاً صغيراً بين حجرين وقال (يا حيّ) ثم ثبّت أصابعه في ذلك الشّق، وثبّت أصبع قدمه في شق آخر، ثم صعد الى الأعلى شيئاً فشيئاً مثل (السحلية)(١)، الى أن وصل الى السطح، وفي السطح مشى بضع مرآت، ثم نزل من السلالم الداخلية للقصر، وأتى وجلس الى جانب الخان وطلب المعذرة من الپاشا، فقال له الپاشا (أيّها البگ، لا كلام لي حول براعتك، ففي عام (٥٣)(٢) عندما قدمت من هكاري الى دياربكر، كنت قد عرفت مهارتك، ويسعدني أن أراك هنا مرة اخرى) قدّم له الپاشا كيساً من القروش وأهداه خلعة من الملابس وحصاناً، وزوّده برسالة صداقة موجّهة الى (خان هكاري)..

المهن والحرف اليدوية لأهالي بدليس:

أن أول شخصٍ يجب أن نتحدث عنه ونذكر أسمه في مجال الحرف اليدوية هو الخان عالي المقام، الذي يجيد سبعمائة فنٍ من الفنون وهو فريد عصره وهو نفسه يملك منظراً عجيباً فهو قصير القامة، قصير العنق، حنطيّ اللون، ذو أنف بارز، أزرق العينين، حلو الكلام، ذو وجه منوّر، ذو آذان صغيرة، كثُّ اللحية والشاربين، وقد وصل عمره الآن لحدود السبعين ولا يزال نشيطاً وقويّاً، له صوت جهوري وذو أكتاف عريضة، يداه كأيدي الأسود، وزنوده رجاليّة، نحيف الخاصرة وطويل الساقين، أما قيامه وقعوده فيتصفان بالمرونة والهدوء..

أنّ السيوف من أنواع (شيخاني ومقراوي) والطبر التي تصنع من قبل

١- السحلية: من السحالي، وهي حيوانات زاحفة، ويقصد بها المؤلف هنا تلك السحالي التي تصعد جدران المنازل، وتسمى في العراق بـ(أبو بريص).. (ر. ف)

٢- يقصد به عام (٩٥٣) هجرية. (ر. ف)



حدادي بدليس لا وجود لأمثالها في أية مدينة أخرى، وانّ الخيّاطين الذين يخيطون الملابس هنا، لا وجود لمكان الخياطة في ملابسهم، أما الدّباغون فيقومون بصناعة أنواع الجلود الصفراء والوردية والأجاصيّة والسّماوية والرمادية والملونة والحمراء والحمراء الفاتحة والخضراء والبنفسجية، وهي متقنة بشكل وكأنها من الورق (الخطائي والأحمد آبادي)(١) فهي ناعمة وملساء براقة، وصناعة الجلود هذه هي صناعة فريدة خاصة بأهل هذه المدينة أذ يشتريها المسافرون والمارّة ويقدّمونها كهدايا الى أصحابهم في المدن الأخرى، أمّا للبيع فتصل هذه الجلود حتى بلاد الأفرنج فهي مرغوبة جداً لديهم هناك، لأنهم هناك انما يتواجد لديهم الجلد (الكودري وتلاتين) ولا وجود لهذه الأنواع المذكورة لديهم. كما أن الأقواس والسهام التي تصنع هنا مشهورة أيضاً.

أهاليها:

ان عشرة آلاف شخص من أبناء هذه المدينة يعملون في خدمة (الخان) العالي المقام، ويستلمون رواتبهم منه، وهم يتقلّدون السيوف الشيخانيّة والمقراوية ليلاً ونهاراً، ويحملون على أكتافهم الدروع الحلبية، ويمسكون بأيديهم العصي المدوّرة الرؤوس ويضعون على رؤوسهم العمامات الصفراء والزرقاء والسوداء والحمراء والزرنيخية، ومن غير هؤلاء فلديهم رجال معتبرون آخرون ووجهاء يستلمون رواتب خاصة.

أما تجّارهم، فيذهبون بتجارتهم حتى بلاد العجم وگورجستان(٢) اذ يأخذون

١- أنواع السيوف وأنواع الجلود وأنواع الخطّ، قمت بكتابتها كما وردت في المتن التركي، لكي يعرف القارئ الكريم، الأسماء المتداولة لتلك الأغراض في ذلك الزمان. (ر. ف)

٢- گورجستان: سبق وأن أشرنا بأن (گورجستان) هي جمهورية (جورجيا) السوفياتية السابقة، والتي تحادد أراضيها، أراضي شمال كوردستان. (ر. ف)



المتاع من هنا ويجلبون الأقمشة من هناك، كما يوجد بينهم من يقوم بأعمال مختلفة.

محاصيلها:

بما أنّ هذه المدينة تقع في منطقة جبلية عالية، وأراضيها صخرية، فتنتشر البساتين الجميلة فيها، أما الحقول الزراعية فقليلة، فتأتي اليهم الحبوب والقمح من (راه آوه) وسهل (موش)، أمّا أبناء القرى الكوردية التي تقع بين الجبال، فيصنعون الخبز من الذّرة، ومن الفواكه يوجد لديهم (١٥) نوعاً من الكمثرى، وقد أشتهرت في المنطقة بجودتها.

مأكولاتها ومشروباتها:

الخبز الأبيض، الرغيف الكبير، والأبيض الذي يشبه الورود، الخبز الحلقي الذي يسمى بالـ(كمك)، الكاهي مع القيمر، البقلاوة، كفتة لحوم القبج، حساء اللبن(١)، چاجيغلي، جبن قجيل، خلايا العسل، كباب لحم القبج، مع التمن على لحم القبج، وهو مشهور بينهم.

شربت كوكناو، شربت الرمان، شربت آوشيله، شربت الـ(ريباس)، شربت المثلث، عصير المشمش وشربت العسل وهو لذيذ ومشهور.

عماراتها:

منذ القديم كانت خانات شرفخان والخاتونية قائمة ومفتوحة وكان الطعام الذي يقدّم فيها، يكفي لكل المسافرين والغرباء والفقراء أمّا الآن فقد اضطربت أوقافها، ويقدم الحساء فيها في ليالي رمضان وشهر عاشوراء(٢)فقط، وحتى هذا الحساء لا يطلبه الكثيرون، لأنّ أبواب بيوت

١- الحساء: وتسمّى (شوربة) في اللغة العامية العراقية، وهي متداولة في اللغة الكوردية أيضاً. (ر. ف)

٢- لقد وردت لفظة (شهر عاشوراء) في النص التركي، وهو في الحقيقة ليس شهراً اذ يقصد المؤلف به الأيام العشرة الأولى من شهر محرّم الحرام، في التقويم الهجري، ويسمّى اليوم العاشر منه بيوم عاشوراء. (ر. ف)



الأغنياء والوجهاء مفتوحة على الدوام للمسافرين والمحتاجين.

متنزهاتها:

أنّ الوديان السبعة عشر والأثنا عشر ألف بستاناً التي ذكرناها، كل واحد منها بمثابة متنزه، ومنها: حديقة الخان، حديقة الأمير، حديقة باغدو، حديقة أويخ، وجميعها مشهورة.. واحدى المتنزهات الاخرى هي بحيرة الـ(خان) التي تقع في محلة (تقلبان) والتي تسير فيها القوارب، اما ساحة سباق الخيول فتقع بالقرب من مسجد شرفخان، اذ يأتي اليها في كل أسبوع المقاتلون والجنود والفرسان من عشيرة (روژكي) فيتدربون على الفروسية ويلعبون الكرة والصولجان.

تعريف لعبة الكرة والصولجان:

ينصب شاخص حجري من قطعة واحدة في أحد طرفي الميدان، وكذلك في الطرف الآخر، أذ يقف في كل طرف مئات من الفرسان، وفي يد كل واحد منهم عصا ذو رأس مدوّر مغلف بالنحاس الأصفر وتوضع في وسط الميدان كرة مصنوعة من الخشب بقدر رأس انسان، يبدأون اللعبة أولاً بدقّ الطبول وبعزف المزمار، وعندما يعلو صوت الطبول يخرج من كل طرف فارس واحد، ويهاجمان على الكرة بكل سرعة، فأيّ واحد منهما يصل الكرة أولاً يحاول ضرب الكرة بالعصا التي في يده ويرميها الى الطرف الذي يقف فيه أصحابه، قرب الشاخص الحجري الذي يعود لهم، اما الفارس الآخر الذي كان خصمه، فيحاول بكل قوّة أخذ الكرة منه، وضربها صوب جماعته، وعندما يتنافس الأثنان على الكرة، يهبُّ الفرسان من الطرفين ويهاجمان على وسط الميدان ويحدث صخب وضجيج، أما الكرة البائسة، فمن نتيجة الضرب بالعصا بشكل مستمر، قد تتجزأ الى اجزاء، وفي النتيجة فاي فريق يستطيع توصيل الكرة الى طرفه فيعتبر هو الفائز،



أما الطرف الخاسر فيجب ان يقيم وليمة كبيرة للطرف الرابح.

في الحقيقة، تستحق هذه اللعبة، مشاهدتها، وفي كثير من الاحيان يقع الضرب، بالعصا في هذه اللعبة على سيقان الخيول فتنكسر، اما الخيول فلقد تعوّدت هذه اللعبة، من كثرة القيام بها، فهي تشبه القطط، اذ تكون عيونها مركزة على الكرة في اي طرف كانت، وفي عدة أحيان حدث شجار في هذه اللعبة وسالت الدماء بسبب ذلك، أما الآن فيتفقون قبل اجراء اللعبة على ذلك، فأي طرف يستطيع أخذ الكرة لطرفه لخمس مرات أو عشر مرات، فمن حقه ان يطالب الطرف الخاسر بأقامة وليمة له، ان هذه اللعبة المنتشرة في جميع بلاد كوردستان وبلاد العجم، تسمّى بلعبة الأبطال.

كما يوجد في هذا الميدان عمود خشبي آخر مرتفع ومثبت في الميدان، وهناك كأس فضية معلّقة في أعلى العمود، فيأتي الفرسان الكورد من الطرف الآخر من الميدان وهم ممتطون ظهور خيولهم، ويجعلون خيولهم تسابق الريح وفي تلك الأثناء وفي وضع مقلوب على ظهر الفرس، يرمون ذلك الكأس بالسهم، وأي فارس يصيب الكأس بالسهم، فتهدى اليه كأس فضية من قبل الخان.

أمّا عين ماء الأسكندر خلف القلعة فهو ايضاً متنزه يقع بين المروج والرياض الزاهرة الجميلة، قد صنعت فيها محلاّت للجلوس.

أمّا متنزه جبل (ديوان) الذي صنع فيه الأسكندر في وقته سداً، لدى نيّته احتلال بدليس، ورغم ان السدّ صغير وماؤه ليس بالكثير، ولكن قمة الجبل زيّنت ورتبت بشكل هندسي بارع وساحر، بحيث يمكن مشاهدة الجبال العالية الاخرى منها، مثل جبل نمرود وجبل مودكي وجبل موش وجبل كوار، ولذا فهو متنزه طيّب.



مزارات مدينة بدليس:

يقع مرقد الشيخ الكبير الظاهري والباطني ورجل الدين البارز (الشيخ أبو طاهر) الذي شوهدت منه آلاف الكرامات داخل مدرسة ورسنكي كما ان مرقد (شيخ العرب) هو مرقد مبارك، أمّا عالم الحديث والتفسير (شيخ حسن قناخي) فيوجد قبره في زاوية قرب جسر (الخاتونية)، أمّا قبر الشيخ (علمدار) والذي كان رجلاً بارزاً فموجود هنا أيضاً.

وهكذا قضينا مع ملك أحمد پاشا تسعة ليالي مع تسعة نهارات مليئة بالسرور والفرح في مدينة بدليس، وقد كتبت عن كلّ ما فهمته ووقعت عليه عيناي وفي اليوم العاشر، هيّأ الپاشا نفسه للسفر نحو (وان)، أمّا الهدايا التي قدّمها الخان عالي المقام للپاشا فكانت كما يلي:

ثلاثة فتيات باكرات، ثلاثة من الغلمان المُرد(١)، عشرة خيول أصيلة مع السراج واللجام المجوهر والسلسلة الذهبية لكل واحد، ثلاثة بنادق مازندرانية مجوهرة، تفسير القاضي والبغوي والكشاف والقاموس، وتقويم البلدان، عشرون مجلداً من الكتب الشاهانية، ثلاثة زوالي حريرية أصفهانية، ثلاثة قطع من اللباد النخچواني، أربعون سيفاً ألونياً، أحمال عشرة بغال وعشرة جمال من النواعم.. ولدى تقديم هذه الهدايا، قال الخان بكل تواضع (أرجو ان تقبلوا مني هذه الهدايا) وقبّل أيدي الپاشا، وما عدا هذه، قدّم للپاشا فرساً أصيلاً مع سرج منقوش وفرساً من نوع (يلكندز) مع حمل بغل للـ(كتخدا)(٢) التابع للپاشا، كما قدّم الهدايا لـ(٢١) شخصاً

١- سبق ان تحدثنا عن الجواري والغلمان الذين يحصل عليهم المسلمون في فتوحاتهم مع الشعوب التي لا تقبل الدخول في الاسلام، وكلمة (مُرد) هي جَمع (أمرد) أي الشاب الذي لم تظهر لحيته وشارباه. (ر. ف)

٢- كتخدا: هو في الأصل (مختار القرية) ولكنه في التشكيلات الادارية، يعادل وكيل السلطان، أو وكيل الخان أو الپاشا. (ر. ف)



من الوجهاء الذين كانوا بمعيّة الپاشا، لكل واحد فرس أصيل، كما قدّم للذين هم أدنى مرتبة منهم، سبعون فرساً، وكان كل فرس يساوي كيساً.(١)

أمّا الپاشا فقدم هو الآخر لدى التوديع، صدرية من الجلد السمّوري الأبيض ووضعها على اكتاف الخان، وهذه الصدريات صادرة من السراي السلطاني تحديداً ولا مثيل لها على الاطلاق، كما قام الپاشا بخلع حزام ظهره الذي كان منقوشاً بالجواهر، مع خنجره الشخصي وسكّينه، وربط الحزام حول ظهر الخان كما قام بتكريم الأبناء الأربعة للخان مع شاكر آغا (الكتخدا) كل بصدرية من الجلود السمّورية، بحيث كانت كل صدرية تساوي أكثر من ألف قرش، كما قدّم هدية لزوجة الخان وهي عبارة عن جلد سمّوري مع تاج مجوهر مع سبعين قطعة من القماش الفاخر جداً. من نوع (شيب) والذي كان مخيطاً بخيوط الذهب كما ارسل بضعة حبّات من الألماس والياقوت والزبرجد واللآلئ الكبيرة، لها، عن طريق (عنبر آغا)، كما أهدى لأتباع الخان وطبّاخه والسبعين رئيساً من رؤساء العشائر التابعين للخان، عدة أنواع من (الچوخ) و أقمشة الحزام الفاخر والمتوسط الثمن، ففرح الخان بذلك، كما سرّ بذلك أهالي بدليس.

في الأيام العشرة التي قضيناها بين أهالي بدليس، كان قد تكوّن بيننا نوع من الصداقة والألفة بحيث لا يمكن وصفها، وكذلك كان الپاشا والخان قد قاما بتقوية أوامر الصداقة والأحترام بينهما، بحيث جعلوها أشبه ما

١- الكيس: هو كيس صغير كانت توضع فيه كمية من الليرات الذهبية لتقديمها كهدايا جاهزة، تقدّم للاشخاص المرموقين في الدولة أو من الذين يأتون بأفعال باهرة. (ر. ف)



تكون بقصر البرامكة.(١)

خرجت أعلام الپاشا (أطواغ) مع أثني عشر ألفاً من العساكر توجّهوا الى طريق (أووا) وفي اليوم الأخري تمّ التوديع بين الپاشا والخان، فقاما بتقبيل بعضهما البعض، ثم ركبا الخيول وبدءآ بالسير كتفاً الى كتف، سائرين في وديان بدليس، صوب (وان) ووصلا الى طريق (أووا) وكانت قد نصبت في ذلك المرج حوالي (٤٠- ٥٠) خيمة، فطلب الخان من الپاشا الترّجل هنا، اذ كان قد تمّ اعداد وجبة غذائية فاخرة تليق بالخان، وبعد تناول الطعام، قام (الخان) بالامساك بيدي ولديه حسن وحسين وأتى بهما أمام الپاشا وقال (السخيّ من يعطي ما ملك، وبالنسبة لي فلا أملك أغلى من هذين الولدين، فقد أتيت بهما لخدمتكم، أرجو قبولهما كخادمين لديكم...) وكان كل من حسن وحسين قد وضع في يده شماماً عنبرياً طازجاً، فأخرج كل واحد منهما نسخة من القرآن الكريم وقدّماها للپاشا(٢) فقام الپاشا بتقبيل كلٍّ من الولدين وأجلس كل واحد منهما في

١- يقول المترجم للكوردية الاستاذ سعيد ناكام في هذا الهامش:
هذه اشارة الى نكبة البرامكة على أيدي هارون الرشيد العباسي، ففي البداية كانت الصداقة والمحبة قد رسخت بينهما، الى درجة انّ الخليفة، كان يأخذ معه جعفر البرمكي، الى داخل بيته وبين عائلته، وأمام أخته (العبّاسة)، ولكنه انقلب عليهم فجأة وقام بابادتهم، بحيث لم يبق على ذكرٍ حيّ من هذه العائلة.
الصفحة ١٤٧ من الترجمة الكوردية للكُتاب

٢- يقول المترجم للكوردية الاستاذ سعيد ناكام في هذا الهامش:
انّ عبدال خان الذي كان شيخاً عاقلاً وبعيد النظر جداً، كان قد فهم النيّة السيئة والنفسية الشريرة لهذا الپاشا الحاقد، وكان قد عرف مدى الغيرة التي يخفيها، على هذه البلاد ومؤسساتها، وكان قد أطّلع على مدى الفرق الهائل بينه وبين الپاشا من حيث العلم والمعرفة لدى الخان ومن حيث الاعمار والتقدم في بدليس، فمع هذا (الپاشا) الذي كان صدراً اعظماً في السابق وصهر سلطان استانبول، الذي لم يكن يهمّه غير القوة والسلطة، ولا يفتخر بغيرها، وكان كلّ ذلك أصبح عقدة على قلب الپاشا، وانّ كل الخدمة التي قدّمها الخان والهدايا التي أهداها، والصداقة التي أراد



طرف من أطرافه وقال للخان (أيّها الخان العزيز، أستغفر اللّه، أي خادمين تقصد، فان هذين الأميرين أصبحا مثل أبنائي، أرجو أن يكونا لديكم لكي يحصلا على كمال العلم والمعرفة، وان شاء اللّه ساجعل منهما مشعلين منيرين)(١)، ثم دخل الپاشا والخان الى خيمة منفصلة، وتحدّثا كثيراً، فقال الپاشا ما يلي للخان:

نصيحة ملك أحمد پاشا للخان عالي المقام(٢)

(يا أخي الخان، في عام ١٠٤٥، عندما حلّ السلطان مراد الرابع ضيفاً عليك هنا، كنت أنا معه بصفة مرافق وسلاحدار، وفي تلك المرة أيضاً مثل هذه المرّة، تناولنا الكثير من طعامك، وقد أحبّك السلطان ودخلت قلبه، الى درجة انّه أضاف خراج (موش) الى خزينتك، وأعطاك ايّاها الى الأبد،

تثبيتها، فان كل ذلك لم يذهب الغيرة من قلبه، وان نار الحقد الأسود في نفسه، لم تكن لتنطفئ الاّ بتوجيه ضربة غادرة للخان، وكانت المحاولة الأخيرة، هي عندما قدّم الخان ولديه مع القرآن في أيديهما، على أمل دفعه للتراجع عن القتال وكان المفروض بالپاشا من الجانب الديني والانساني، ان تدخل الرأفة في قلبه وان يكفّ عن نية القتال، ولكن كما يظهر بعد ذلك فان كل هذا لم ينفع معه، بل قام بعمله العدواني معه. ص (١٤٧- ١٤٨) من الترجمة الكوردية.

١- هامش المترجم للغة الكوردية:

كانت عادة متبعة لدى العثمانيين، عندما يضعون أيديهم على رأس أحد ويقولون بأن (هذا هو مشعلي الوضّاء) فانّه سيجعل من ذلك الشخص بعدها، وكأنّه يتبناه، ويصبح في رعايته. ص (١٤٨) من الترجمة الكوردية.

هامش المترجم للغة الكوردية:

٢- من المعلوم، ان الحديث الذي جرى بين الپاشا والخان في خيمة منعزلة، لم يسمعه احد وأن ما كتبه (اوليا چلبي) هو من ترديد كلام الپاشا له، لذا فبعد انتهاء القتال واحتلال بدليس، يقول ملك أحمد پاشا لـ(أوليا چلبي)... (لقد أجريت هذا القتال، بناءً على توصية السلطان مراد، الذي كان قد طلب منّي، أخذ الثأر من عبدال خان) ص (١٤٨) من الترجمة الكوردية.



وجعلك سراجاً لديه، ولكنك كنت لا تزال شاباً في ذلك الوقت، وفي عام ١٠٤٨(١) عندما استولى مراد خان على بغداد ورجع الى دياربكر، لم تذهب اليه لرؤيته وتبريك غزوته، وكان السلطان قد غضب من ذلك كثيراً وقال لي (يا أحمد عليك أن تأخذ بثأري من يوسف حاكم (المزوري) وعبدال خان البدليسي)، ولقد رحل هو من هذه الدنيا، أمّا انا فلقد بقيت والياً على دياربكر، فجمعت الجيوش وتوجهت لقتال يوسف خان حاكم (المزوري) في العمادية، فقتلت منهم (٧٠٠) شخصاً، وقبضت عليه شخصياً وجلبته الى دياربكر كأسير، ثم أطلقت سراحه وأعدت له حكمه، وحسب علمي فانك تعرف كل ذلك، ثم قمت وحسب أوامر مراد خان بجمع الجيوش لنتوجّه لقتالك، ولقد وصلت حتى قلعة (ميافارقين)، ولكن وجهاء المنطقة دخلوا بيننا، فأخذت منكم (٧٠) كيساً مع نهب أشياء اخرى كثيرة، وغضضت النظر عنكم، وتوجهت بذلك الجيش اللجب نحو الكورد ذوي الشعر الطويل في جبل سنجار، فقتلت منهم ما يقارب العشرة آلاف، وأسرت منهم العدد الكثير، ونهبت منهم أشياء لا تعد و لا تحصى ورجعت الى دياربكر، وانت مطلّع على ذلك أيضاً. يا أخي الخان، عندما كنت والياً على أرضروم، كنت شاباً وبسبب ذلك، لم تكن هادئاً، فالأكراد الذين توجهوا من أيالة أرضروم الى المصايف في (هزار گول) للاصطياف والرعي، قمت بأخذ (٧٠) ألف رأساً من الغنم منهم، بحجة أخذ ضريبة العشر، وتوجّه أصحاب تلك الاغنام لطرفي وقدّموا الشكوى فقمت بارسال رسالة صداقة لكم، بيد (الحاجب) الذي لديّ، وفي جواب الرسالة كنت قد ذكرت: (أنا لست في أيالته، وأنا أيضاً (خان) عالي المقام، فما هي علاقة

١- يقصد بذلك احتلال بغداد في عام ١٦٣٨م من قبل السلطان العثماني مراد الرابع. (ر. ف)



ملك أحمد پاشا بي؟) وقيل بأنّك مزّقت رسالتي، وكنت قد أمرت بقتل (الحاجب) خاصّتي، وكان (علي آغا المودكي) قد ترجّى منك كثيراً، لكي لا تقتل (الحاجب)، ورجع الى أرضروم، لذا قمت بجمع العساكر لكي أتوجّه لقتالكم، ولكن السلطان (ابراهيم خان) عزلني من ولاية (أرضروم)، لذا خرجت من يدي أيضاً. أمّا الآن فلقد مضى ما مضى اذ كنت حينذاك شاباً يافعاً، أمّا الآن فبفضل الله، قد التقينا من جديد، ولقد تناولنا الكثير من طعامك وانعامك مرة اخرى، وأفضالك كثيرة علينا، لذا أرجوك يا أخي الخان، ان تعلم بأنني وزير في البلاط العثماني ولست فقط حاكماً على أيالة وان، وأنا صهر للسلطان مراد، أمّا أنت فحاكم مستقل ضمن أيالتي، وهذه الأيالة تعود لك أباً عن جد وستبقى لك، لذا أرجو ان لا تظنّ وتقول (لقد أتيت بالپاشا لبيتي، ورتبت له هذه الضيافة بالتقدير والأحترام). ثم تسمع أقوال المنافقين والكذابين ويتحرك لديك العصب (الكوردي) فتنتفض وتأتي بتصرفات منكرة.. فعليك ان تكون علاقاتك جيّدة مع بگوات العشائر المجاورة لك وان تعيش معهم بسلام، وعليك ان تؤدي الواجبات الملقاة على كاهلك تجاه السلطان العثماني بشكل تام، والاّ فأن كلام أخيك هذا يجب ان يكون واضحاً، فلو تجاوزت عن جادّة الصواب والدين والحقيقة قيد أنملة، فانك ستتعرض للضرر، وأبذل ما في وسعك، ان تكون طيباً مع الناس طالما بقيت أنا في (وان)، فلو قلت بأنّ (ابشر پاشا) قد أرسل ملك (أحمد پاشا) الى وان للتخلص منه، ولم يبق له ثمة من تقدير واحترام، فأجيبك على ذلك، بأنّه بناءً على الخطّ الشريف فانني القائد الأعلى والحاكم المطلق الصلاحية، وحسب الدستور المكرّم، لذا فعليك ان تكون متّزناً وأن لا تخرج عن جادّة الصواب، وهذه نصائحي لكم...).

وبعد ان انتهى الپاشا من كلامه، قال الخان (يا زعيمي، كان كلامك



جميلاً، لا وجود لكلام أجود وأجمل من هذا والأمر أمركم..) ثم قاما بتقبيل بعضهما البعض، وقبل أن يفترقا، قال الخان للپاشا (انني أرغب بأن يبقى أوليا چلبي هنا لبضعة أيام أخرى، ثم سأقوم بأرساله الى وان بنفسي) فأذن لي الپاشا وقال: ابقَ هنا لبضعة أيّام، ثمّ تأتي لطرفي في وان بسرعة ثم ذهب الپاشا، أمّا أنا فقد رجعت الى بدليس مع الخان.

قام الخان بتهيئة غرفة لي بين غرف أتباعه المقرّبين، وكنّا نجلس سويّة في الليل والنهار ونتباحث حول المواضيع العلمية ونقضي وقتنا في الاحاديث الطيّبة، وفي أحد الأيام قال لي الخان بين الأحاديث (هل رأيت يا أوليا كيف أنّ هذا الپاشا خاصّتك، أخرج من قلبه الاحقاد القديمة؟ ففي الخيام التي نصبت في طريق (ئووا). عرض معي عن طريق اسداد النصائح، ما مضى من حوادث ثلاثين عاماً، ورماها في وجهي، فيجب على المرء أن يحفظ نفسه من أمثاله هؤلاء، فلنر كيف ستكون الأمور) فقلت له (يا (خان)ي العظيم، أنّ الپاشا مدين لك كثيراً، وأن كلامه كان من باب المحبّة التي يكنّها لك، أرجو ان لا تتأثر بذلك، فهنا هي كوردستان، وان أبناء عشيرة (روژكي) هم قوم متمرّدون ومن ذلك الجانب، هناك أراضي (وان)، أرجو أن لا يستطيع بعض المنافقين وأهل الشرّ من النفاذ بينكما وافساد صداقتكما، فعندما يقوم الپاشا بتقديم بعض النصائح لكم، يجب ان ترتاحوا لذلك، فان هذا الپاشا لا يعرف أيّ حقد أو تكبّر أو غرور أو عداء، وهو رجل طيب وذكي) وبهذه الطريقة قمت بمدح الپاشا كثيراً، فصمت الخان، وبهذه الطريقة قضيت مع الخان ووجهائه ثلاثة أيام في الاحاديث الجميلة، لو قمت بتدوينها جميعاً لأحتاج ذلك الى كتاب، وفي اليوم الرابع عشر منذ قدومي الى بدليس، قام الخان العالي المقام بتكريمي كرماً عظيماً، فأهداني زبوناً من الچوخ وذو ياقةٍ من



جلد السنور أزرق اللون، مع قميص وسروال، مع كيس من القروش مع حصان أصيل ذو سرج ومخشلات فضية تتدلى من رقبته ولجام جيّد، مع حصان آخر سريع مع حصان عادي وخادم (گرجي) في ملابس جميلة و مسلّح، كما قام كلّ من أولاد الخان الأربعة عشر مع الـ(كتخدا) شاكر آغا وحيدر آغا وعرب خليل آغا وجميع الوجهاء المعروفين والأشراف ورؤساء العشائر بأهدائي الهدايا المختلفة، من السيوف والمسدّسات والبنادق والزرود والدروع وأحزمة الظهر (كمربند) والخناجر والكوفيّات وقطع الحرير والعطور وغيرها، بحيث امتلأت ثلاث سلال بالملابس وحصلت على سبعة خيول أصيلة.. كما أهدتني زوجة الخان (سلطان خانم) أبنة (زال پاشا) بدلة كاملة من الملابس موضوعة في صرّة (بقچة) ذات خيوط ذهبية مع ثلاثمائة قرش، وأقول باختصار، بأنهم أهدوني من الأغراض، ما جعلوني أشبع من كل شيء وتحققت جميع مآربي، فقمت بتوديع الخان عالي المقام، مع جميع البگوات ورؤساء العشائر وأصدقائي الآخرين وتوجهت صوب (وان).

ذهابي من بدليس الى وان:

في اليوم الأول من شهر شعبان عام ١٠٦٥(١) خرجت مع رجالي من بدليس وتوجهنا صوب الشرق، عندما خرجنا من وادي (بدليس) وسرنا في سهل (ئووا) وصلنا بعد أربعة ساعات الى خان (خسرو پاشا).

خان خسرو پاشا:

انّه خان قديم، تعود ملكيته الى خان (بدليس) ولا وجود لأيّة بناية قربها، لقد قام (خسرو پاشا) بدءاً من هذا الخان و الى بحيرة (وان)، ومن (بدليس) الى هذا الخان، ببناء بعض البيوت المتفرقة على طرفي الطريق،

١- يقصد به عام (١٠٦٥) الهجري الذي يوافق العام ١٦٥٥ الميلادي. (ر. ف)

لكي يلجأ اليها الناس صيفاً من قيظ الحرّ. ويلجأون اليها شتاءً حفاظاً من زمهرير البرد والمطر، لأنّ الثلوج والأمطار التي تسقط هنا لا مثيل لها، لا في موش ولا في أرضروم، ولا في أية منطقة سهلية أخرى، اذ تبقى الثلوج في طريق (ثووا) لمدة ثمانية أشهر كاملة وبارتفاع (منارة)، ويتقطع الطريق الذي يصل من هنا الى (بدليس)، لذا قام هذا الپاشا، بصرف جميع هذه المبالغ وقام ببناء هذا الخان وهذه البيوت على الطريق، لكي يلجأ اليها المسافرون للأستراحة، ولكنّ قلّت (أوقافها)(١) شيئاً فشيئاً، وتحوّلت هذ الأماكن الى (كمائن) ينصبها بعض الأكراد على الطريق، وبالرغم من تهدّم بعض جوانبها، الاّ انّه لا زال مكاناً بارزاً، ثمّ سرنا في الطريق السهلي (ثووا) لمدة ثلاث ساعات اخرى بأتجاه الشرق الى أن وصلنا قلعة (تحت وان)، التي يسمّيها الأكراد (طاطوان)، ومن هذا المكان تبدأ حدود (وان).

والأراضي المجاورة لبحيرة (وان) تابعة للپاشا الحاكم في (وان) وهي تُدار من قبل مدير توزيع المياه (٢) وكان (زال پاشا) قد قام ببناء قلعة صغيرة هنا في عهد سليمان خان، ثمّ عندما وصل العجم بعد ذلك في زمن (الشاه طهاسب) الى هنا واحتلوا (عاد لجواز وأخلاط)، ولكي يسيطروا على عدم وصول الارزاق والمساعدات بالقوارب عبر بحيرة وان الى وان، ومن ثم الى قلعة (تحت وان)، وضعوا هنا (٢٠٠) مقاتل تحت سلطة آغوات الپاشا، كما يقوم أحد الآغوات في وان بأخذ ضريبة (الگمارك)

١- يقصد بذلك، انّ الأموال التي وقفت عليها، أو رصدت لها، قد قلّت الآن. (ر. ف)

٢- مدير توزيع المياه: كانت وظيفة موجودة في أيام الدولة العثمانية وكان يسمّى (سوباشي) أو (صوباشي) في اللغة التركية. وكان يعمل عدد من رجال الشرطة تحت امرته. (ر. ف)



والعشر السلطاني لنفسه من القوارب التي تسير في بحيرة وان، كما توجد بعض البيوت للأكراد حول هذا الخان، ومن غير وجود مسجد هناك، فلا وجود للبيوت والأسواق، وتحتاج هذه البحيرة الى ميناء عامر، وذلك لوجود مرسى جيّد فيها.

بحيرة وان والأنهار التي تصب فيها:

يتفرع الطريق أسفل قلعة (تحت وان) الى طريقين، طريق الجانب الأيمن الذي يقع جنوب البحيرة، هو طريق وعر وصخري وهو يتوجّه الى (وادي جوان) و (كياون) و (قلعة سلطان) الذي يصل الى بلاد هكاري والذي يسير بجانب البحيرة الى ان يصل (وان)، وكذلك يسير من هنا والى جانب البحيرة، نحو الشمال، وبعد العبور بعدّة قلاع وبعد مسيرة عشرة أيام يصل الطريق الى (وان)، وسمعت بأن الپاشا قد توجّه من خلال هذا الطريق الى (وان)، أمّا أنا فسرت مع أصحابي من (تحت وان) ونحو الشمال ممسكاً بضفة البحيرة، وشاهدنا بأن الجانب البعيد لـ(تحت وان) أيضاً هو مياه البحيرة.

منظر بحيرة وان:

يقول المقدسي في تاريخه، بأنّه عندما كان (نمرود) يدّعي الألوهية (معاذ اللّه)، تجوّل في الدنيا، ورأى أراضي وان المرتفعة جداً فجلبت نظره فجمع البنّائين ومنقّبي الجبال، وقام بصنع سدّ (نمرودي) في مدّة اربعين عاماً، وقام العمّال بتصعيد الحجارة لمدة سبعة أيام من الأسفل الى الاعلى، وكان أن تمرّد (نمرود) في الأخير على اللّه وعلى ابراهيم (ع)، فأمر اللّه (جبرائيل) الأمين، بأن يضرب بطرف جناحه بهذا الجبل، فسقط الجبل، مسقطاً معه جميع العمال والجمال الى داخل الأرض، وتكوّنت هذه البحيرة في مكانهم.



ان محيط هذه البحيرة من الأطراف الأربعة هو (١١) مرحلة، وهي بحيرة لا تتصل بأي بحر آخر، وماؤه أكثر مرارة من السّم، ويبلغ طوله من الشرق الى الغرب (٦٨) ميلاً، وفي الشتاء يكون كثير الأمواج، أما محيطه من جميع الأطراف فهو (٥٠٠) ميل، تحيط به تسعة قلاع وفي داخله توجد جزيرتان كبيرتان، تسمى احدى تلك الجزر بجزيرة (العهد) أما الاخرى فهي جزيرة (آختمار)، التي تملك مرسىً جيداً، يبلغ عمق البحيرة في وسطه (٧٢) قامةً، وقد تمّ دقّ القضبان الحديدية العالية حوله من جميع الأطراف وذلك للامساك بها، يصب في هذه البحيرة حوالي (٧٠) نهراً يصّب فيه من الجنوب نهر (وادي جوان) الذي يأتي من منطقة هكاري، اما (عين كواش) فيأتي من أراضي هكاري من قلاع (جوله ميرگ) و (وستان) والذي يصب فيه قرب (قوسقون قران)، كما يأتي نهر آخر من الجنوب، ويصب فيه تحت قلعة (وستان). أما نهر (خوشاب) الذي يسمّونة (خوش ئاف) فهو نهر كبير، لا يتكون فيه معبر حتى في شهر تموز وفي الخريف، وتصب في هذا النهر سبعة أنهر أخرى وماؤه عذب.

وهناك منبع آخر يأتي من جبال (هكاري) وهو يتكون من فرعين أحدهما يأتي من قلعة (خوشاب) والآخر من منطقة (محمودي) أذ ينبع من جبال (آباغاي) و (قره قلا)، ثم يمرّ عبر قلعة (وستان) الهكاريّة، ويمرّ عبر بساتين (أدرميد) ويصبّ في بحيرة (وان).

أمّا نهر (كدك) الذي يفيض في فصل الربيع، فمنابعه من جهة الشرق، وهي جبال (آق كيربي) و (چوماقلي)، ويصب في البحيرة أسفل قلعة (آمق).

وعلى بعد ستة ساعات من جهة الشمال، ينحدر نهر (قره جاي) والذي يفيض في فصل الربيع بشدّة، فيعبر سهل (جايرى قاسم أوغلي) ويصب في البحيرة قرب (قره شيخلر).. أما نهر (جانيك) فهو نهر كبير يأتي من



الشمال ينبع في البداية من جبال (بارگر) ويصبّ في البحيرة قرب قلعة (بارگر).. كما يأتي من الشمال أيضاً نهر (بند ماسي) والذي يصبّ في البحيرة قرب قلعة (بارگر)، يعبر هذا النهر من خلال مضيق، بحيث يكون طعمه مالحاً في الأسفل، بينما يكون عذباً في الأعلى، والذي ينبع هو أيضاً من هذه الجبال، وفي مكان وصوله يوجد سدّ (ماسي)(١) وبما أنّ الأسماك لا تعيش في بحيرة وان، فبقدرة اللّه تتجمع الأسماك في هذا السدّ في يوم واحد، و ثم تصعد الوادي في مدة تستغرق شهرا وتنتشر قرب مزار سدّ (ماسي)، اذ تتغذى على الاعشاب والنباتات الموجودة في الماء، ويقال انها تزور هذا المزار، ثم تبدأ بالعودة بعد شهر، فيقوم مدير المال بتكليف أحد الآغوات، لسدّ الطريق على هذه الأسماك، وتبقى الأسماك في الوادي، فيأمر مدير المال مئات العمال والخدم باصطياد هذه الأسماك. فيأتي آلاف التجار من العجم والأرمن ذوي السراويل الزرقاء، لشراء هذه الأسماك الحكومية، ويحملونها على مئات الجمال، ويأخذونها الى عجمستان ولاهيجان وباكو وآذربيجان، تكون هذه الأسماك ضخمة وذات طعم لذيذ، أذ تحصل الحكومة سنوياً من اصطياد هذه الأسماك، على تسعة أحمال من (الأقچات)(٢)، حيث تدفع منها رواتب وأرزاق جنود القلاع الموجودة على ضفة البحيرة، وفي يوم الأصطياد يقولون ان تلك الاسماك لا تفرّ من أيدي الصيادين، وكأنها تعلم بمصيرها.

يقول (شرفخان) صاحب الشرفنامة، بأن مزار السدّ هذا، هو قبر أحد

١- ماسي: تعني السمك في اللغة الكوردية، وفي اللغة الفارسية تسمى (ماهي). (ر. ف)

٢- الاقچة: عملة عثمانية فضّية، كان وزنها يعادل ١/٤ غرام من الفضة. (ر. ف)



العلماء المعاصرين للأسكندر الكبير، وقيل بأن مناخ (بارگر) أعجبه فسكن هنا، ولكي يعمل على تأمين معيشته ومعيشة الناس، قام باخفاء أحد الطلاسم هنا، لكي تتوجّه اليها الأسماك مرة في السنة، ولا تستطيع الرجوع، فيمكن اصطيادها.

ومن دلائل عظمة الله، هي ان هذه البحيرة التي تصب فيها جميع هذه الأنهار، لا تزيد مياهها قطرة واحدة و لا تنقص، وانّ ماءها مرٌّ كسمّ (الهلاهل)(١)، وانّ أيّ شخص يتوضأ بها، يصاب جسمه بالحرقة، ولا يتحمل ذلك، وان الساكنين على ضفاف هذه البحيرة، لا يحتاجون الى الصابون لغسل ملابسهم، اذ عندما يغسلون الملابس بهذا الماء، تتنظف وتصبح بيضاء مثل القطن، وعند هبوب الرياح الجنوبية والغربية، تتصاعد الأمواج و تحدث المشاكل، كما تدور على هذه البحيرة (٥٠) قطعة من السفن، اذ تنقل البضائع من هذه القلعة الى تلك.

المنظر العجيب الذي شاهدناه على ضفة بحيرة وان، كان أحد عجائب خلق الله، في وادٍ قرب (تحت وان) ونهاية طريق (ئووا).. فيقال أنّه قبل غرق سدّ (نمرود)، كانت قوافل الجمال تأتي بالحجارة الى أعلى الجبل، فخسفها الله، وتحوّلت قوافل الجمال والأحمال مع العمّال الى حجارة!!

لذ فعندما تنظر اليها من الأسفل، تتبيّن قوافل الجمال المحمّلة بوضوح وبتسلسل، بعضها مع أحمالها، وبعضها قد بركت،(٢) وبعضها واقفة،

١- سمّ الهلاهل: من أنواع السموم المشهورة منذ القدم، يقال أن مصدرها هو أحد الديدان، وقيل بأن مصدرها نباتي، وقد ورد ذكرها في الشعر الكلاسيكي الكوردي القديم، وخاصة لدى الجزيري (١٥٦٧- ١٦٤٠)م. (ر. ف)

٢- بروك الجمال، أي اضطجاعها على الأرض، للاستراحة والاقامة، أو جلوسها على الأرض. (ر. ف)



وبعض تلك الحجارة قد خرِّبت ولكن معالمها لازالت واضحة، رغم مرور ثلاثة آلاف وسبعمائة سنة(١)، وعندما تنظر اليها من بعيد، تظنّ انّ قافلة تتجه الى (وان)، وجميعها من حجارة (الصوان)(٢)، والاغرب من كلٍّ ذلك أنّ بعض الجمّالين(٣)قد رفعوا أياديهم الى السماء، وبعضهم انكبّوا بوجوههم على الأرض، وبعضهم ممدودٌ على الجنب..

وكل من يرى هذا المنظر، يتعجّب من قدرة اللّه.. أمّا أنا فلقد قمت بالدعاء من اللّه والرجاء منه كثيراً..

وعند توجّهنا نحو الشمال، قال لي أصحابي (يا سيّدنا، يوجد قرب هذا المكان شيءٌ عجيب، فلو رغبت لنذهب لمشاهدته)، فلقت (يا اخواني لقد خصصت كلّ حياتي للسفر والترحال، فلنذهب للمشاهدة) فسرنا نحو الشمال لمدة ساعة، وعبرنا مدينة (موش) و مشينا في طريق ثانوي وصخري لمدة ربع ساعة، فرأينا هذا المنظر الفريد: قمة عالية ومخروطية واقفة مثل المنارة، ولقد شُدّ على أحد الرجال بالسلاسل في أعلى القمة، الذي لم يبق منه غير عظامه، أما السلاسل فلم تصدأ، بل هي جديدة وكأنها خرجت الآن من أيدي صانعها، أمّا العظام فهي بيضاء جداً، وعظام العضد والزند طويلة لحدّ سبعة أو ثمانية أذرع وهي ثخينة، أما جمجمة رأسه فهي بحجم القباب الصغيرة لغرف الحمامات، اما محاجر العينين فهي كبيرة لدرجة ان الواحد منها يسع لجلوس أي رجل، اما دماغه فقد صنعت النسور أعشاشها فيه. ويقال بانّ

١- هذا التاريخ هو تقدير المؤلف التركي أوليا چلبي، منذ زمن ابراهيم عليه السلام وحتى تاريخ تأليف الكتاب في عام ١٦٥٥م ولا أدلّة تاريخية له حول ذلك. (ر. ف)

٢- حجر الصوان: هي الحجارة القوية، والتي تقدح ناراً عندما تضرب ببعضها البعض. (ر. ف)

٣- الجمّالون: هم الأشخاص الذين يسوقون الجمال في القافلة. (ر. ف)



هذه العظام تعود لرجل مسلم كان يؤمن بنبوّة (ابراهيم) عليه السلام، وكان (نمرود)(١) قد ربطه فوق هذه القمّة وأشعل النيران تحته، وانّ اللّه جلّ وعلا قد أبقى على عظامه بشكل سليم بعد حرقه، وان بعض تلك العظام قد انصهرت مع الحجارة بفعل الحرارة، ولا يظهر منها الآن غير المرافق والأكتاف والرأس خارج الحجر، يبعد هذا المكان بمسافة لا بأس بها عن الشارع. يقول الشيخ مصطفى الاخلاطي عنه ما يلي: (ينتمي هذا الرجل الى أمة النبي ابراهيم ولقد رأيت ذلك في عدد من كتب التاريخ) وكذلك يقول المؤرخ (المقدسي)، العجيب في هذا الأمر، هو بقاء هذه العظام لمدة تزيد عن الألفي عام دون ان تتلف، سبحان القادر الخلاّق.

بعد مشاهدة هذا المكان، توجهنا نحو الشمال، وبعد مسيرة أربع ساعات على ساحل البحيرة، وصلنا قرية (آزغاك) التي تتبع سنجق (خلات)(٢) وهي قرية عامرة.. ثم سرنا مدة ثلاثة ساعات أخرى على ساحل البحيرة، الى ان وصلنا (سدّ السمك) والذي هو مكان اصطياد الأسماك، وتجمع وارداته من قبل مدير الماليّة، وهي أموال حكومية، ثم توجهنا من هناك صوب الشمال، وكانت البحيرة في جانبنا الأيمن، وتمتعنا بمشاهدة القرى والقصبات الى ان وصلنا مدينة (خلات) القديمة.

أوصاف مدينة خلات القديمة:

يقال بان هذه المدينة كانت مركزاً لقوم (عاد) القدماء، وقد لاذوا

١- نمرود: هو الملك الظالم الذي كان معاصراً للنبي (ابراهيم) عليه السلام، والذي أشعل النار وألقى ابراهيم (ع) فيه. (ر. ف)

٢- مدينة (خلات): هي مدينة كوردية، قرب بحيرة وان، ويرد اسمها في كتب التاريخ العربية تحت اسم (أخلاط) وهي كلمة معربّة، بينما (خلات) هو الأسم الحقيقي لها وتعني (خلات) بالكوردية، (الهديّة)، أو (الجائزة). (ر. ف)



بالكهوف الموجودة في الجبال خوفاً من العاصفة وخاصة الكهوف الكبيرة لجبل (سبحان)(١)، الذي يسع كل واحد منها لثلاثة آلاف شخص بشكل اعتيادي، وقد ورد اسم هذه المدينة لدى المؤرخين بأسم (داربله)(٢)، أي مدينة قبيلة العمالقة، وقد تعاقبت الأجيال على هذه المدينة وتوسّعت، بحيث وصلت نهايتها من ساحل البحر الى مدينة (أرجيش)، وكانت ذات رياض وبساتين متراصفة معاً وواسعة جداً، ومصيفها هو جبل (سبحان)..

سبب خراب مدينة خلات:

كانت هذه المدينة تتبع ملوك (ماهان) في السابق، وأراد أحد اولئك الملوك غير الحكماء جمع جيش للهجوم على ملك (سمنكان)، فطلب كمية مائة ألف بيضة من أهالي (خلات) كأرزاق للجيش، وقال الأهالي لدى وصول هذا الأمر (لم نسمع حتى الآن بطلب كهذا، ولكن لا مفرّ من ذلك) فقاموا بجمع مائة ألف بيضة مهما كان، ولكن بقيت طريقة توصيل البيض اليه؟ وعندما وصل الخبر الى ملك (ماهان) ارسل لهم رسالة قال فيها (انني لم أطلب منكم بيض الدجاج، بل طلبت منكم البيوض الذهبية، ولكن نظراً لكونكم فقراء الحال، فانني اعفو عنكم، فليأخذ كل واحد منكم بيضته)، فبادر الناس الى توزيع البيض بينهم، فقال بعضهم ان بيضته كانت كبيرة، ولا أريد هذه الصغيرة، بل أريد بيضتي، وبدأ الهرج والمرج بين الناس، وهاجموا على بعضهم البعض، فقال العقلاء منهم (اننا لم

١- جبل سبحان: هو جبل (سيپان) المطلّ على بحيرة (وان) في كوردستان الشمالية، وعلى مدينة (خلات)، ويجمع الأسمان معاً لدى الكورد، فيسمّونه (سيپانى خةلاتى) أي (سيپان خلات). (ر. ف)

٢- (داربله) لا يعني، في اللغة الكوردية، انها مدينة العمالقة، ولا نعرف من أين أتى المؤلف التركي بهذا المعنى لكلمة داربله. (ر. ف)



نحافظ على حقوق بعضنا البعض، وقد طارت البركة من هذه المدينة، وسيصبنا بلاء عظيم) فدبّ الخوف في أوصالهم جميعاً، وبعد مدة قصيرة أصيبوا بوباء الطاعون.

وفي ليلة واحدة، هاجر منهم (١٢) ألف أسرة، وخرجوا حتى وصلوا بلاد (مصر) بدون توقّف، وذهبوا هناك لعند (المستكفي بالله) صاحب قلعة (ألكيش) وطلبوا منه قبولهم في بلاده، فقام بأسكانهم جميعاً في شرق بلاد مصر، في منطقة (قايتباي) ليسكنوا هناك. وفي مدة سنة، بنوا مدينة جميلة، واستعملوا (الطوب الأحمر) في البناء، الذي لم يكن المصريون قد شاهدوه من قبل، وتوجد الآن في شرق (القاهرة) قرب (الطوپخانه) محلة (خلات)، وهي عبارة عن عدة آلاف من البيوت الخربة، التي غطّتها الأتربة والرمال.

أمّا ملك (ماهان) الذي كان قد أجرى هذا الظلم على أهالي (خلات) فقد انهزم في معركة (سمنكان) ورجع خائباً مدحوراً، لكي يرى أن (١٢) ألف عائلة قد رحلت من خلات.

ثم قام (سلطان جلاير) من ملوك آذربيجان، بتعميرها بعد ذلك، أمّا الجدّ الأكبر للعثمانيين (قويا ألب باي) أخ (أرطغرل) فلقد غرق في نهر الفرات مع احد اخوته الذي كان يسمى (بايندرخان) وأبيه المسمى (سليمان باي)، قرب قلعة (جعبر)، فلقد تركوا بلاد (ماهان) تحت وطأة التتار من أتباع جنكيز، وأتوا الى (خلات)، الذين التحقوا بـ(سلطان جلاير) وسكنوا هناك تحت رعايته، كبگوات.

ان عشيرة (جلاير) هذه كانت أحد أفخاذ التتار الجنگيزيين، التي ظهر منها رجال بارزون وشجعان، ومع ذلك فانّ (سلطان جلاير) الذي كان قد أصبح ملكاً على (الآق قوينلو)، كانوا يسمّون بالـ(آقچه قوينلو) أي بصفة



التصغير، فانهم قد وردوا من بلاد (ماهان) التي تقع في (ما وراء النهر) وكانوا كلمّا خرجوا للقتال من مدينة (خلات) الى أي مكان، فكانوا يرجعون بالنصر، لذا قام السلطان (جلاير) باعطائهم مدينة (خلات)، وقاموا هم بتعميرها، أما اقاربهم وعشيرتهم الذين سمعوا بطيب الاقامة في (خلات) وكثرة الغنائم التي يحصلون عليها من الحروب، قاموا رويداً رويداً بالارتحال اليها وقاموا بالسيطرة على بلاد قياصرة الروم، وأقاموا فيها الحروب، أمّا العقلاء منهم فأتوا الى (خلات) وأغنوا نتيجة الحروب والغنائم، وبعد ذلك وصلت جيوش التتار وقامو بتفريقهم من هناك في عام (٤٧٦) ثم آلت مدينة (خلات) من (تيمورلنگ) والتجأ الى كنف (يبلدرم بايزيد)، وطلب (تيمورلنگ) من (يبلدرم) ان يسلّمه (قره يوسف)، ولكن (يبلدرم) امتنع عن ذلك فبادر تيمور الى الهجوم على (بروسه) وفي طريقه دمّر مدينة (خلات) ولم يبق حجراً على حجر، لذا تعتبر مدينة خلات الحالية، مدينةً قديمة تمَ تعميرها..

و في عام (٨٦٨) وقعت مدينة (خلات) في أيدي (حسن الطويل)، وعندما قام (السلطان محمد خان) فاتح استانبول بالهجوم على (حسن) وجرت المعركة بينهما في (تورجان)، انهزم (حسن) أمامه ورجع الى (تبريز) بصحبة (١٧) فارساً فقط، وتوفّي هناك، وأتوا بجثته ليدفن في (خلات).. و في زمن ما سقطت (خلات) بأيدي شاهات ايران، وفي عام (٩٢٠) عندما انتصر السلطان (سليم الأول) علي شاه ايران، توجّه اليها أهالي (خلات) وقالو له (ايها السلطان) انّ أجدادك مدفونون هنا، لذا نرجو منك بناء قلعةٍ هنا للمحافظة على قبورهم)، ولكن (سليم الأول) لم يكن يرغب ببناء القلاع، لذا لم يعرهم انتباهه، ثم هجم على السلطان (علاء الدولة ذو القدر) حاكم مرعش، والذي كان قد ساعد العجم في



حربهم. وجرت المعركة في سهل (كوكش(وانتصر فيها (سليم)، ثم بادر بالهجوم على المصريين، ولكنه توفي في عام (٩٢٦) في استانبول، وحلّ (السلطان سليمان) محلّه.

انشقّ أحد اخوة الشاه (طهماسب)، المسمّى (القاص ميرزا) على أخيه الشاه، وترك حاكمية (شيروان) و (شماخ) وعن طريق سهل (قبچاق) وصل منطقة (كريمه) ثم وصل الى (أدرنه) لطرف السلطان سليمان خان، وتناوله السلطان بالتقدير والاحترام، ثم جمع العساكر الكثيرة وهجم على بلاد العجم، وقام باحتلال كلّ من (روان وگنجه ونخچوان وتبريز وخوي ومرند و أورمية ودومبلي)، وفي طريق عودته، استسلمت له (وان) مع سبعين قلعة تابعة لها، وذلك في عام (٩٥٥)، ووقعت كلّ كوردستان في يده، وعن الطريق الساحلي لبحيرة وان، وصل الى (خلات)، وذهب لزيارة قبور أجداده، وأصدر أمراً لـ(زال پاشا) والبنّاء (سنان المعمار) لبناء قلعة قويةٍ هناك، أما هو فرجع عن طريق بدليس الى دياربكر ومن هناك رجع الى استانبول، أما (زال پاشا) فقام بالمشاورة مع أهالي (خلات). و قام ببناء القلعة على ساحل البحيرة على قطعة أرض مستوية أسفل خرائب القلعة القديمة.

شكل قلعة خلات:

كما قلنا فانّ هذه القلعة بنيت عام (٩٥٦) حسب خطّة (سليمان خان) و ذلك بيد (زال پاشا)، و هي قلعة مربعة على ضفّة البحيرة، ومحيط القلعة من أطرافها الأربعة هو ثلاثة آلاف خطوة، وفيها (١٣) بُرجاً، وجدرانها ليست عالية، أما الخندق المحيط بها فليس عميقاً ولكنه خندق قويّ وصلب ذو جدران واسعة، ولها ثلاثة أبواب حديدية، تفتح على جهة البحر، وقد كتبت سنة الانتهاء من بنائها، سنة (٩٦٣) بخط كبير على



بوابتها.

انّ هذه البوابة التي تطلُّ على البحر، تقع في اتجاه القبلة، ويوجد داخل القلعة (٣٥٠) بيتاً مملّطاً بالطين، وفيها مسجد وحمام وخان وحوالي عشرين دكاناً، وهي تابعة لأيالة (وان)، وهي مقرّ لـ(بگ) موش.. ولها أربعمائة وعشرة آلاف (أقچة) حسب أمر السلطان، أما الـ(بگ) الموجود فيها، فحصتّه السنويّة هي (٢٠) كيساً.. وله (٥٠٠) مسلّح، لإدارة القرى التابعة لهذا (السنجق) وفيها (٤٤) زعامة و (١٣٠) تيماراً، وله آمر الفوج ورئيس الأنكشارية و(١٠٠٠) جندي رسمي، من الذين يتوجّهون للقتال تحت امرة الـ(بگ)، أما درجة (القاضي) فيها فهو (١٥٠) أقچة، اما واردات القاضي السنوية فهي (كيسان)، ولا يوجد هنا شيخ الاسلام والنقيب والمختار والموظفين، أما أمير البحرية ومحصل الضرائب ومسؤول الأمن ومدير توزيع الماء، فيتم تعيينهم من استانبول، أما المسؤول عن القلعة فله (١٠٠) شخص، يضربون الطبول في الليل ومستعدّون دوماً، وللقلعة حصتها من العتاد وبضعة مدافع سلطانية كبيرة و صغيرة والقلمبوري، أما مدير الگمارك، فدائرته في الميناء على ساحل البحيرة، ويأخذ (العُشر) الحكومي من جميع البضائع الواردة، ويدفع منها رواتب الجند العائدين لقوّة القلعة، ويأخذ هذه المسؤولية بالتعّهد، على ان يدفع كل عام سبعة أحمال من الأموال..

خرائب خلات:

يوجد بين خرائب هذه المدينة، المئات من قباب المساجد والتي كانت قد بنيت من الحجارة وغطيت بالطوب الأحمر، وهي قديمة جداً، ولا تقام فيها الصلوات حالياً، بل أصبحت أعشاشاً للبوم والغربان، واحدى تلك المساجد، هو مسجد (أمير قاي) المنفرد والوحيد، وان أبوابها وجدرانها منقوشة



وجميلة بشكل وكأنها من ورق الـ(غناكي).. عندما استولى (أمير قاي) على هذه المدينة، قام بكتابة أسماء جميع المساجد والمدارس والخانات والبنايات الموجودة فيها بخطّه وكتاباته الجميلة على جدران هذا المسجد، ولقد قمت أنا شخصياً بقراءة هذه الخطوط والكتابات بواسطة الناظور، وقمت بتسجيلها لديّ، أما لهجة أهل هذه المدينة فهي قريبة من اللهجة المغولية والجغتائية.

أما الكتابات والاحصاءات المكتوبة على جدران المسجد والتي تعود لهذه المدينة فهي كما يلي: (٣٥) ألف محراب- صحيح هناك الكثير من المنائر فيها، ولكنني أرى بأنّ هذا العدد زائد عن الحدّ- ألفا مدرسة، ألف حمّام، ألفا خان، ألف مكان لتلاوة الأحاديث (دور الحديث)، ستة آلاف مدرسة للأطفال، ثمانمائة تكية، ثمانية عشر ألف عين ماء، ثمانية آلاف مكان لماء السبيل، عشرة آلاف محلّة، مائتا ألف بيت، سبعون ألف بيتاً كبيراً للعوائل المعروفة، ثلاثة آلاف خان للقوافل، ألفا بيت للغرباء، ستة آلاف دكّان، مائة وخمسون ممراً لعبور الصاغة والجواهريين، سبعمائة بناية، أربعون ألف متنزه، تسعمائة ألف بستان وحديقة، سبعون ألف مزار، ستمائة ألف من رجال الدين والعلماء والوجهاء، ولقد قام الكاتب بتدوين الكثير من هذه الأقوال الخيالية والمبالغات الفارغة على جدران، وقد قام بتضخيم مدينته بشكل خارج عن الحدود، وينسج هذه الأقوال الخيالية من عنده، وكان قصده من ذلك هو تضخيم مدينته.

يعيش داخل هذه الخرائب بضعة مئات من الأشخاص، وفيها مياه عذبة ورياض وبساتين جميلة، وهم يمارسون أعمالهم ومهنهم بدون خوف أو وجل، ولقد ورث كثير منهم هذه الأملاك من آبائهم وأجدادهم، لذا فلقد قاموا



ببناء بيوتهم بعيدة عن بعضها البعض بمسافة مائة ميل(١) ويعيشون لوحدهم، ولكنهم جميعاً أناسٌ طيبون.

ويوجد في كهوف هذه المنطقة من الزهاد والمتصوقة، من عاش لمدة أربعين عاماً على قطعة من الحصير، ولم يتذوّق لحد الآن لحوم الحيوانات، ومنهم الشيخ (مصطفى الخلاتي) الذي مرّ عليه أربعون عاماً وهو صائم. وهو واحد من كبار رجال الدين على المذهب الحنفي، ولقد تشرّفت بزيارته والسلام عليه. ولقد عرفني وقال لي (عليك السلام أيها الحافظ أوليا السائح) ولقد طلبت منه ان يدعو لي بالخير، فقال لي (انّها مدّة خمسة وخمسين عاماً، يتم فيها الدّعاء لك، ولقد وصلتك حصتك من هذه الأدعية، إتلُ لي شيئاً من القرآن، وسأدعو لك بالخير، وليكن اتفاقنا كذلك).

فجلست على ركبتيّ وقرأت له من سورة (ص) (ووهبنا لداود...) بصوت عالٍ وحزين فدعا لي ومسح لحيته بيديه وجعلني أخاه في الدنيا والآخرة وقال لي (اذهب الى سبيلك، وليكن اللّه في عونك في سفرك هذا، تعلّم كثيراً وكن متواضعاً) فقمت بتوديعه.

وكذلك الشيخ (علي الخلاتي) الذي مرّ عليه ثلاثون عاماً وهو يصوم الصوم الداودي(٢) وهو رجل محترم ومن أولياء اللّه، وبفضل اللّه وصلت الى خدمته أيضاً، أما (حسن دده الخلاتي) فهو متصوف ووصل الى القمة فيها، وقد قطع صلته وحديثه بالناس.. ومن غير هذين، هناك رجل كبير

١- يبدو ان وحدة قياس المسافات التي كانت تسمّى (ميل)، كانت تختلف حينذاك عن (ميل) هذا اليوم. اذ ليس من المعقول أن تبتعد البيوت في المدينة الواحدة، بمسافة (مائة ميل) عن بعضها البعض. (ر. ف)

٢- الصوم الداودي: هو صوم النبي داود (ع)، الذي كان يصوم يوماً ويفطر في اليوم الآخر، كما ورد ذلك في الآثار الاسلامية. (ر. ف)

يسكن أحد الكهوف في سفح الجبل، ويسمّى (شيخ تقي دده).. من غير هذا، فان الحديث حول هذه المدينة الخربة، لا فائدة فيه، ويشعر القارئ بالملل وهذه هي الدنيا (كل شيء هالك الاّ وجهه)(١) فنهاية كل عمران هو الخراب، وان المدن الخربة التي شاهدتها حتى الآن هي، (الكوفة) في عراق العجم، و (بغداد القديمة)، و(موصل القديمة)، و(ميا فارقين) وفي عراق العرب، مدينة (أنطاكية)، وفي مصر مدينة (الاسكندرية)، عسقلان، طبرستان، بصرى حوران، طرسوس، وفي الأناضول (بلاط)، ملاخية، آيا تلوق، آيد نجق، وفي بلاد (الروميلي)(٢)، (أثينا) و قوالة وفي كريمة مدينة (كريمة القديمة)، ومدينة (ابن كرمان) و (عراق داريان)، التي تقع في سفوح جبال البرز وعدة مدن أخرى.. فان مدينة (خلات) هذه تشبه تلك الخرائب ايضاً، ولا حاجة للأفاضة في الحديث حولها، ولكن لا يستطيع الانسان عادةً مسك لسانه من الحديث، وان هذه المدن المذكورة لابدّ وأنّها بنيت نتيجة عزم كبير في وقته، لذا اصبحت عامرة وكبيرة، ويشعر المرء بالأسف والمرارة عندما يراها بهذه الحالة، ولكنّ أمور الدنيا هي كذلك، اذ يجري الاعمار من جانب، بينما يصيب الخراب الجانب الآخر..

قبور أجداد سلاطين آل عثمان في خلات:

يوجد قبر (قويا ألب باي) وهو أخ (أرطغرل) الذي كان رجلاً شجاعاً وبطلاً، الى جانب قبر أخيه (حسن بايندرخان) وحسب أمر شاه (ماهان) فقد أصبح خاناً على (خلات) وله مبانٍ كثيرة في هذه المدينة. أما قبور البقية منهم فهي لـ(السلطان عبدالله)، (عزالدين خان)، (السلطان حسن)،

١- آية في القرآن الكريم. (ر. ف)

٢- بلاد الروميلي: هو الجزء الاوروبي من البلاد العثمانية، وحتى الآن فان مدينة استانبول وما جاورها والتي هي ضمن قارة اوروپا تسمّى بالـ(روميلي). (ر.ف)



(السلطان ميمندي)، (السلطان بوغباي)، (السلطان طوختباي)، (قرقود خان)، (السلطان علي خان)، (السلطان كاظم)، (السلطان بندي خان)، (زورباي خان)، (اسماعيل خان)، (بدرباي خان)، (چيغلي خان)، (طوختميش خان)، (سلجوق خان)، (اسرائيل خان)، (معصوم باي)، (قوتلي خان)...

أما نساؤهم المدفونات هناك على مقربة منهم فهنّ كل من: (ماما خاتون)، (سرمة خاتون)، (جان خانم)، (نيلوفر خاتون)، (سروبوي خانم)، (زيبا خانم)، (وصفية خانم)، (خورشيد حرمة)، (دوندي حرمة)، (صفية حرمة)...

ومن عوائل العلماء كل من: (ملك گندوز، ملك قبله، ملك صفا، ملك مقدّس، ملك عمران). وقد دفن أجداد هؤلاء في (نيكسار) قرب (سيواس)..

أما عائلة (چوبان) الذين كانوا يحكمون في (خلات) والذين يسمّون بالأمراء، فهم عبارة عن (١٢) شخصاً، وقد وردوا أصلاً من (ماهان)، وقد أسلموا مع الداغستانيين في عام (١٢٣)هـ في زمن الملك الملك هشام الأموي. وقد دفنوا هنا ومنهم: الأمير زياد، الأمير يادس، الأمير قوردومان، الأمير عيدبار، الأمير قنياق، الأمير ساربان، الأمير سلطان ولي، و (شمس الدين) الذي هو الجدّ الأعلى لأمراء بدليس... أما المدفونون هنا من (القره قوينليه) فهم قره جلاير خان، قره يوسف خان، قره طورمش خان، قره بورخان، قره شيخي خان..

أما نساؤهم المتوفيات، فممدودات على أسرّتهنّ في السراديب الموجودة في المدينة، وقد كتبت أيام وفاتهنّ بجنبهنّ، ولقد صنعت لهنّ الأسرّة والمصاطب الحجرية في تلك السراديب، وبعضهنّ لازلن في ملابس القطيفة،



أو الأكفان البيضاء. وممدودات مع شعرهنّ، ومعظمهنّ قد يبست أجسادهنّ، حتى أن واحداً من الزنوج يقف على رؤوسهن وهو يحمل عصاً، يخاف الانسان لدى النظر الى وجهه، ولا وجود لحارس لهذه القبور هنا، اذ ان الباب مغلقٌ منذ زمان السلطان مراد خان. اما انا فلقد نزلت عليهم بواسطة تثبيت حبل في أحد الثقوب وقمت بزيارتهم، وكتبت لهم بيتاً من الشعر..

ان الاجساد المتيبِّسة في (خلات) مشهورة بين الروم والعجم، وبالرغم من وجود هذه الانواع من اجساد الموتى في أماكن أخرى، ولكن هؤلاء لا يزالون محتفظين بشعرهم ولحاهم بشكل أفضل.

أوصاف اخرى لمدينة خلات:

ان جبال هذه المنطقة مملوءة بأنواع المعادن، ومنها معدن (الزرنيخ الاحمر)، الذي لو خلط بالصابون وقام الشخص بتدليك جسمه به، لما بقيت شعرة واحدة على جسمه، ولجعلت من جسمه ليّناً مثل القطن، وكذلك المصابين بداء الجذام، لو أخذوا منه مقدار حبّة من العدس وتناولوه مع العنب الاسود، فيشفى من داء البرص والفرنجي والجذام وداء الثعلب. أما معدن (الزرنيخ الاصفر) الذي يوجد في جبال (خلات) فهو عبارة عن تراب أصفر ثقيل مثل (التراب الناعم الذي يستعمل في غسل الشعر) والذي يصل الى بلاد الروم والعجم والافرنج، ويقال بأن الكيميائيين يخلطونه بالنحاس، ثم يضيفون اليه أشياء اخرى، فيتحول الى ذهب، فلو قمنا باذابة نصف مثقال من هذه المادة في فنجان وقمنا بتناوله قبل النوم، فان اي شعر زائد سيسقط من الجسم، ويصبح الجسم خفيفاً، وابيض اللون، ولكن الأكثار من تناوله يضرّ بالجسم..

وبعد التجوّل في هذه القلعة، قمت بتوديع مسؤول القلعة والآخرين، ثم توجّهنا صوب الشرق عن طريق ساحل البحر الى ان وصلنا قلعة (عاد

٣

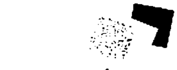
لجواز) وهنا التقيت بـ(ملك أحمد باشا) مرة اخرى، وسلّمته رسالة أمير بدليس (عبدال خان)، فقرأها وقال (انّه يقول هذا من عنده، اذ لا يعلم الغيب الاّ اللّه)، وكان (الخان) قد كتب في هذه الرسالة (يا زعيمي في الوقت الذي تدخل فيه قلعة وان، سيصلك خبرٌ مفرح من استانبول تسرُ به، اذ يظهر انّه قد حدثت حادثة سيّئة لـ(ابشر باشا) وسيصلك خبر مقتله قريباً، ومن دون شك عندما تصل إلى وان، ستحصل على أموال ونقود كثيرة، نرجو ان تدعو لنا بالخير ولا تنسونا). فاحتفظ (الپاشا) بالرسالة وسألني عن أخبار أبناء (الخان) بشكل مطوّل، فقمت باخباره بما عندي من معلومات... ثم ذهبتُ لمشاهدة المدينة.

أوصاف قلعة عادلجواز:

انّ مؤسس هذه القلعة من ملوك (آذربيجان) وكان يسمّى (تاج الدين عاليشان)، ثم تعاقب عليها الحكّام، وفي عام (٩٤٠) لم يستطع العجم الموجودين داخل القلعة، من مقاومة قوّة العثمانيين، فقاموا بتسليم مفاتيح القلعة الى (سليم خان)، وكان أول حاكم للقلعة هو (زال پاشا)..

شكل قلعة عادلجواز:

بنيت القلعة من الحجر المنقور، على قطعة أرض عارية جرداء قرب ساحل البحيرة، وهي قلعة محكمة، يمكن الصعود اليها من الأسفل مشياً لمدة نصف ساعة، تحيط بحيرة وان بالقلعة من الشرق و الشمال، اذ تظهر من هناك كخليج صغير، وماعدا أوقات الظهيرة، لا يمكن مشاهدة قمّة القلعة، إذ تختفي بين الغيوم، ولا وجود لأي خندق حول القلعة الداخلية، ولا يمكن فتح أي واحد حولها، اذ تحيط بها قمة جبلية مدببة لا تستطيع النسور والبزاة من صنع أعشاشها عليها ولا يمكن التعلق بها حتى بواسطة الأظافر، وفيها (٣٨) برجاً محكماً، أمّا بوابتها الحديدية فتتكون من



ثلاثة أبواب متتالية.

يوجد داخل القلعة (٧٠) بيتاً من دون حدائق أو بساتين، وكلّها مملّطة بالطين، يوجد فيها مسجد ومخزن للعتاد ومخزن للحبوب وصهريج للماء وحظيرة للحيوانات وبيت لمسؤول القلعة. وفيها مدافع كبيرة من نوع (باليومز)، ولا وجود للبنايات الكبيرة فيها، ومحيط القلعة هو أربعة آلاف خطوة، وقد بنيت على شكل بيضوي، ولكنها استطالت نحو الشمال، وبالرغم من صنع مواضع لرمي المدافع، من على قمم الجبال العالية المحيطة بها، ولكن القلعة استطالت، لذا لا مجال للتأثير عليها بالمدافع من تلك المواضع، لانّ أية طلقة مدفع توجّه للقلعة من هناك، ستقع في البحر.

هناك سورٌ يقع جنوب القلعة، بني على صخور الجبال المحيطة، ولكن المكان هو عبارة عن تلّ منخفض، وأحد أطرافه يصل الى الصخور الموجودة على ساحل البحيرة، وله ثلاثة أبواب، بوابة (خلات) ووجهته نحو الجنوب، بوابة الشرق ووجهته نحو (أرجيش)، أما القلعة السفلى فبنيت بالحجارة الكبيرة وهي مربعة الشكل، ومن جهة الشمال موضوعة على الحجارة العالية، ولها بوابة حديدية من نوع (أورغون) الخاص وهي مغلقةٌ دائماً، ومحيط هذا السور من جهاته الأربع يصل الى ستة آلاف خطوة، ووضعت مدافع كبيرة على جهة الميناء، بحيث يمكن أن يدخل الرجل في فوهة تلك المدافع، ويصل عددها جميعاً الى (٧٦) مدفعاً سلطانياً و(باليومز)، ويوجد في هذه القلعة ثلاثمائة بيت طيني من دون رياض وحدائق. ولقد قام العجم عدة مرات بمحاصرة هذه القلعة، ولكنهم رجعوا خائبين. أما الكهوف الجبلية فيها، ففيها أماكن ومكامن جيّدة، وفي الجهة الأخرى من القلعة، هناك وديان وعلى جبالها تنتشر الحدائق والمزارع، ونظراً للمناخ الطيب والهواء العليل، يكون سكّان هذه المنطقة أصحّاء، وتقع بحيرة (وان) من



جهة (القبلة) ويبلغ العدد الكلي للبيوت فيها، حوالي ألف ومائة بيت..

فيها ثمان محلاّت وسبعة محاريب(١)، ويشتهر فيها جامع (زال پاشا) وهو معمور، أما حمّام (زال پاشا) الذي يقع خارج القلعة فليس طيّباً جداً، كما يوجد فيها حمّام آخر خرب، وفيها (٧٠) حمّاماً تعود للآغوات(٢)، ويوجد (خان) في داخل القلعة ولكن لا وجود لسوق الصّاغة فيها، وفيها سوق صغيرة مليئة بالأقمشة، وفيها أنواع كثيرة من البضاعة، وفيها سبعة آلاف بستان، وفي الطرف الشرقي من المدينة يوجد ماء عذب وفيها حدائق ذات نافورات، وهي مكان تنزّه الناس، ويشتهر فيها متنزه وحديقة زال پاشا.

حاكميّة القلعة:

هذه المدينة هي مركز (سنجق) وفيها (بگ) يتبع أيالة (وان)، وحسب قانون (سليمان خان) فان حصة الحكومة فيها، هي (١٥٤٠٣٦) أقچة، ويحصل (البگ) في كل سنة على ستة آلاف قرش، ويتبعه ستمائة شخص أثناء التوجّه للقتال، وفيها آمر الفوج، ورئيس الأنكشارية، وعدد أفراد الجيش فيها يصل الى ألف شخص، والقضاء فيها من درجة الـ(١٥٠) أقچة، وفي كل سنة يحصل القاضي على (ألف قرش)، وفيها المفتي والنقيب والنائب ومدير الشرطة ومدير توزيع الماء ورئيس التجّار وأمين الگمارك، أما مسؤول القلعة فهو الذي يتولى الادارة وله رجال جاهزون على الدوام. وليس فيها رئيس الجيش ولا آمر الانكشارية، اذ انّ آمر

١- يقصد بالمحاريب، عدد المساجد الموجودة فيها. (ر. ف)

٢- الآغا: كانت درجة وظيفية في العهد العثماني، فعندما يقول المؤلف، ان تلك الحمّامات كانت تعود للآغوات، فهو يعني بهم رؤساء الدوائر الموجودين في المدينة، وليس بالضرورة آغوات العشائر، كما هو الآن. (ر. ف)



الأنكشـارية فـي (وان) يرسل أحـيـاناً رقـيـبـاً مـن عنده لمعـاقـبـة أفـراد الانكشارية المخالفين.

في عـام (١٠٣١) كـان في هذه القلعـة، سـتـة ردهات من قـوات الأنكشـارية لحراسة البوابات وردهتـان لرجال المدفعيّة وردهة للحرّاس، أمّا الآن ففـيـها مـن مدافع (باليـومز) ومن العـتـاد الغـزير، ما جعـل من الأمر حسرة على قلوب العجم.

مزارات عادلجواز:

كان ابن (زال باشـا) حاكماً هنا، وفي احدى الليالي، دخل فـجأة ثمـانية آلاف رجل من رجال شاه العـجم، الى هذه البسـاتين ووضـعوا كمـيناً، فعلم ابن (زال باشـا) بذلك، وهجم عليـهم بـ(سـبـعين) رجـلاً، فكسّـرهم بشـكل، بحـيث لم يبق من الثـمـانيـة آلاف رجل، غـيـر خمـسين شـخـصـاً على وجـه التـقـريب، وأسـتـشـهـد واحدٌ مـن رجالـه، فـقام العـجم بهـجـوم ليلي آخـر، للتعـويض عن اندحارهم الأول. استـشـهد من جرّاءها ابن (زال باشا). وقـبره مـوجود هنـا. كـمـا يوجـد مـزار آخـر هنـا يسـمّى مـزار (الأربعين) ويقـال بأن أربعين ولداً ولدوا سويّة من أمٍّ واحدة. وقـيـل عجباً استطاع ابـن (زال) باشا هذا من دحر (٨) آلاف رجل بـ (٦٠) رجلاً شجاعاً*.

جبل سيپان:

يوجد فـي شمال (عـادلجواز) جبلٌ عالٍ، تصل قـمّتـه الى السمـاء، يسـمى جبل (سيپـان) وحسب قـول (المجسطي) صاحب العـالم بطليـموس) الحكيم. أنّه يوجد في الدنيـا (١٤٨) جبـلاً كـبـيراً. وهذا واحدٌ من تلك الجبـال، وفي كل سنةٍ، يتـوجّـه اليـه التـركـمـان وأكـراد خـالتي وچكواني وزازا ولـولو والزيباري والپساني والگرگري. مع مئات الآلاف من رؤوس الأغنام. لقضاء

* - هذه العبارة غير موجودة في الترجمة الكوردية (ر.ف).



فصل الصيف على سفوح ذلك الجبل. وانّ الحيوانات التي ترعى هنا، تلد التوائم على الأكثر.

والغريب في الأمر أن الرجال المسنّين هنا أخبروني، بأن امرأةً ما ولدت قبل مدة، سبعة أولاد في مرة واحدة. وأنا لم أصدق ذلك، لأنّه لم يحدث حتى الآن شيء من هذا القبيل وحسبته كذباً. وتوجّه معي ثلاثة أشخاص من الوجهاء يسمّون (ابن ساوري وابن صاحب القلعة وابن الميمندي) الى المحكمة، ودفعوا قرشاً للقاضي (حامد أفندي) وطلبوا منه سجّل عصر (زال باشا)، فأرسل القاضي لأخراج ذلك السجل من خزينة القلعة، ونظرنا فيه، فرأينا أنّه قد كتب فيها (في هذا الزمان ولدت امرأة في مصيف جبل سيپان. وهي زوجة لرجل تركماني يسمّى مول سجاه، بعد تسعة أشهر وعشرة أيام من الحمل. ولدت في ساعة واحدة (٤٠) طفلاً، (٢٠) ولداً و(٢٠) بنتاً، وبما أنّ زال باشا أرسل هذا الخبر الى سليمان خان. لذا دوّناه هنا، في عام ٩٤٣)، أمّا أنا الذي لم أكن أصدّق بولادة سبعة أولاد في بطن واحد، يجب عليّ الآن أن أصدِّق ولادة (٤٠) ولداً، وهذا أيضاً من خصائص جبل سيپان.

يوجد في هذا الجبل، أنواع الحيوانات المتوحشّة مثل الذئاب والضباع والفهود والثعالب وبنات آوى والنمور، ولكنها لو تزاوجت هنا، لما ولدت شيئاً، وعلى هذا الجبل ترعى الذئاب والأغنام وتتجوّل معاً، ولا تخاف الأغنام قيد أنملة، لذا لا حاجة كثيرة لهم للرعاة في هذا الجبل، ويبلغ حجم ذكور الكلاب هنا حجم الحمير البغدادية، أما الطيور الجارحة فحتى لو صنعت أعشاشها على الجبل، لما فقست البيوض التي تضعها، لذا لا تضع أعشاشها هنا عادةً، ولكن يوجد الكثير من النسور هنا ومن بين النسور من يصل عمره الى ألف عام، أما الدجاج هنا فاكثرها تبيض مرتين في اليوم.



و يوجد بين خلات وجبل سبحان، منظر مخيف، يسمّى (عين چيمن)، ويخرج هذا العين من بين الصخور، ثم ينزل بين تلك الصخور الى الأسفل، ويحدثُ صوتاً قوياً، بحيث يشعر المرء بالصمم من جراءه، ويكاد يسمع من بُعد فرسخين، ثم يصبُّ هذا الماء في أحد الخلجان ويختفي. أما طعم هذا الماء فأشدُّ مرارة من (سمّ الهلاهل) وكلٌّ من يشرب منه من البشر أو الحيوان أو الطير يموت مباشرةً. وقام أحد التجّار من أهل الخير ويسمّى (الحاج جاراللّه) ببناء سور كبير حول هذا الماء، ولا ينبت أيّ نبات على أطراف هذا العين..

وتوجد في شمال شرق هذا الجبل، بحيرة كبيرة، يسبح فيها المصطافون، وتحوي مياهه مادة الزرنيخ وماؤه ساخن جداً، ولو تعرض أي مكان من الجسم لهذا الماء، فيتساقط الشعر من ذلك المكان، ولكنه مفيدٌ جداً للنساء، وكلّ من كان مصاباً بحكّة الجلد، وقام بمسح جلده بالطين الموجود في هذا الماء فستزول الحكّة منه.. كما ينبع ماء آخر قرب شمال قلعة (عادلجواز) في سفح جبل (سيپان)، وهو ماء مالح، ولكنه شفّاف وزلال مثل عين السرطان، وعلى جانبي هذا العين، توجد حجارة يأتي اليها الناس لقطعها وأخذها للبناء، كما يأتي بعض البنّائين إلى هنا ويجلبون معهم صناديق خشبية فيملأونها بالماء ثم يضيفون بعض الملح اليها، وبأذن اللّه يتجمّد ذلك الماء ويتحوّل الى حجر. ولكنّ الحجارة تلك لا تكون قويّة جداً، اذ يستعملونها في الأبواب أو حجارة الطبخ أو السلالم الحجرية، وبحسب الحاجة الى هذه الأشياء، يضعون قوالب خشبية أو طينية، ثم يملأونها بهذا الماء، فيتجمّد الماء وتصبح حجارة يقومون باستعمالها لتلك الأغراض.

بعد أن أنهينا مشاهدتنا ل (عادلجواز)، بدأنا بالمسير، وسرنا لمدة تسع ساعات على ضفة البحيرة، الى ان وصلنا قرية (دليكلي طاش)، وهي



عبارة عن حوالي مائتي بيت على ساحل البحيرة، ومن هناك وصلنا قرية (دميرچي)، وهي تبعد عن ضفة البحيرة قليلاً، وهي تتألف من حوالي ثلاثمائة بيت للمسيحيين، والقرية تتبع قلعة (أرجيش)، وسكّانها جميعاً يعملون في مهنة الحدادة، ثم وصلنا الى قرية (كنزك) التي تتألف من مائتي بيت، وتتبع (أرجيش) وهي قرية عامرة، وهنا وقرب معسكر (الپاشا) قبضوا على سبعة لصوص وقطعوا رؤوسهم هناك، وعندما ارتحلنا من هنا، توجّهنا نحو الشرق فوصلنا قلعة (أرجيش)..

أوصاف قلعة (أرجيش):

لقد تداول الكثيرون على حكم هذه المنطقة منذ القدم، الى ان وصلت الى أيدي (قليچ أرسلان پاشا) في عام ٥٢١، فأنشأ فيها قلعة وزاد في تعميرها، ثم وصلت ليد (قره يوسف ملك الآق قوينلو) الذي عمّرها بشكل أكثر، ولكن عندما أتى (تيمور) الى هنا، خرّبها عن آخرها، وفي عام ٩٥٥ عندما رجع سليمان خان من بلاد العجم، أخرجها من أيدي العجم.. وهي مركز (بگ) القضاء، وحصة الحكومة فيها هي ثلاثمائة ألف أقچة، أما حصة الـ(بگ) فهي عشرة أكياس، وله ألف مقاتل لحكم هذه القلعة، وفيها (٨٦) تيماراً و(١٤) زعامة، وفيها آمر الفوج ورئيس الأنكشارية واليوزباشي، وحسب القانون، يتوجه ألف من العساكر والمقاتلين مع (بگ) أرجيش للقتال، وعندما وصل (ملك أحمد پاشا) الى أرجيش، قام (فرهاد بگ) بگ أرجيش بتهيئة ستة آلاف مقاتل منتخب من قوّة القلعة وجيشه، لاستقبال (ملك أحمد پاشا)، وكانت أسلحتهم تلمع أمام العيون وتذهب بالنظر.. وعندما اقترنا من القلعة، تعالت أصوات اللّه اللّه من القلعة وأطلقت آلاف البنادق طلقاتها من أبراج القلعة، وقبل أن تنقطع لعلعة الرصاص، أطلقت قنابر

مدافع (باليومز) بحيث اهتزّت الأرض من جرّائها، وامتلأت المنطقة بالدخان، ولدى اقتراب الپاشا، قام مدفعيوّ القلعة، باظهار براعتهم في القصف، وأطلقوا بضعة قنابر لمدافع (باليومز) على مياه بحيرة وان وكنّا نرى تلك القنابر وهي تتحرك على سطح الماء قبل أن تغور فيه.. ترجّل (الپاشا) في دار الضيافة وأمر بالاستراحة هنا لمدة ثلاثة أيام، أمّا أنا فبدأتُ بالتجوّل والأطلاع على القلعة..

شكل قلعة أرجيش:

انها قلعة مربعة الشكل، كبيرة الحجم مبنيةٌ على تلٍّ منخفض على ضفة بحيرة وان، وكل حجر من حجارها بحجم الفيل الواحد، والقلعة هي بيضاء اللّون صافية، والأبراج الموجودة في الأطراف الأربعة محكمة وقويّة، وبما أنه ليست فيها شرفة من الأعلى، لذا فانّ جدرانها غير مرتفعة، وبدلاً من ذلك فقد تمّ تعريض جدرانها بشكل يمكن أن تصبح من الأعلى مكاناً لسباق الخيول، ليس لها خندق، وفي بعض السنوات عندما تفيض البحيرة في فصل الربيع تبقى القلعة في الماء لمدة سبعة أو ثمانية أشهر. وللقلعة مدخلان، يفتح أحد المدخلين من جهة الغرب ويسمى مدخل (عادلجواز) وهو المدخل الأكبر من بين الأثنين. ويوجد داخل القلعة حوالي ألف بيت من الطين، كما يوجد جامع سليمان خان والذي هو الجامع القديم لـ(يوسف باشا) وقد تمّ ترميمه الآن، وطراز بناءه من النوع القديم ولها منارة، فيها حوالي (٢٠٠) دكان، والكثير من العتاد، وفيها (١١٠) قطعة مدفعية وهي أجمل من مدافع (عادلجواز)، ويوجد جبل (آلاداغ) من جهة الشمال وهو على مسافة مرمى مدفع من القلعة، وأنشئت بساتين جميلة على سفوحه، انّ الصيف في شهر تموز حارّ هنا، لذا يقضي سكان القلعة ستة أشهر من وقتهم في بساتين (آلاداغ).



حكومة القلعة:

انّ (البگ) في هذه القلعة هو برتبة (آمر الفوج) وهو حاكم كبير، والقضاء هو من صنف الـ(١٥٠) أقچة، فيها مدير لتوزيع الماء ومحصّل الضرائب ومختار المدينة، وفي القلعة يوجد مسؤول القلعة التابع للأنكشاري، والذي يتمُ تعيينه من الباب العالي، ويعمل تحت امرته ثلاثمائة مقاتل وأربعة طوابير من القوات.. وبما أنّ هذا هو حدود العجم، فاذا ابتعد مسؤول القلعة بمسافة رمية مدفع عن جسر أرجيش، فانّ القائد يقوم باخبار پاشا (وان) بأن مسؤول القلعة قد ابتعد عن القلعة، فيتم عزله عن عمله فوراً، أحدى جهات القلعة تطلُّ على جزيرة وفي ميناءها يوجد مرسى جيّد للسفن القادمة والذاهبة الى وان اذ تحمّل فيه بالبضاعة التجارية، وتذهب من هنا حتى (أرضروم)..

أمّا سكان القلعة فيتكونون من البوشناق والأرناؤوط والمسلمين، قد تمّ جلبهم الى هنا في عهد (سليمان خان)، ولهم رجال دين من عندهم، والكورد والخلطاء الموجودين هنا لا يدعون المجال للغريب للدخول بينهم، اذ أنهم جميعاً ذوو قرابة مع بعضهم.

أوصاف حوض قلعة أرجيش:

في شمال (أرجيش) وعلى طريق (أرضروم) يوجد حوض ماء، يقصده الناس في فصل الصيف من كل عام، وفي موسم نضوج القرع.(١) يأتي الناس بالآلاف من مدن وان وبدليس وخلات وجميع أنحاء كوردستان. فينصبون الخيام ويجلبون طعامهم ومشروباتهم معهم، ويقضون ثلاثة شهور هنا، ويستمتعون بماء الحوض هذا، وقرب هذا الحوض توجد آثار لأبنيةٍ كبيرة جداً، اذ يقال بأن (الأسكندر) كان

١- يقصد به نهاية فصل الربيع وأوائل فصل الصيف. (ر. ف).



قـد بناهـا، والماء الذي يجـري من هذا الحـوض يكفي لتـشـغـيـل طاحـونة واحـدة(١)، وعلى مـقـربة منهـا يوجـد عين (خـانـان)، اذ ينبع من بين الصـخـور، ويدفع بكمـيـة من الماء الى الأعلى، ويصبُّ في حـوض بـأبعـاد (عـشرة × عـشرة)،(٢) وان مـاءه زلال ولكنه لـيس دافـئـاً جداً، وذلك لعدم بناء قـبّة على منبعـه.. كمـا يوجـد نبع (الأسـد)، اذ قـام بعض البنـائين من نقّاري الحـجـارة، يصنع رأس أسـد من الحـجـر المنقـور، ويخـرج الماء من فم الأسد ويصبُّ في حوض، ولكن بقدرة الله، فـانّ مـاءه حـار لدرجة أنّه يغلي في حوضه كماء القدر الموضوع على النار، فيأتون بالكوارع(٣) ويضعونها في هذا الماء ويسلخونها، ومن غرائب حكمة الله، وعلى بُعد ثلاثة خطوات من هنا، يخرج ماء آخر من ثقب صخري، وهو بارد جداً في الصيف، بحيث لا يتحملُ أحد إبقاء يده فـيه، تقع هذه المنطقة في الدرجة الثامنة عشرة من الأقاليم العرقية(٤) وهواءها عليل جداً..

ومن مزارات هذه المنطقة، يوجد مـرقـد (السلطان قـره يوسف باي) وهو

١- يقصد بها (الطاحونة المائية) أي التي تعمل بالماء، وكانت حينذاك وبعد ذاك منتشرة في كوردستان، اذ كانوا يوجّهون كميـة من الماء من النهر في سـاقـيـة كبيـرة، تصبُّ من الأعلى، على آلة الطاحونة، فـتديرها ببطء وتقوم الطاحونة بطحن الحبـوب رويداً رويداً، ولا زالت آثار تلك الطواحين كثيرة وبارزة في كـوردسـتـان حتى الآن. (ر. ف).

٢- على الأغلب انّه يقصد به الذراع، أي: عشرة أذرع × عشرة أذرع. (ر. ف)

٣- الكوارع: هي ما تسمّى بـ(الپاچه) في اللهجة العامية العراقية. (ر. ف)

٤- كان الجغرافيـون القدامى، قد قسمّوا العـالم القديم الى سبعة أقاليم، وكانت كوردستـان ضـمن الأقليم الرابع، وكل أقليم مقسّم الى درجات فـالمنطقة التي يقصـدها (أوليا چلبي) كانت ضمن الدرجة (١٨) كـمـا ذكر ذلك. ولقد ورد في أحدى قصـائد الشـاعـر الكوردي الكبيـر الجزيري (١٥٦٧- ١٦٤٠)م. ان كـوردسـتـان تقـع في الأقليم الرابع. (ر. ف)

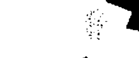


من الروحانيين.

ثم غادرنا هذا المكان مع الپاشا وسلكنا طريق ساحل البحر، وحططنا الرِّحال في (قره كوپري) في المرحلة الأولى، وهو عبارة عن جسر محكم ولكنني لم أعلم من الذي أسّسه، ويسير نهر (آقصو) تحته، وينبع هذا النهر أساساً من جبل (سيپان) وجبل (آلاداغ) ويصبُّ في بحر (وان)، وتسمّى ضفة هذا النهر بـ(يازلق) ويوجد فيها الحصير الجيّد.(١)

وتوجد قرب هذا الجسر قرية (بازار كوپي) وفيها حوالي ثلاثمائة بيت من المسيحيين، وجميعهم يعملون في صنع الحصران، وتعود هذه القرية الى قوّة (وان). ومن هناك اتجهنا نحو الشرق وسرنا بين المستنقعات والمياه الراكدة وهو طريق مخيف ووصلنا نهر (بند ماهي) الذي ينبع من جبال (بارگر) ويمرّ تحت قلعة (بارگر)، وقد سبق وأن تحدثنا عن هذا النهر وقلنا بأنه يجري صيد السمك فيه لمرة واحدة في السنة. ثم استمررنا في السير حتى ظهرت أمامنا قلعة (بارگر)، ووصل قائد الجيش والحاكم هنا (شرفخان المحمودي) مع خمسة آلاف مسلّح من لابسي الجبب، من أفراد الجيش المسلّحين أحسن تسليح، لأستقبال الپاشا، فترجّل من صهوة حصانة وقبّل ركاب الپاشا، ثم سار معه مترجلاً لمسافة معينة، ثم ركب حصانه بأمر من الپاشا وبدون ركاب، ووصلنا قلعة (بارگر)، وأطلقت المدفعية بين (٤٠ الى ٥٠) اطلاقة مع اطلاق بضعة آلاف من طلقات البنادق، وأصبحت المناسبة مثل الحفلة، ودخل الپاشا مقرّه المنصوب له، ثم هيّأ له (البگ) دعوة طعام وأهداه هدايا ثمينة وعقد المجلس.

١- يقصد به النبات الذي ينمو على ضفاف بعض الأنهر، وتصنع منه الحصران. (ر. ف).



شكل قلعة بارگر:

يوجد وادي طويل، دخل أحد رأسيه في الخليج الذي يسمّى (بندماهي)، لذا فمن جهة الشرق لهذا المكان وعلى الحجارة السوداء لهذا الجبل، بنيت قلعة خماسية الشكل عالية، من أحجار كبيرة، وهذه القلعة هي في أيدي الكورد المحمودية، وجميع سكانها من الكورد، وارداتها الحكومية هي مائتا ألف أقچه، لها (٩٧) تيماراً و (٧) زعامات، فيها آخر للفوج ورئيسٌ للأنكشارية، وفي وقت الحرب يتجمّع منها ثلاثة آلاف مقاتل، والقضاء فيها من صنف (١٥٠) أقچه، فيها محصل للضرائب ومدير لتوزيع الماء. وتسمية القلعة بهذا الأسم تعود لـ(قليچ أرسلان) الذي عندما بنى هذه القلعة، قام بأخذ الضرائب من المسافرين والتجار الذين كانوا يمرّون من هنا، لذا سمّاها الكورد بقلعة (بارگر)(١)..

ان جميع سكّان هذه المنطقة هم من الكورد الشجعان، ومن أبطال عشيرة (المحمودي)، توجد هنا أنواع جيّدة من الخيول، بحيث لا يمكن ايجاد الخيول بتلك الأوصاف في جميع أرجاء كوردستان، فهي خيول أصيلة ذات مؤخرات طويلة وظهور قصيرة وأكتاف مثل أكتاف الثيران وأعناق مثل أعناق الغزلان، وهي سمينة وقويّة.

فيها سراي (شرفخان)(٢) وحمام وخان وحدائق وبساتين وعدد من الدكاكين، مناخها جميل وطيب وعنبها لذيذ، تعتبر هذه القلعة من أراضي آذربيجان، ففي عام ٩٥٥ عندما أصبح الكورد في هذه القلعة تابعين

١- كلمة (بارگر) في اللغة الكوردية هي كلمة مركبّة من (بار + گر) وتعني الذي يأخذ الأحمال، أو يمسك بالأحمال، وهي كناية عن فرض الضرائب عليها. (ر. ف)

٢- يقصد بها، مقر حاكمية الأمير (شرفخان) حاكم قلعة (بارگر) في ذلك الوقت. (ر. ف)



للسلطان سليمان وسلّموه القلعة، أعطيت حاكمية القلعة لهم، والبگ فيها من عشيرة (المحمودي).

توجّهنا من هذه القلعة نحو القبلة، وأصبح مصيف (حسن طابدي) في يسارنا، وهو المصيف الذي يتوجّه اليه الكورد المحمودية في الصيف، وعندما تجولّت في هذا المصيف، رأيت القمة العالية فيه مصيفاً ينطح رأسه السّماء في علوّه، وعندما تعبر هذا الجبل يتفرع الطريق الى فرعين، يتوجّه الفرع الأيسر الى قلعة (وان)، بينما يصل الفرع الأيمن الى قلعة (آمق). وهناك حللنا ضيوفاً على قرية (پاس) في سفح جبل (چوماغلي)، والقرية تتبع (وان) وبيوتها حوالي (١٠٠) بيت، وهي قرية عامرة وذات بساتين ورياض، فاستأذنت من الپاشا وتوجّهت الى قلعة (آمق). فتركت القرى العامرة في طرف القبلة، وذهبت في طريق صخري على ساحل البحيرة ووصلت هناك بعد أربعة ساعات.

أوصاف قلعة آمق:

حسب رأي المؤرخين، فان قوم (عاد) هم الذين بنوا هذه القلعة، وان الحجارة الموجودة هنا، هي حمراء اللون مثل العقيق اليمني، وقد بنيت القلعة على ساحل البحيرة، على عمود صخري طبيعي، ويبلغ ارتفاع القلعة حوالي خمس منارات (سليمانية)(١)، ويعلم اللّه انني لم أجرؤ على صعود هذا السماء للوصول اليها، اذ كان يجب عليّ صعود عدّة آلاف من السلالم الحجرية للوصول الى سلالم خشبية أسندت للصخور للصعود عليها ثم ارتقاء سلالم حجرية أخرى. وفي حالات الحروب، يسحبون السلالم الخشبية بواسطة الحبال الى الأعلى، فلا يبقى أي مجال في أي جانب للصعود، ولا توجد شرفات على القلعة من أي مكان، أما بحيرة (وان) فتحيط بجانب

١- يقصد به (منارة) جامع سليمان القانوني في استانبول. وقد اورده كمثال على الارتفاع. (ر. ف)



القبلة والجنوب والغرب من القلعة، وقد ارتفعت هذه الصخرة من داخل الماء مثل الوتد، انّه أمر عجيب.

ولعل أجمل ما في الأمر هو وجود عين ماء صغيرة على قمة هذه الصخرة اذ تنساب مياه هذا العين من أحد أطراف الصخرة، يوجد داخل القلعة مسجد وحوالي خمسين بيتاً، وتوجد في مخازنها حبوب الذرة والرز غير المهبّش وستة مدافع سلطانية. إنها قلعة محكمة ومتينة فإذا وجدت فيها الارزاق والماء، فلا يمكن احتلالها، وانني لم أر مثل هذه القلعة، الا قلعة واحدة، اذ يوجد في بلاد (أدنة) في قضاء (سلفكه) قرب (لارنده)، قلعة تسمى (أرمناك)، وهي تستحق المشاهدة أيضاً، ولكن قلعة (آمق) هذه أكثر متعةً منها ولا توجد شرفات عليها.

في عام (٨٠٥) جاء (تيمور) لهذه القلعة، فشاهدها وقال (انّ هذه القلعة هي قلعة مشؤومة، وقد أساءت لسمعة العديد من الملوك والحكّام وقللت من قيمتهم، فأنا لا أذهب حيائي وسمعتي بسببها) وقد مرّ بهذه القلعة دون أن يحاول السيطرة عليها، وتكون بحيرة (وان) عميقةً جداً أمام هذه القلعة، وقد أنزلوا عدّة مئات من الحبال الطويلة اليها، دون أن يصلوا الى قعرها، لذا سمّوها بالـ(عميق) وسمّاها الكورد خطأً بـ(آمق)(١)، وأحياناً يسمّونها (آموك).

يوجد في الشقوق والثقوب الجبلية هنا، آلاف الطيور من البزاة والنسور والغدفان، وقد بَنَت أعشاشها هناك، وفي أحدى المرآت بينما كان القصّابون يذبحون جاموساً في الأسفل، نزل عليهم نسرٌ من الأعلى، فأمسك برأس الجاموس المذبوح الذي كان على طرف، وأخذه للأعلى لتغذية صغاره في العشّ، ولا تزال جمجمة ذلك الجاموس موجودة أمام العش كصندوق أبيض،

١- هذا هو رأي المؤلف التركي أوليا چلبي. (ر. ف)



وتظهر للعيان، وهذا يثبت لنا أنّ قوة النسر تكفي لحمل رأس جاموس يزن (مائة) حقّة.(١)

في زمن السلطان (سليمان خان) في عام (٩٤٠) تمّت السيطرة على هذه القلعة من قبل (رستم پاشا)، وهي الآن (ويواده) وتخضع لپاشا (وان)، ويشرف قاضي (وان) بالنيابة على القلعة، وفيها مسؤول للقلعة مع (٥٠) مسلّحاً، وتحت السياج الأسفل، يوجد حوالي مائة بيت طيني ومحاطة بالبساتين والحدائق، كما يوجد فيها مسجد وخان وحمّام وسوق صغيرة.

بعد مشاهدة القلعة، اتفقنا بالتوجّه نحو الشرق، وقرب قرية (جانكلر) عبرنا نهر (جانك)، وبعد ذلك عبرنا نهر (سوراچلي) ووصلنا قرية (آبلان)، وهنا التقينا مع الپاشا، ووصفت له قلعة (آمق). وقد تعجّب من ذلك الوصف دون أن يشاهد القلعة، ولكنّ الذين كانوا معي شهدوا لي بذلك. ومن هنا سرنا ووصلنا قرية (قره قاسم) وهي عبارة عن مائة بيت في وسط مرج، كما يوجد هنا متنزه، للسلطان مراد خان الرابع، تحوّل الآن الى متنزه لهم. كما توجد تكية للدراويش في هذه القرية تعود لـ(ملا قاسم)، ويأتون بالمخبولين هنا، فيشفون خلال سبعة أيام. ثمّ توجهنا صوب القبلة الى ان وصلنا (چاي باشي) وكانت محطة رحلتنا، وهي قرية تتكون من مائة. بيت وهي عامرة تقع داخل روضة. وتبتعد عن النهر قليلاً، وينبع هذا النهر من جبل (چوماقلي) وجبل (آق كيرپي) وهو على بعد مرمى مدفع من شرق (وان) ويصبّ في البحيرة.

لقد أمر الپاشا بالاستراحة هنا، ووفد لزيارته جميع أعيان وأشراف (وان)، وجلبوا له من الهدايا، ما يصعب ذكره، لأنّه لم يأتِ الى (وان) لحد

١- (الحقّة) كانت وحدة وزن، أي وحدة (كيل) في ذلك الزمان والى أواسط القرن العشرين، وكانت (الحقّة) تزن (٣-٤)كغم. (ر. ف)



الآن شخص بمنزلة (ملك أحمد پاشا)، بحيث استلمت منه الأختام(١) وأصبح قائمقاماً لمرتين ووزيراً وختناً للسلطان، ومن غير هذا فهو وزير أعظم لدرجة أنّ منطقة حكمه وحسب الخط السلطاني والأوامر السلطانية المباركة تمتد الى تحت قلعة (ترجيل) في دياربكر، فهو وزير معظّم وبرمكيّ الصفات، وأرسل رئيس الحجّاب الى (وان) لأصلاح قلعتها.

وقد دبّ الذعر في آهالي (وان)، عندما شاهدوا جيوش وان والى دياربكر وحزو وبدليس اصطفوا مع المستقبلين. ومن الحجّاب المشهورين لأستانبول كان (مصطفى آغا ذو الآذان الكبيرة) مع أربعين حاجباً آخر، كانوا موجودين هنا، وكان هؤلاء قد أتوا مع صهر (خسرو پاشا)، وهو سليمان بگ وحسين آغا وأولادهم، إذ كانوا مبعدين الى (وان)..

وانتشرت دعاية مفادها، بأن الأوامر قد صدرت بقتل المئات من الأعيان والأشراف في (وان)(٢)، وكان هذا هو السبب في جلب الناس لكلٍّ هذه الهدايا وذلك لأنقاذ أرواحهم، وبلغت الهدايا مبلغاً بحيث شبع منها حتى الآغوات وتوابع الپاشا، فأمر الپاشا بالدخول الى داخل المدينة غداً صباحاً.

أوصاف أفواج الجيش:

في صباح يوم الأثنين، في آخر أيام شهر رجب من عام ١٠٦٥، وفي

١- أخذ الأختام أو استلامها من شخص، كان مصطلحاً خاصاً للنظام العثماني، أي تعيينه كرئيس للوزراء أو اعفاءه منه، والقصد من الختم، هو الختم الخاص للسلطان العثماني، الذي كان يسلّم للصدر الأعظم، والذي كان يصدر ما يرد من الأوامر والقوانين بأسم السلطان. (س. ن)
(هامش ص١١ من الترجمة الكوردية)

٢- كان نشر هذا الخبر، بقصد اخافة بعض الشخصيات لكي يجلبوا ما وسعهم ذلك من الهدايا للپاشا، لأنقاذ رقابهم من السيف القاطع. (س. ن)
(هامش ص١٨٢ من الترجمة الكوردية)



ساعة مباركة، قال الپاشا المعظّم (بسم الله) وركب حصانه الأصيل، وصاح رئيس الرقبـاء في وان مع ثلاثمائة رقيب آخر من المرتدين لصدريات (الچوخ) (أطال الله من عمرك، وأدام الله السلطان)، وعندما بدأ الپاشا بالمسير، تمّ دقّ الطبول، ثمان مرات، حيث علت أصواتها مثل أصوات الرعد، كما علت أمواج البحيرة، من هناك.

وحسب أوامر الوزير، تقدّم الى الأمام (ألف وخمسمائة) فارس من (التتار) من حملة الرماح الشوكية ذات الأصداف، مع أسواط (شيداق) في أيديهم، معتمرين الطواقي و(شبرتمه)، أو واضعين عمامات (چالمالي ونوغاي ومنصوري)، ثمّ تلاهم ألف من العساكر من (دلي) وألف من (كوكللي) وكانوا قد وضعوا تيجان (جلد السنّور والصالحلي والقورنواي واليلكن والأورانوس وغازي پورچاوي والألياسي والبهلولي وغازي ميخالي والهرومي والقاسمي بالميلي، والچوخ الأزرق الحواف ذو الريش والمانلفكه، والعربي والتاج البكداشي) على رؤوسهم، وقد علّقو فيها ريش طيور (سيمرخ(العنقاء)، بالقچيل، طورنة، النعامة، والباز والزغنوس) وكان حوالي خمسمائة الى ستمائة جندي يرتدون قه پانجة السنّور، كما كان بعضهم يضع الأجنحة ذات المسك للـ(قرتال والنسر والعقاب وقرقوش) في خواصرهم، وكانوا يمسكون بالعصي، التي لها نهايات مدوّرة ومنقوشة بالذهب وكانت غليظة بقدر سواعد الرجال، كما كانوا يرتدون جلود الذئاب والدببة، وهي مطرّزة بقطع قماش الحرير المتدلية منها.

كان علم (الدليـيّن) باللونين الأحمر والأزرق، وعلم (الكوكليين) باللونين الأصفر والوردي، وكان بعضهم قد لبس (القتلاوي) الحديدي الأزرق، وكانوا قد وضعوا (اليوتلوقلي والدربندلي والطوغولقالي والطاقية الحديدية والكوكسيلي والسرينا الحديدية) وكانت عيونهم هي التي تظهر



فقط، وقد تحوّلوا الى قطعة حديدية واحدة مخيفة ومفزعة، وقد ركبوا الخيول الأصيلة ولبسوا الجزم المهموزية في أقدامهم، وقد صبغوا قطع اللباد بالحنّاء ووضعواها تحتهم على السروج. وقد تدلّت على جنباتهم الدروع من نوع (يانجقلي) والخطاي البحري والحراب التيمورية مع جلود الفهود والنمور التي تتدلى من ظهور الخيول الأصيلة، وكانت مسيرتهم بانتظام. وكان بين هؤلاء (خمسون) من الرقباء من الذين لبسوا الزرود ذوات الأحزمة الفضيّة التي تزن كل واحدة منها ثلاث حقّات من الفضّة، وقد وضعوا الخناجر في خصورهم وعلّقوا الريش الخاص بالفرسان في رؤوسهم، ويشدّون رؤوسهم بالمناديل والربطات العنقائية ويمسكون بعصا فضيّة تزن حقّتين من الفضة، ويلبسون سراويل القطيفة الحمراء الرستميّة(١)، وقد غطّت قطع القماش المفتوحة المطرزة بالخرز والنمانم أجساد خيولهم، وكانوا ينادون بـ(اللّه اللّه)، ويقومون بتنظيم صفوف الجنود ويمشون بينهم، ثم سار بعدهم (٥٠٠) من جنود الأرزاق، و (٥٠٠) طباخ، و(٥٠٠) سراج وخادم خاص، و(٥٠٠) من الخيّامين، (٥٠٠) من الجمّالين، (٥٠٠) من الحمّالين، (٥٠٠) قره قولوقچي وعكّام ومن حملة المشاعل، (٥٠٠) من سائسي الخيول والخدم الآخرين، ثم (٤٠) جندي من حملة الأعلام، و(٤٠) (ثالا ساريجه)(٢) مع أسلحتهم، وكلّ واحد منهم ممتط ظهر الفرس مع بندقية من ذوات الأربعين الى الخمسين درهماً، وبعدهم أتى ألف وخمسمائة مقاتل مختلط مع أسلحتهم، ثم ثلاثمائة من البوابين الذين كانوا يلبسون جلود السنّور.

ثم أتوا بأطواغ و(باغراغ) الپاشا، على ثلاثة خيول مسرعة، وثمانية

١- رستم: هو بطل فارسي أسطوري، ورد اسمه كثيراً في شهنامة الفردوسي. (ر. ف)
٢- تشكيلة من الجنود العثمانيين. (ر. ف)



خيـول مسرّجـة بسـروج الجـواهر وأعنّة الذهب مع عـدد من مسـؤولي حظائر الخيـول، وتبـعـهـم ثمـانون علمـاً للصكبـانيـة(١) وجنود (السـاريجـه) مع رقبـائهم وثمـانون (بلوكـباشي)(٢) ورقيـب مـزودّين بمختلف الأسلحة وهم راجلون، ثم تبعهم بعد ذلك مراسلوا الپاشا، الذين كانوا يعتمرون الآبلاق الأبيض على الطاقيـات الذهبيـة، وكـانوا يلبسـون الأثواب القـصـيـرة و الكنتورية، مع الطبرت في أيديهم، وكانوا يمشون أثنين اثنين، ويختـالون كالطاووس. أما الپاشا فكان يضع بكل غـرور الـ(صورغوجه) المجوهر على رأسـه الذي أهداه السلطان له، وكان قد قال لـه بأنك الزعيم الكبيـر، وكان يضعه بشكل مائل على رأسه، وكان (المطارچيه)(٣) يمشون على جانبيه من اليمين واليسار مع الـ(المطرات) الذهبية كما كان حملة البنادق من نوع (نقيمدار)(٤) يمشون على الجانبين أيضاً..

أما وراء الپاشا فكان يسير السلاحدار وكذلك لابسي الچوخ الأحمر مع القلنسـوة الذهبيـة. ثم أتى (٢٢) آغـا مع أربعـمـائة خـادم خـاص، وكـان بعضهم من الجورجيين وأكثرهم من الأباضيين، وكانوا قد ربطوا معاصمهم بقطع القماش الحمراء والخضراء والزرقاء والصفراء والألوان الأخرى، وكانت عباءاتهم المحمدية منسوجة من الأطراف بالخيوط الفضيـة مع القطع الجلدية

١- تشكيلة من مقاتلي الجيش العثماني. (ر. ف)

٢- البلوكباشي: رئيس تشكيلة عسكرية من عساكر الجيش العثماني، وعادة ما تكون تلك التشكيلة من الخيّالة. (ر. ف)

٣- المطاره: في الكوردية، هو الإناء الصـغـيـر للمـاء الذي يربطه الجنود في خواصرهم، وعادة ما تكون مغلّفة باللباد أو بقماش ثخين، وتسمى (الزمزمية) في اللهجة العامية العراقية. (ر. ف)

٤- (نقيـمـدار): نوع من البنادق المختومة بختم الجيش العثماني، أي بنادق رسمية. (ر. ف)



التي يمسكونها بأيديهم، وقد أتوا ركباناً، ثم أتى مائة سائس مع الهراوات والبنادق في أيديهم، ثم أتى المختار يوسف آغا مع جعفر آغا الخزندار مع مائة آغا مسلّحين بكلّ الأسلحة وهم خفيفو الدم، وقرعت الطبول تسعة مرات على نغمة (السيگاه)(١).

ورفعت الأعلام من اليمين واليسار، ثم أتى السقاة وبعض السراجين وسائسي الخيول.

وفي استقبال هذا الموكب الكبير، كان هناك (١٧) شخصاً بالطاقيات والزرود الحديدية وبكل عظمة واحترام وكانوا راكبي الخيول الأصيلة، ويمسكون بالرماح في أيديهم، والبنادق والمسدسات تتدلى من جنباتهم، مع الهراوات والغدّارات(٢) و(بوزدوغان) والطبر (الفرهادي)، وكانوا واقفين الى جنب بعضهم البعض. في البداية كان الطابور الأيمن، الطابور الأيسر، باشلي، طاشلي، الحسني الحسيني، مع (٢٠) آغا، ثم ممثل (خان) بدليس مع (ألف) من العساكر المنتخبين، ممثل (خان) هكاري مع خمسة آلاف، ابراهيم بگ المحمودي مع ثمانية آلاف، (بگ) شيروان مع ألف مقاتل، (بگ) مكس، (بگ) كسان، (بگ) بايزيد، (بگ) هيزان، (بگ) پنيانش، (بگ) پيردوس، (بگ) گرگر، (بگ) آغاكيس، (بگ) بني قسطير، (بگ) سعرد، (بگ) كارني، (بگ) هيرون، (بگ) زريقي، (بگ) موشي، (بگ) عادلجواز، (بگ) أرجيش، (بگ) بارگري، كل واحد منهم مع المختار وألف مقاتل، أتوا لتقديم السلام، (بگوات) سبعة وأربعين عشيرة مع عساكرهم والذي تغيب من (بگوات) المحمودية، كان (أولياء

١- السيگاه: نوع من أنواع المقام الذي يسمى الآن بالمقام العراقي، و(السيگاه) هي كلمة فارسية الأصل، تعني ثلاث مرات، أو ثلاث نغمات. (ر. ف)
٢- نوع من المسدّسات القديمة. (ر. ف)



بگ) فقط الذي لم يظهر، ولم يظهر مختاره ولم تأتي هداياه، فقال الپاشا، (فلننتظر، ولنعلم ما وراءه)، وسار لمدة أربع ساعات بدءاً من النهر ومرّ من أمام (ثمانين ألف) مقاتل وكان يردّ على سلامهم من اليمين واليسار، وشعر الپاشا بالحرّ والتعب أمام هذه الحشود، وأمر قائلاً (فليتقدّموا الى الأمام)، فتحركت العساكر نحو (وان) وسار الپاشا وراءهم ببطء، وقيل للپاشا بأنّ ساعي البريد قدم من استانبول، فوصل حاجب (خانم سلطان) وسلّم الرسالة راكباً الى الپاشا، وكان خبر (ابشر پاشا) قد ورد في تلك الرسالة، وخبر وضع (قره مراد پاشا) مكانه كوزير أعظم. فقلت له إنّ الرسالة التي كان خان بدليس قد كتبها، ثبت صحتها، وحول الأملاك والأموال التي ستحصل عليها، كما ورد في تلك الرسالة ستتحقق ان شاء اللّه). فقال له (عثمان آغا حامل الأختام) حول ذلك (يا زعيمي، لقد رمى ابشر پاشا بنا الى وان لكي يفسح المجال أمامه ويبقى صدراً أعظماً، فعندما خرجنا من استانبول في شدّة الشتاء هذه، فها هي مدة ثلاثة اشهر لم نجنِ غير التعب والمشاكل، فها قد وصل بفضل اللّه خبر مقتله، فشكراً للّه، فمن الأفضل ان لا ندخل (وان) بعد الآن، فما دام قد مات (ابشر) فلنبق خارج وان ولنتوجّه بهذا الجيش الى (أرضروم) أو (بغداد) أمّا الپاشا الذي كان يفكر بالأيام القادمة فقال له (اسمع يا عديم الفهم، كيف تجرؤ على النطق واطالة لسانك بهذا الكلام في حضور الوزير صاحب الختم السطاني العثماني، فما هو الفرح والسرور لموت شخص ما؟ فهل أتيت الى (وان) حسب كلام (ابشر پاشا)، أم بأمر من السلطان وحسب الـ(سورغوجه) وأتيت الى هنا كقائد أعظم؟ فما الذي تعرفه أتت،.. أمسكوا بهذا الجبان)، وقام وهو راكب بضربه بالهراوة الحكومية المختومة، الى ان تكسّرت هراوته، ومع ذلك لم يرتح قلبه فنادى قائلاً (أين هو



الجلاّد)، فقام الوجهاء والأعيان الذين كانوا واقفين هناك بالتوسل والرجاء منه، وقاموا مع رئيس حجّاب السلطان (مصطفى آغا ذو الآذان الكبيرة) بالتعلق والتمسّك بركابه، ومع التوسّلات الكثيرة، أنقذوه من أيدْي الجلاّد عديم الرحمة. (١)

ثم قام الپاشا من جديد باستقبال الناس للسلام عليه، وظهر جيش (وان) من المشاة، وكانت قوة (حصار) من طرف، ومن الطرف الأيمن قوة (عربستان)، ثم عبدي آغا (آغا الانكشارية) مع سبعة طوابير من الانكشارية، أي ما يصل الى خمسين الفاً من قوات المشاة المزودين بالأسلحة والبنادق، وكان في اليمين (٥٠٠) مقاتل من الجنود لابسي الجبب، وفي الطرف الأيسر وقف حاملو البنادق لأداء التحية، ووقفوا أمام الپاشا وحسب التسلسل؛ الأنكشارية، لابسي الجبب، ثم الصكبانية والـ(ساريجة)، والبلوكباشية. وقد تعالت هتافاتهم من الصفوف جميعاً.

أمّا في القلعة، فنودي ثلاث مرات بالصلوات من الأعلى والأسفل، ثم تلا ذلك رميٌ كثيف بالبنادق، ثم أطلقت المدافع، وتكررّ هذا المشهد لثلاث مرات، اذ أطلقت البنادق والمدافع وأصبحت قلعة (وان) مثل طائر (السمندر) داخل النيران والدخان، وكانت قنابر المدافع التي تبلغ أحجامها حجم ثمرة الرقّي (البطيخ الأحمر) تتأرجح على مياه البحيرة..

عندما رأى الپاشا ذلك، احتدّ طبعه وأصبح مثل البارود وقال (يا مسؤول القلعة يا عديم المروءة، عندما أتينا الى هنا مع السلطان مراد خان، لم تطلق المدافع بهذا الشكل، فلماذا الآن تقوم بتبذير كلّ هذا البارود الأسود بدون سبب؟)، وغضب من مسؤول القلعة كثيراً، ولكن عندما

١- ليبقى في بال القارئ الكريم، ما الذي كان يضمره (ملك أحمد پاشا) من مجيئه الى (وان) وما الذي كان يخطط له. (ر. ف)



وصلنا قرب قرية (أسكله) أطلقت المدافع من جديد من أعالي الجبال العالية لـ(وان) الى أواسطها، بحيث امتلأت الدنيا من جديد، وكانت بعض قنابر المدفعية متوجهة الى سهل وان والأخرى الى البحيرة، فغضب الپاشا بشكل أكثر، وأرسل فارساً من الفرسان لعند مسؤول القلعة لمنعه من الأستمرار في الرمي، ولكن بعد ماذا؟ فالاطلاقات والقنابر التي أطلقت لا تعاد من جديد.

قام الپاشا بردّ السلام لجميع هؤلاء الناس كباراً وصغاراً، من الذين كانوا قد قدموا لاستقباله، وفي نهاية شهر رجب من عام ١٠٦٥، دخل مدينة (وان) من بوابة الـ(أسكله)، وكان أهالي المدينة قد نحروا مئات الذبائح وكانوا قد فرشوا طريق الپاشا الى أن يصل (السراي).

قام (أحمد آغا الأرغني) بترتيب وليمة فاخرة كبيرة بحيث لا يمكن وصفها، فتناولت جيوش كوردستان، وأعيان (وان) الطعام، ثم أعلن عن عقد المجلس الپاشوي، فقرعت الطبول تسع مرات، ثم نادى الرقباء في الناس ان كانت لأحدهم شكوى، فتقدّم ستة أو سبعة أشخاص بالشكاوى، فتممّ حلّ مشاكلهم بموجب الشرع، وكان هناك أمر سلطاني باعدام سبعة أشخاص، فصدر الأمر بالقاء القبض عليهم، ففرّ أربعة منهم بين الناس، أما الثلاثة الآخرون فنفذ فيهم أمر الاعدام، وظهر بعد ذلك ان الأشخاص السبعة، كانوا قد اشتركوا في عصيان (محمد أمين بن شمس پاشا) وكانوا من جماعته، وقاموا بتحريضه على ذلك، وكان هؤلاء الثلاثة قد جلبوا أمام الپاشا. ووجهت لهم تلك الاتهامات ثم ضربت أعناقهم. وقام رئيس الحجّاب باخراج الأمر السلطاني باعدام (٧٠) شخصاً، وسلّم الأمر الى (علي أفندي غنائي زاده). فقام هو بتلاوة الأمر للجميع بصوت عالٍ، بوجوب اعدام وارسال رؤوسهم



المقطوعة الى (استانبول)، وتمّ جلب (٤٥) شخصاً من أولئك الـ(٧٠) لأمام الپاشا، وكانوا مكتوفي الأيدي، فسأل الپاشا من الناس عن التهم الموجهة لهم، فقال الجميع ان التخريب الذي حصل وضربُ المدينة بالمدافع ودماء المقتولين كلّها في أعناق هؤلاء الأشخاص) فقال الپاشا (أنا اليوم وكيل السلطان والقائد الأكبر له، انني سأطلق سراح (٧) من هؤلاء، أما الثمانية والثلاثون الباقون، فأضع أمرهم في أيديكم، تعال أيّها الجلاّد، خذهم جانباً) فقام الصكبانية والـ(ساريجه) بأخذهم الى القلعة، ومات أحدهم في الطريق.

نادى الپاشا على (سليمان بگ والد زوجة خسرو پاشا) لطرفه، والذي كان قد صدر أمر بنفيه من المدينة، فعفا عنه وأرجع له منصبه كـ(آغا)، كما نادى على الآغوات وأرباب المناصب الآخرين الذين كانوا معه، والذين كانوا قد أُبعدوا بسبب اشتراكهم في عصيان (محمد أمين پاشا)، فأهداهم بعض الهدايا وأرجعهم الى مناصبهم. وبعد ذلك تفرّق الناس وانسحب الجيش الى داخل القلعة، وقد وردت الهدايا في تلك الليلة، من المتهمين والمجرمين، وكذلك الأشخاص الذين كانوا يريدون البقاء في مناصبهم الحكومية، حتى وصلت الى (٨٠٠) كيس من النقود، للپاشا نفسه!(١)

في الصباح ذهب الپاشا مع آغا الانكشارية والمفتي ونقيب الأشراف ورجال الدين لمشاهدة الأماكن التي تحتاج الى الترميم من القلعة، وعندما شاهدوا الجبل الشمالي لـ(وان) وقد تراكمت الأتربة عليه بقدر حجم جبل،

١- ان ذلك التهديد والتخويف ونشر الأنباء المرعبة، كان بقصد مكتسبات الپاشا ونهب الناس، وقد نجح في ذلك، ففي ليلة واحدة حصل على (٨٠٠) كيس، وكانت تعادل في تلك الأيام، ثروة كبيرة. (س. ن) ص١٨٨ من الترجمة الكوردية



سأل الپاشا (لماذا أفرغ هذا التراب كلّه على هذا الجبل؟ هل كانت الغاية منه هو احتلال القلعة؟) فقال له المعمّرون من أهالي (وان)، (أيها الزعيم، لقد قام تيمورلنگ، لمدة ثلاث سنوات، بجمع كلّ هذا التراب هنا، بقصد احتلال القلعة، ولكنه لم يستطع شيئاً في الأخير، وتركه على حاله، وأتى بعده (رستم خان الأقرع) العجمي، ففرض الحصار لمدة سبعة أشهر على القلعة، وقام هو أيضاً باضافة قدر كبير من التراب على المكان، ولكن قام (خليل پاشا) و(قره مرتضى پاشا) بالأمداد والوصول الى هنا، وأجبروا (رستم الأقرع) على الانسحاب، أمّا نحن ففتحنا أبواب القلعة في الفجر وهاجمنا جنود العجم وتعقبناهم وقتلنا منهم ثمانية آلاف وتركوا وراءهم ثلاثة آلاف أسير، وأستولينا على سبعة آلاف طلقة وألف (شدّة) للبارود وثمانمائة بغل وألف حصان وعدد كبير من الخيام والمقرآت وثلاثمائة وعشرون مدفعاً من نوع (باليومز)، من غير الأموال والممتلكات الأخرى، لذا بقي ذلك التراب هنا الى الآن. فقال الپاشا (تعال أيها المختار، فأنصب جميع خيامي هنا، وليقم الجيش معسكره هنا، ليأتي البگوات من الـ(٢٧) سنجقاً من سناجق وان، وليقدّموا خدمة للسلطان برمي هذا التراب في البحيرة فيساعدوننا في ذلك) وقال الجميع، يا جناب الوزير، فليوفّقنا اللّه.

كان الپاشا، أوّل من بدأ بهذا العمل، إذ قام هو مع جميع الآغوات الموجودين في غرفته وآغوات (وان) برفع الحجارة ورميها في البحيرة ونادى المنادي في المدينة، بأن يأتي كل شخص للپاشا فضل عليه، أن يأتي بالمعاول والمجارف مع الزنابيل والأكياس، لرمي التراب في الماء، ونصبت خيام الپاشا ووضع له مقر، بالاضافة الى خيام ومتاع كلّ هذا الجيش، إذا أمتلأ سهل (وان) بهم جميعاً وأصبحت المنطقة عامرة على آخرها.



مسك الپاشا بالقلم، ووجّه الرسائل الى بگوات السناجق التابعة لـ(وان) وقال لهم (اذا كنتم تأتمرون بأوامر سلطان مكة والمدينة، فتعالوا الى (وان) لمساعدة قلعتها) ووضعت كلّ رسالة من تلك الرسائل بيد أحد الآغوات وأرسلت الى الحكّام الكورد.

أمّا أنا الذي لم أكن قد شاهدت هذه المنطقة، فبدأت بالتجوّل ومشاهدة قلعة (وان).

أوصاف قلعة وان:

كان أبناء (عاد وثمود) يسكنون هذه المنطقة في البداية، وكانوا يسكنون الجبال، اذ كانوا قد حفروا في الكهوف الكبيرة والعميقة فيها، فأنزل اللّه الخسف عليهم وجعلهم حجارة. وقد تعاقب الحكام على منطقة (وان)، الى عام (١٦٠٠) قبل مبعث نبيّ الأسلام، وكان (الملك جالوت) قد بنى كنيسة كبيرة هنا في عصر حضرة داود (ع)، وبعد ذلك تمّ قتل (جالوت) على أيدي (النبي داود (ع)(١)، ثم تعاقب الناس على الحكم الى عام (٨٨١) قبل مبعث النبي، إذ وقعت المنطقة في أيدي (الاسكندر الكبير). وبسبب تسمية تلك الكنيسة بـ(وانك) من قبل أهالي المنطقة، لذا قام السكان ببناء المدينة من تلك الكنيسة، لذا سمّيت بـ(وان). وفي وقت النبي (ص) كانت تلك المنطقة تخضع لكسرى (نوشيروان العادل)، وقد وصل أحد صحابة النبي الى هنا. فأسلم راهب الكنيسة وبضعة أشخاص آخرين على يديه، ثم أصبح أحد أفراد عائلة (يزدجرد) المسمى (تاج الدين) حاكماً على المنطقة، وقام بتجديد قلعة (وان)، ثم بنى قلعة الى الأسفل منها.

١- لقد ورد في الترجمة الكوردية اسم حضرة النبي سليمان (ع) لمرتين في هذا الموضع، أما الأصل التركي فقد ورد فيه في المرتين اسم النبي داود (ع). وهو الأصح. (ر. ف)



وفي عـام (٨٨١) الـهـجـرية وقـعـت تحت سلطة (قـره يوسف الجـلائري) الذي كـان من ملوك الـ(قره قـوينلو) في آذربيـجـان، وقـد فرّ هو من المنطقـة خوفاً مـن (تيـمـورلنگ) والـتـجـأ الى كنف (يلدرم بايزيد العـثـمـاني)، ولكن واحـداً آخـر من ملوك (آذربيـجـان) المسـمّى (أوزون حـسن بايـنـدر)، خـضـع لحكم (تيـمور) وأصـبح من أتباعه، فقـام (تيـمور) بمكافأته على اخلاصه له، وأعطاه آذربيجان ومدينتي خلات و قلعة وان.

وفي عـام (٩٥٥) وقـعت وان في أيدي الشـاه (طهـماسب الصـفـوي)، وفي عـام (٩٥٦) وفي زمن السلطان سليـمـان، انشقّ أخ الشـاه طهـمـاسب المسـمى (ألقـاص مـيـرزا) على أخـيـه وفـرّ لطرف (سليـمـان خـان)، ولكن أثنـاء الفـوضـى التي حـدثـت والسلب والنـهـب الـذي جرى، قُـتـل فـي بلاد العجم. وأصـبح (ابراهيم پاشا) القائد الأعظم كـما أصـبح (القـاص مـيـرزا) مـسـاعـداً له، فـتـوجّـهـوا بجـيـش كـبـيـر متكون من عـسـاكر الأيـالات التـابعـة للأناضـول ومناطق (قـرمـان) و(مرعش) و(دياربكر) و(الشـام) و(حلب) و(طرابلس) و(أورفـه) و(أدنـه) وعـسـاكـر جـمـيـع مناطق كـوردسـتـان، ووصلوا الى سـهـل (وان) حيث نصبوا فـيـهـا الخـيـام و أخذوا الراحـة هناك، أمّا (العجم) الذين كـانوا قد اعـتـصـموا بالقلعـة، فلم يسـتـطيـعـوا الصـمـود أمـام هذه القـوّة العـثـمـانيـة، ومن خـوفـهم أرسلوا مـفـاتيـح القلعـة الى القـائد الأكـبـر، وتوجـهـوا الـى قلعـة (زگـدراو). وفي ذلك اليـوم قـام (أمين بگ المحمودي) بـجلب مفـاتيـح (آمق، سي آوان، وسـلطان كـيـبـان) للقـائد، لذا سلّمت تلك القـلاع مع حكومـاتها اليـه. كـمـا قـام أصـحـاب القـلاع المحكمـة وجـمـيـعـهـا للأكـراد فـي (جرم، بيـدكـار، بارگري، روسـنـي، حل، وطنوزه) بجلب المفـاتيـح اليـه، فـقـام القـائد الأعـلى بتـسـليـم منطقـة وان الى وزير الشام (خسرو پاشا).



ولكن العديد من أمراء كوردستان مثل (شرفخان البدليسي) والذي كان قد وضع التاج على رأسه من قبل الشاه (طهماسب). بدأوا بقطع الطرق وأيذاء أهل القوافل من المسلمين والمسافرين وقام القائد بارسال خبر الأستيلاء على (وان) مع ثلاثة وأربعين قلعة أخرى الى (سليمان خان) كخبر عاجل وكان في ذلك الوقت في المناطق الحارة في (حلب)، فتوجّه (سليمان خان) بنفسه لطرفهم أيضاً. وقام (خسرو پاشا) كونه أوّل حاكم لقلعة (وان) بتجديدها وتعميرها، وعندما علم (شاه ايران) بالأستيلاء على قلعة (وان)، جمع جيشاً كبيراً من ايران وتوران وتحرّك نحو هذا المكان، وتحرّك القائد (ابراهيم پاشا) مع قوّاته للوقوف أمام تقدّمه، اذ تحرّك من (وان) نحو الشمال والشرق الى أن وصل (سلماس)، التي تبعد عن (وان) بـ(سبعة فراسخ)، وعندما علم الشاه بتحرّك هذا القائد، رجع الى (أصفهان)، وتقدّم القائد الى (أسعد آباد) قرب (تبريز)، وأتى لطرفه وجهاء المنطقة ورجال الدين والأعيان وتنازلوا له وقدّموا له الهدايا. لذا أمر (ابراهيم پاشا) بعدم القيام بسلب ونهب (تبريز)، ولكن بما أن مصيف (قزلجه) الذي هو مكان وعر يعود للعجم، ويقوم أهاليه بالتمرّد والعصيان، لذا أرسل القائد، (أولامه پاشا) مع عشرة آلاف مقاتل للأستيلاء عليه، ولكن (أولامه) اندحر ورجع بعدد قليل من مقاتليه الى (تبريز)، فقام القائد بارسال جيش أكبر الى مصيف (أوجان) قرب تبريز وخوي ومرند وتسو وسلماس، فقاموا بنهبها جميعاً وأخذوا ثأرهم ورجعوا الى (تبريز) مع غنائم كثيرة، وبعد عشرين يوماً من تلك الحوادث، توجّه أكراد (پنيانش) من مصيف (قطور) الى (وان) وقاموا بتعمير قلعتها، وبما أنّ (شرفخان البدليسي) كان قد فرّ لطرف شاه ايران، لذا أُعطيت



منطقة (بدليس) كهديّة الى (أولامه پاشا).

بعد ذلك، سار القائد (ابراهيم پاشا) عن طريق بدليس وحزو وميافارقين ودياربكر نحو بغداد، اذ كان (سليمان خان) قد فرض عليها الحصار، فوصل الى هناك لخدمة السلطان واشترك في حصار بغداد، وبعد حصارٍ لمدة أربعين يوماً، تمّ احتلال هذه المدينة في عام (٩٤١).

بعد رجوعه الى (استانبول)، وصله الخبر بأن قيصر (الألمان) قد أرسل الجيوش لاحتلال (بلغراد)، فتوجّه (سليمان خان) دون وقوف لتلك المنطقة، وبعد احتلال (٧٠) قلعة من قلاعهم، مثل قلاع (أردود) ودوقية (سولانكميش) و(أردين) و(أوسكه)، رجع الى استانبول منتصراً. وفي ذلك الوقت وصلته الأستغاثة من أهالي قلاع (وان) و(عادلجواز) باحتلال شاه العجم لقلاعهم، فلم يبق مجال للسلطان (سليمان) الاّ التوجّه للمرة الثانية لمواجهة العجم.

في اليوم السابع من شهر (صفر) من عام (٩٥٥) بدأ (السلطان سليمان) بالسفر برفقة الأمير (جهانگير) ووصلوا (أسكودار) ومن هناك سافروا بجيش كأمواج البحر، الى أن وصلوا المكان الذي يسمّى (سيد غازي)، وهناك وصل الأمير (سليم خان) والي (صاروخان) لخدمته، وسلّمت له أمور منطقة (الروميلي)(١) وأرسل الى دار السلطنة الثانية (أدرنه). ثم سار الى أن وصل الى (آقشهر) وأخذ الراحة هناك. ووصل

١- منطقة الروميلي: هي المنطقة التي تقع في غرب تركيا، أي غرب المضائق، وتقع فيها مدينة استانبول، فتسمّى تلك الأراضي بالروميلي، ومن الناحية الجغرافية تقع تلك المنطقة ضمن قارة (أوروپا)، ولهذا السبب، تحاول جمهورية تركيا الحالية، الأنضمام الى الأتحاد الأوروپي، كونها تملك أجزاء من الأرض ضمن قارة أوروپا، وتقدر تلك الأراضي بـ(٣٪) من مساحة الجمهورية التركية الحالية، بينما تكون نسبة ٩٧٪ من المساحة ضمن قارة آسيا. (ر. ف)



الأمير (بايزيد خان) مع جيشه، ووقفوا على جانبي الطريق لأداء التحية له، وعندما ظهر علم الرسول(١)(ص)، نزل من فرسه وقبّل ركاب والده، وقد سُرَّ السلطان بذلك، وأخذ معه ذلك الأمير وتوجّهوا معاً صوب منطقة (وان)، الى ان وصلوا الى (سيواس)، وهنا أتى الأمير (مصطفى خان) والي (أماسية) وتقدّم وقبّل أيدي السلطان والتحق به مع جيشه، وعندما وصلوا الى قلعة (أرضروم) أخذوا الراحة لمدة ثلاثة أيام، وجمع هناك جيوشاً أخرى وأتى الى أن وصل قرب قلعة (عادلجواز) وأخذ استراحة هناك، فلم يستطع العجم الصمود هناك، فتوجّه بعضهم بالسفن نحو قلعة (وان) وفرّ البعض الآخر الى سهل (تحت وان) وأخلوا قلعة (عادلجواز)..

وأمام هذه القلعة أمر السلطان بتعيين (أولامه پاشا) برتبة (بگلر بگي)، وأرسل (پيري پاشا) مع أربعين ألف مقاتل لضرب الحصار على (وان). وعندما وصل أولئك الى أسفل (وان) حفروا الخنادق وتخندقوا فيها، وأرسل بضعة آلاف من العساكر لأراضي العجم للسلب والنهب والتخريب وللتمويه على الأمر، وبعد عشرة أيام وصل السلطان الى سهل (تبريز).

أمّا الأخ الأصغر للشاه الذي يدعى (القاص ميرزا) فحضر أمام السلطان وبدأ بالسلب والنهب، الى أن جعله (السلطان) قائداً، وتوجّها نحو همدان ودرگزين وأردبيل ونهاوند وقم وكاشان وقزوين ومراغه وأسد

١- يقصد بعلم الرسول، العلم الذي كان يرفعه موكب السلطان العثماني، لدى جولاته، اذ كان السلطان العثماني يعتبر نفسه خليفة الرسول (ص)، وانّ الامبراطورية العثمانية هي تكميل لدول الخلافة الاسلامية منذ عهد صدر الاسلام وحتى سقوط الامبراطورية العثمانية. ولا تعني عبارة (علم الرسول) من قبل المؤلف، أنّه كان العلم الذي كان في عهد الرسول (ص) حتماً. (ر. ف)

٣

آباد ومدينة (أوجان) وأطراف (أصفهان)، وأحتلاً خلال أربعين يوماً، (٧٦) مدينة وقصبة من العراق وأذربيجان، ثم رجع السلطان مع (القاص ميرزا) الى أسفل مدينة (تبريز)، ولقد جلبوا من الغنائم التي نهبوها معهم، بحيث أنَ كل حمّال من حمّالي الدواب، كان قد حصل على حمل (جمل) من المسك، وقد شاع هذا كثيراً، ولكن (سليمان خان) لم يسمح بنهب مدينة تبريز، ولم يرض بالمساس بأهاليها، وهدّم أيوان الشاه وشارع الشاه داخل مدينة تبريز فقط، وعندما ذهبت الى تبريز عام (١٠٨٥) تحدثت عن هذا التخريب.

بعد ذلك، توجّه السلطان نحو الغرب، وبعد خمسة أيام وصل الى سهل (وان)، فرأى أنّ (أولامه پاشا) و(پيري پاشا) لا يزالان في الخنادق، فأمر فوراً أن يتولى الصدر الأعظم (رستم پاشا) قيادة الجيوش لأحتلال (وان)، مع تعيين (٧٠) (بگلربگي) معه من أجل ذلك، بشرط أن لا ينجو أحدٌ من الأعداء من هناك وأن يقوم أولئك القادة فيما بينهم بالتشاور في كيفية احتلال القلعة. لذا قام الجيش العثماني بالتقدم مثل أمواج البحر نحو القلعة وأحاطوا بها من الجهات الأربعة، ودام هذا الحصار الضيّق لمدة عشرة أيام، ودبّ الذعر والخلل في صفوف العجم الموجودين داخل القلعة بسبب الجوع والقحط ونفاذ الأرزاق، وفي اليوم الحادي عشر، قام قائد القلعة (أمير الجيش عليجان) مع بضعة أشخاص آخرين، بالنزول من جدران القلعة بواسطة الحبال، وتوجّهوا الى خيمة (القاص ميرزا) وإرتموا على أيديه وأرجله، فقام هو بالرجاء من (سليمان خان) للعفو عنهم، وبهذا الشكل تمّ احتلال قلعة وان مرة أخرى في يوم (٢٠) رجب عام (٩٥٥)، ورجعت الى أيدي السلطان سليمان ورئيس وزراءه وقائده رستم پاشا.

لقد مكث السلطان أربعين يوماً آخر في (وان) وقام بتعمير قلعتها

بشكل أفضل من السابق، واليوم تعتبر قلعة (وان) واحدة من قلاع العثمانيين الحصينة والمتينة ويسمّيها المؤرخون بـ(قزل أرسلان) أي (الأسد الأحمر)، وذلك لأن لون أبراجها وحجارتها هو اللون الأحمر، ولو نظرت اليها من الخارج تراها، وكأن الدم قد سكب عليها.

أوصاف صخرة وان:

تقع (وان) ضمن أراضي (آذربيجان) تحدّها بحيرة (وان) من الجنوب والشمال والغرب، أما جهة الشرق وجهة القبلة منها فتقع ضمن منطقة سهلية ورياض جميلة وكأنها جنّة (أرم ذات العماد)، وتظهر القلعة من بعيد داخل هذا السهل وكأنها (جمل) محمّلٌ بأحماله وقد برك الجمل بحمله، وجهة الظهر منه يتعالى الى حافة السّماء ويظهر بألف لون، أما الأطراف فمثل الجمل المحمّل وقد تداعت الأحمال عنه، أما الطرف السفلي منها فتشبه جبل (بيستون) وهي عبارة عن صخرة مخلخلة من الأسفل، وفيها جدران السور المنخفض للمدينة، وفي الشمال، يوجد منخفض أسفل الصخرة- الجهة التي أفرغ فيها (تيمور) التراب، لا وجود لبيوت المدينة فيها، وفي الطرف الآخر يوجد مستنقع، أما الطرف الغربي فيوجد فيها تراب (تيمور) ووراءه منطقة سهلية، ان هذا الجبل الذي يقولون عنه، انّه يشبه الجمل الذي قد برك، فان رأس (الجمل) يتجه نحو الشرق، وان كتلة صخورها العالية، لا تصل المدافع اليها، أما أرجل الجمل، فتتجه نحو غرب البحيرة، والذي قلنا عنها بأنها أرجل الجمل، تتّسع من الغرب لمسافة ثلاثة آلاف وستين خطوة، ويجب أن تصعد الصخور بواسطة السلالم المخيفة ولمدة ساعة كاملة للوصول اليه، ويجب ان تمر بسبعة أبراج وسبعة بوّابات، ثم تصل فقط الى باب (عربجان) وهي أكثر جدران القلعة انخفاضاً. تظهر حجارة هذه القلعة بشكل غريب عندما ينظر اليها من الأسفل، فتظهر من



أحد الأطراف، وكأنها ثعبان كبير وقد توجّه بجسمه نحو الأسفل ليسدّ الطريق نحو المدينة، ورأسه ومخالبه وعنقه ظاهرة بكل وضوح، وهناك جانب آخر من القلعة يشبه الأسد، أو التمساح أو السفينة في الماء، وهناك جانب آخر تسكنه النسور ويمكن الوصول الى اعلاها من الأسفل بمدّة ثلاث ساعات لكي تصل الى تلك الصخور، ويوجد في هذا الجبل ستمائة كهف كبير بشكل طوابق، وكل واحد منها واسع بقدر خانات القوافل، ويوجد داخل بعض هذه الكهوف خلايا لدودة الحرير، اذ يأتي أهل تلك الصنعة بآلات الغزل فيغزلونها هنا ويصنعون منها خيوطاً ثم يحوكون منها الأقمشة الحريرية، وفي مئات الكهوف خزنت قنابر المدافع بعدد لا يعلمه الاّ اللّه، وبعضها مليئة على الآخر بالبارود الأسود، وبعضها الآخر مليٌ بالسيوف والسهام والبنادق والدروع والطبر والمعاول والمجارف والعتلات والمرجوحات والمنجنيق والحجارة المدوّرة وأنواع عديدة من الأسلحة والأمتعة، وقد خزنت الأرزاق والحبوب في مائة كهف، مثل الحنطة والشعير والرز والذرة والباقلاء والعدس والحمص وأنواع أخرى من الحبوب، وهناك كهف آخر مليء منذ ألف عام بالأحذية القديمة والممزّقة وقطع القماش القديمة وأشياء أخرى عديمة القيمة وهناك كهف آخر مليء بعظام الحيوانات والوحوش، وهناك كهف آخر مليء بمستودعات كبيرة، في أحدها يخزن دهن الكتّان وفي آخر دهن السمسم وفي آخر دهن السّمك وفي آخر الدهن الحيواني وفي آخر النفط الأسود وعدة أنواع أخرى من تلك الدهون، وهناك سبعة أحواض مصنوعة ومملوءة بجلود الأغنام والجواميس، وقد سلخت تلك الجلود ونظفت وقطعت الى أجزاء رفيعة وملئت بها تلك الأحواض، ثم أفرغت عليها كميات من العسل الى أن غطست في الماء، وقد تحولّت الآن من الجلود الى (مربّى) طيب ولذيذ جداً بحيث لا يشبع منها المرء، وفي



كهف آخر يوجد سمك مملح وفي آخر يوجد لحم الخروف المملح أو لحم الماعز أو الجاموس المجفف، اذ توجد هناك ثلاثة كهوف مليئة بالملح، وهناك أربعون كهفاً مليئاً بالذرة المغلية وأرغفة الخبز والبقصم والطحين والبرغل بكميات لا يعلمها الاّ اللّه، وهناك أحواض أخرى مليئة بالخلّ والعسل والجبن وزيت الزيتون وحتى الشراب إذ يعطى للمرضى أو المسيحيين، والأغرب من ذلك، أنّ هناك كهفاً يحوي نبعاً من النفط بقدرة اللّه، اذ يخرج النفط من احدى الشقوق الصخرية ويصب في أحد الأحواض، واذا امتلأ الحوض يأتي أحد موظفي المالية التابعين للحكومة ويبيعه للناس، ولكن هذا الكهف مغلق ليلاً ونهاراً، وهناك أكوام من التراب على جانبيه، بحيث لو حدث حريق لا سمح اللّه لأي سبب فسيقومون باطفاء النيران بواسطة ذلك التراب.

بأختصار، يوجد في هذا الجبل من (وان) ستمائة كهف كما أسلفنا، وليس فيها أيٌّ كهفٍ فارغ، فجميعها مليئة بالسلاح والعتاد واللوازم الحربية. ولانّ (سليمان خان) الذي كان منتصراً في فتوحاته وحروبه وقد فتح العديد من القلاع، وكان على معرفة بأيّ شيء، كان قد فكّر في مسألة الهجوم على القلعة من الخارج، وكذلك الدفاع من داخل القلعة، لذا كان قد نصب مدافع (باليومز) كلّ عشرين عشرين أو ثلاثين ثلاثين أو أربعين أربعين، من أسفل القلعة والى قمّتها، وذلك لكي تقصف لمسافة مسيرة أربعة ساعات حتى بساتين (أردميت) لسدّ الطرق أمام الأعداء، وكذلك للسيطرة على سهل (وان) ولحدود أربعين ميلاً من البحيرة، بحيث لا يستطيع أحد التحرّك، لذا ورغم كل ذلك، لو أستطاع العدوّ بخدعة ما من الوصول الى سفح القلعة، ولم تكن لديهم المدافع الكبيرة لضرب الطريق...

لذا قام (السلطان سليمان) بعد جهد جهيد وعملٍ مضن من فتح منافذ



وثقوب في جدران بعض الكهوف، لأخراج فوهات المدافع من تلك الثقوب بشكل يدعو للعجب، وبهذه الطريقة استطاع نصب صفٍ من المدافع، ووضع قنابرها وذخيرتها بالقرب منها، أما الكهوف التي تقع أسفل منها، فقد قام بثقب جدرانها وأخرج منها فوهات المدافع الأصغر منها ووضع قنابرها الحجرية الى جانبها، ومن غير ذلك، فقد وضع المدافع على السور السفلي للقلعة، اذ وضعها أمام البوابة وعلى الحيطان والأبراج والسياجات، وذلك من بوابة (يالي) الى برج (الپاشا)، ومن برج رستم پاشا وخسرو پاشا وحتى البوابة الوسطى، ومن بوابة تبريز الى البرج الأعلى، وقد صفت المدافع فوق بعضها البعض، وهكذا لو أحصينا المدافع من اليمين واليسار، فانها تكون أربعة صفوف..

أشكال قلعة (وان):

انها قلعة محكمة، تقع فوق الكهوف التي تحدّثنا عنها، وتصل قمتّها الى أوج السماء وللقسم الغربي منها سبعة طبقات من الابراج، ولها بوابة بحيث تظهر تلك الأبراج لبعضها البعض، الطرف الذي يطلُّ على جهة الشمال، مبنيٌ على جبل مسنّن ولها ثلاثة جدران، وفيها عشيرة (عزب) مع العساكر الآخرين، ومن هذا الجانب، هناك طريق يمر عبر الصخور، وهو نفس طريق جلب الماء. وقد نصب في برجها مدفع (باليومز). أما جهة القبلة منها فتطلُ على جنوب المدينة، ولا وجود للسور في هذا الجانب من القلعة، وبنيت فوق هذه الصخور المستوية سراي الحاكم ومقرّ آغا الانكشارية ورئيس الرقباء والكاتب ونقيب السراي ومسؤول القلعة والانكشارية الآخرين وآمر المدفعيّة والمسلّحين والقوات الأخرى... ومن هذه النقطة لا يجرؤ أحدٌ على النظر الى الأسفل، وهنا يوجد برج الماء الذي ينفصل عن أسفل المدينة بواسطة الصخور الكبيرة، ومن القلعة ومن قمّتها



العليا. هناك سلالم منقورة في الحجر، بعدة آلاف درج، يمكن النزول منها الى الماء في الأسفل، فهذا هو طريق الصعود والنزول، أما طريق سحب الماء من الأسفل، فهو طريق آخر، ولقد قام (قليج أرسلان) في وقته بجعلها طريقين، لكي لا يصبح طريق جبل الماء مزدحماً أثناء الحصار، وفي هذا المكان من قلعة (وان) توجد مطحنة (خورخور) وتعمل المطحنة هنا، وتجري مياهها الى (الدباغخانه)، لتسقي البساتين الخارجية، وكلّ ما زاد عن تلك البساتين، يصبُّ في البحيرة، وهو ماء زلال وطيب..(١)

مقطع عنق الجمل:

من غير القلعة التي تحدّثنا عنها، فالمكان الذي وصفناه بأنّه يشبه عنق الجمل، توجد فيه قلعة صغيرة، وهي تشبه القلعة الكبيرة الجاثمة على رأس الجمل، وتقع تلك القلعة الى الأسفل من قلعة الانكشارية، ولهذه القلعة أيضاً طريق للماء، ولها كهوف

ولها مسؤول القلعة وفيها عساكر وأسلحة كافية، وقد أصبحت تلك القلعة عقبةً في طريق (تبريز)، بشكل بحيث لا يمكن احتلالها..

كتلة القلعة العليا:

لم أستطع قياس هذه القلعة بالخطوات، لأنّ أطراف المضيق كثيرة المنخفضات والمنكسرات، وكأنها وادي جهنّم، ولهذا السبب لم يحفر لها أيّ خندق، والشيء المعروف انّها قلعة صعبة ومحكمة، وتتجه من جهة الشرق

١- سبق أن ذكرنا، أنّ المطاحن القديمة في كوردستان، كانت تعمل بواسطة الماء، فكانت تجلب ساقية كبيرة من الماء، لتصبّ داخل بناء يشبه البئر الواسع ومفتوح من الأسفل، وفي أسفل البئر، كانت هناك ماكنة تعمل لطحن الحبوب، وتدار أذرع تلك الماكنة بواسطة الماء النازل اليها من أعلى البئر، ولا زالت آثار الكثير من تلك المطاحن المائية موجودة في كوردستان. (ر. ف)



نحو الغرب، وارتفاعها من الأسفل الى الأعلى، هو ثلاثة آلاف خطوة، وبكلّ صعوبة يمكن الوصول الى أبراج القلعة، أما جهة الغرب منها، ففيها ثلاثة بوابات حديدية، بين بوابات قلعة (وان) سواءً كان ليلاً أو نهاراً، صيفاً أو شتاءً، ففي كل يوم، هناك مجموعة من الأنكشارية من (العزب)(١) أو الـ(براوده)، ومجموعة من الرجال، يحرسون الفناء، ولا يسمح لأية امرأة أو طفل ان يدخلها، والسبب في ذلك هو أنّه في احدى المرات، لبس عدّة مئات من الأكراد ملابس النساء، ودخلوا القلعة واحتلّوها، وفي النهاية قام شخص يدعى (أحمد آغا) بصرف مبالغ من نقوده الخاصة لاستئجار ثلاثة آلاف شخص، واستطاع بكل خدعة ومكر وحيلة مع الاستفادة من السفن البحرية من دخول القلعة من مكان ما، وقاموا بقتل أولئك الأكراد بالسيوف، وقد رمى بعضهم بأنفسهم من أعلى القلعة، فماتوا، وتمّ تعليق جثثهم على أبراج وأسوار القلعة، وكانت هذه الحادثة قد حدثت في زمن مراد الرابع، ومنذ ذلك الوقت، لا يسمح بدخول النساء والأطفال للقلعة، وقد تمّ تعيين جنود عشرة ثكنات(٢) من الأنكشارية لـ(وان).

ومن هذه البوابة نحو الشرق والى برج (عنق الجمل) تبلغ المسافة

١- العزَب أو العزاب: كانوا فرقة من مشاة قوات الحدود، وهي بمثابة قوات فدائية، وكانوا يتقدّمون الأنكشارية أثناء الهجوم، وعلامتهم المميّزة كان ارتداء طاقية حمراء.

أنظر كتاب (تاريخ العراق في العهد العثماني)، لمؤلفه (علي شاكر علي) ط١ بغداد (١٩٨٥). ص٢٩. (ر. ف)

٢- يقصد المؤلف بذلك، أن عدد الجنود الأنكشارية الموجودين في (وان) كانوا يملؤون عشرة ثكنات عسكرية، ولكنه لم يوضّح، كم كان عدد الجنود الذين يسكنون كلّ ثكنة. (ر. ف)



ألفاً وأربعون خطوة، ولو أضفنا اليها ثلاثة آلاف وستين خطوة وهي المسافة من الأسفل، فيبلغ ارتفاع قلعة وان من الأسفل الى القلعة الوسطى والى برج (عنق الجمل)، أربعة آلاف ومائة خطوة، ومن الممكن أن يبلغ عرضها من بعض الأماكن بين المائتين الى ثلاثمائة خطوة...

الأبنية الموجودة داخل قلعة وان:

يوجد فيها حوالي ثلاثمائة بيت تعود للأنكشارية وجنود المدفعية وغيرهم من المسلّحين، وجميعهم عزّاب، ولا يوجد بينهم من هو متزوج و صاحب عائلة، ولكن الطرف الآخر نحو الشمال والذي يطلّ على السهل، والتي يوجد فيها برج (الماء)، يضم بيوت المتزوجين وأصحاب العوائل، وبيوتهم ضمن فناء محاط بسياج، وفيها مسجد (سليمان خان) الذي كان عبارة عن كنيسة في السابق، ثم تمّ تحويلها الى مسجد، وكانت منارتها قد سقطت بفعل الزلزال، وقام (آغا) الأنكشارية (عمر آغا) ببنائها من جديد، وانّ قبابها وبيوتها تبقى حتى قرب وقت الظهيرة بين الغيوم والضباب ولا يمكن رؤيتها، ويقال بأنّ السّهام لا تصل الى قمّتها، ولكن في الوقت الذي رجع فيه (مراد خان الرابع)(١)، من فتح (روان)، نادى على الفارس (ساري صولاغ) و (حاجي سليمان) وأمرهما برمي السهام نحو قمّة القلعة ويقال أنهما أوصلا السهام للقمّة، ويوجد في الداخل سبعة مساجد، تكية، ثلاثة مدارس للصبيان، وعشرة دكاكين صغيرة، ويوجد حمّام داخل كل

١- لقد ورد في الأصل التركي (مراد خان الرابع)، بينما نرى في الترجمة الكوردية اسم (سليمان خان)، لذا اقتضى التنويه ينظر الأصل التركي ص ١٧٠ وتنظر الترجمة الكوردية ص ٢٠٠. (ر. ف)



بيت(١)، وتقوم كل عائلة بجلب الماء لها من الأسفل بواسطة بغل أو حصان.

شيءٌ مهم:

في الطرف الداخلي القِبلي من القلعة، والذي يطلّ على المدينة، وعلى كهف (عنق الجمل) توجد صخرة مخروطية الشكل وذات زوايا أربعة، وقد نقرت حتى أطبحت ملساء وكتبت عليها بعض الأشياء، وتلك الأعمال المنقورة هي عبارة عن كتابات ورسوم ورموز، بحيث لم أتمكن من قراءتها.

القلعة السفلى:

لا وجود للسياج العلوي لهذه القلعة من أية جهة، ما عدا طرف القِبلة الذي يطل على سهل واسع، وهي قلعة قويّة جداً، ومثلّثة الشكل، ومن طرفها الخلفي ومن جهة الشمال تتصل مع القلعة العليا، فيصبح شكلها مربّعاً، وان هذه القلعة السفلى لا وجود للأسوار فيها عندما تتصل بالقلعة العليا، وهي قلعة محكمة، بنيت بالحجارة المنقورة الكبيرة الحجم، بنيت في عهد الشاه (تاج الدين)، وهي منخفضة ولكنها قوية، وعرض أسوارها هو (١٢) ذراعاً وبنيت بشكل جيّد، واعتباراً من برج (الولد) والى برج حديقة سراي الپاشا، يكون عرض السور (٢٠) ذراعاً، ولكن من طرف برج (الماچي پاشا) والذي تمّ ترميمه بعد الحصار، يكون عرض السور ثلاثة خطوات، ويمكن السير فوقه بالحصان.

١- هكذا هي البيوت الكوردية في القرى الكوردية ومنذ القدم فأما انّها تملك غرفة للحمّام في كلّ بيت، أو تقوم العائلة بأعداد زاوية من زوايا الغرفة وتصنع فيها حمّاماً صغيراً مرتفعاً عن أرضية الغرفة، ولها مجرى ماء خارج الغرفة من تلك الزاوية وتستعملها كحمّام، ويسمى هذا الترتيب الصغير في الكوردية بـ(سه رشوك)، أي مكان الأغتسال ويساعد هذا الأمر، في عدم خروج الأطفال أو الأشخاص من الغرفة أثناء الأستحمام، وذلك لقساوة فصل الشتاء، في كوردستان. (ر. ف)



الأبراج:

يبلغ عدد الأبراج فيها (٧٠) برجاً، ويكون برج (السلطان ولد) لحماية سور القلعة، وتكون مدافعها جاهزة على الدوام، ومن طرف بوآبة (يالي) هناك أبراج، شاه پاشا ورستم پاشا وخسرو پاشا وألماجي پاشا و سليمان پاشا، أما برج (كتانچي محمد پاشا) فقد تم تجديده في عام ١٠٥٥. أما أبراج البوآبة الوسطانية وبرج أحمد آغا (وان)، وبرج أسكندر پاشا الشركسي الذي كان الوالي الأول على (وان)، وبرج أولامه پاشا، وبرج آتلي پاشا، وبرج يازي والبرج المنقوش، وبرج فلميت، ثم برج ألماجي پاشا مرة أخرى، وبرج بوآبة تبريز، يقع تحت قلعة (عنق الجمل) وقد بني البرج من الحجارة الكبيرة على قمّة من الأرض وعلى شكل سبعة أو ثمانية طبقات ولا يمكن وصفها باللّسان، وبين كل برج وآخر يوجد طريق للمرور بينها والأتصال مع بعضهم لتوصيل المساعدات تحت الصخور، لا يعلم بها أحد غيرهم.. البرج الذي بني فوق البوآبة، توجد فيه مدافع كثيرة، لأن الخطر المحدق بـ(وان) يأتي من هذا الطرف دائماً، لذا فأن الجزء السفلي من القلعة في هذا المكان عريض جداً، وفيها أربعون كهفاً متكوناً من عدّة طبقات، ويوجد أمام هذه الأبراج، أسوار منخفضة ومحكمة، وفيها ثقوب في الخنادق، ولكن لم توضع المدافع فيها، وتوجد ممرات تحت الأسوار، بحيث لو حدث الحصار، وأراد العدوّ رمي التراب عليهم وقتلهم عن طريق الأختناق، لكي يستطيعوا رمي ذلك التراب الى الخارج، ويوجد في ثلاثة أطراف من هذه الأسوار، أخدود تمّ انشاؤه من بوآبة (يالي) الى بوآبة (تبريز) ويبلغ عرض هذا الأخدود من خمسين الى ستين خطوة، ولكنّه منخفض، وذلك لصعوبة فرض الحصار عليه، ولو حفرت هنا بعمق ذراع، لوصلت الى الماء، لذا تصعب عملية حفر الخنادق هنا، وعندما وصل في



وقته (رستم خان الأقرع) مع الجيش الايراني الى أمام هذه القلعة، جلب كميات كبيرة من التراب ودفعها الى الأمام شيئاً فشيئاً، وتحركت جيوشه خلف ذلك التراب، الى أن ملأ الخندق الحربي به واحتلّه. أمّا الخندق الذي في طرف بوابة تبريز فهو خندق كبير، فعرضه يصل الى مائة ذراع، وعمقه الى أربعين ذراعاً، الجنود الموجودين هنا لا يخافون من العدوّ أبداً، حتى في وقت حصار (رستم خان) الذي وصل الى سبعة أشهر، فأنهم لم يطلقوا في تلك الأشهر السبعة أكثر من سبعة قنابر مدفعيّة، ولقد بقي أحد (مدافع) زمان (سليمان خان) هنا، وقد كسرت أنبوبته اذ سقطت قطعة من فمه، لذا يسمّونه هنا بالمدفع المثلوم، وفي احدى المرات، أطلق هذا المدفع، فسقطت قنبرته بين سبعة ضباط من العجم، كانوا جالسين سويّة، فقتلوا جميعاً، ومن غير هذا، فكل بلاء ينزل، يقع على القلعة السفلى أولاً...

وفي أحدى المرّات حدث جدال بين حرّاس برج (وان) مع حرّاس الأبراج الأخرى، فقال أحد حرّاس برج (وان) (اسكتوا، ففي زمن رستم خان الأقرع، حدثت مجاعة بيننا في قلعة وان، فأضطررنا لأكل لحوم القطط وجراء الكلاب،(١) وقامت أخواتنا وخالاتنا وعمّاتنا وأطفالنا بتناول لحوم شهدائنا، وقد قدّمنا ألف شهيد من أجل كل حجر من حجارة هذه القلعة، ولم نسلّم القلعة للأعداء).. فأفتخروا مع بعضهم البعض بهذا الشكل، وفي الحقيقة هم قوم عنيدون.(٢)

وبعد سبعة أشهر من الحصار من قبل (رستم خان الأقرع) ترك أحماله

١- جراء الكلاب: صغار الكلاب ومفردها (جرو)..
(ر. ف)

٢- يقصد بهم الكورد، فهم قوم معاندون وثابتون أمام الأعداء، ولكن لو توحّدوا!!
(ر. ف)

وأرزاقه، ورجع بكل حسرة وخيبة الى ايران، وقد تعقبه أبطال (وان) الى أن لحقوا به قرب أورمية وسلماس، فدحروا جيشه وجلبوا معهم عدّة آلاف من الأسرى ومن الجماجم،(١) ورجعوا بأموال طائلة وغنائم كبيرة، وعندما وصلوا أقاموا الأحتفالات والرقصات لذلك..

يقول العجم في بلادهم (لقد قام قائد جيشنا رستم خان، بتجريح (وان) من عدة جوانب، وبالتالي فانّه سيصيدها..) وان شاء الله لا يتحقق ذلك، وبما أن كل وزير قدم الى هنا، قام باضافة شيء الى متانة قلعة (وان)، لذا قام (ملك أحمد پاشا) أيضاً الذي أصبح قائداً لمنطقة (وان) في هذه المرة، ببناء برج جديد في مكان برج القلعة العليا، ووضع لها بوّابة حديدية وصنع في أسوارها مواضع لأخراج فوهات المدافع منها، ووضع لها ثمانية مدافع (باليومز) في الأطراف الأربعة، كان هذا في عام ١٠٦٥..

ومن غير هذا، قام بوضع غطاء محكم لبوّابة (تبريز)، وحفر لها خندقاً من اليمين واليسار، بحيث لا يستطيع الطائر الطيران فوقه، وبنى جسراً ذو بكرة، على ذلك الخندق، بشكل لا مثيل له، وفي المغرب من كل يوم، يقوم الحراس والرجال التابعون لخدمات هذا الجسر، برفع الجسر بواسطة الحبال والسلاسل، ولصقه بجدار القلعة، ثم يقومون بوضعه في اليوم التالي.

مداخل قلعة وان:

للقلعة أربعة مداخل حديدية، وأقوى تلك البوّابات هي بوّابة (تبريز)، ذات الخمسة طبقات، والتي يحرسها الحراس ليلاً ونهاراً، وفي الجانب الأيمن من هذه

١- كانت هناك عادة في الحروب القديمة، أنه لدى انتصار أحد الجيوش على الآخر، فان الجيش المنتصر، سيقوم بجلب عدد من الرؤوس المقطوعة لأعداءه معه الى دياره، وخاصة للرجال المهمّين من الأعداء كدليل على النصر المؤزر عليهم.. وهذه صفة غير انسانية في الحروب.. (ر. ف)



البوابة و من تحت (عنق الجمل) ومقطعها، تخرج كمية من ماء الحياة من أحد منابعها، ليمر أمام الخان و المسجد والبيوت وحمّامات المدينة، وعدّة حدائق للبيوت، ليسقيها جميعاً، والزائد منه يخرج للخارج، ويوجد معبد قديم قرب منبع هذا الماء، اذ يذهب حرّاس البوابة للصلاة هناك ويجلبون ماء الشرب لهم من هناك.. والثانية منها هي البوابة الوسطانيّة، التي تفتح على جهة القبلة ونحو الجنوب ومن جهة بساتين (أردميت)، وهي مصنوعة من الحديد بثلاث طبقات، وهي تشبه بوابة (باب ناصر) في مصر، ودواخل هذه البوابة مليئة بالسلاح والعتاد، ولها حوالي (٢٠٠) حارس، كما صنع جسر قوي على خندقه.

البوابة الثالثة، وهي بوابة (أوغرن)، وهي بوابة صغيرة و تقع في احدى زوايا حديقة سراي الپاشا وتطل على جهة القبلة، وهذه البوابة مغلقة على الدوام، ومفتاحها لدى الپاشا شخصياً. فاذا وصل أحد سعاة البريد أو أحد المبعوثين من كوردستان أو بلاد العجم، فتفتح له هذه البوابة ليلاً، بأذنٍ من الپاشا بذاته. وهناك جسر خشبي موضوع على خندقه، ويقوم الحرّاس بحراسته..

البوابة الرابعة هي بوابة (يالي) اذ تطلّ هذه البوابة المصنوعة من أربعة طوابق من الحديد، على الجهة الخلفية، ولكل طابق بوابوه المسلّحون، وبالرغم من أنّ وجهة هذه البوابة هي نحو الميناء وهي مفتوحة، ولكن لها مسلّحون كثيرون، حتى أنّ مدير الگمارك ومدير المالية لهما المسلّحون التابعون لهما، وتوجد على الجدران الموجودة بين تلك البوابات كميات كبيرة من السلاح والعتاد، بحيث لا يمكن عدّها. ويوجد أمام هذه البوابة خندق، وعليه جسر خشبي.

كتلة قلعة وان:

يبلغ محيط هذه القلعة السفلى، خمسة آلاف خطوة، اعتباراً من بوابة تبريز من طرف الشرق وحتى بوابة (يالي) من طرف الغرب، مع الأسوار والأبراج



والفتحات الموجودة فيها.. فاذا حسبنا القلعة الداخلية معها أيضاً، فتصبح المسافة (١١) ألف خطوة، ويبلغ مجموع الأسنّة المبنية عليها، أربعة آلاف سنّ، وفي وقت الحصار، يقوم رجلان بحراسة كلّ سنّ، وحتى الآن يقوم خمسمائة رجل بحراسة (٧٣) برجاً من أبراجها، وفي كل ليلة يتحوّل (٢٤) آغا ورقيب بملابس الليل لتفتيش الحرّاس، فاذا رأوا أيّ حارس وقد نام في وقت حراسته، فيقومون بضربه (مائة جلدة) ثم يرسلونه للپاشا الذي سيرسله الى العالم الآخر.(١) وذلك لأنّ هؤلاء يستلمون رواتب جيّدة وأرزاق وفيرة.

يوجد هنا حوالي أربعة الى خمسة آلاف شخص من البگوات الذين تمت تنحيتهم، أو المسؤولين الشجعان الذين تمّ عزلهم، الذين يصلهم دور الحراسة، ولو توفى منهم أحد، حينذاك تسلّم السلطة لولده اذا لم يكن صغيراً، ويقوم الحرّاس المسلّحون بواجبات الحراسة ليلياً، ولو وصلتهم أنباء عن الحرب من طرف العدوّ حينذاك يوقدون المشاعل داخل الصناديق وينزلونها الى الأسفل بواسطة السلاسل، فتضاء المنطقة بأسرها، وبعد صلاة العشاء تدق الطبول، ولكن لكون أعلى القلعة، بعيداً جداً، لذا لا تُسمع أصواتها من الأسفل بشكل جيد.

حكومة قلعة وان:

تعتبر (وان) بدرجة (أيالة) بموجب قانون (سليمان خان)، وفي المرّة الأولى في عهد سليمان خان، قام مقبول ابراهيم پاشا بفتح هذه القلعة(٢)،

١- يعني ذلك قتله من قبل الپاشا. (ر. ف)

٢- ليلاحظ القارئ الكريم، كلمة (فتح) التي يستعملها المؤلف التركي، بخصوص الاحتلال العثماني، وكلمة الأستيلاء أو الاحتلال التي يستعملها بخصوص العجم أو غيرهم، في حالات الاستيلاء على القلاع والمدن الكوردية، ولا يخفى كلّ هذا على نباهة القارئ الكريم، ولتحرّي الدقة العلمية والأمانة في الترجمة، ثبّتنا ما اورده المؤلف بخصوص ذلك. (ر. ف)

٣

وسلّمت ادارتها الى (أولامه پاشا) ثم قام العجم بالأستيلاء عليها في عام (٩٥٣)، فتوجّه (سليمان خان) بنفسه الى هنا وفرض عليها الحصار، وتمّ فتحها على أيدي (رستم پاشا) رئيس الوزراء، وسلّمت الى (أسكندر پاشا) الشركسي، وأعطيت له درجة (وزير) بالأضافة الى ذلك.

تكون الواردات السنوية للحكومة فيها، مليون ومائة واثنتان وثلاثون ألف أقچة، وفيها ثلاثة آلاف من العساكر النظاميين الذين يتوجّهون الى القتال بصحبة الپاشا، ويحصل الپاشا في كل سنة، على أربعين ألف قرش، من المحاكمات والخصومات والدعاوي والمشاكل بين الناس، ولكن (ملك أحمد پاشا) يحصل على ألف كيس اضافي من تلك الأموال.

يصدر الأمر من الباب العالي بتعيين (آغا) كبير كقائد للأنكشارية هنا، وكان في وقتنا (عبدي آغا المجنون) هو القائد وكانت تحت امرته ستة معسكرات تضمّ ثلاثة آلاف انكشاري، أما الرقيب (ياسين) فأصبح مختاراً للأنكشارية، كما يوجد هنا عدد من الجنود النظاميين، يسكنون ثلاثة ردهات تضم فيها ألفاً من الجنود، كما يوجد آمر المدفعية، الذي يعمل تحت امرته ألف من رجال المدفعية، يسكنون ردهتين للجنود، ويحضر هؤلاء في أيام الجمع وأيام الأعياد الى الديوان مع الپاشا، لأدخال المخافة والرعب الى قلوب الناس.

أما (كهية) الپاشا، وآمر جنود أداء التحيّة وأمير توزيع مياه المدينة، فهم موظفون لدى الحكومة، أما (شاني أفندي) فيشرف على الماليّة ويحصل على (٦٤٨٧) أقچة، ويقوم بتحصيل أموال الحكومة، ويعمل تحت امرته مائة وخمسون شخصاً، ويحصلون على الأموال من سبعمائة مصدر، ويقوم بتوزيع تلك الأموال على (٧٠) قلعة وعلى موظفي الدولة، ويسمح له الحضور لديوان الپاشا، حتى بلبس القفطان العلوي فقط، كما



يوجد رقيب الكهيات، أمين الرقباء، رقيب الكتّاب، كاتب سجل التيمارات، أمين المالية، كاتب الوقائع اليوميّة، المحاسب، كاتب المقاطعات وكاتب الموقوفات وآخرون، كما يكون عدد خلفاء الديوان، تسعة أشخاص يتم تعيينهم من قبل السلطان وتصل رواتبهم الى (٦٠٩٩٩) أقچة، وعندما يتوجّه الپاشا للقتال، يسير معه، كهية الزعامات وسليمان بگ، آغا الجانب الأيمن وآغا الجانب الأيسر، وآغا العزّاب وآغا الحصار ومسؤول القلعة العليا ومسؤول القلعة السفلى ومسؤول قلعة (عنق الجمل)، وأمين الجمارك وآغا الخراج ورئيس الشرطة وأمير الميناء ومسؤول توزيع المياه، يتوجّهون معه للقتال، انّ (گنجي آغا)، أمير توزيع المياه، يقوم بتوزيع الماء على تسعة آلاف مكان، ويأخذ منهم ضريبة (العُشر)، وهو واحد من آغوات الپاشا، وله مائة رجل يعملون بأمرته، وان حصة الپاشا من ضرائبه هي ستة أكياس، أما حصته فهي ثلاثة أكياس، ومن غير أمير المياه، يوجد آغا مسؤول عن تنظيف الطرق والخنادق، كما يوجد القاضي الشرعي، ودائرته هي من صنف الـ(ثلاثمائة) أقچة، ولكن بعد فتح (وان) من قبل الپاشا، أعطيت لأحد رجال الدين بـ(٥٠٠) أقچة.

أما القضاة في كل من مناطق (أردميت) و(وستان) و(كوار) و(كواش) و(سورپ) و(آمق) فيحصل كل واحد منهم على عشرة أكياس سنوياً، ويوجد مفتي للمذهب الحنفي يشرف على المفتين من الشافعية والحنبلية والمالكية(١) ويقومون بالأفتاء لدى وجود أية مشكلة، ويأخذون عشرة أقچات لدى اصدار كل فتوى، كما يوجد هنا نقيب للأشراف، ونائب المدينة الذي يحضر ديوان الپاشا، ويقوم هذا

١- كان المذهب الحنفي، هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية. (ر. ف)



النائب بجولة على القرى في كل سنة، لتحصيل الضرائب منها، ولا يوجد في وان، أمير الأنكشارية ولا مختار الجيش، اذ انّ آغا الانكشارية هو الذي يتولى قيادة الانكشارية، وفي داخل الجيش يقوم قائد الجناح الأيمن والأيسر بقيادة الجيش..

أمراء الجيش في قلعة وان:

اليمين، اليسار، كوكلي، العزّاب الساكنون، المدفعي، مسؤول الجيش النظامي، مسؤول القلعة العليا، مسؤول قلعة عنق الجمل، مسؤول القلعة السفلى، ياشلي، حسني، حسيني، آغا الرقباء، والآخرون.. وقد أصبحت (وان) جميعها بـ طوغين اثنين، و (٢٤) منصب آغا، ان أفراد جيش الجناح الأيمن معروفون بالشجاعة ويرأسهم (سليمان بگ صهر خسرو پاشا)، أما رئيس الجناح الأيسر فهو ابن (دميرچي)، والعسكر الذين يسكنون القلعة الحجرية العليا فيسمّون بـ(داشلي)، أما الموجودون في الحصار السفلي فيسمّون بـ(باشلي)، والعجيب ان هاتين الفئتين متخاصمتان مع بعضهما البعض، ولكن لدى هجوم الأعداء الخارجيين تصبح الفئتان كتلة واحدة وكأنهم اخوة، ويقاتلون جنباً الى جنب وكأنهم اخوة لبعضهم. أمّا الرقباء والحرّاس والعساكر من لابسي الجبب، فعملهم يقتصر على مسح وتنظيف الأسلحة، أمّا رجال المدفعية والعزّاب فهم جميعاً معروفون بالشجاعة.

حسب القانون، يوجد لقلعة وان، ستة آلاف مجموعة، وأنّ (آمق وأرجيش وعادلجواز وخلات وتحت وان و وستان)، تملك كلّها ستة آلاف مجموعة، ويبلغ المجموع الكلّي اثنتاعشرة ألف مجموعة، وتستلم رواتب هؤلاء من مدير المال في (وان) ومن أموال حصة الحكومة في كواش وكوار ومقاولات الأسماك والخراج والجمارك العائدة ل(وان). ومن بيع الملح وضرائب السوق والعلاوي وضرائب موش والضرائب المستحصلة من العرب



والأرمن القاطنين في بدليس والضرائب التي تؤخذ من السفن والقوارب التي تسير في نهر (مراد)، بأختصار تحصل الضرائب المتنوعة من (٣٦٠) جهة، والتي تصل في السنة الواحدة الى (٦٠٠) كيس رومي، فتوزّع كرواتب، واذا تأخرت رواتبهم لمدة شهر واحد فسيقلّبون الدنيا على رأس مدير المال ودوائره المالية الأربعون، وعلى الـ(٢٤) آغا، ويتوجّهون لدائرة (الپاشا) بالصياحات ويخلقون الفوضى.

حكّام سناجق وان:

حسب القانون، يبلغ عدد حكّام السناجق في وان (٣٧) حاكماً، ولكن السناجق التي يكون عزلها ونصبها بيد الحكومة العثمانية هي (٢٠) سنجقاً، مثل: (أرجيش، عادلجواز، موش، بارگري، گه رگه ر، كيساني، هيزان، سعرد، آغا كيش، شروي، أي شيروان الأكراد، أكراد قطور، قلعة بايزيد، بروع، أرجك، كورلاديك، چوپانلو، شورگر، دالگير، زريقي، وسنجق وان، الذي يجلس فيه الپاشا، وترسل الأموال والضرائب من كلّ هذه المناطق الى (وان)، وهناك مجموع (٧٠٠) قرية مرتبطة مع الزعامات والتيمارات، وتؤخذ منها ضريبة العُشر.

الحكومات التي لا يمكن عزلها في وان:

شبه حكومة (هكاري)، التي تقع في طرق القبلة من وان، وبين قلعة (شتاق) و(وستان)، ويجلس الخان الذي يرأسها في (جوليرگ)، وله (٤٧) ألف جندي، وجميعهم حليقو اللحى، مربوعو الأكتاف، مهابون وقساة القلوب لا يملكون الجمال ولكنهم شجعان. ويبقون على شيء من اللحى على ذقونهم فقط مثل الفلامنكيين.. ولهم شوارب مفتولة، ويتركون خصلة رفيعة من الشعر تتدلى من مقدمة رؤوسهم، مثل (القوزاق)(١) في

١- القوزاق: هم الفرسان الروس في أبان عهد روسيا القيصرية. (ر. ف)



(آخمليخ) وتكون جماجم رؤوسهم بحجم القدور(١)، ومعظمهم يضعون الحلقات في آذانهم، وفي الحروب يطلق كل واحد منهم بقدر (٤٠) الى (٥٠) درهم من بارود البنادق، وهم رماة ممتازون بحيث يصيبون البرغوث، وكل واحد منهم يحمل درعاً كوردياً على ظهره وعكّازةً في يده، أما عمامات رؤوسهم، فهي ملوّنة ويثبّتون ريشتين فيها، ويقوم معظمهم بثقب حلمات آذانهم بالسّكين ويثبتون فيها ريشة لطائر الباز أو النسر أو الديك، أما ملابسهم فهي (الشال وشپك)(٢) وتكون حواشيها السفلية مخرّمة وملوّنة..

أما أحذيتهم فهي من أنواع (پوچكلي)، ذات الخمسمائة، ذات الألف، ذات المائة والقبقاقي(٣)، التي تزن الفردة الواحدة منها حقّتين(٤)، ويحدث أحياناً، أنهم لا يحملون الدروع أثناء القتال، فيقومون بمسك فردات أحذيتهم بأحدى أيديهم، ويضربون بالخنجر أو بالسيف باليد الأخرى، وكل واحد منهم، لا ينهزم أمام عشرة رجال، ويضرب المثل في مدينة (وان) وهو مثل شائع، بأنه لو غضب أحدهم وهاجم خصمه، فيقال بأنه (مثل جلو الهكاري، مسك بفردة حذائه بيد وتقدّم للقتال)، يبلغ عدد الهكاريين من هذا النوع،

١- يقصد بذلك، كبر حجم جماجم رؤوسهم بحجم قدور الطعام.!! (ر. ف)

٢- لقد وردت عبارة (الشال وشپك) في النص التركي، وهي الملابس الكوردية الفولكلورية التقليدية، ولا تزال تسمى بذلك الأسم. (ر. ف)

٣- هذه الأسماء للأحذية موجودة في النص التركي أيضاً. أما ذوات الألف أو الخمسمائة أو المائة فقد وردت باللغة الكوردية في النص التركي (هزاري، پينسقدي، سقدي) مما يدل على شيوع أسماء تلك الأحذية باللغة الكوردية، قبل عدّة قرون. (ر. ف)

٤- الحقّة: هي وحدة وزن قديمة، كانت شائعة في مدننا الكوردية والعراقية حتى أواسط القرن العشرين، ويبلغ وزنها حوالي ثلاثة ونصف كيلوغرام، ولكن (الحقّة) كانت تختلف قليلاً من منطقة الى أخرى. (ر. ف)

عشرة آلاف مقاتل من حملة البنادق، وأثناء الحروب يصل عددهم الى أربعين أو خمسين ألف مقاتل، ولكن العشرة آلاف الأولّون هم مقاتلون رسميّون ويأخذون الرواتب، ولم يظهر لي ماذا كان مذهبهم(١)..

حكومة بدليس:

حكومة بدليس هي بأمرة (عبدال خان) العالي المقام الذي تحدّثنا عنه قبل الآن، وتسمّى عشيرته بعشيرة (روژكي)

ويبلغ عدد عساكره بقدر عساكر الهكاريين..

حكومة الـ(محمودي):

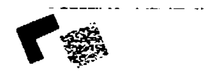
يسكن هؤلاء في شرق (وان) في جبال (يالچين)، ويكون جبل (شاكديكي) هو الحدود بينهم وبين العجم، وتقع قلعة (قطور) العجمية في جانبهم الآخر، ويبلغ عدد حملة السيوف منهم، ستة آلاف مقاتل الذين يعتبرون من أشجع رجال كوردستان، وهم فرسان مهرة.. وقد ضربوا جيش الشاه عدّة مرات في (سلماس) و(خوي) و(أورميه) وأنتصروا عليه.

ومن (البگوات)، (ابراهيم بگ) الذي يحكم قلعة (خوشاف)(٢) و هو من الأبطال، وقد رمى بنفسه عدّة مرات في أتون الحروب، وخرج منتصراً منها، ويوجد لدى الـ(محمودي) هؤلاء، (١٢٠) بگ من رؤساء العشائر وجميعهم يستلمون هداياهم من (ابراهيم بگ)، وتوجد بينهم، أيضاً الأراضي الأميرية والخراج والتيمارات والزعامات(٣)، وفي طرف القبلة منه، توجد بلاد الهكاريّة، وهم أقرباء مع جناب (شيريزدان) الخان الكبير

١- يتمذهب الكورد في تلك المناطق منذ القدم بالمذهب الشافعي. (ر. ف)

٢- وردت التسمية في الأصل التركي (خوشاف)، وليس (خوشاب) كما تسمى أحياناً. (ر. ف)

٣- لقد وردت معاني هذه التسميات، في هوامش سابقه. (ر. ف)



للهكاريّة، وفي الطرف الشمالي لهم توجد قلعة (وان)..

حكومة پنيانش:

انّ تابعي حكومة پنيانش يعدّون من المحموديّة أيضاً ولكنهم يملكون حكومة أخرى، وتبعد منطقتهم بستة مراحل عن شرق (وان)، وان البگ فيها هو (حسن بگ) ويجلس في (قلعة حسن)، وتبعد منطقتهم عن بلاد العجم بثلاثة مراحل من أطراف الشرق والشمال والجنوب، وحدودهم تصل حدود خان أورمية (چولاق سلطان)، وهم مستمرّون في القتال مع العجم ليلاً ونهاراً، ولهم ستة آلاف مقاتل، ولكنهم على درجة عالية من الشجاعة والأقدام، بشكل لا يمكن تصوّره، وفي عدّة مرات وقفوا في وجه جيش خان (أورمية) وخان (تبريز) المتكوّن من خمسين ألف مقاتل، كما يوجد في أراضي بلادهم أيضاً حصة الحكومة والزعامات والتيمارات. ويسمّيها العجم بـ(غازي قران).

ويقال بأنّه في احدى المرات، هاجم السلطان (مراد) مع جيوشه منطقة (روان)، فأرسل العجم جيوشهم من طرف آخر، فقام خان (پنيانش)، المسمى بالأمير (عزيز الأعرج) مع جيشه المتكوّن من ثمانية آلاف مقاتل بالوقوف في وجه جيش العجم بقيادة شاه (سوني دندان) المتكوّن من ثلاثين ألف مقاتل، في سهل (سلماس)، وأبادهم عن بكرة أبيهم، واستولى على كلّ ما كانوا يملكون، ومنذ ذلك اليوم، سمّيت منطقتهم بـ(غازي قران)(١)، وبأذن الله، سأقوم بالتحدّث عن بلادهم وقلعتهم في مكانه المناسب.

١- تعني عبارة (غازي قران)، في اللغة الكوردية (ابادة الغزاة) لذا اقتضى التنويه. (ر. ف)



ومن طرف الشرق، هناك (بني قطور) و(بيره دوسي) و(جولاني) و(دمدمي) و(دونبلي)، وهي عبارة عن خمس حكومات، وكانت تابعة لـ(وان) بموجب قانون (سليمان)(١) ولكن عندما فتح الوزير (طواشي سليمان پاشا) تبريز، وبنى قلعة كبيرة، فصل هذه الحكومات الخمسة عن (وان) وأضافها الى أيالة (تبريز)، ومن ثمّ لمّا استولى العجم على (تبريز) من جديد، بقيت هذه الحكومات الخمسة في مكانها. وفي عام (١٠٤٨) عندما توفي (مراد خان)، أرسل العجم جيشاً لداخل قلعة (قطور) وأخلّوا بمعاهدة السلام التي كانت موقّعة بين الطرفين، حينها أضطرت تلك الحكومات الكوردية الخمس للهجوم على العجم وتعقّبهم، وذلك لأن مزارعهم وأراضيهم وحقولهم متلاصقة معهم على الحدود، ولم يصبحوا من رجال الشاه وبقوا في أماكنهم ساكنين.

وحسب قرار (سليمان خان)، ففي أي وقت يرسل فيه السلطان العثماني الجيوش من (وان) لاحتلال أراضي العجم، فيكون الـ(بگلر بگي) الخاص بـ(وان) هو قائد تلك الجيوش، ويكون كلٌ من خان (هكاري) وبگ (المحمودي) بمثابة دوريّات الجيش، أما أبطال (پنيانش) فيشكّلون طلائع الميمنة والميسرة، وواجبهم هو الاخبار عن كلّ تحرّك للعدوّ، وبعد هؤلاء يأتي پاشا (وان) ثم الوزراء العثمانيّون، ثمّ يأتي ورائهم السلطان بنفسه أو القائد العام، ثم يأتي بعد ذلك أمير الأمراء، ثمّ يأتي بعدهم جميعاً خان (بدليس) بنفسه مع جيوشه، فيشكلّ مؤخرة الجيش، وواجبه هو الأعتناء بالمرضى والمعوّقين، واعادة الفارّين من الجيش، وله الصلاحية في معاقبتهم حسب الضرورة.

الجيش الموحّد هذا، يشكّل الميمنة منه بگوات لـ(١٥) سنجقاً من سناجق

١- يقصد به السلطان العثماني (سليمان القانوني). (ر. ف)



كوردستان مثل سعرد، شروي، زريقي، كارني، هيزون، گرگر، آغا كيس، كيسان، مكس، بردع، لاديك، أرزجك، دالگر، چويانلو، وبني قطور، اذ يمشون على قرع الطبول، بينما تسير في الميسرة جيوش (١٥) سنجقاً كوردياً آخر، مثل (لاموس، عادلجواز، أرجيش، بارگري، بايزيد، آقچه قلعة، سوره كيو، قره قلعة، أكراد ماكو، ضياءالدين، آباغاي، شتاق، أما القوات الموجودة داخل القلاع، فالأوامر تقتضي بتوجّه نصفهم للقتال وبقاء النصف الآخر، ويوجد في قلعة (وان) ستة آلاف مقاتل، ويوجد ستة آلاف مقاتل آخر في القلاع الأخرى، فيتوجّه نصفهم أيضاً للقتال، ويعمل تحت امرة الپاشا الخاص بـ(وان) ثلاثة آلاف مقاتل رسمي، ولو أضيفت اليهم قوات السناجق الأخرى، لوصل العدد الى ثمانية وأربعين ألف مقاتل، من القوات النظامية المعروفة بالشجاعة..

أوصاف جوامع قلعة وان:

هناك معبد في القلعة العليا في (وان)، يقال أنّه أسّس في زمن النبي (داود)، ولمّا أتى حضرة (أبوبكر)(١) الى هنا، كسفير، جعله مسجداً، وتعاقب على الحكم هنا عدد من الملوك والحكّام فبقي كمسجد وفي عام (٩٤٠) قدم السلطان (سليمان) الى هنا، فقام بتعميره وتوسيعه، وسمّاه جامع (سليمان خان)، وهو جامع كبير، وله باب واحد ومنارة واحدة، وفي العام الذي ضرب فيه الزلزال مدينة (وان)، تهدّمت المنارة، فقام (عمر آغا) رئيس الانكشارية ببناء منارة أخرى قويّة بدلاً منها، ويبقى النصف العلوي منها مختفياً بين الغيوم، حتى وقت الظهيرة، ولا يوجد جامع آخر في القلعة الداخلية، وتطل جميع شبابيكها على أطراف المدينة وسهل (أردميت) والرياض والبساتين، ومن غير هذا الجامع، يوجد جامع كبير آخر

١- يقصد به الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه). (ر. ف)



في القلعة السفلى، وهو من عمل (شاه جهان الآق قوينلو)، ولا يوجد فيها جامع أكبر من هذا، ويوجد داخل الجامع، قبّة كبيرة مبنية على عمود ضخم، ذو ارتفاع عال جداً، وقد قام البنّاء بجهد كبير في البناء وحفر الكثير من النقوش والرسوم على الرخام الموجود فيها، وقد كتب على أبوابها وشبابيكها بالصبغ الأسود والأحمر، وهو جامع قديم، وبما أنّ هذا الجامع بني بالمال الحلال، لذا تكون رائحته طيبة وبركاته كثيرة، ويوجد مثل الخط الموجود هنا على قلعة (حمص) أيضاً، أما المنبر والمحراب فمنقوشان بالخرز الأسود والأبيض والأحمر وبالحجارة الثمينة، ولها منارة رائعة، يريد الأنسان أن ينظر اليها دائماً، باختصار انّ هذا الجامع جميل وجالب للنظر ولا وجود لمثله في أيّ مكان، وهو مكان مقدّس، ويوجد خارج الجامع، مكان للدراسة وحجرات طلاّب العلم. أما جامع (خسرو پاشا) وزير السلطان، الذي قام ببناء سوق الصاغة في بدليس، وسوق القيصرية المشهور والبناية الكبيرة على طريق (أووا)، فقد قام ببناء هذا الجامع في وقت تولّيه الحكم في (وان)، وقد قام بطلاء القبب والغرف بلون الرصاص السّماوي، وأجرى عليها الكثير من النقوش والفنون، والعلم الموجود على المنارة من الذهب الخالص وعندما تضربه الشمس يلمع ويكاد ضوءه يذهب بالعيون، أما شبابيكه فقد وضع فيها البلّور والزجاج المنقور من الأطراف الأربعة مثل منارات استانبول، والى جانب الجامع، توجد حجرات المدرسة، وبابه الوسطاني يفتح قرب سراي الپاشا، وفي أيّام الجمع، يحضر الپاشا الى هنا للصلاة.

ومن غير ما ذكرناه، لا يوجد في (وان) مكان واسع وطيّب، أما مسجد بوّابة (تبريز) فكان معبداً قديماً ولا يعرف من الذي قام ببنائه، وتوجد في هذا الجامع أيضاً حجرات للدراسة ولطلاّب العلم.. أما مسجد بوّابة



(أسكليب) فقد بناه شخص يسمّى (عباس آغا).

مدارسها:

مدرسة جامع (أولو)، مدرسة (خورخوره)، مدرسة خسرو پاشا، مدرسة بوابة تبريز، مدرسة عباس آغا، مدرسة كيا چلبي.

قراءة القرآن: يوجد هنا مكانان لتعليم القرآن، أحدهما في جامع (أولو) والآخر في جامع (خسرو پاشا)، ولكن الطلاب قليلون فيهما، لذا لا يدرس القرآن، أما في الجوامع الأخرى، فيدرس علم الحديث في جميعها، ولكن لا وجود لدور الحديث هنا، كما هو في بلاد الروم(١)، ويوجد الكثير من العلماء هنا، ممن يعرفون تدريس أحاديث مسلم(٢) والبخاري(٣) ويحفظون أحاديثهما.

مدارس الأطفال: توجد هنا حوالي (٢٠) مدرسة لتعليم الأطفال الحروف الأبجدية، وأطفالهم الأذكياء والنجباء يقرأون الفارسية بشكل جيّد.

التكايا: توجد تكية (خواجات الروم) وهي مشهورة.

عيون الماء: من أشهر منابع المياه في (وان)، منبع (خورخوره) و(العيون الأربعة) وعين (خسرو پاشا) وجميعها تقع داخل المدينة وهي

١- بلاد الروم، يعني بها العاصمة (استانبول) في زمن الدولة العثمانية. (ر. ف)

٢- مسلم: عالم كبير وواحد من أشهر العلماء المسلمين في علم الحديث أصله من (نيسابور)، قرب مشهد ببلاد فارس، أشتهر بكتابه (صحيح مسلم)، توفي في عام (٨٧٥م). (ر. ف)

٣- البخاري: عالم كبير ومن أشهر علماء المسلمين في علم الحديث بل أشهرهم قاطبة، ولد في مدينة (بخاري) وهي تقع الآن في جمهورية اوزبكستان في بلاد آسيا الوسطى، إشتهر بكتابه (صحيح البخاري)، توفي عام (٨٧٠م)، وكتابه المشار اليه أعلاه، مع صحيح (مسلم)، يعتبران من أدق الكتب في علم الحديث، وهما المرجعان الأساسيان في هذا العلم لدى أهل السنّة. (ر. ف)



مشهورة.

محلات المسلمين: من المحلات المعروفة فيها هي: محلة الپاشا، محلة (خورخوره)، محلة جامع (أولو)، محلة المنبع، محلة (أسكله)، محلة البوابة الوسطى، محلة بوابة تبريز.

البنايات الكبيرة فيها: يوجد فيها (٤٥) سراي عامر، ومنها السراي الموجود في داخل القلعة الوسطى، قرب جامع (خسرو پاشا) والذي يسمّى بـ(سراي الپاشا)، والمتكوّن من (٤٠) غرفة مرتّبة مع القاعة والأيوان الأسفل، وجدرانها تشبه جدران القلاع، وحولها الحدائق والرياض، وهناك بوابة خاصّة وقصر عال وحمّام داخلها، وهو (سراي) كبير، تم بناؤه عام (١٠٥٥).

أما قصر الخورنق الذي بناه (سليمان پاشا)، وفيها غرف خاصة بالپاشا، فقد تم تأسيسه عام (١٠٥٧).

هناك قصر عال تحت القمّة العليا، تم تأسيسه من قبل (ابن عمر پاشا كتانچي)، وفي وقت تعمير (وان)، في عام (١٠٥٦) وداخل هذا السراي الكبير توجد من (٤٠) الى (٥٠) غرفة في الطابق الأسفل مع ساحة واسعة في الوسط وتطلّ شبابيكه الغربية على حديقة تشبه الجنّة في جمالها. وأمام بوابتها توجد الساحّة الخارجية للسراي، حيث يجري هناك يومياً سباق الخيل مع قرع الطبول، بحضور (ملك أحمد پاشا)، ويقوم الآغوات بألعاب الفروسية هناك.

وعلى الجوانب الأربعة لهذا السراي بطوابقها العليا والسفلى توجد ستمائة غرفة، وتطلّ احدى بواباته على السّوق، وتكون تلك البوابة تحت الحراسة ليلاً ونهاراً، ومن غير هذه، يوجد في الأسفل سراي حسين آغا، سراي قاضي أفندي، سراي ابن الحدّاد، سراي كيا چلبي، سراي ابن جنددان،



سراي جعفر آغا الخادم، سراي شاني الدفتردار. ومن غير هذه يوجد في القلعة السفلى عدد ثمانية آلاف وثمانمائة بيت، وهي مبنيّة بالطابوق والجص، وأكثرها ذات طابقين، وطرقها نظيفة ومرتّبة، وهناك ثلاثة محلاّت للأرمن فيها، وهم يقومون بخدمة القلعة بدلاً من دفع الجزية عنهم، اذ يقومون بتصليح أي جزء يتهدم من القلعة، ومن غير هؤلاء لا يوجد المسيحيون هنا، والأرمنيون فيهم تجار أغنياء.

الخانات: خان الگمرك، خان أحمد آغا كورد، خان القبّان.

القيصريات والأسواق:

فيها قيصرية عامرة، يتواجد فيها كل شيء، كما أنّ أسواق الجامع وأسواق خسرو پاشا وأسواق الخفّافين(١) هي أسواق مزدحمة.

الأنهر والمنابع:

تنبع الكثير من العيون من جبال (وان) اذ تنزل منها المياه وتتحول الى نهر، الى درجة انها تدير المطحنة(٢) في محلة (خورخوره)، كما ينبع من بوابة تبريز عين ماء عذب، بحيث لو أكلت لحم خروف كامل وشربت عليه هذا الماء، فانه سيهضم سريعاً، أما قمّة (آودارخانه) فتنزل منها ساقية ماء، وتجري من البرج العلوي ويمرّ من بين الصخور، وفي الأعلى هناك برج، يطلّ على هذا الماء، وهناك تجد المدافع الثقيلة التي تتجه أسطواناتها نحو الأعلى مثل أشواك القنفذ، وهي جاهزة للأنطلاق، وهناك جدول آخر ينبع من شمال الجبل، وقد وضعت قبّة على منبعها للمحافظة عليها، ينبع هذا الماء من البرج العلوي وينزل من تربة (سلطان)، وقد وضعت مدافع

١- الخفّافون: هم صانعو الخفاف، أي صانعو وباعة الأحذية. (ر. ف)

٢- كانت الطواحين القديمة تدار بالمياه، وقد سبق أن شرحنا ذلك في أحد الهوامش السابقة. (ر. ف)



(باليـومز) على شكل صفوف في الطريق، وفي الأسفل هناك مسـتنقع لا يجرؤ أحد على العبور منه، لأنّ المدافع الموجودة هناك، لا تفسح المجال لمرور الطيور فوقها، فكيف بمرور الرجال.

يوجد في (وان) في الأعلى والأسـفل مائة وسـتون مدفعاً وجميـعـها مقطوعة الفوّهات، وقنابرها تزن الواحدة منها عشرة حقّات.

حمّاماتها:

يوجد حمّام (سلطان) قرب سوق الجامع، وهو حمّام منعش وجوّه طيب، وكذلك الحمّام المزدوج والحمام المنقوش قرب بوابة تبريز و(الحمّام المنخفض)، وهي أشهر حمّاماتها، وحسب التقارير المعتمدة، يدخل تلك الحمّامات، ستمائة شخص في الشهر الواحد، وبما أنّ أهالي (وان) متعصبون وأصحاب غيرة وناموس، لذا لا تذهب نساؤهم للنزهات وحفلات العرس والضيافات، وماعدا يوم موتهنّ لاتخرج أجسادهنّ من فناء البيت، لذا يوجد في أكثر البيوت حمّامات خاصة بالنساء أما في فترات بعد الظهر، فلا يتوجّه الرجال للحمّامات، وحينها تخصّص الحمامات للنساء اللواتي لا تملكن الحمّامات في بيوتهنّ. وهناك طرق خاصّة تسلكها النساء حينما يردن التوجّه الى الحمام، ولا يجوز أن يسير الرجال في تلك الطرق في تلك الأوقات، ولو حدث وأن سار رجل في تلك الطرق الخاصة بالنساء، فانّه سيتعرض لعقوبة قاسية، الى هذه الدرجة يحافظ هؤلاء الناس على نسائهم.

أشكال وأوصاف أهالي وان:

انّ أولئك الأصدقاء الذين قمت بمعاشرتهم، رغم كونهم غير متقدّمين في السّن، كان لون وجوههم هو اللون الحنطي وشعرهم يكون بين لون الماش والرز(١)، ولكنهم كلّما تقدّموا في السّن، يزدادون شجاعةً واقداماً،

١- يقصد المؤلف بذلك، أنّ شعرهم كان مختلطاً بين البياض والسواد أو أبيضاً، أي كان أولئك الرجال في أواسط العمر أو في أواخره. (ر. ف)



ويشجعون شبابهم على القتال، أمّا شبابهم فذوو لون حنطي وجميلو الشكل والمظهر ووسيمون وذوو عيون جميلة وكلام حلو، والله أعلم بأنني لم أر نسائهم، ولكن حسب ما سمعت فانهنّ جميلات جداً وذوات أخلاق عالية، وبناتهم لا يمكن لهنّ رؤية أحد ماعدا الآباء والأخوة، وانّ الأصدقاء الذين تعرّفت عليهم هنا، هم كيا چلبي وأخوه خادم جعفر آغا وحسين آغا قول آغا سي وأبناءه وآخرون. وبالرغم من عدم حاجتهم للأطباء هنا، بسبب المناخ والجوّ الطيّب ولكن نظراً لذكائهم الشديد وقابلياتهم الفائقة، فقد ظهر بينهم الأطباء، وهم (مسعود چلبي) في القلب ومعرفة النبض، الذي لامثيل له في ذاك، أمّا (شيخ باي چلبي) فهو طبيب لامثيل له حتى في (أثينا)(١)، كما يوجد هنا جرّاحون مشهورون.. أمّا من الشيوخ، فانّ شيخ جامع (أولو) هو شيخ دعاؤه مستجاب.

المؤلفون والشعراء:

الشخص الأول هو سلطان الشعراء (شاني أفندي) الذي هو عريق في بحر العلم، ومن غيره هناك (واني چلبي) و(مير سپهري) وهما شاعران مشهوران.

الأولياء والصالحون:

هناك سلطان بالولان (يوسف دده)، الذي يعيش في برج بوّابة (أوغروني پاشا)، وهو رجل ذو قيمة عالية، وقد شوهدت منه الكثير من الكرامات، وهو لا يتكلم بغير عبارة واحدة هي (يوسف يريد الخبز) وفي أحدى الأيام، بدأ بمقولة من عنده هي (أضرب الخان، أقتل الخان) وظلّ يردّدها، ولم يطل به الوقت، حتى حدثت المعركة العظيمة لخان بدليس وقد

١- (أثينا) هي عاصمة اليونان في ذلك الوقت وفي الحال الحاضر. (ر. ف)



قتل أثناءها عدة آلاف من العساكر بالسيف.

الملابس والأحذية:

يلبس معظمهم (الچوخ)، ويضعون الأحذية الـ(سرحديّة) في أرجلهم، ويضعون جلود السنّور على أكتافهم ويتمنطقون حزاماً خفيفاً من الحرير ويضعون فيها خنجراً، أما عمامات القطيفة(١) التي يضعونها على رؤوسهم فهي كبيرة جداً، أما النّساء فتضعن الجزمات(٢) الصفراء في أرجلهنّ، وتلبسن المخشّلات الذهبية والفضية في أعناقهنّ.

أسماء الرجال:

پهلون أوغلي، چنددان أوغلي، دميرچي أوغلي، بشارت أوغلي، عليشار أوغلي، قليچ أوغلي، وكرم الدين أوغلي، وأسماء أخرى، وكذلك مالي چيا، رستم آغا، برهان آغا، توغر آغا، أسد بگ و غضنفر بگ.

أسماء البنات والنساء:

عائشة، فاطمة، كلثوم، أسماخان، أومهان، سليمة، سالمة، كليمة، كاملة، أسماخانم، پري بوي خانم، هُما، مسكبار، هذه هي أسمائهنّ.

الغلمان:

يوسف، آورنگ، چلردي، حق ويردي، چومز، زال، أسكندر، قباد، شفاد، سَرور، خُرّم، لَوَند، ألوَند، صيامي، پرويز، شكراللّه، قاسم وشاه قران.

أسماء الجواري:

دلفگار، مردجان، ختمه، ورقه، شاكره، هينه، ماهيه، درّية، جوهر،

١- القطيفة: نوع من القماش لا يزال معروفاً ومتداولاً حتى الآن. (ر. ف)
٢- الجزمة: هو حذاء طويل، يُلبس من قبل الرجال والنساء. (ر. ف)



أوهما، سردي بوي، جانباي، دلارام، پرچينه، پَريشان، جان نيثار، رومايه، وسيمة، خالصة، زوزبان و شاه خوبان(١).

حسب قول (علي قوشچي)، فأنّ هذا المكان يتبع الأقليم الثامن عشر حسب خطوط العرض، ولكن خان بدليس يقول انّ المكان يقع في مركز الأقليم الثالث ووجهته نحو الغرب.

كنائسهم:

انّ كنيسة قرية (أسكله) هي كنيسة مشهورة، كما توجد كنيسة (على العهد)(٢) في الجزيرة التي داخل البحيرة وكذلك كنيسة (ورك) في شرقي وان وهي كنيسة غريبة وعجيبة.

لغتهم(٣):لهذا القوم لهجة خاصة بهم لاتشبه لغات المناطق الأخرى.

الحبوب والزراعة:

تكثر هنا الفواكه والمحاصيل الزراعية وهي رخيصة الثمن، فهي (واسعة الأقطار، رخيصة الأسعار)(٤) وفيها سبعة أنواع من الحنطة، وسبعة أنواع من الشعير، بين الشعير الأسود والأبيض والدهني والخشن، كذلك توجد الباقلاء والحمص بكميات كبيرة.

المهن والصنائع:

هناك مهندسون وبنّاؤون معروفون لديهم، بحيث لا يوجد نظراؤهم، الاّ في مدينة (سقز) مثلاً، وهناك خيّاطون مشهورون هنا، بحيث لا يمكن

١- فليلاحظ القارئ الكريم، أن أسماء الرجال والنساء في ذلك الزمان في المدن الكوردية، كانت أسماء عربية وفارسية وكوردية في معظمها. (ر. ف)

٢- هكذا ورد في النص التركي، (عهدم وار) أي (على عهدي) أو (على العهد) (ر. ف)

٣- هذه الفقرة حول اللغة غير موجودة في الترجمة الكوردية. (ر. ف)

٤- هذه العبارة التي بين القوسين موجودة في النص التركي، وباللغة العربية. (ر. ف)



معرفة خيوط الأبرة من خيوط قطعة القماش فيها، ودكاكين الحلاّقين فيها نظيفة ومرتبة، كما يوجد فيها سرّاجون بارعون.

الأعمال التي يقومون بها:

يتكون سكّان (وان) من ستة درجات، الدرجة الأولى هم الذين يستلمون الرواتب من الپاشا، وهم يعملون في القلعة، ولا يسمح لهم بالقيام بأي عمل آخر، اللّهم الاّ اذا قاموا بأعمال التجارة داخل المدينة.. وهناك من يذهب منهم الى البلاد الأخرى لجلب الأغراض وبيعها. وهناك من يقوم بالأعمال اليدوية، وهناك من يعمل في المالية والحسابات وهم في خدمة الحكومة، وهناك رجال الدين وطلاب العلم، كما يوجد بينهم قسم يعمل في البساتين ويخدمون هناك.

الفواكه والمأكولات والمشروبات:

خبز العشب، ماء الرزيان، المعجّنات الخاصة والصّمون الأبيض الذي لا وجود له في أي مكان آخر، الرغيف الكبير الذي يشبه الوردة في حمرته وبياضه، الخبز المطعم بالقيمر، معجّنات لحم القبج، حساء الشنينة، حساء القيريلي والتفاح والقرنفل وهو لذيذ جداً.

ومن الخضروات تشتهر اللهانة في (وان) وهي معروفة في الأقاليم السبعة من الدنيا. اذ تكوّن أثنتان منها حمل جمل، وتكون أوراقها رقيقة جداً، وتكون الورقة الواحدة بقدر بطن الفيل، وكذلك المعدنوس والكرافس والقرع الطويل والبصل والرّقي وهو من الأنواع الجيّدة جداً. وفيها اثنا عشر نوعاً من التفاح، وبعض الأنواع منها هي: تپكاني، جانگولي، سيلاني، زعفراني، شامي، الذي يكون أحمر اللون من أحد أطرافه وكثير الماء، وتوجد هنا في (وان) كميات كبيرة من التفاح، بحيث يقومون في أيام النزهات برمي التفاح على بعضهم البعض.



والعسل الذي يحصلون عليه من جبل (ورك) ويصنعون منه (الشربت) فأنّه ينعش الروح، ولو أضيف الـ(دارسين) الى هذا (الشربت)، وبقي ثلاثة أيام، فانّه يسكر الانسان، كما يوجد (شربت اليخنة) و(شربت الريباس) و(شربت التفاح) وهي من المشروبات اللذيذة هنا.

البنايات:

لقد بنى السلطان (جهانشاه) في الزمن القديم بناية للضيوف والمسافرين بجانب جامع (أولو)، ولكن بما أنّ كل بيت الآن يملك ديوانية للضيوف، لذا لا يقصد هناك أحد، كما بنى (خسرو باشا) مدرسة جيّدة لرجال الدين والعلماء والصلحاء والفقراء، بحيث تقدّم المأكولات فيها على مدار السنة لكل من يقصدها، ويدفع والي (وان) تلك المصاريف.

الحيوانات:

بالنسبة للجواميس، لاوجود في الدنيا لمثل جواميس (أدنة الأناضول) و(سرز الروميلي)، أما في كوردستان فتشتهر جواميس (وان) بفخامة الجسم وبالسمنة والهيبة، بحيث يأكل الجاموس الواحد بقدر فيل، ولو تمّت تربيتها لمدة عام، فسيزيد حجمها عن حجم الفيل، ويقوم أهالي (وان) في يوم (نوروز)(١) باخراج هذه الجواميس والخيول الأصلية والجمال والأكباش من حظائرها، ويجعلونها تتقاتل مع بعضها، ويقضون وقتهم في التمتع بها والتفرج عليها.

متنزهاتها:

من غير حدائق (أردميت) هناك حوالي (٢٠) متنزهاً قريبا وبعيداً فيها، وهي تستحقّ أن يشاهدها كل شخص، وأحد تلك المتنزهات، يقع على بعد رمية مدفعية، شرق (وان) ويسمّى (صخرة القنفذ الأبيض)،

١- هذا دليل على قيام أبناء الشعب الكوردي في ذلك الزمان في عام (١٦٥٥) بالاحتفال بعيد نوروز القومي. (ر. ف)



وقـريبـاً منه يكون مـتنزه (قـرية يالي)(آل ملك) (صـاري گل)، (چاي باشي)، (مرج قره قاسم)، (رصيف مراد خان)، (حدائق أردميد)، (السدّ الأميري)، (سدّ السمك) (قرخي خوشاب)، (جبل ورك)، (شارع نكي بردير)(١)، (دير أندرونر) وهي جميعاً من المتنزهات الشهيرة هنا.

بساتينها:

في طرف القبلة لقلعة وان، عندما تعبر من المقبرة الكائنة أمام الخندق، والى أن تصل الى (أَردميد) بالطول والعرض وفي طريق لمسافة ثمان ساعات، تسير بين البساتين والرياض، ويكون ذلك الشارع أشبه بحديقة للورود، وحسب سجلّ مدير الماء، يوجد هنا (٢٦) ألف بستان، ويدفع أصحاب تلك البساتين ضريبة (العُشر) لمدير الماء لكي يروي بساتينهم، وذا سار أحد الغرباء بين تلك البساتين فأنّه سيضلّ طريقه، وداخل كل بستان يوجد حوض ماء وفي مركزه توجد نافورة وهناك قصر جميل في أحد أطرافه، ومن أجمل تلك البساتين هو بستان عائلة (كيا چلبي) وبستان (شيرك) وبستان (سليمان بگ).

مزاراتها:

يوجد مرقد الغازي (خسرو پاشا) في فناء الجامع الذي بناه هو، كما يوجد هنا قبر أمير الأمراء (الغازي سعيد محمد الثالث تكلي پاشا) والذي كان قد قتل بأيدي أحد الأكراد، وذلك عندما أراد أن يشنّ هجوماً مفاجئاً من سهل (سراو) على جيش (الشاه اسماعيل)، فقام أحد الكورد من الأيزديين(٢)،

١- لقد قام المؤلف التركي، بتثبيت أسماء الأماكن تلك باللغة التركية بعد السؤال عن معاينها، والاّ فلابدّ ان تكون الأسماء في الأصل أسماء كوردية، في مدينة كوردية و بين أبناء الكورد. (ر. ف)

٢- يعلّق مترجم الكتاب الى اللغة الكوردية، على هذه العبارة قائلاً (يسمّونه باليزيدي، لأنّه قتل الپاشا). أنظر هامش ص(٢٢٢) من الكتاب الكوردي.



بالأمساك بحزامه بيد وضربه بالخنجر باليد الأخرى، وقطّعه الى أجزاء، وقام رجال الپاشا بالهجوم على ذلك الكوردي فقطّعوه الى أوصال بشكل، بحيث بقيت يده ممسكاً بحزام (تكلي)، وقد دفنا معاً، وانّ (جعفر آغا الخادم) الذي كان شاهد عيان على هذه الحادثة، رواها لي بهذا الشكل:

كان شاب كوردي، قد ألقي القبض عليه، فأتى والده وترجّى وتوّسل الى (تكلي پاشا)، وقال (أيها الپاشا انّ ابني بريء، وهو ابني الوحيد، أرجو ان لا تقتله، اذ انني سأبقى دون عقب، واذا قتلته، فانني في بيت اللّه سأقوم بالأمساك بياقتك بيد و بحزامك باليد الأخرى)، ولكنّ الپاشا لم يهتم بقوله، وبمشيئة اللّه، حدث ما كان الكوردي قد قاله، فقتل الپاشا وكانت يد الكوردي مقطوعة في حزامه.

وقد دفن (قربان بابا) داخل بوابة القلعة العليا، وكان هذا الرجل قد شاهد بعينه الأمام (أبو بكر) داخل هذه البوابة، وكان قد تحدّث اليه، لذا سكن أمام هذه البوابة لمدة (٤٠) عاماً ولم يفارقها، وكان قد أوصى بدفنه بعد موته في هذا المكان، كما دفن (بالبرج سلطان) قرب بوابة (خور خوره) ويوجد هنا قبر (حسين پاشا جنبلاط زاده)(١)، الذي كان وزيراً لـ(محمد خان الثالث)، وأصبح في وقته حاكماً على (وان)، وفي الوقت الذي انهزم فيه (سنان پاشا جغالي زاده) في معركة (تبريز) ونجا بنفسه بصعوبة وعجلة ووصل الى (وان)، قام باستشهاد(٢) (جنبلاط زاده) هذا، بحجة عدم مساعدته في القتال.

لنأت الى الغاية من الموضوع، عندما وصل (ملك أحمد پاشا) الى

١- انّه أحد أجداد عائلة (جنبلاط) الموجوده في (لبنان) حالياً وقد كتب المؤلف التركي اسمه حرفياً حسب التلفّظ الكوردي (جانبولاد). (ر. ف)

٢- كلمة (استشهاد) موجودة في الأصل التركي للكتاب. (ر. ف)



(وان) قـرّر رمي هذه الكميـات من التـراب في البـحـر، والـتي كـان (تيمورلنگ) قد جمعها أمام القلعة. فأرسل الرسائل الى (بگوات) و(حكّام) وان، وقد رضوا جميعاً بذلك، وكانت أمواج الناس تتدفق عليه يوماً بعد يوم، وكانوا يجلبون الطعام لجيش كوردستان ويجلبون الهدايا للپاشا وكانوا يبقون هنا، وقد وصلت هذه الأعداد البشرية الى درجة أن المرور من المعسكر كان يقتضي ساعتين من الزمن، وكانت أعداد خيام الطبّاخين والخبّازين ومعدّي الطعام لوحدهم، تصل الى ثلاثة آلاف خيمة.

كان (الپاشا) مسروراً، من قدوم كل هؤلاء الناس، ومن غير القيام برعايتهم جميعاً وإغداق الأنعام عليهم، فأنه كان يدعو رؤساء العشائر والحكّام لطرفه مرّتين في اليوم لتناول الطعام، وبعد تناول الطعام، كانوا يقومون بالضجّة ثم يبدأون برمي التراب في المياه، وكان جيش كوردستان يتجمّع شيئاً شيئاً، لم يحضر خان (الهكاري) بنفسه، لكنّه أرسل الـ(كتخدا) التابع له المسمّى (ملا محمد الشتاقي) مع ستة آلاف مقاتل من (الچلو)، وأرسل هدايا ثمينة معهم، أمّا (بگ) المحمودي فلم يحضر ولم يرسل المساعدة، وكذلك (عبدال خان) البدليسي، وقد تألّم الپاشا لذلك كثيراً، فقام بأرسال (أحمد آغا أرغني) مع رسالة أخوية لطرف الخان، وعندما وصلت الرسالة للـ(خان) قرأها وقال (انّ فرسنا لا يشرب من ماء وان)، وكان الآغا الذي أخذ الرسالة، قد عاد من بدليس و بقي في الطريق ليومين اذ كان قد دار حول بحيرة (وان) وأتى عن طريق (قوصقون قران) ووصل لطرف الپاشا وأخبره بما جرى، فأشتعل (الپاشا) غيظاً، ولم يهدأ، مثل النار التي تسير في الهشيم.

أسباب الهجوم على (خان) بدليس:

اذا أراد اللّه شيئاً هيّأ أسبابه، في ذلك اليوم كان الپاشا مدعواً من قبل



(عبدي آغا) قائد الانكشارية، وكان جميع الوجهاء وآغوات (وان) والبگوات الكورد مجتمعين هناك سويّةً، فأخذ الپاشا رأي هؤلاء، فاشتكى الجميع بشدّة من (الخان) وقالوا (يجب ازالته، وهو ملحد، فاسق، فاجر، لوطي، منجّم، وكذّاب، يستحق اهدار دمه منذ أربعين عاماً) وتكلّم أولئك الناس الغدّارون، بكل تلك الأكاذيب عن الخان، وهو لم يكن على علم بكلٍّ ذلك،(١) وحسب ارادة اللّه، انتهى اولئك الناس من كلامهم، فدخل البوّاب وقال: (يا سيّدي لقد وصلت رسالة من والي أرضروم، طاوقچي مصطفى پاشا وهناك مع الرسالة بضعة رجال جرحى من الأنكشارية وصلوا أيضاً)، فقال الپاشا، ادخلهم الى الداخل بسرعة، فدخل صاحب الرسالة وسلّم على الحاضرين وسلّم للپاشا رسالة والي أرضروم، وكان قد كتب فيها ما يلي(٢):-

١- يعلّق مترجم الكتاب للكوردية، الأستاذ سعيد ناكام على هذا الموضوع بما يلي:-

انّ (أوليا چلبي) كان واحداً من مثقفي ذلك الزمان بين العثمانيين، فبعد معرفته بـ(عبدال خان) العالم والذكي والفنّان، كان قد تعلّق به كثيراً، لذا حتى في حالة العداوة التي يظهرها سيّده نحوه، فانه كان لا يخفي احترامه وتقديره للخان، فهو هنا يرى انّ (الخان) بريءٌ ويجعل سبب هذه الفوضى، على آغوات وان و (بگ) ملازگرد، وبعض الأنكشارية المنهوبين، ولكن الپاشا، منذ وقت تناوله طعام عبدال خان في بدليس، كان قد خطّط لهذه المؤامرة في قلبه، وكان يفتّش عن أسهل وسيلة للقيام بنهب الخان، وكان قيامه بجمع جيش كوردستان في مدينة (وان)، بحجة رمي التراب، غطاءً لترتيب واعداد الجيش للهجوم على بدليس. (هامش الصفحة ٢٢٥ من الكتاب الكوردي).

٢- يعلّق المترجم للكوردية على هذه الفقرة بما يلي:

ان ورود رسالة والي أرضروم ضّد خان بدليس والشكوى التي قدّمها الأنكشارية وتعالي الصراخ والصياح من آغوات التركمان في وان، وطلباتهم جميعاً بازالة حكومة بدليس، لم يكن كل ذلك بالصدفة، بل كان عبارة عن خطّة سرّية تم ترتيبها قبل ذلك. (هامش الصفحة ٢٢٦ من الكتاب الكوردي).



(يا سيّدي، يوجد تحت سلطة حكومتكم شقيٌّ من الأشقياء يدعى خان بدليس، لقد قام في الليل بالهجوم بعشرة آلاف مقاتل، على أملاك (محمد بگ ملازگرد) الذي هو تابع لأيالتي، فقام بنهبهم وقتل منهم حوالي ثلاثمائة مسلم بدون حقّ، كما نهب و بلع أربعين ألف رأس من الغنم للـ(شقاقي))(١)، وهذا الرجل موجود ضمن دائرة سلطتكم، وبدون شك أنتم تقدرون عليه وعلى ردّ هذا الظلم، فلو توجّه المنهوبون وذوي المقتولين بملا بسهم الملطّخة بالدماء الى (استانبول)، فهذا سيفسد عليكم أمركم أيضاً!! فلو رغبتم في توجيه الجيش لهذا الشقيّ وقاطع الطريق، فانني سأشترك معكم بعشرين ألف مقاتل، وأنا أنتظر أمركم..) ففرح الجالسون مع الپاشا بورود هذا الخبر وبدأوا بالرقص(٢).

وفي نفس الوقت دخل فصيل من انكشارية أرضروم، وكان واحد منهم قد قطعت ذراعه، فرمى بذراعه المقطوعة أمام الپاشا وقال له (أيّها الوزير، خذ بحقّي)، وتعالى الصياح من الآخرين أيضاً، فقال الپاشا (أيّها الغزاة ماذا حدث لكم)، فقالوا (يا سيّدنا، نحن حرّاس الحدود، ونعمل بالتجارة أيضاً، وعندما وصلت أحمالنا الى (بدليس) قاموا بأخذ الضرائب من كل واحد منا، بحجة انّ الضرائب تؤخذ من الجميع، ثم شاهدنا عدداً غفيراً من الكورد كانوا قد تجمّعوا، لكي يؤلفوا جيشاً للهجوم على (محمد بگ ملازگرد)، وقد رموا بأحمال دوابنا، وأخذوا الدواب جميعاً على سبيل (السُّخره)، فتوجّهنا لطرف (الخان) واستنجدنا به، ولكنهم فعلوا بنا ما فعلوا من التحقير والتذليل، فهل يقبل اللّه أن نكون نحن حرّاس الثغور

١- أغلب الظّن هم أبناء عشيرة (شكاك) الكوردية المتوزعة حالياً على طرفي الحدود الايرانية- التركية. (ر. ف)

٢- كناية عن الفرح والسرور بهذا الخبر. (ر. ف)



والحدود وأن نكون غزاةً في سبيل الله، وأن يعاملونا هذه المعاملة؟).

ففكّر الپاشا ثم قال (لقد أصبح من قطاع الطرق وتجاوز حدود بلده وعبر الى أرضروم، وقتل عدّة مئات من الناس)، ثم طلب اصدار الفتوى من شيوخ الاسلام للمذاهب الأربعة، فكتبوها له، كما قام رجل الدين في وان باصدار الفتوى الشرعية كتابةً وقام بختمها ووضعها في أيدي الپاشا وقال (أيها الزعيم لتكن غزوتك مباركةً، فاسحب سيف الغيرة، ونظف الأرض من آثار هذا الشقي)، ودعا للپاشا وأثنى عليه.

وقال الپاشا للجالسين معه، (لأرسل رسالة له وحسب القانون السليماني أدعوه للحضور الى وان مع محمد بگ ملازگرد وبقية المشتكين لأجراء محاكمتهم الشرعية، فاذا لم يرضَ بحكم الشرع، حينها نرسل الجيوش عليه)، أمّا الحاضرون الذين كانوا هناك فقالوا (فداك يا زعيم، أيّ شرعٍ وأي حكم، فقد تمّ اتهام الخان، فمن الممكن أن يقوم هو بجمع الجيوش والهجوم علينا، ولقد تمّ بفضل الله جمع هذه الجيوش الكبيرة بحجّة رمي التراب في البحيرة، لذا فمن الأفضل أن نقوم بالهجوم عليه مبكراً)، ولكنّ الپاشا العادل لم يقتنع بكلامهم، وقال يجب أن نكتب له رسالة، وقام بتفريق ذلك الاجتماع. بعد تناول الغداء، رجع الى القلعة الداخلية، وقام بالتمشّي معي ومع بعض الندماء الى أن وصلنا قلعة (عنق الجمل) وصعدنا البرج الذي كان قد شيّده السلطان (مراد خان)، وهناك أخذ نفساً عميقاً وقال لي (يا أوليا) اسمعني جيداً، لأروي لك الحادثة التي حدثت لي، وأريد أن تطّلع على هذا السرّ).

قصة ملك أحمد پاشا:

(كنت سراجاً وضّاءً لدى المرحوم السلطان أحمد خان، فقبل احدى وثلاثين عاماً قبل الآن، أوصلت نفسي بكل صعوبة للغرفة الخاصة



بالسلطان، واثناء معارك (بروسه وأدرنه وخوتين) كنت في خدمته، وبعد ذلك أصبحت (چوخداراً) للسطان مراد الرابع، وكنت في خدمته في معركة فتح (وان)، ومن ثمّ بعد فتح (روان) وقعت مدن (نخجوان) و(شيروان) و(تبريز) ومئات البلدات والقصبات الايرانية الاخرى في يديه وتمّ تدميرها، ومن ثم وصلنا قلعة (قطور) وعبرنا من منطقة الاكراد (المحموديّة) ووصلنا قلعة (وان)، وكان السلطان مراد مهتّماً برؤية هذه القلعة على سبيل السياحة، فسرنا الى أن وصلنا هذا القصر، وبعد تناوله الغداء أخذه النعاس فنام، وفي ذلك الوقت كان (نيشانچي پاشا) هو برتبة (السلاحدار) أمّا أنا فكنت (چوخداراً) للپاشا، وتصادف أنّ موقد النار الذي كان قد وضع في غرفة الپاشا، طارت منه شرارة ووقعت على لحافه، وتصاعد على اثرها الدخان الأسود من غرفته، فاستيقظ السلطان من نومه وصاح، من موجود هناك؟ وكنت أنا أوّل شخص يذهب لنجدته، وعندما رأيت تلك الحالة بعيني، قمت باطفاء النار بيديّ وأخرجت الدخان من الغرفة، فسأل السلطان، من كان الخافر في هذا الوقت؟ فقلت له، انّه (حسين پاشا المجنون)، ولكنّ هذا البائس قد أصابه الصرع، ولم يبقّ باله حول غرفتكم، فقال السلطان هيهات هيهات، أجلبوا لي هذا الكافر، حتى ان كان في ألف حالة صرع، وارموه من هذا المكان الى الأسفل، ليصبح عبرةً لكلّ الخافرين في الدنيا فرميت أنا ومصطفى پاشا والآخرين بأنفسنا على يديه ورجليه، وبعد ألف رجاء وتوسّل، عفا عنه في القتل ولكنه طرده من هناك.

وفي اليوم الأخير، بينما كان (مراد خان) يتناول فطوره الموضوع في صينية من الذهب وتحتوي على مواعين (الفغفوري) المجوهرة، رفع لقمة من الأكل وشيئاً من الطعام وقال لي (يا ملك أحمد پاشا، لقد أصبحت منذ الآن برتبة (سلاحدار) وأقرب شخص لي، لذا فيجب أن تقوم بحمايتي



جيداً، وتعال تناول هذه اللقمة من الطعام، وأدعو لي وأطلب مني ما تريده) ووضع بنفسه جلداً سمّورياً ثميناً على أكتافي، وشدّ على رأسي عمامة محمّدية، وأعلنني سلاحداراً مستقلاً ونديماً شخصياً له، انّ هذه القصّة حدثت معي في هذا القصر وكان ذلك في عام (١٠٤٥)، وقد شاء اللّه أن أحضر الى هذا القصر بعد عشرين عاماً، والآن ونحن في عام (١٠٦٥)، فانّ صحتي جيّدة، وقد حضرت هنا بموجب الدستور المكرّم وبصفتي القائد الأعلى، فشكراً للّه، وهذا من فضل ربيّ...). وفوراً قام آغا الانكشارية بوضع وليمة في القلعة الداخلية لـ (وان) وتم استدعاء جميع الأمراء والأعيان، اذ تجمعوا تحت الخيمة الملمعة وقالوا لنرسل رسالة الى خان (بدليس)، فقمت أنا بكتابة الرسالة فطويتها ووضعتها في المظروف وكما يلي:-

رسالة نصيحة من ملك أحمد باشا الى (عبدال خان) خان بدليس:

يا أحقر شخص في الدولة العثمانية، أيُّها الشخص الذي يسمّى (عبدال خان)، يا قاطع الطريق الضّال والأحمق، انت لا تعرف الخجل، وقد فقدت الشرف والعار، انك تكذب وتدّعي بأنّك من نسل (السلطان أوحدالله العباسي)، فتحتال وتغترّ بذلك، ولكنك لعنة اللّه عليك، تختلط مع أهل الفتنة والفساد من الملحدين والرافضية والكورد اليزيدية وانك مرتد عن دينك، وانك تنهض وتجلس كتفاً الى كتف مع المغنّين والمستهزئين والمشغولين باللعب وضاربي الدفوف، لعنة اللّه عليك الى يوم الدّين..

انّ كلّ ما كنت قد قمت به، عندما كنت والياً لأرضروم، صفحت عنك وقلت مضى ما مضى، ولكنك لم تصلح نفسك رغم بلوغك هذا العمر، فتقوم بأسم فرض الضرائب على المارّة وعلى التجار وتقوم بنهبهم وتأخذ الدواب من الناس، وتدخل أراضي (أرضروم) وتقوم بنهب أربعين ألف



رأس من الغنم من (محمد بگ ملازگرد)، وتنهب الناس على أراضيه وتقتل منهم ثلاثمائة شخص. ولقد قمت بجمع كلّ (اليزيديين والچكوانيين والخالتيين والروژكيين) حولك(١)، وكلّ شخص يمرّ من جانبك تقوم بنهبه وتقطع له أطرافه، فأصبحت قاطعاً للطريق ومتجاوزاً على جميع الأطراف. حتى انّ رجال الدين الموجودين لديك، عندما يقومون بنصيحتك ويقولون لك لماذا تفعل هذا؟ فتجيبهم قائلاً (هذه كوردستان، ولكي يبقى الخوف بينهم، فانّ هذا النهب هو شيءٌ من قانون العباسيين). فعهدٌ عليّ أن أقوم بتأديبك تحت حكم الدولة العثمانية بشكل. بحيث يصبح ذلك التأديب مثل الحلقات في أذنيك، وأن أجعل منك ومن أولادك وعائلتك كالأسرى الذين يتم ابتياعهم بالذهب وأن تصبحوا كالعبيد لدى العثمانيين، وفي الأيام العشرة التي كنت فيها ضيفاً لديكم، عرفت كلّ ألاعيبك ومخادعاتك التي في نفسك. لذا في داخل الخيمة في طريق (أووا) قلت لك: (يا عزيزي الخان، طالما كنت أنا حاكماً في (وان) يجب أن تكون معاملتك طيّبة مع الأمراء ومع التجار)، وكان ما قلته لك هو لفائدتك، ولكن يبدو أن نصيحتي تلك لم تؤثر فيك قيد شعرة، لذا قمت بخلق الفوضى وبدأت بالأعمال غير الشرعية، ولم يبق شكٌ حول أعمالك في قطع الطرق، لذا فحسب الشريعة

١- كتب المترجم الى اللغة الكوردية الاستاذ (سعيد ناكام)، هذا التعليق في هذا الموضع (لدى النظر في هذه الرسالة، يتبين أن العثمانيين كانوا ينظرون لجميع الكورد، كالأعداء وغير المسلمين، وأنّ دمائهم وأموالهم حلالٌ عليهم، فانّ زعيماً مثل (عبدال خان) يملك كلّ هذه الثروة والأموال وهو من أسرة حاكمة منذ القدم، وينظر اليه في أرجاء كوردستان. بنظرة التقدير والاحترام، كان محل خطورة للسلطات العثمانية، فانّ القضاء على زعيم مثل عبدال خان وحكومته المستقلة في بدليس، كان يجلب فائدتين لـ(ملك أحمد پاشا) وهما: ازالة الخطورة، ومن ثمّ الحصول على مغانم كثيرة.
ينظر الهامش (٢٣) في ص.٢٣٠ من الكتاب الكوردي



الاسلامية فان دمك وأموالك أصبحت حلالاً وزلالاً، وقد صدرت الفتوى بذلك حسب المذاهب الأربعة، لذا قررت الهجوم عليك، وتطهير البلاد من أيدي متمرد ورجل سوء مثلك، لكي يصبح الأهالي في البلاد أمناء منك. لذا اذا وصلتك رسالتي هذه، لا تبق ساكناً بل توجّه أنت وقوادك لخدمة السلطان العثماني، وسلّم الأموال والمواشي التي نهبتها الى أصحابها، وأحضر في (تحت وان) للمحاكمة، فوالله وبالله لن يمسّك أحد. فيجب ان تتوجه الى هناك، واذا لم تحضر، فسيلحق الضرر بك وسيتم نهب بلادك وسيمحى اسمك. فسأتوجّه الآن الى سهل (تحت وان) على طريق سهل (أووا)، فيجب أن تأتي أنت أيضاً مع اليزيديين الملاعين الروژكيين التابعيين لك، لمواجهة أبطال (وان)، وسنعلم ان كان الله سينصرك أو ينصرنا، والسلام).

طويت هذه الرسالة مع رسالة (طاووخجي مصطفى پاشا) والي أرضروم، وسلّمتا الى رئيس البوابين (جانبولاط آغا)، الذي قام مسرعاً بايصالها الى الخان عن طريق (قوصقون قران)، وقد قرأت تلك الرسالة في مجلس (الخان)، فغضب الخان وقال (تباً... هل نحن مذنبون لتلك الدرجة حتّى يتوجب قتلنا وينهبون بلادنا، وأن يرسلوا لنا كلّ هذا العتاب والتوبيخ؟ انّه أمر الله، يجب أن تكون اليدان في خدمة الرأس!) قال هذا ثم أتكأ للحائط أمام أعين الرسول، ولكنه أرسل رسائل عاجلة خفية، الى (بگوات) الكورد وطلب منهم المساعدة، ومن جهة أخرى، فتح خزينة شرفخان على مصراعيها، وجهّز سبعة عشر ألفاً من المقاتلين بالبنادق وبدأ بتعمير وتجديد القلاع والخنادق والمتاريس، وعيّن عشرة آلاف شخص للدوريّات والحراسة خوف الهجوم الليلي من طرف الپاشا، كما حضر من طرف أصدقاءه الكورد سبعة عشر ألفاً من حملة البنادق مع عشرة آلاف



مقاتل من الفرسان، وقام بتهيئة نفسه للقتال، ثم قام بارسال هذه الرسالة للپاشا، تلك الرسالة التي تتساقط منها الدرر(١):

رسالة عبدال خان الى ملك أحمد پاشا:

(قبل كلّ شيء أشكر الخالق الذي لا مثيل له، والذي أعطى الانسان العقل التام، وجعله أشرف وأعلى المخلوقات والذي اختاره لمعرفة الخير والشرّ ومعرفة نفعه من ضرره، ولكي لا ينخدع بأكاذيب المفسدين والحاسدين والماكرين والمحتالين، فانّ الذين يحكمون الناس وتكون شؤونهم في أيديهم، يجب اجراء هذه الأمور بعدالة وحيادية وبدون مراعاة مكاسبهم الخاصّة، وعدم أخذ آراء اولئك الناس الذين ذكرناهم. فهل يصحُّ هذا، بأنني ليس لديَ ذنب بقدر ذرّة واحدة، فتقوم أنت وحسب سوء الظن بجمع هذا البحر من الجيوش، وتريد الهجوم عليّ؟ ألا تصبح مسؤولاً عن هذا كلّه في يوم الحشر؟ تريد أن تتعرّض مدينة بدليس وهي من الممالك العثمانية للهجوم والنهب والسلب، وأن تحطّم أطفال الكورد تحت أقدام الظلم والقمع، فكيف ستجيب السلطان حول ذلك؟ فعندما كنت ضيفاً لديّ في بيتي، ووعدتني بكل هذه الوعود الجميلة وكلمتني بهذا الكلام الطيب، فكيف نسيت كل ذلك بهذه السرعة، ألم يقولوا (انّ الكريم اذا وعد وفى)؟ ففي ذلك اليوم الذي قلت لي (يا أخي الخان، ان شاء اللّه سأضيف سنجق (موش) على أملاكك في بدليس، وسأردّ لك كل محاسنك) فقد فرحت حينذاك بهذا الوعد، وكنت قد أبديت رغبتك، ان يشعر كل شخص بالأمن والأمان في عهدك، فهل انّ جمع هذه الجيوش هو شيء من جلب الأمان؟

١- كتب مترجم الكتاب للغة الكوردية هذا التعليق في ذلك الموضع:
انّ جملة (تسقط منها الدرر) هذه، تعتبر أجمل تعبير للشعور بالاحترام والتقدير، الذي أبداه (أوليا چلبي) حول أحد أعداء دولته.
ينظر الهامش في ص ٢٣٢ من الكتاب الكوردي.



فكيف سيشعر هذا الناس بالأمان والى من يلتجؤون؟ وفي مرّة اخرى قلت لي، (يا أخي الخان، انت المشعل الوضّاء لزعيمي السلطان مراد خان، وفي السنة التي وقعت فيها حرب (روان) تناولنا الكثير من طعامك، وها نحن الآن نتناول طعامك مرة أخرى، لذا أدعو من كل قلبي أن تكون في الخير والسرور، وأن تدعو بالخير للسلطان محمد خان ولدوام دولته).

انّ الأكراد يتوجّهون في فصل الصيف الى مصيف (ملازگرد)، ويذهب رجالنا لأحصاء رؤوس أغنامهم، وحسب القانون السلطاني يأخذون منهم ضريبة الغنم، ولكن (محمد بگ) جلب معه جيشاً ووضع أصحاب الأغنام الكورد تحت رعايته ومنعهم من دفع ضريبة الغنم، وفي تلك المواجهة، حدث قتال بين الطرفين وقضى بضعة أشخاص نحبهم في القتال، وحول ذلك الموضوع استحصلنا الفتوى من المذاهب الأربعة والفتاوى موجودة لدينا.. أما رجال الانكشارية، فأردنا أخذ الضريبة الأميرية من أقمشتهم، ولكنهم امتنعوا عن دفع الضريبة، وهجموا بشكل فوضوي على حدائقي وقاموا بتجريح عدد من رجالي، وانّ هذه المشكلة مكتوبة في السجل الشرعي الذي ارسلنا لكم مع الرسول. فاذا كان هؤلاء قد أتوا بالأضافة الى أفعالهم غير القانونية، وقد نسجوا بعض الأكاذيب والأباطيل عنّي، وأنت تقوم بارسال كلّ هذه الكلمات البذيئة لي، ولكن رغم انني لا أرى أيّ ذنب لي، فأنني أطلب منكم اعتبار هذه الرسالة، رسالة توبة وندم من قبلي، توبوا الى اللّه توبة نصوحاً(الآية)، وأن تعفو عنّي (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)، لأنّ صداقتنا ومحبّتنا السابقة كثيرة، وأنتم وزير لخليفة رسول ربّ العالمين، (وخلفائه الراشدين المرشدين من بعده ووزراءه في عهده) ومن المفروض فيكم مساندة طرف العدالة، وأن لا تنسوا وعودكم وأقوالكم السابقة.



انني أحلّفك برسول اللّه وخلفائه الأربعة وبرأس سلطانكم العظيم أن لا تهينوني بين الأقران وأن لا تكسّروني، وها أنا أرسل لكم هذه الرسالة مع (زينل آغا) العائد لي لخدمتكم، وما ترونه مناسباً لأجراء الصلح مع المشتكين، أرجو أن تساعدوني في ذلك، أدعو لكم بالسّلامة)(١).

عندما وصلت رسالة الخان هذه الى الپاشا في قلعة (وان)، وكان قد أوضح فيها أن (محمد بگ ملازگرد) لم يدفع ضريبة رعي الغنم للخان، وكان قد هاجمه بالأضافة الى ذلك، لذا ظهر ان (محمد بگ) بنفسه هو المعتدي والمتهم وان اراقة دمه حلال بموجب الشرع، وانّ الانكشارية قد قاموا بشكل فوضوي بالهجوم على (مضيف) الخان، وكان من حقّه أن يردّ عليهم وأن يضربهم، ففرح الپاشا بتلك الرسالة وقال (ولكن لماذا لم يأتِ الى هنا، لأجراء المحاكمة الشرعية؟) فقال له (زينل آغا)

(أيها القائد) انّ الخان قد تأثر كثيراً، ويرجوكم اجراء الصلح بينه وبين الأنكشارية، وقد أرسلني لخدمتكم لذلك الغرض نيابةً عنه).

أمّا وجهاء (وان) فقد دبّ دبيبهم، وقالوا معاً (ايها القائد انّه يريد مخادعتكم، ويعلم اللّه انّه سيأتي يوم، يقوم فيه بتدمير بيوتنا كما فعل بـ(محمد بگ ملازگرد)، ثم سيفعل في وقت الضيق ما فعله جدّه (شرفخان) عندما فرّ الى بلاد العجم، وذلك لأنّ هؤلاء هم أعداء العائلة العثمانية منذ القدم، ومادام هذا الجيش قد تجمّع هنا وسنحت لنا الفرصة،

١- ليمعن القارئ الكريم، في رسالة الخان عالي الشأن (عبدال خان) وما تضمنته الرسالة من تنازلات و من الركون الى السلام والصلح وعدم خلق المشاكل وما احتوته الرسالة من معلومات، حول اعتداء بعض الأطراف الاخرى عليه، التي من الممكن أن تكون مقصودة ومخطط لها من قبل ملك أحمد پاشا لتمرير خطته الأصلية التي من أجلها أتى الى (وان) وهي القضاء على (عبدال خان) وامارته القويّة. (ر. ف)



فلنبادر بالهجوم والقضاء عليه!)(١).

وقد أطالوا من تلك الأقاويل وأثّروا في الپاشا، الى أن قرّر الهجوم على بدليس.

قام الپاشا بالتحرك بمعيّة ستة آلاف من العساكر (المحموديّة)(٢) المنتخبة، ووصل قرية (جاي باشي) فنصب الخيام واتخذ له مقراً هناك، ونادى المنادون داخل المدينة، بأنّ كلّ من يستطيع حمل السلاح، فعليه أن يتوجّه الى هناك، وقام بتكليف (٧٠) بواباً من العائدين له بايصال الرسائل الى (٧٠) من (بگوات) السناجق وأمراء الجيش، ثمّ أرسل رسالتين خاصتين بيد الآغوات حيث أرسل أحداهما بيد (أحمد آغا أرغنيلي) الى والي أرضروم، (طاوقچي مصطفى پاشا) لأرسال نخبة قواته العسكرية، وأرسل الرسالة الاخرى الى والي دياربكر (فراري مصطفى پاشا)، لكي يأتي مع قواته العسكرية المنتخبة، ليأخذ مكانه خلف قوات (الخان)، وبدأت بذلك أمواج قوات الجيش تتدفق يوماً بعد يوم وتتجمع أمام قلعة (وان).

أمر الپاشا بأختصار (٥٠) مدفعاً من مدافع قلعة (وان) وستة مدافع

١- كان هذا هو حال الكورد قديماً، وهم ما عليه الآن، لا يحبّون بعضهم بعضاً، ويخططون مع الاعداء للنيل من بعضهم البعض، لذا فان وجهاء (وان) رأوها فرصة مناسبة لهم، للقضاء على هذا الأمير الكوردي الشهم، وهذه الأمارة القويّة، لذا ألحوا على الپاشا العثماني، للهجوم على بدليس، وبجيش كوردي جمعه لذلك الغرض من الأمارات الكوردية الأخرى، .. فما الذي سيفعله (الخان)؟ هل يستسلم للقائد العثماني فيصبح أضحوكة للناس؟ ولأمراء الكورد من أبناء قوميته؟ أم يبادر للدفاع عن نفسه؟ وفعل ما هو الأفضل وهو الموقف الثاني. (ر. ف)

٢- المحمودي: هي أمارة كوردية قويّة، ورد ذكرها كثيراً في هذا الكتاب ومقاتلوها الكورد يتصفون بالشجاعة والأقدام، لذا اختارهم الپاشا العثماني لمرافقته وحمايته!! (ر. ف)



من نوع (باليومز)، وان تعبأ (٢٠) سفينة بالعتاد والذخيرة مع بضعة آلاف قنطار(١) من (البقصم) والبارود، وتوجّهت مع التهليلات نحو غرب بحيرة (وان) لكي تصل الى ميناء (عادلجواز). وقام باصدار الأمر ل (بگ موش) لكي يرسل (٦٠٠) من الثيران لجرّ المدافع. العظمة للّه، في تلك الأيّام، هطلت الأمطار بغزارة مصحوبة بالرعد والبرق، بحيث تحوّل النهار الى ظلام دامس وحدثت الفيضانات، وهزّ زلزال قويّ الارض، بحيث رمى بالكثير من خيام غزاة المسلمين مع كلّ الأشياء الموجودة فيها الى داخل البحيرة، ومع أصوات الرعد والبرق وهزّة الزلزال، ظنّ الناس بأن جميع جيوش الاسلام(٢) وانّ القلعة لابدّ و أن تغرق في البحيرة، وعندما نهضنا في الصباح رأينا أن كومة التراب التي كان (تيمورلنگ) قد جمعها هناك أمام القلعة، وكان القسم الأعظم منها باقياً، قد جرفتها الأمطار والفيضانات الى داخل البحيرة، وكذلك جبل (وان) الشامخ، قد تمّ غسله وتنظيفه بشكل، بحيث أصبح كالزجاج. وذلك لأنّ التراب الموجود هناك كان قد تمّ حفره منذ أيام، وقد جرفته مياه الفيضانات والأمطار نظراً لنعومته ورمته في البحيرة، وبالأضافة الى تخلّصهم من هذا التراب وتنظيف السهل منه، فأنّه لم يلحق ضرر بأي شخص هناك، وقد فرح العسكر بذلك واعتبروه فأل خير وبذلك تهيّأوا للقتال.

في اليوم الأول من شهر رمضان لهذا العام قمنا بالخروج من قلعة وان للهجوم على (خان) بدليس بأربعين مقاتل في يوم الأثنين بدءاً بالدعاء

١- القنطار- وحدة وزن قديمة وجمعه قناطير. (ر. ف)

٢- ليمعن القارئ الكريم، في المصطلحات التي يستعملها (أوليا چلبي) منذ الآن فصاعداً، اذ يصف الجيوش المتجمعة للهجوم على بدليس بجيوش الاسلام، أو يصفهم بغزاة الاسلام، وكأنّ أهالي وقوات امارة بدليس ليسوا مسلمين!! (ر. ف)



والصلوات خرجنا من (وان)، وبدأ مدفع (سليمان خان) بالأطلاق، حيث تزن القنبرة الواحدة منها (٥٠) حقّه من الحديد، وعندما عبرت تلك القنبرة من فوق رؤوس جيوش الاسلام، أصدرت هديراً قوياً، بحيث اندهش الجميع وجفلت الخيول، وبعد مسيرة أربعة ساعات نحو الشمال وصلنا قرية (جاي باشي) وكانت خيام الپاشا قد نصبت هناك، وأرسل الپاشا في طلب القادة حيث اجتمعوا معه ورتب لهم ضيافة كبيرة وشجعهم على الأمر، وفي الصباح سرنا مسافة أربعة ساعات اخرى نحو الشمال أيضاً حيث وصلنا (مرج قاسم أوغلي)، وهنا وصل مدفعان ملكيّان آخران تجرّهما العربات مع خمسمائة مقاتل آخر، وقاموا بربط المدفعين بالسلاسل أمام خيمة الپاشا، ومن هناك توجّهنا نحو الشمال أيضاً، وعبرنا (قلعة أمين) وتركناها في يميننا، وبعد ثلاث ساعات وصلنا قرية (قره شيخلر) وهي قرية عامرة للمسلمين وفيها مسجد. كذلك سرنا نحو الشمال وبعد ثلاث ساعات وصلنا قرية (قره جانيكلر) وهي للمسلمين أيضاً وتتبع (وان). عبرنا نهر (جانيك) وتوجّهنا نحو الشمال حيث وصلنا قلعة (بارگري)، وبعدها بمسافة قصيرة وصلنا (سدّ ماسي) حيث أخذنا استراحة هناك. ووصل (شرفخان بگ المحمودي) من الكورد المحموديّة، حيث انضم مع قوّاته الى جيش الأسلام، ثمّ عبرنا نهر (سدّ ماسي) وتوجّهنا نحو الغرب وسرنا بمحاذاة ساحل البحيرة، وقمنا بالعبور مع مدافعنا من بعض المناطق الضحلة للنهر، ومن بعض المعابر الجيّدة، ووصلنا قلعة (أرجيش)، وقام العسكر الموجود في القلعة باطلاق قنابر المدفعية وتوجّهوا لأستقبال الپاشا، وقام (بگ أرجيش)، (فرهاد بگ المجنون) بترتيب وليمة كبرى للپاشا، وأهداه حصاناً مع سرجه، ومع معدّاته الفضّية.

ثمّ توجّهنا نحو الغرب وسرنا لمدة ثلاث ساعات، فوصلنا قرية (كنزك)،



وهي قرية للمسلمين وتتبع (أرجيش)، ثم سرنا لخمسة ساعات اخرى، فوصلنا قرية (دميرچي)، والتحق بنا (بگ بايزيد) مع جيشه، ثم سرنا باتجاه الغرب فوصلنا قلعة (عادلجواز)، وهناك كان (والي أرضروم) مصطفى پاشا قد أرسل مع أحد آغواته هديّة متكونة من (٥٠) بندقية مجوهرة محمولة على بغل، مع عشرة من الغلمان (الگورجيين). كما انضمّ للجيش (محمد بگ ملازگرد) بعشرة آلاف مقاتل من خيرة المقاتلين وانضمّ الى جيش الاسلام، وقام (الپاشا)، بمكافأته. وفي (عادلجواز) أرسل مدفعا (باليومز) وكمية من العتاد للوصول الى هناك، ثمّ اتجهنا نحو الغرب أيضاً، وبعد مسيرة ثلاثة ساعات، وصلنا قرية (صورپ) وهي تتبع (عادلجواز) وقريبة من ساحل البحيرة وهي قرية للمسلمين، وهنا التحق بنا (بگ خنس) مع جيشه، وهو تابع لأرضروم، وتمت مكافأته أيضاً، ثمّ اتجهنا نحو القبلة وبعد مسيرة ثلاثة ساعات على ضفة البحيرة وصلنا قلعة (خلاط)، وقام العسكر الموجودين في القلعة باستقبال الپاشا بالأفراح باطلاق المدافع، وتوجّه آمر القلعة الى خيمتي، فأخذته مع هداياه الى الپاشا، فقام الپاشا بتكريمه ومكافأته، فأصبح بعدها صديقاً لي، ثم أتى (بگ موش) وأخذ مكافأته، وفي صباح اليوم التالي، التحق نصف العساكر في قلعة (خلاط) بالپاشا.. وتوجّهنا باتجاه القبلة، وبعد مسيرة أربع ساعات وصلنا قرية (أزغاك)، ووصل (بگ تكمان) والتحقت قوّته بالجيش وتمت مكافأته.

في هذا اليوم، صدر القرار بتنصيب (ابراهيم بگ المحمودي) ومعه ستة آلاف مقاتل بمنصب (الچرخچي) وان لا تسير (الطوغات) أمامه، وان يكون مع الپاشا. أمّا العدو اللّدود لـ(خان بدليس) وهو (محمد بگ ملازگرد)، فلقد تمّ تعينه كقائد لقلب الجيش مع ثلاثة آلاف مقاتل، كذلك



تمّ تعيين (بگ تكمان) و(بگ خنس) للجناح الأيمن و(بگ موش) و(بگ عادلجواز) للجناح الأيسر، وكذلك (بگ پنيانش) مع ستمائة مقاتل للحجاب الأيمن و(بگ غازي قران) للحجاب الأيسر.

تحركنا من قرية (أزغاك) وسرنا بموازاة ضفة بحيرة (وان) وفي سهل (طريق أووا) حططنا الرحال في رياض (چالش). وقام الجيش بنصب الخيام جماعة اثر جماعة، وهنا ذهب البعض من عساكر الاسلام لجلب الحطب وأغصان الأشجار، وتواجهوا هناك مع قوّة الاستطلاع لـ(عبدال خان)، وكانوا قد قتلوا (٥٠) شخصاً من مقاتلينا وقطعوا رؤوسهم وأسروا ستة آخرين وأخذوهم لـ(عبدال خان). وكان (الخان) قد سأل الاسرى، عن عدد عساكر (الپاشا)، ومن الذي أتى من (البگوات) في (أرضروم)، وماهو عدد المدافع والذخائر لديكم. ثم كان قد أعطى كل واحد من الأسرى عشرة ليرات ذهبية وأرسل معهم جثث القتلى مقطوعي الرؤوس. فأمر الپاشا بدفن رؤوسهم، وعيّن (الآغا) الذي هو قائد الجناح الأيمن كمسؤول عن جلب الحطب والأغصان، وفي تلك الأثناء وصلت القوات من أيالة (أرضروم) وهي لـ(بگوات) (پاسيني وعونيك وقوزوجان)، حيث مرّوا من أمام الپاشا مع قرع الطبول، وقام الپاشا بمكافأتهم. فقام الپاشا بتعيين رجال هؤلاء (البگوات) الثلاثة القادمين الجدد، لمراقبة أعمال جلب الحطب لأيقاد النار وجلب الأرزاق، وقام باعادة رجال الجناحين الأيمن والأيسر لقلب الجيش.

في هذه المرة، قام (بگوات) أرضروم، بوضع كمين وأرسلوا عدّة رجال لخارج المعسكر، بحيث يظهرون أنفسهم أنهم ذاهبون لجلب الحطب والأغصان، فتوجّه اليهم رجال (الخان) لالقاء القبض عليهم، فقام الرجال الذين كانوا في الكمين بالأحاطة بهم، وقتلوا منهم (٧٠) رجلاً، وأسروا (٢٠) كوردياً

يزيدياً(١). وجلبوهم مع الرؤوس المقطوعة للقتلى ووضعوها أمام الپاشا، فقام الپاشا بمكافأتهم، ورمى رؤوسهم أمام الخيمة(٢). وقام بالاستفسار من الأسرى الأحياء. وكان بينهم شخص ثرثار يدعى (ابن البستاني)، فانطلق للكلام من نفسه وقال (أيها الزعيم) انّ لدى (الخان) في السّواتر، عشرة آلاف مقاتل من حملة البنادق وألفي مقاتل خيّال، كما يوجد هناك (٥٠) ألف مقاتل، يحيطون ببدليس من الجهات الأربعة على شكل خمس أو ست دوائر بين الجبال، وهم مداومون على الحراسة، كما يقوم (قره علي آغا) مع ثلاثة آلاف مقاتل من حملة البنادق بحراسة القلعة، أمّا (الخان) فموجود في حدائقه مع ثلاثة آلاف من المقاتلين المنتخبين. ولكن ايها القائد، قبل أن تصل الى (عادلجواز)، سترى ان كل أهالي (بدليس) قد فرّوا من ظلم وقهر (الخان) وانتشروا في الجبال والسهول، وقد وقع الأطفال والنساء في أيدي رجال الخان، لذا ففي داخل المدينة حدثت فوضى وبلبلة تشبه يوم الحشر).

لقد سُرَّ الپاشا بكلام ذلك الرجل، فسأله (تكلّم وأخبرنا مَن من (البگوات) الكورد قدم لمساعدة الخان؟) فقال الرجل (يا زعيم، كان قد قدم من أيالة دياربكر، كلٌ من (بگ چپاقچور) و(بگ چمشكزك) لمساعدة الخان، ولكن عندما علم والي دياربكر بذلك، أرسل الجيش لمهاجمتهم، وقال لهم، كيف

١- علّق مترجم الكتاب للّغة الكوردية في هذا الموضع بما يلي:
انّ كلّ كورديّ، لم يكن يعجب العثمانيين، كانوا يسمّونه باليزيدي فان جيش عبدال خان لم يكن يضم أي يزيدي أو كان عددهم قليلاً جداً ولكنهم يسمّونهم جميعاً باليزيديين أي (أعداء الدين).
المترجم للكوردية
ينظر الهامش رقم (٢٥) في ص٢٣٩ من الكتاب الكوردي
٢- ليمعن القارئ الكريم فيما فعله الكورد ببعضم البعض لترضية هذا الپاشا الحاقد. (ر. ف)



تذهبون بدون أمر رسمي لمساعدة شخص قد تمرّد على السلطان، وقام بالقاء القبض على كل واحد منهما وأرسلها الى دياربكر. ولكن (بگ حزو) التابع لأيالة دياربكر والذي هو صهر الخان، فقد كان في (بدليس) قبل هذا القتال، وقد بقي هذا الـ(مرتضى بگ) هناك، كما أنّ كلاً من (بگ جسقه) من أيالة دياربكر، و(بگ زريقي) التابع لـ(وان) هما الآن مع (الخان) مع عساكرهما. وكذلك من أيالة (وان)، قام كلٌ من (البگوات) التالية أسماؤهم وهم (بگوات). سعرد، گرگر، شروي، كارني، هيزون، آغا كيس، كشان، مكس، بردعه، لاديك، أرجك، دالاگر، چوپانلو، هكاري، بني قطور، وأباغاي، بارسال المساعدات للخان، أمّا هم فينوون التوجّه لطرفكم، ولكنهم لا يأتون، فقد قامو بأخفاء أنفسهم في هذه الوديان والجبال، وينتظرون ما سيحصل، ولا سمح اللّه اذا انتصر الخان عليكم، فانهم سينزلون وسيقطعون بالسيوف، الناس الذين تسبّبوا في القتال وحرّضوكم ضّد الخان(١).

أيها الشيخ الوزير، اسمع لكلام ابن البستاني، ولا تخف من الخان، فانّ عشيرة (روژكي) ليسوا مقاتلين جيّدين ولا يحبّون الخان، ولكن احذر (بگوات گورجستان)، فانهم متحالفون مع الخان وقد أقسموا يمين الولاء له، أيّها القائد، لقد طلبت المعونة من والي (دياربكر)، وهو متوجّه

١- هذا دليل ساطع، على أنّ معظم البگوات الكورد، كانو لا يريدون مقاتلة (الخان عبدال)، ولكن خوفاً من مصيرهم على أيدي العثمانيين، فعلوا ذلك مكرهين، وليتهم لم يفعلوا، اذ لما كان باستطاعة (الپاشا) من مهاجمة (بدليس)، وتدبير تلك المذبحة بحقّ الكورد من رعايا الدولة العثمانية. ومن جهة أخرى، كان أولئك (البگوات الكورد) على قناعة تامة بأحقية الخان، ومعرفتهم بالمخططات المرسومة ضدّه، ولو لم يكن الأمر كذلك، لما قال الأسير، انّهم (سيقطعون بالسيوف الناس المسببين للقتال والذين حرّضوا الپاشا ضّد الخان!!). (ر. ف)



لطرفكم بعشرين ألف مقاتل، بينما تملك انت هنا ستّين ألف مقاتل، لذا فقد دبّ الذعر والخوف في مدينة (بدليس) بشكل ليس له مثيل، ولكن رغم ذلك، فهم متهيّؤون للقتال، اذ أنّ طريق دياربكر يمر من بين الجبال، وأنتم قد احتللتم جبلي (ديوان) و(أويخ)، من أمامه لذا قاموا هم بعمل السواتر والمتاريس في جميع هذه الجبال).

عندما انتهى ذلك الرجل من كلامه، قام الپاشا باعطائة مائة ليرة ذهبية وأطلق سراحه وأرسل معه بعض الرجال الى أن أوصلوه الى معسكر الخان، ثم جلبوا الأسرى التسعة عشرة الآخرين، وسألوهم، فقالو جميعاً (لا أعرف أخبار الخان)(١)، فقاموا بقطع رؤوسهم واحداً واحداً، اذ لم يتحدث أحد منهم بأية كلمة أخرى غير ذلك، فاحتدّ الغضب بالپاشا وأمر ان يلعبوا برؤوسهم ويضربوها كما تضرب الكرة(٢).

وفي ذلك اليوم، رحلنا من روضة (چاليش) وسرنا على ضفة البحيرة نحو الجنوب، وبعد مسيرة ثلاثة ساعات وصلنا (تحت وان)، وهنا أرسلت رسالة لعساكر دياربكر، وطلب منهم (ان يبدأوا بضرب الخان من الخلف في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان وهو يصادف يوم الاثنين). كما أرسلت الرسائل لبگوات الكورد الذين لم يكونوا قد وصلوا بعد. ومن غير جهة البحيرة، فقد نشر الخوافر ووضعت الكمائن في الجهات الثلاثة

١- لقد قام المؤلف التركي (أوليا چلبي)، بتثبيت تلك الجملة التي قالها جميع الأسرى، بنصها الأصلي الكوردي في كتابه، اذ كتب الجملة كما يلي:
(نزانم خەبەرێ خانه)، أي (لا أعرف أخبار الخان).. (ر. ف)

٢- هذا دليل على وحشية (ملك أحمد پاشا) وتعامله مع الأسرى، اذ أمر بقطع رؤوسهم جميعاً، ثم أمر بضرب الرؤوس المقطوعة كما تضرب الكرة!! هكذا كان تعامل القائد الأعظم! لخليفة المسلمين السلطان العثماني!! (ر. ف)



الأخرى، وذهب حوالي عشرين ألف شخص لجلب الأرزاق والمحروقات. كما صدرت الأوامر لكلّ القادة بضرورة قرع الطبول العائدة لهم خمسة مرات في اليوم بعد الصلوات المفروضة الخمس، وفي البداية يقوم (ملك أحمد پاشا) بذلك، ثم يليه حاكم (الهكاري) ثم حاكم المحمودي، ثم تقرع طبول (٤٨) قائداً من قادة الألوية، وكان العساكر يرقصون على دقّاتها.

في اليوم الأخير، نادى المنادون في المعسكر، بانّ فترة الاستراحة هنا هي عشرة أيام، وفي ذلك اليوم وصلت سفينتان مليئتان بالسلاح والذخيرة بكلّ سلامة الى (تحت وان)، ولقد أطلقنا العيارات النارية فرحاً بذلك وقمنا بالدّبك والرقص، وأخرجوا المدافع من السفينتين ووضعوها أمام خيمة الپاشا على شكل صف، وقام سبعون ألف مقاتل مرة واحدة باطلاق العيارات النارية، كما أطلقت ستة مدافع (باليومز) وأربعة مدافع شاهانية قنابرها سويّةً. وقد تعالت ودوّت أصوات تلك المدافع والبنادق في وادي طريق (أووا) بشكل، بحيث أصيب (عبدال خان) بالحّمى حسبما سمعنا، عندما سمع تلك الأصوات فوق جبال بدليس. ووصلت تلك (الألف ومائتين) من الثيران التي أرسلت لجرّ المدافع، ولكن (البگوات) من الجهة اليمنى لكوردستان لم يظهروا لحدّ الآن، فغضّ الپاشا نظره عن ذلك، وقال (دعنا نعرف).

ثم توجّهنا من (تحت وان) باتجاه الغرب على طريق (أووا)، قاصدين مدينة بدليس. وكان اصطفاف الجيش كما يلي:

في قلب الجيش، الپاشا بنفسه مع (١٢) ألفاً من العساكر المنتخبين، وخلفهم (سبعون) من ألوية المشاة من الصكبانية والـ(ساريجه)، ومعهم العربات بشكل أربعة أربعة، تجرُّ مدافع (باليومز) وخمسين مدفعاً من المدافع الشاهانية. وتسلّم عسكر (پنيانش) مهمّة الكمائن اليمنى



واليسرى. أما (بگ المحمودي) فكانت له دوريات الجناح الأيسر، و(بگ ملازگرد) دوريات الجناح الأيمن، أما الميمنة فكانت لعساكر (وان) أما البگوات الآخرين فشكّلوا الميسرة، أما (بگ بايزيد) و(بگ بارگري) فشكلّوا مؤخرة الجيش. و(البگوات) الذين لم يكونوا قد وصلوا بعد ولكنهم أرسلوا المسلّحين. فقد ضُمّوا الى الميمنة، على شرط ان يلتزموا بالحراسات بين الجبال وفي الوديان وأحياناً ان يأتوا الى الميسرة أيضاً.

بهذه الطريقة قام الپاشا بملء سهل طريق (أووا) بالعساكر، ثم أخذنا الأستراحة كالمرّات السابقة في (خان خسرو پاشا)، والتفّ العسكر من كل الجهات حول سراي مقرّ الپاشا، وخرجت الكمائن والدوريات الى كلّ الأطراف، وخرج البعض لرعي خيولهم وانتشروا هناك،وكان الرقباء يحذّرون المقاتلين بضرورة الحذر والأنتباه وعدم الأبتعاد عن أسلحتهم.

كان (ابراهيم بگ المحمودي) قد أسر اثنين في (خان پاپشن) وقد أرسلهما لطرف الپاشا، فسألهما الپاشا، فأقسم الاثنان بأنهما ليسا من رجال (الخان)، فأطلق سراحهما، كما قام (محمد بگ ملازگرد) الذي كان مسؤولاً على الدوريّات، بارسال ثلاثة رؤوس مقطوعة مع ثلاثة أسرى للپاشا، فحاول الپاشا ان يحصل على بعض الأجوبة من عندهم ولكنهم كانوا ذوو لسانٍ طويلٍ وتجاوزوا على الپاشا، فضربت أعناقهم ورميت رؤوسهم أمام مقرّ الپاشا. وحسب أوامر الپاشا قام (٧٠٠- ٨٠٠) مقاتل من شجعان عساكر وان ومن (آغوات) (ژوري) بتبديل ملابسهم مع الأحتفاظ بكامل أسلحتهم، ودخلوا بين العساكر والجيش، وخرجوا خارج المعسكر، للسماع للناس والتحدث معهم ومراقبة النهب ومراقبة الدوريات والكمائن، كما اتجهوا نحو الغرب، لمراقبة سواتر (الخان) وقد وصلوا الى (عين قصّاب) التي تبعد رمية بندقية عن سواتر ومعسكر الخان.



جيش خان بدليس ومتاريسه

العظمة لله، فأن (عبدال خان) العجوز، الذي كانت غيرة أجداده لازالت باقية لديه (١)، كان قد صنع المتاريس على جبال (بدليس) بشكل اقوى من سد (الاسكندر)(٢)، ففي الشرق من بدليس وهو الطريق الذي يتقدم بأتجاه طريق(أووا) وهو الطريق الرئيسي، المتجه الى مدينة (وان) والذي يمر في واد تقع فيه (عين قصاب). ومن جهة الشمال وفي الطرف المقابل لجبل (دديوان)، والى الاسفل من (عين قصاب) هناك (ديوان پست)، فهذا جبل عال والى خلفه جبل اعلى منه يسمى جبل (أويخ). فمن القمة العالية لجبل (دد يوان) الى تل (ديوان پست) بحيث تبعد مسافة رمية مدفع، ويوجد بين الجبلين واد ضيق، فعلى جانبي هذا الوادي، كان اكراد عشيرة(الروژكي)(٣) يعملون مثل النمل في الحفر والتخندق. وقد صنعوا سبعة سواتر إحداها فوق الأخرى، وفوق كل ساتر، كان يرتفع ويخفق علم خاص به، وكان جبل (دد يوان) هذا قد تحول الى قطعة تشبه رياض الورود الملونة من الاعلام والأطواغ والسناجق وكانت كل السواتر بأتجاهنا، وتطل على طريق (أووا) بشكل بحيث لامجال لأي واحد بالتحرك، وقد تحول هذا الوادي الذي هو الطريق الوحيد الى مدينة بدليس، الى سد (الاسكندر)، وقد اصبح محكما الى درجة ان الطيور لاتجرؤ على الطيران فوقه، وفوق

١- يقصد بأجداد الخان، العلامة والأمير أدريس البدليسي وشيخ المؤرخين الكورد (شرفخان البدليسي) وغيرهما من مشاهير هذه العائلة. (ر.ف)

٢- يقصد بسد الاسكندر، السد الذي صنعه الاسكندر ذو القرنين أمام يأجوج ومأجوج، لكي لا يستطيعون العبث والتخريب، وهذه القصة مذكورة في القرآن الكريم. (ر.ف)

٣- عشيرة ال (روژكي) هي العشيرة التي كان ينتمي اليها الأمير (عبدال خان). (ر.ف)



جبل (دد يوان) المرتفع هذا، هناك كبير وزراء الخان (چاكر آغا)(١) مع (١٥٠) لواء(٢) من حملة البنادق، وقد وضع قواته، بشكل جماعة فوق جماعة، بحيث جعل من الجبل، سد(قهقهان)، أما على السفح السفلي لجبل (دد يوان) فهناك (عرب خليل آغا)، وقد ثبت عساكره هناك.

عندما شاهد الپاشا هذا ، أدرك أن هؤلاء لايمكن الظفر بهم بشكل مباشر. ومن جبهته في جبل (دد يوان) إلتقى بقادته ماشيا أحيانا وراكبا احيانا أخرى وقام بالتشاور معهم، الى أن صعدنا جبلا يسمى (تقلبان)، وفي الحقيقة فإن أي شخص يتدحرج من هنا، فإنه يهبط ولا يمكن ايقافه الى أن يصل إلى داخل مدينة (بدليس)، وعندما نظرنا الى بدليس من ذلك المكان المرتفع، فالعظمة لله فإن المدينة واطرافها الاربعة كانت تعج بالمسلحين كأمواج البحر. أما قلعة (بدليس) فكانت أبراجها وأسوارها مليئة بالعساكر التي لا يمكن إحصاؤها وقد ثبتت فيها المدافع، كما أن جميع نتوءاتها وأبراجها كانت مزينة بالأعلام الملونة.

لقد نظر الپاشا مليا الى جميع الجهات، و(همة الرجال تقلع الجبال)(٣). ثم جمع حوله القادة الكورد وقال لهم[بإذن الله في يوم الهجوم ستهجم انت من هنا، وأنت من هناك، وأنت كذا ... وهكذا وزع على (١٨) منهم أمكنتهم ماشيا أحيانا و راكبا أحيانا، وأوصاهم بضرورة حضورهم الى هناك في الوقت

١- من الممكن أنه (شاكر آغا) ولكن ثبتنا الأسم كما ورد في الاصل. (ر.ف)

٢- ليس بالضرورة أن تكون تلك الألوية بقدر الألوية العسكرية في هذا العصر، فقد تكون اقل، وقد يكون المعنى أن تلك الـ(١٥٠) لواء، هي (١٥٠) علم لأن كل قوة كانت ترفع علمها الخاص بها، وقد ورد كذلك في النص التركي، إذ قال أنها كانت عبارة عن (١٥٠) بيرقا مرفوعا. (ر.ف)

٣- هذه العبارة موجودة في الأصل التركي، بكلماتها العربية الموجودة بين الاقواس.



المعلوم، أما نحن فسنبدأ هجوما من الأسفل على طريق (أووا)، بجيش(وان وهكاري) مع «١٢» ألف من عساكري، ففي الوقت الذي نادينا فيه بـ «الله الله» واطلقنا المدافع، فستبادرون أنتم بالهجوم من هذه الأماكن. ولكن عليكم بتنبيه رجالكم، أن لايبادروا للنهب من العسل، الى ان يسحقوا مركز خلية النحل(١) وأن لا يمدوا أيديهم الى النساء والاطفال ونهب البيوت أولا. وكل ما عليكم هو القبض في البداية على (الخان)، وإحتلال حدائق (الخان)، ومحاصرة القلعة}. فأجاب الجميع بالأيجاب وأقسموا بالأيمان وقرئت سورة الفاتحة(٢)، ثم جلسنا في زاوية من طريق (أووا) في روضة من الرياض وتناولنا طعام الغداء، وأخرجنا الحراس والكمائن الى الأطراف الأربع. وبما ان عساكرنا هي بأعداد كبيرة، ولاشك في وجود بعض الناهبين والسالبين بينهم، فقد إتفقت جماعة منهم على البدء بالسلب والنهب في أطراف بدليس، فأخذوا طريقهم الى هناك، وتواجهوا على حين غرة مع ستمائة مقاتل من العساكر (الروزكية)(٣) وبدأ القتال بين الطرفين، وكنا نحن جالسين مع الپاشا فسمعنا أصوات إطلاق النار، ولم نعرف السبب، فأرسل الپاشا بعض الاشخاص لكي يعلموا السبب، وعندما وصلوا شاهدوا بأن الأكراد(٤) قد قطعوا رؤوس (٢٠٠) من الناهبين والسالبين، وأخذوا معهم البقية منهم وذهبوا. عندما علم الپاشا بهذا الخبر، أمر فورا بتعقبهم، فأسرع في طلبهم (إبراهيم بگ المحمودي)ولحق بهم، وحدث قتال كبير بين الطرفين، ولم يبق من اولئك الكورد

١- يقصد (الپاشا)بهذه العبارة سحق (عبدال خان) أولا، ثم المبادرة للنهب والسلب. (ر.ف)

٢- وهكذا أقسم القادة والحكام الكورد، على مهاجمة أخيهم الأمير (عبدال خان)، الذي لاذنب له، سوى كره الپاشا له، والحسد الذي يتغلغل في قلب الپاشا !! (ر.ف)

٣- يقصد بهم عساكر (خان) بدليس. (ر.ف)

٤- يقصد بهم عساكر الخان من الأكراد. (ر.ف)



(الستمائة) إلا مائتان وخمسون شخصا أوصلوا أنفسهم الى سواترهم، وقتل الباقون، ورميت جثثهم في العراء، وقمنا بدفن رؤوس شهدائنا في مكان ما.

وفي مجلس العصر قال الپاشا [إن هذا الخان الحقير الذي كنت ضيفا عليه وعرفته، أظهر نفسه وكأنه يعلم بالألعاب البهلوانيةوالخدع فحسب، ولكن ظهر إنه خبير بالحرب ايضا، ولايمكن الأستهانة به، إذ يظهر أنه وضع الكمائن في عدة اماكن، فلينادي المنادون بين العساكر بسرعة، بأن أي شخص يذهب للنهب والسلب، فسآمر بقتله...]. وفي تلك الليلةتم تبليغ الأمر لكافة القادة، ووضع الحراس، وتم التبليغ بضرورة بقاء كل مقاتل في خيمته على إستعداد، وأن لايخرج من الخيمة وأن لا تحدث الفوضى، وأن لا يمتطوا ظهور خيولهم، وأن لا يشعلوا النيران ولايطلقوا النار]. وأرسلت الكمائن لمسافة إطلاقة بندقية خارج المعسكر، وذلك لأن البگوات الكوردالذين لم يحضروا بعد لطرف الپاشا، كانت ثمة مخافة منهم أن يهاجمونا ليلا، كما كنا نخاف أن يقوم (خان)بدليس الذكي والشجاع جدا بهجوم ليلي علينا، ولكن الله يعلم، إن هذا (الخان) عالي المقام والمظلوم، لم تكن لديه نية الشر ولايهتم بالامر، وفي الوقت الذي لم يكن هو على دراية بأي شيء، كان بعض المنافقين والشريرين، مستمرين لدى الپاشا في النفاق عليه، الى أن تسببوا في حدوث هذا القتال وتأليب الپاشا عليه، فلم يبق لدى الخان حل آخر، فتمسك بغيرة أجداده، وقام بجمع ثلاثين ألف إلى أربعين ألف مقاتل حوله(١)، وإعتبارا من قلعة (أخلاط)، كنا نقوم نحن

١- في هذا القول يظهر شيء من ضمير المؤلف التركي (اوليا چلبي)، الذي يصف خان بدليس بالمظلوم، ويظهر موقف القادة الكورد وتناحرهم مع بعضهم، والحسد الذي كان يتأجج في قلوبهم نحو (عبدال خان) الذي يصفه (اوليا چلبي)دائما بـ (الخان عالي المقام)... (ر.ف)



احيانا، و(الخان) أحيانا اخرى، بأسر الأسرى وإرسال الرؤوس المقطوعة لبعضنا الأخر.

في إحدى المرات أرسل (بگ پنيانش)، بأحد الأسرى للپاشا، وكان متحدثا لبقا ومتملقا، فقال للپاشا {أيها القائد، لقد جمع هذا الخان عديم الأيمان عشرين ألفا من حملة البنادق وأربعين ألفا من الفرسان الممتازين وهم من الكورد (اليزيدية، الخالتية، الچكوانية، البايپرية، الچلوبي،التماني، المترني، البزني، التانكي، الكواري، الكواشي، البزيكي، والقناخي، وهم تحت قيادة الوزير چاكر آغا، وسيهجمون عليكم هذه الليلة من الوادي الجهنمي لجبل (دد يوان))، وعندما أتى هذا الرجل على ذكر (الخان)، مدحه كثيرا ووصفه بالقوة والشجاعة والبسالة والكفاءة القتالية، وكأنه يمدح (سامي نريمان) أو (رستم الأسطورة)، وقبل ان يكمل ذلك الشخص (شهنامة الخان)، أعطى (الپاشا) الأشارة لـ(شاطر علي)، فضربه بسيف على رقبته، فطار رأسه ووقع على البساط الموجود داخل الخيمة.

كان (الپاشا) على إطلاع بعدد جيوش وقوات (عبدال خان) ولم يكن يخاف منه، ،كان قد أصبح مجربا وممحصا في القتال، نتيجة الحروب التي كان قد خاضها، لذا لم يكن يهتم بذلك، ولكن إرادة الله كانت تقتضي في ذلك اليوم، أن يؤثر الجو الحار على الپاشا ويجعله عديم القوى، وأصبح في حالة بحيث لا يستطيع الحديث، ولكن رغم كل ذلك كان يتلو الشعر ويشجع الناس، وبعد الاستشارة مع الزعماء والقادة، قرر أن يفطروا في ذلك اليوم(١)، فوضعوا له الخوان لطعام الغداء، واثناء تناول الطعام قال لهم{ يا

١- كان الشهر، هو شهر رمضان المبارك، وقد قرر فيه (الپاشا) الهجوم على بدليس...(ر.ف)



أمراء آل عثمان، ويا اعيان قلعة وان، لقد وصلنا هنا منذ عدة أيام ونحن ننتظر قدوم (بگوات) كوردستان، ولكنهم لم يلتحقوا بنا، ولا أمل لنا بالتحاقهم بعد الآن، لذا أري أن نبكر في الهجوم على الخان، فإما لنا وإما له} فقال الجميع، بأننا سننفذ ما تأمر به، فقام الپاشا بلبس درع الزرد وتوجه مع (الآغوات) التابعين له لخيمة (محمدبگ ملازگرد) للتشاور معه.

حادثة خطيرة:

بعد ذهاب الپاشا الي خيمة (محمد بگ)، بقيت أنا مع بعض الخدم، وكنت مشغولا في كسر الفستق واللوز لمائده الافطار، فشاهدت فجأة فارسا أصيلا، يحمل درعا صينيا في أحد يديه مع جلد للفهد، وسيف مسلول في يده الاخري، وهويقطع بها حبال الخنيام التي في طريقة، وعندما وصل أمامي صرخ بقوة قائلا (أين هو ملك أحمد پاشا؟)، فلما نظرت إليه، فاذا هو رجل كردي كأنه من عفاريت الجن، فقلت له (لماذا تريد الپاشا) فقال باللغة الكردية (لكي أدخل هذا الرمح في جوفه)، وكان هناك خادم أبله من الاباضية فقال (تعالوا أيها الرجال، إقتلوا هذا الكردي وخذوا منه حصانه)، ولكنني صرخت فيهم غاضبا وقلت للكردي (هيا هيا، هذا هو الپاشا)، وأشرت الي خيمة (كويخا يوسف)(١)،

وكان الخدم قد تناولوا في أيديهم، المطارق التي تستعمل في دق أوتاد الخيام، والفؤوس والسكاكين، وكانوا يقولون بأن هذا الكردي قد قطع حبال خيامنا، ولكن ذاك الرجل الذي إعتقد أن(كويخا يوسف) هو (الپاشا) إنطلق كالبرق للهجوم عليه ورماه برمح صغير، أما (كويخا يوسف) فمن خوفه كان يفتش عن جحر يلوذ به، وأخذ بالصراخ قائلا، تعالواأنقذوني من

١- الـ (كويخا) هومصطلح أولقب، يطلق عادة علي مختار القرية أو سركال القرية، وقد إستعمل المؤلف التركي أيضا كلمة (كويخا) في كتابه. (ر.ف)



هذا الشـخص، وكـان الرمح الذي ضـربه به قـد انغرس في مـخدته، وكـان الكردي قـابضـا على سيفه بيده، ويقطع كل ما يأتـي أمامه، فأجتمع عليه هذا الخلق جميعا ، وأصابوه بجرح بليغ ولكنه كان أشبه بالكلب العقور، يضـرب اي شيء بالسـيف، وكـان عـشـرون شـخصـا من أصـدقـاء، هذا الكردي(١)، قدأخفوا أنفسهم حول خيمه الباشا، وينتظرون إنقاذ صديقهم، فتقدموا الى الأمام والرماح في أيديهم، وإجتمع أمام خيمة الپاشا عدة مئـات من المقـاتلين وأحـاطوا بأولئك الكورد، وبعد قـتـال حـام ودموي، إستطاع العسكر من قتل هؤلاء الكورد العشرين، وعلقوا رؤوسهم أمام خيمة الپاشا وكلف (خسرو پاشا) بدفن أجسادهم. والله أعلم، بأنني طيله الرحلات والجـولات التي قـمت بهـا في الدنيـا، ورأيت فـيـهـا العـديد من الشـجـعـان والصناديد لم يصل فـيـهـا أحد الى درجـة هؤلاء الاكـراد في الشجاعة والأقدام، وقيل أنـهم كانوا من رجال حماية (خان) بدليس وقد قرروا أن يفدوا بانفسهم للخان ويقتلون الپاشا، وعندما علم الپاشا بذلك، كفَّ بعدها عن جولاته بين الخيام ولم يكن ينزع درع (الزرد) عن نفسه.

حادثة غريبة أخرى:

في يوم آخر من ايام رمضـان، إصطحب الپاشا معه ألف مقاتل وذهب لأطراف المعسكر، لمشاهدة سواتر الخان، وكان قد إصطحبني معه أيضا، فرأينا بأعيننا بأنهم قد جلبوا الصخور الكبيرة التي هي بحجم الفيلة وحجم

١- ليلا حظ القارئ الكريم أن المؤلف يستخدم كلة (كردي) أو (جيش الكرد) لدي تحدثه عن مقاتلي جيش (عبدال خان). وكأن جيش (ملك احمد پاشا) لم يكن جميعهم أومعظمهم من (الكرد) وقد جمع الپاشا هذه القوات الكردية لمهاجمة مدينة بدليس الكردية فالمؤلف التركي، يرى ان القوات التي جمعها (ملك احمد پاشا) انما هي قوات عثمانية !! (ر.ف)



قباب الحمامات، وكانوا قد صفوها بجانب بعضها البعض، وقد حفرت خلفها خنادق عميقة بحيث لايظهر قعرها، وقد سدوا الطريق بالموانع والحواجز بحيث لايستطيع احد من المرور منها، ولأجل سد الطريق أمام الجيش العثماني، كانوا قد إستخدموا مئات الخدع والألاعيب التي لايعرفها احد، ومنهاأنهم جلبوا جذوع الأشجار المقطوعة ووضعوها على الطريق وفي وادي بدليس، بحيث جعلوه مثل ميناء (چالندر)، وقد صنعت المتاريس العديدة إحداها فوق الأخرى وقد مليء كل متراس بنوع خاص من المقاتلين لذا فأن الأخبار التي كنا نسمعها عن وضع (بدليس) كانت كلها صحيحة، ومن غير هذه الخدع والألاعيب، كانت كل التلال والوديان والجبال والهضاب حول بدليس مسدودة، وكانت كل الفتحات والمنافذ التي تؤدي الى وادي بدليس محشدة بآلاف المقاتلين من حملة البنادق، وقد أخفوا أنفسهم فيها، وكانت السفوح وأعالي الجبال مملوءة بالخيام المتنوعة.وبعد هذه المشاهدة، قال الپاشا (إن أي شخص يستطيع جلب أسير لي من هذه المتاريس سأعطيه مائة ليرة ذهبية)، فقال له (علي خان) وهو من الكورد المحمودية، (سأجلب لك واحدا بشرط أن لاتقتله) فوعد الپاشا بذلك، فقام (علي خان) أمام أعيننا ووضع بندقيته في كتفه، وخلال لحظات وصل الى الساتر الذي هو أمامنا ودخله، وبعد برهة خرج وبصحبته رجل منهم وأحضره أمام الپاشا، فسأله الپاشا وقال له (يا رجل، لنعلم ما هو عدد قوات الخان؟) فقال الرجل بصراحة (أيها القائد، إن حالنا وحال الخان كحال الكلاب، فمنذ اليوم الذي وصلتم فيه الى تحت وان، اصبحنا كالكلاب ذوات الأربع عيون، نترقب إن كان القتال سيحدث هذا اليوم أو غدا، ترجو من الله أن يبدأ القتال قريبا، فأما لنا وأما لكم، لكي ننجو من هذه الحالة التي نحن فيها، وأصبحنا ننتظر دوما تلك القروش القليلة التي تردنا من



(سعرد)، لقد مللنا من هذا الوضع، وقد قام الخان بقتل العديد من الرجال الذين فروا من القتال، فإن مجيئكم الى هنا قد أوردنا مورد الهلاك، حتى أنه في يوم امس قامت جماعة من العساكر الجائعة بالهجوم على حدائق الخان واستولوا على الأرزاق التي كانت هناك، ولم يبقوا على حبة قمح واحدة للخان أما الرعية من جهة أخرى فهم جائعون جدا وحالتهم مضطربة، ومن الطرف الأخر فقد وصلت عساكر دياربكر الى الأمام وجلبت الويل للخان وعساكره) وقد فرح الپاشا بهذه الأخبار، فأعطى عشر ليرات ذهبية للرجل وأطلق سراحه، وكما كان قد وعد، أعطى مائة ليرة ذهبية لـ (علي خان). وعندما وصل الى احدى المروج، قال (لنصلِ صلاة الظهر هنا)، وترجل من حصانه وقمت أنا باداء الأذان، وبعد الصلاة قال(سأقوم بالدعاء وعليكم أن تقولوا آمين بعدي)..

دعاء ملك احمد پاشا

صلى ركعتين صلاة الحاجة، وكشف عن رأسه ولصق وجهه المبارك بالأرض قائلاً:-

الهي للك الحول والقوة والقدرة و النصرة والفرصة، ولك العناية والحلم والهداية والعزة والرفعة.. بسبب الغيرة على الدين المبين جمعتُ معي فرقة من أمة محمد، انني أتوجه الى بابك العالي قائلاً، أنا هذا الحقير (أحمد) عبدك لم ترجعني حتى الآن فارغ اليدين وكنتَ محسناً معي دائماً، أرجوك أن تقبل رجائي هذا، وأن لاتجعل القوم الذي معي مغلوباً في الحرب، ولاتجعل اليزيديين الذين هم مثل الحشرات يفرحوا بنا) وكلما كان يتضرع ويئن، كانت الدموع تتقطر من عينيه، وقال الجميع (آمين)، ذم قال:(بشرى لكم يا أولادي، ان دعائنا هذا سيستجاب حسب مقصدنا وان شاءالله سننتصر::) ذم تفتح وجهه بالابتسامة وركب حصانه وحمد الله وأثنى عليه



وسار في الطريق... وركب ندماؤه وقادته وآغوات (وان) الخيول ومنهم ابن بهلول آغا وابن تيمور وخسرو پاشا وسليمان بگ الكبير وساروا معه قائلين: ان شاءالله سننتصر أيها الوزير الكبير بفضل دعاءك وبركاتك ونحصل على الغنائم، وقالوا بأنهم جميعاً سيقاتلون في سبيل الدولة ويضحون بأموالهم وأنفسهم، وقال الباشا (أنني أعلم بأن الجيش الذي يجاهد في سبيل الله سينتصر ..) ودعا له الجميع.

شيء من مكارم ورجولات ملك احمد پاشا:-

رجع الپاشا إلى خيمته، وجمع حوله (آغوات) وان وقال لهم (يا أبنائي الآغوات، إنني أعلم بأنكم قد وعدتم بالتضحية بدمائكم من اجل الدولة، وقد خضتم حتى الأن عدة معارك بشجاعة، ولكن لأقل لكم، فلنفرض أن الكورد الذين هم معنا، إنقلبوا حميعا ضدنا، ورفعوا سيوفهم بوجهنا وهاجمونا معا، وقمت انا بمناداتكسم- هيا يا أبناء قومي الغزاة - فماذا ستفعلون أنتم ؟)(١).. فقال الآغوات (ايها الوزير سنقدم رؤوسنا وأرواحنا الى أن نصبح جميعا فداء للدولة، والى أن نقتل سنقاتل)، وبهذه الكلمة، قرأ الپاشا سورة الفاتحة ومسح وجهه بكفّيه، وقام بتناول رمحه من أيدي الآغا السلحدار وإمتطى ظهر فرسه، ثم سار مرتين أو ثلاث مرات من هذا الطرف الى الطرف الآخر، ثم توجه مباشرة نحو طريق (أووا)، وتبعه الآغوات وهم ركبان. ومن

١- علق مترجم الكتاب للغة الكوردية في هذا الموضع بما يلي:-
هنا يظهر دليل واضح جدا على عنصرية العثمانيين فإن الجيش الكوردي الذي كان (ملك احمد پاشا) قد جلبه للهجوم على بدليس كان يضم نسبة ٩٥٪ من الكورد، وهم الذين أسقطوا حكومة بدليس، بينما نرى الپاشا يجمع الآغوات الاتراك في خيمته ويقول لهم بأنه يعتمد عليهم فقط، وإن الأكراد ليسوا محل ثقة وإعتماد من أي جانب.
الكتاب الكوردي ـ ترجمة سعيد ناكام،
ص٢٥٠ هامش ٢٦



بعـيـد شاهدوا حـوالي مـائتـي فـارس من فـرسان الأكراد وكـانوا يسيـرون على مـهل، فقال الآغوات (أيها القائد، لقد ابتعدنا عن المعسكر، وهذه هي حدود (الخان)، فنرجو ان لانصبح هدفا لنيرانهم) فقال الپاشا (ولكن ألم نقرأ سورة الفاتحة للبدء بالقتال؟ فكيف نقبل أن تمضي تلك الفاتحة هباء؟ ياترى الى اية عشيرة تنتسب هذه الجماعة من الأكراد التي خرجت من المعسكر؟ فقال آغوات وان (أيهـا القـائد، يضم مـعـسكرنا ألف نوع من القـبـائل، ويبـدو أن هؤلاء ماضون لجلب الحطب والقش للنار، والله اعلم الى أية عشيرة ينتسبون.) وكان اولئك الأكـراد على مقـربـة من المعـسكر كـثـيـرا، وكـانت الدوريات المتـقـدمـة لجماعـة(پنيـانش) تظن أن اولئك الرجال تابعـون لمعسكرنا، لذا لم يمنعوهم، ثم بدأ القتال وتم إطلاق النار. فقال الپاشا إن سورة (الفاتحة) التي قرأتها كانت لهؤلاء، هيا تحركوا وما هي إلا هنيهة، حتى إضطربت دوريات قواتنا وبدأت بالهروب وتعقبتـهم القوة الكوردية. وكـانوا يطلقون عليـهم النار ويصـرخون (خان،خـان)، فلحق بهـم (الآغوات) وإلتـحـمـوا مـعـهم في القـتـال، ثم لحقـهم الپاشا بنفسه مع سبعمائة الى ثمانمائة مقاتل كانوا معه، أما دوريات قواتنا المنهـزمـة، فـعندمـا رأت مجيء تلك المسـاندة من طرفنا، تشـجـعـوا ورجـعـوا للقتـال، وحدثت معركة كبيرة، وقتل الپـاشا بيده ثلاثة من الكورد، فلم ينجو من اولئك المائتي فارس من الكورد إلا القليل، كما أسر البعض منهم، فسألهم الپاشا عن الحادثة فقالوا (كنا مائتي شخص من فدائيي الخان، قررنا الفداء بأرواحنا للخان، وقد دخلنا واحدا واحدا بين أفراد جيشكم، وكان هدفنا هو قـتـل (مـحـمـد بگ مـلازگـرد) في فـرصـة مـا، ولـكننا علمنا بأنه خـرج من المعسكر(١)، وكنا راجعين لمعسكرنا، فتـوجهنا مع رجال الدوريات العائدة

١- (محمد بگ ملازگرد) هو الخصم الكوردي اللدود، لعبدال خان أمير بدليس، وهو الذي حرض الپاشا العثماني على هذا الهجوم!! (ر.ف)



لكم، فقلنا، لماذا نرجع فارغي اليدين؟ فقمنا بمقاتلتهم، ولكن بحضوركم الى هنا فشلت عمليتنا، فليدمر الله بيت الخان ويعمي عينيه).

في هذه المعركة، جلب الپاشا معه (١٨٥) رأسا مقطوعا، وحصل على مائتي فرس، ورجعنا عصرا، وقد إنتشر خبر في المعسكر، مفاده ان (الپاشا) له كرامات، وأي دعاء يدعوه يتحقق، وفي صباح اليوم التالي تم تكريم اولئك الآغوات الذين إشتركوا في المعركة، بهدايا ثمينة، وثبتت شوكة ذهبية على رؤوسهم، وأرسل الپاشا (كويخا يوسف)، (للتجول والمرور على جميع أمراء الأولوية والقادة والآغوات، والتحدث معهم بكلام طيب معسول، وتلبية ما يطلبون، وإدخال المسرة الى قلوبهم، وتهيئتهم للقتال)، والله أعلم بأن (كويخا يوسف)، لم يقصر في ذلك.

في اليوم الأخير ، وصل حاجب من إستانبول يحمل رسالة مباركة من السلطان، يقول فيها (عليك أن تقطع رؤوس كل الصكبانية والساريجة في أيالة وان وأن لاتبق على أحد منهم) وعندما قرئت الرسالة قال الپاشا (إن أمر السلطان فوق رأسي)، ثم إختار مائة شخص من الـ«ساريجه» وأرجعهم، وقال(إن شاء الله سأنفذ أمر السلطان فيما بعد)، وبما أنه كان متوجها للقتال، لذا غض النظر عنهم..

إلتحق بنا من أكراد (وان)، إبن (تتربگ شيروان)مع الـ(كويخا) مع ثلاثة آلاف مقاتل، وقام الـ(كويخا يوسف) بتكريمهم وجعلهم إحتياط للجيش، وقد غضب الپاشا لأن (البگ) بنفسه لم يأت، ولكنه لم يبد عليه ذلك، كما قدم في نفس اليوم الـ(كويخا) التابع لـ(بگ هيزون) مع ثلاثة آلاف مقاتل(١)، وقد تم ضمهم لـ(خان پاپش)وتم وضعهم كدوريات

١- في الأصل التركي ثلاثة آلاف مقاتل، بينما في الترجمة الكوردية خمسة آلاف مقاتل، لذا يعتمد المصدر التركي. فهو المصدر الأصلي. (ر.ف)



استطلاعية، كما أرسل (بگ كارني)الـ(كويخا)التابع له مع ألفي مقاتل وتم وضعه في الدوريات في طريق (دزده خان) على طريق (أووا)، كما وصل ألفا مقاتل مع الـ(كويخا) التابع لـ(بگ سعرد) ووضعوا كدوريات وكمائن داخل صخور الجبال، أن هؤلاء الـ(بگوات) الأربعة الذين أرسلوا مضطرين عددا قليلا من المقاتلين، ولم يحضروا بانفسهم، أغضبوا الپاشا، وقال (سنرى ذلك في النهاية)(١)، لم يحضر (بگوات) العشائر التالية ولم يرسلوا مساعدات ولم يبعثوا خبرا!! وهي عشائر(گرگر،زريقي، كورلارك، مكس، كسان، آغا كيس، بني قطور،بردع، أرجل، شورگر،چوپانلو، ودالگر)(٢)، وهو أمر غريب، وقد خاف الپاشا أن ينقلب مقاتلو الـ(بگوات)الأربعة المذكورين، اثناء االقتال ويتمردوا، لذا وضع على رأس كل جماعة منهم أحد الآغوات مع مائتي مقاتل، ونبههم الى الى ذلك.

في هذا اليوم، رجع الرجال الذين كانوا قد أخذوا الرسالة الى (دياربكر)، وكانوا قد قدموا من طرق جبلية وليس من الطريق الرئيسي، وجلبوا معهم جواب والي (دياربكر)على الرسالة، وهذه خلاصة تلك الرسالة:{وصلت رسالتكم، وكنتم قد طلبتم المساعدة وأمرتم بالهجوم على بدليس في اليوم الخامس والعشرين من رمضان، نحن قادمون وقد وصلنا الآن الى أسفل قلعة (كفندر)، فإذا كان القرار الذي أصدرتموه باقيا كما

١- هذه العبارة غير موجودة في الترجمة الكوردية.فهذا تهديد واضح من قبل الپاشا، للبگوات الكورد وسنرى نتيجة ذلك في النهاية. (ر.ف)

٢- هذه عبارة عن (١٢) عشيرة كوردية، لم تلتحق قواتها بقوات الپاشا الظالمة، كما أرسل الأربعة الأخرى الذين سبقوهم قوات قليلة، وهذا أكبر دليل، على أن الكثيرين من الكورد لم يريدوا مهاجمة بدليس. (ر.ف)



هو، فسنصل غدا للهجوم على مدينة بدليس، نحن ننتظر أوامركم}. وقد فرح الپاشا بهذا الخبر، وأعطى المراسل مائة ليرة حمراء، وأرسل رسالة أخرى مفادها (نعم سنهاجم بدليس غدا) (١).. ومن الغريب القول، بأنه منذ ذلك اليوم وبسبب الجوع بدأت عساكر الخان بالهروب والالتحاق بجيشنا، وعندما سمع الپاشا بخبر هروب عساكر الكورد بعدد كبير، والأنتشار بين جنود (بگوات) كوردستان من قواتنا خاف من ذلك واعتقد بأن هذا الأمر يمكن أن يكون خدعة، وأن يقوموا بقتالنا في الوقت المناسب، لذا نادى المنادي في المعسكر، بأن أي شخص يستطيع جلب رأس مقطوع لأولئك الفارين من جيش الخان، فسيمنح خمسين ليرة ذهبية مع فرس، وفي تلك الليلة، فر حوالي ثلاثة آلاف شخص من عساكر الخان من معسكرنا وتوجهوا نحو الجبال والغابات.

وفي صباح اليوم التالي، وقفت جميع عساكرنا علي شكل إستعداد، وسمع صوت إطلاق النار من الجانب الأيسر، وحدثت الفوضى، وكانت دورياتنا قد أسرت حوالي (٧٠) شخصا وجلبوهم الى هنا، فسألهم الپاشا، من تكونوا أنتم؟ فقالوا بأن قسما منا من رجال الخان وقسم آخر من مقاتلي دياربكر وبدليس، وبسبب ظلم الخان وبسبب الجوع، إجتزنا هذه الجبال بإرادتنا لإنقاذ رؤوسنا، فقام الپاشا بتسليمهم لحوالي ثلاثمائة رجل من المقاتلين، على أن يصطحبوهم الى (وادي جوان) ثم إطلاق سراحهم هناك.

رؤيا ملك احمد پاشا:

في صباح ذلك اليوم بعد صلاة الفجر وتلاوة الأذكار، نشر الپاشا خبرا بين (الآغوات)بـ(انني قد رأيت في الليلة الماضية رؤيا عجيبة، إذ رأيت أن

١- نعم يريد (الپاشا) مهاجمة المسلمين من رعايا الدولة العثمانية العلية، في ليلة (القدر) ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك. (ر.ف)



خلية من النمل الغزير كانت تتسلق ساقي، ولكنها لم تكن مؤذية، وكانت واحدة منها كبيرة الحجم، فأتت وإلتصقت بساقي وأذتني كثيرا، وعندما نفضت ساقي من النمل، سقطت جميعهاوماتت، ومن تلك الباقية، أعطيت ستة عشرة منها الى (أوليا) لكي يقوم بإعادتها الى جحرها، كما أعطيت بضعة منها الى (آغا) وان، (دميرچي أوغلي)، ثم فتشت عن النملة التي كانت قد عضتني، فقلت هل أطلق سراحك أيضا؟ فسلمتها الى (يونس آغا) وقلت له، تعرف عملك معها، ثم سحقت النمل الباقي وسويته بالأرض)... قال (الملا محمد الهكاري) بأن (النمل التي سحقت ستقتل وسيجري الصلح بينك وبين الخان، وحينها ستكف عن الحاق الأذى بسائر النمل)، أما انا فقلت (سوف يهزم جيش الخان، أما النمل الذي كنت قد سلمته لي، فأنّهم عبارة عن الأسرى، الذين ستعفو عنهم إكراما لي وتسلمهم لي) فقال الپاشا (لقد فسر كلاكما الرؤيا بشكل جيد، والعلم عند الله).

في هذا اليوم أتت جماعة من رجال الدين ووجهاء مدينة بدليس، وحضروا في مجلس الپاشا، وتعهدت تلك الجماعة بدفع بضعة مئات من أكياس الذهب للپاشا، لإجراء الصلح مع الخان، ولكن الپاشا لم يقبل رجائهم(١) وقال لهم (لقد أرسلت له رسالة من (وان) وطلبت منه الحضور في مجلس الشرع ولكنه لم يحضر، والآن وقد جمعت كل هذا الجيش وبذلت كل هذه الجهود، فلا فائدة من الرجاء، فأخبروه بأن يكون على إستعداد، فإما لنا وأما له، فرجعت تلك الجماعة بأيد فارغة...

- المعركة الحامية وهزيمة الخان -

في فجر يوم الأربعاء، الرابع والعشرون من رمضان، عام (١٠٦٥)، بدأ رقباء المعسكر بالنفخ في الأبواق (نباها)، وإمتطت العساكر ظهور



خيولها. أتى القادة الى خيمة الپاشا وقاموا بالدعاء له، فوجه كل منهم الى المكان المخصص له، وكان حملة البنادق قد ذهبوا ليلا الى الكمائن التي خصصت لهم، وفي قلب الجيش، مع الپاشا كان قد بقي ثمانية آلاف من الانكشارية وأصحاب الطبول والصكبانية والساريجة والمشاة المسلحون من (وان)، ثم ثمانية آلاف من العساكر المنتخبة مع (بگ محمودي) للميمنة، وستة آلاف مع (بگ ملازگرد) للميسرة، وستة آلاف مع (شرف بگ البايزيدي)في وسط الجيش، أما (بگوات) كل من (أرجيش، عادلجواز، موش، تكمان، قوروجان، پاسين، عونيك، وخنس) فتوجهوا الى الجانب الأيمن، كما توجه (بگوات) (كارني، هيزون، سعرد، مكس، شروي، وكسان) الى الجانب الأيسر، أما عساكر (هكاري) البالغة (١٢) ألف مقاتل، فشكلوا طليعة الجيش، بصفة (چرخچي) وكانوا يسيرون أمام علم الپاشا، أما القادة الكورد الآخرون مع عشرة آلاف مقاتل، بالأضافة الي رجال الخدمات، مثل سائسي الخيول والسراجين والعكامين وحاملي المشاعل وناصبي الخيام وألطباخين، فشكّلوا جميعا مؤخرة الجيش، كما صدر أمر بتعيين الدوريات، فوقف رجال الجناح الأيمن لجيش (وان) في الجناح الأيمن للپاشا، ورجال الجناح الأيسر في يساره، أما المشاة من قلعة (وان) ومشاة القلاع الأخرى، مع قوات المشاة التابعة لـ(هكاري)، وكذلك المقاتلين التابعين للثغور وهم ستة أفواج من الأنكشارية، والمقاتلين من لابسي الجبب ورجال المدفعية الذين يشكلون جميعا (١٢) ألف مقاتل من المشاة والذين كانوا يرفعون (٢٨) راية، مع (٥٠) مدفعا شاهانيا و(١٠) مدافع من نوع

١- فليمعن القاريء الكريم، في درجة الحقد الذي كان يكنه الپاشا على (عبدال خان) وعلى إمارته، وليمعن في كل التنازلات التي أبداها (الخان) الحكيم، لتجنب القتال وتجنب إراقة الدماء البريئة. (ر.ف)



(قولومبورني) و (٤) مدافع من نوع (باليومز)، وكانت العساكر المنتقاة من الـ(باشلي) والـ (داشلي) والـ(حسني) والـ(حسيني) يسيرون بتمهل على جانبي المدافع، ويسير خلفهم ثلاثة آلاف مقاتل من المشاة الفدائيين، وقد وقف الجميع على هذه الشاكلة لمدة ثلاث ساعات ونصف الساعة، فقام الپاشا بلبس (الزرد) وحمل سيفه على كتفه وقام بأداء ركعتين من الصلاة وقدقرأ مع الآغوات سورة الفاتحة بصوت عال، ثم خرج كالطاووس متبخترا ونظر الى ساعته ثم ركب فرسه، وصاح رقباء الديوان جميعا بصوت واحد (بارك الله غزوتك، ونصرك، وليطيل الله من عمر السلطان، فلتحيا الدولة) أما الپاشا، فسار لمرة او مرتين أمام هؤلاء الناس وسلم عليهم، وردوا عليه السلام، وفي هذا الوقت قام وكيل الخراج (ابراهيم آغا) بذبح (٤٠) رأسا من الغنم أمام قدميه، ومن تلك الأغنام التي ذبحت، قامت ثلاثة منها ووقفت بعد ذبحها، وكانت احداها يتدلى رأسها منها، أما الأخريتان فنهضتا من دون رأس ووجهتهما صوب جيش (الخان) فمشتا قليلا ثم سقطتا، وعندما شاهد العسكر هذا الأمر، صرخوا قائلين (الله الله، هذا فأل خير، وقد أتى رجال الغيب لنصرتنا) وقد ملأوا المكان بهذه الصرخات.

إستأذن الطبالون في البدء بقرع الطبول، ولكن الپاشا قال لهم (مهلا)، فليأت الرقباء حاملو الرايات، وعندما حضر الجميع، قال لهم، إرجعوا الى داخل الجيش، فليقم جميع العسكر بتلاوة (الفتح الشريف)، والذين لايعرفون تلاوتها، فليقرأوا (إذا جاء) وقام الرقباء بتبليغ هذا الأمر، وبهذه الطريقة بدأت جميع هذه العساكر بالسير بتمهل في سهل طريق (أووا)، وكان الرقباء يسيرون بين صفوفهم ويقولون: {انتبهوا أيها الغزاة وأعلموا، بأنَّ هذا اليوم هو يوم كربلاء، إن العدو الماثل أمامكم هو عدو روحكم



ودينكم، إنهم يزيديّون، ولم تبق في الأمر ذريعة، اليوم هو يوم العثمانيين، فلا تكونوا غافلين...}(١)

بهذه الطريقة كانوا يشجعون الناس ويسيرون إلى أن ظهرت سواتر (الخان)، وحسب أوامر الپاشا رفع الاذان المحمدي لثلاث مرات، وقرعت الطبول الاميرية تسعة مرات، بحيث وصلت أصواتها الى السماء، وكان لمعان الرماح وألوان الرايات يذهب بالابصار، حيث كانت تخفق آلاف الرايات سوية وقعقعة السلاح تقطع الاكباد، وكانت رياض طريق (أووا) تزدحم بالاصوات والضجيج والصياح الصادر من البشر والخيول والبغال والجمال، وكأنه يوم الحشر، وكان الغبار المتطاير من تحت الاقدام، أشبه مايكون بغيمة سوداء، تمطر التراب علي عساكر (الخان)، وكان إزدحام العساكر هذا، قد تراكم على بعضه البعض بشكل طبقة فوق طبقة وصف فوق آخر، بحيث لم يعد هناك مجال للرجوع الي الوراء، وكان كل واحد منهم يتلو وصيته علي رفاقه، ويطلب من صاحبه العفو وبراءة الذمة،

عندما وصلوا الي مسافة مرمى المدفعية، وقفوا وتوجه كل قائد الي المكان المخصص له، وفي البدايةتقدم (بگ ملازگرد) الى امام (شاكر آغا) وزير الخان في جبل (دديوان)، وتوجه (بگ كارني) الى جبل (أويخ) لمواجهة (عرب خليل آغا) (٢)، وعندما وصل الخبر للپاشا انه أحيط

١- بهذه الطريقة، كان الپاشا ورقباؤه يصفون عساكر (الخان) وجلهم أو معظمهم من الكورد المسلمين، كانوا يصفونهم باليزيدية، ويصفون يوم الهجوم على بدليس بـ(يوم كربلاء) وهو يوم استشهاد الامام (الحسين) ع، وفي الحقيقة ان الخان وجيشه كانا في دور الحسين وكربلاء، وكان جيش العثمانيين المهاجم هو في حالة ظلم واعتداد لامبرر، لهما!! (ر.ف)

٢- فلينظر القاريء الكريم، كيف وضع (الپاشا)، الأمراء الكورد إزاء بعضهم البعض، وكيف أمرهم بمقاتلة بعضهم!! (ر.ف)



بالمدينة من جهاتها الأربع، أمر المدفعية بالقصف، وهي مدافع (قولومبورني)، (باليومز) و(الشاهانية)، فبدأت بالقصف سوية، وألقت بقنابرها على الرجال والجبال والقمم العالية، فإنتشر الناس الذين كانوا في الخنادق لبرهة ثم رجعوا إلى أماكنهم، حينهابدأوا هم بالصياح والهتاف -- بـ(الله الله) ويدأ هدير الرمي من طرفهم، فقامت قواتنا بالأجابة على هتافاتهم وصياحهم بمثلها، أما أنا فكنت في تعجب في سوق البيع والشراء هذا، وبعد عدة رميات بالمدفعية، تكون حاجز امام سواتر العدو، فقامت عساكرنا بإمتشاق السيوف وهجمت على تلك السواتر، وقاموا هم أيضا بالخروج والقتال بالسيوف وجها لوجه، وكانت المدافع ترمي من الطرفين، وقد وقعت العساكر في لهيب نار (نمرود)(١)، وكنت تظن أنه يوم الحشر، وتكاثف دخان البارود الأسود في السماء، وقد ثبت (شاكر آغا) وصمد على قمة (دد يوان) وقاتل لمدة طويلة، ولكن بگوات (ملازگرد) و(المحمودي)، أزاحوه عن قمة الجبل وأنزلوه الى السفوح السفلى لمدينة بدليس، وأمر الپاشا قوات (وان) في وادي (قصاب)، أن تقوم بالذبح وأن لاتبقي على أيّ حي، وكانت الدماء تسيل من السواتر، ولم تبق صخرة غير ملطخة بالدماء..

في ذلك الوقت ناداني الپاشا وسلمني منديلا من مناديله، وأرسلني الى«إبراهيم بگ المحمودي»، فتوجهت اليه مع ستة من الخدم وسلمته المنديل وقلت له (ياجناب البگ، إن حضرة الپاشا يسلم عليك ويقول إن هذا العزم ليس هو عزمي، بل هو عزم آل المحمودي، فليجعلني أرى هذا

١- نار نمرود: هي النار التي اشعلها الملك نمرود وألقى فيها النبي (ابراهيم) عليه السلام، ولكنها كانت(بردا وسلاما علي ابراهيم) بإذن الله، كما هو مذكور في القرآن الكريم. (ر.ف)



العزم وما الذي سيفعلونه من أجل الدين والدولة، ليكن الله في عونكم)، وبعد إنتهائي من الكلام، توجه (ابراهيم بگ) الى عساكره وقال لهم {أيها الأبطال، من كان يريد الله ورسوله، فليضع الزرد جانبا} فقام حوالي ثلاثة آلاف رجل بنزع الزرود، ووضعوها فوق بعضها البعض، وأبقوا على حوالي ألف شخص قربها، ووضع البقية أذرعتهم حول رقاب بعضهم، وطلبوا العفو والوداع عن بعضهم البعض، أما أنا فلم أفهم الأمر، فالذي أعرفه أن المقاتلين يلبسون الزرود ليوم القتال، فلماذا قام هؤلاء برميها هناك؟ فسألت عن ذلك، فقالوا لي: {إننا سندخل ميدان القتال بالبنادق، حيث تكون رائحة الزرود حينها كريهة، فأي شخص يصاب زرده يطلق ناري حتى إن كانت الطلقة لاتخترق زرده، فإنها ستدخل إحدى حلقات الزرد في لحمه بحيث تقطع عليه أنفاسه، أما إذا لم يكن لابسا الزرد، فستخترق الطلقة جسمه وتخرج من الجهة الأخرى، فإما أن تقتله وإما أن يقوم بتنظيفها وتشفى جراحه...}.

كنت اشاهدهم، ينزلون من خيولهم إثنين إثنين ويمرون من بين الصخور ويهاجمون سواترهم، وكنت أنا أيضا متسمراً فوق ظهر حصاني، لم أستطع الرجوع وبقيت على تلك الحالة، والله أعلم، مارأيت إلا وقد أظلمت الدنيا في عيني ودار رأسي، إذ كانت الأطلاقات تمر من الجانبين مثل أمطار الربيع الغزيرة، كان البعض يقع ويموت ويبرد، والبعض الآخر يقع ويريد النهوض وآخرون يئنون من الألم ويصرخون...

اما قواتنا في الطرف الآخر، فكانوا يتقدمون مع اطلاقات المدفعية عن طريق وادي (الأسكندر)، ويقتربون من المدينة، أما عساكر (أرجيش) فقد دخلت وادي (أويخ)، ووصل رجال (عادلجواز) الى وادي (تقلبان).. أما عساكر (وان) فقد كانوا اشبه بالذئاب التي تدخل بين قطيع (الغنم)، إذ



كـانوا يضـربون الجرحى والموتى على حد سواء... أمـا (بگوات) (مـوش) و(تكمـان) فـقـد دخلوا وادي (قناخ)، وفي وادي (أويخ) دخل (بگوات)، (قـوروجـان) و(پاسين) الى داخل السـواتر،... بأختـصـار، أحاطوا بهم من الجهات الأربعة و أعملوا فـيهم السـيف، . أما الأكراد (١) فقد دخلوا الى السواتر المحكمـة، وإعـتـمدوا على سواعدهم، وكـانوا يدخلون المعـركة بكل جدّ، أمـا رجالهم الذين كـانوا خـارج السـواتـر، فـعندمـا رأوا بأن العـثـمـانيين والوانيين(٢)، قـامـوا بمحاصـرتهم، تجـمـعـوا مع بعضـهـم البـعض والتـقـوا، وهاجـمـوا أسـوة بالـكلاب العـقـورة، وكـان الجـانبـان يصرخـان بـ(الله الله)، ويضربان بعضـها البـعض، وفي ذلك اليـوم، اعطى الله القوة والعزم لقواتنا، بحيث كان العـساكر يهاجـمون من فوق الصـخور والقمم والسنون الجرداء، وكانوا يتقدمون الى الأمام من بين الحفر والموانع والفخاخ على الطريق، أما الفرسان فكانوا يحثون خيولهم، ويضربون بالسيوف ويقطعون الأعناق..

أمـا رجال (چلو الهكاري)، فـعندمـا رأوا بأنه لامجـال للتـقدم الى الأمـام بسبب الرمي الكثـيف المنطلق من السواتر، فـعـمدوا الى الالتـفـاف حولهـم من الخلف عن طريق القمم الجبلية، ونزلوا عليـهم كـ(طيـر أبابيـل)(٣)، وحينـهـا بدأ القـتـال بالسـيـوف، ولما كـانت هنـاك عـداوات قـبل الآن بين (الچلويين) والـ(روژكـيين)، لذا أسـتغلت عـشـيرة(الچلويين) هذه الفرصـة وإشـتـركـوا في

١- يقصد بهم عساكر خان (بدليس). (ر.ف)

٢- العثمانيون : هم جيش الپاشا) التركي وهم أكراد أيضا، أما (الوانيـون) نسبة الى (وان) فهي قوات أيالة (وان)، وهي أيضا كوردية في معظمها.. (ر.ف)

٣- طير أبابيل : هي تلك الطيـور المذكورة في القرآن الكريم في سورة (الفـيل)، وهي الطيـور التي أرسلها (الله) جل وعلا، والتي رمت (حجارة من سجيل)على جيش أصحاب الفيل، فجعلهم (كعصف مأكول). (ر.ف)



الضرب وبالتعاون مع عساكر (وان)، وقد استمر الضرب بالسيوف لمدة ثلاث ساعات كاملة، ولم ينسحب أي من الطرفين من موقعه، إلى أن لم يبق أحد من مقاتلي الخان واقفا على قدميه، وكل ما كان باقيا منهم، كان عبارة عن بعض الجرحى وبعض مكسوري الأيدي والأرجل، الذين وقعوا في أيدي قاطعي الرؤوس الذين لايعرفون الرحمة، وكانت عساكرنا قد قطعت من الرؤوس مالاتستطيع حمله، لذا إضطروا الي الاكتفاء بقطع الآذان والأنوف ورمي الرؤوس، وكان من بينهم من جلب معه (٢٠) أذنا، وعشرة من الأنوف، وآخر جلب (٤٠) أذنا و(٢٠) أنفا(١)..

ولكن يجب ان نتحدث بإنصاف، فالنصر من عند الله، ولكن أبطال الـ(روژكيين) كانوا شجعانا جدا وأبطالا..

فعندما علم هؤلاء بأنهم على حافة الأنكسار في القتال، وهم محاطون من الجهات الأربعة، قامت عساكر الخان مع قادتهم ومع رؤساء عشيرتي الـ(مودكي) والـ(صوريلي) والآخرين، بإرتداء الأكفان، وتقدموا مع (موصلي آغا) من وادي (گندل)، متراصفي الأكتاف وسدوا الطريق على الـ(چلويين) وارجعوهم الى الوراء، ومن الجهة الأخرى تجمعت أربعون راية من رايات الخان، وبدأوا جميعا بالرمي بالبنادق، وقد احدثوا الاضطراب بين صفوف قواتنا، وأذاقوه المرّ، فقتلوا كل من وقف أمامهم، ولم يخرج أحد من مقاتلينا حيا من أيديهم، وقد فرشت الجثث على الصخور كما تفرش الحصران، ومن سوء الحظ أن البعض من عساكرنا، رموا بانفسهم في احد السواتر الفارغة لقوات(بدليس)، لكي يتخذوه كملجأ لهم، وأن يقفوا أمام أكراد (بدليس)، ولكن تم إطلاق سبعة قنابر للمدفعية من قلعة بدليس الى ذلك الساتر، وقد تم طحن أجساد عساكرنا كما يطحن الدقيق ويذرى بين

١- نعم، هكذا فعل الكورد ببعضهم البعض، لترضية الباشا العثماني !! (ر.ف)

الأشواك، بينما بقي مقاتلو الخان سالمين في أماكنهم.

المشاورة والرأي الحسن : إجتمع جميع القادة في مكان واحد من أجل إيجاد حل، وقالوا (ايها الرجال، لقد تعقّد الوضع، فقد توجه مقاتلونا لنهب المدينة، بينما يقوم مقاتلو الخان بالتثبت والصمود ، فما هو الحل ؟) وقاموا بارسالي الى طرف الپاشا لطلب المساعدة، فتوجهت بطرفة عين لطرفه وقلت له (أيها الپاشا ، أن البگوات الكورد يبعثون لك السلام ويطلبون منك بضعة آلاف من المقاتلين لدعمهم ومساعدتهم) ، وقد حكيت له ما حدث، فقام الپاشا بتوجيه الـ(كويخا يوسف) وإرساله مع ثلاثة آلاف مقاتل من مقاتلي الپاشا نفسه وقال لهم (ليضع كل واحد منكم قطعة من القماش الأبيض في عنق حصانه، وليدلي كل واحد منكم بطرفي الطيلسان المحمدي من الجانبين) وذلك لكون عساكر الخان، والعساكر الكوردستانية للپاشا متشابهة من حيث العمامات والملابس، حتى ان بعضهم جلب رؤوس البعض من شهدائنا وجرحانا للپاشا ، وقد إستلموا المكافآت حول ذلك، أما أنا فرجعت لطرف البگوات الكورد وبشرتهم بوصول الدعم والأسناد..

عندما وصل ثلاثة آلاف من العساكر الكوردية المنتخبة مع ثلاثة الاف من عساكر الپاشا بقيادة الـ(كويخا يوسف) ، وهاجموا الخنادق والسواتر العائدة للخان من الأطراف الأربعة، وحدث قتال ضار وواسع، وما هي الا لحظة، حتى خرج عسكر الخان فجأة من الخنادق، وكان كل واحد منهم يحمل سيفا وهاجمونا بحيث جعلوا عساكرنا تنهزم أمامهم، وشتتوهم شذرمذر، وأخيرا إستطعنا جمعهم من بين الصخور بكل صعوبة، ولقد قاتلت عساكر الخان قتالا (رستمياً)(١) لدرجة أن القسم الأعظم منهم

١- إشارة الى(رستم)، البطل الاسطوري الفارسي في ملحمة (الشهنامة) الفارسية التي وضعها الشاعر المشهور (الفردوسي) الايراني--(ر.ف)



إستطاع إنقاذ نفسه وانحدروا الى الأسفل من الجهة الأخرى ووصلوا الى داخل القلعة، إن هؤلاء المقاتلين، لم تكن لديهم أرزاق ولاعتاد، وكان معظمهم يعاني من الجوع، ولكنهم كانوايقاتلون كالابطال، وكان الموت بمثابه راحة لهم..أما قوات (وان) فعندما كانوا يضربون بالسيف، لم يكونوا يهتمون بأنين الجرحى أو صراخات تسليم الاسرى، فكانوا يضربون كل من يقع أمامهم، فيقتلوهم ويقطعوهم ويسفكون دمائهم، ويقطعون رؤوس القتلي--

-فرارعبدال خان الى عشيرة (مودكي)-

كان (عبدال خان)ينتظر نتيجة المعركة من القصر الواقع في حديقته الجميلة، وعندما رأي بالناظور بأن الكورد من عساكر العثمانين دخلوا السواتر العائدة له، فكر حينها بإنقاذ نفسه، فهيأ لكل واحد من أفراد عائلته من النساء والاطفال فرسا أصيلا، وأخذ الاشياء الثمينة جدا من أمواله، وتوجّه مع خمسة ألاف مقاتل من أصحاب البنادق الى جبال (مودكي). وبالرغم من أن علاقاته لم تكن جيده مع (علي أغا المودكي) الاأنه مع ذلك توجه لطرفه، فوضع نسائه واطفاله لديه، أما هو فقد خرج من عنده بعد أن خفً حمله، وعندما وصل هذا الخبر الى الپاشا، قام بإرسال عدوه اللدود (محمد بگ ملازگرد) خلفه لتعقيبه بعد المذبحة التي جرت لهؤلاء الناس وإراقة بحر من الدماء، وسقوط سواتر (الخان)، قامت العساكر بمهاجمة المدينة مثل الذئاب الجائعة، وإنهمكوا في السلب والنهب، فتوجه رجال الدين والسادة والوجهاء في المدينة لطرف الپاشا وتوسلوا به (نطلب منك النجدة ايها الپاشا، فإذا كان (الخان) هو عدوك، فإنه قد فر وذهب، فلماذا يجري النهب والسلب بحق هؤلاء الناس الأبرياء، ولماذا يتعرضون لكل هذا ؟)، ومن فوق سرج حصانه، نادى على آغوات (وان)



وعلى البگوات والقـادة الآخرين، وأقـسم برأس السلطان، لو بقي شـخص واحد من الناهبين في المدينة، وإشـتكى شـخص واحد، فـإنني لن أكـتـفي بعزلكم فحسب، بل سأقطع رؤوسكم، ويجب تسليم كل الأشياء المنهوبة الى اصحابها، وسأتوجه الآن الى داخل المدينة، وأنا أنذركم بذلك، ثم قام بأصدار الأمر الى (كتخدا يوسف) بمعيّة ألفي مقاتل، وجعله مسؤولا عن ذلك، وأمر بقتل الناهبين المستمرين في النهب وأرجاع الأغراض المنهوبة لأصحابها، أو إحضارها الى أمام المقر، وعندما وصل (كتخدا يوسف) الى داخل المدينة، شاهد سبعة من الأكراد وهم يستولون على أشياء كثيرة ويخرجونها من أحد البيوت، فأمر بقطع رؤوس السبعة، ونادى المنادي في (٤٠) أو (٥٠) مكانا للتبليغ عن ذلك، لذا هدأت المدينة بعد قتل بعض الناهبين، ولكن العسكر كانوا قد نهبوا قبل ذلك كميات كبيرة من الأشياء، وكانوا قد فروا بها الى الجبال.

التشاور للسيطرة على قلعة بدليس :

إن المدينة لم تبق على تلك الحالة من الهدوء، فإن الكورد اليزيدية الذين كانوا لايزالون معتصمين داخل القلعة، كانوا يرموننا احيانا بالمدفعية وبالبنادق أحيانا ويتسببون في قتل الناس، فقام الپاشا بجمع (الآغوات) العائدة له والقادة، وتشاور معهم، فقال الجميع، (ياوزير الدولة، لقد انتصرت بفضل الله، ولكن الأفضل أن لاتبرح هذا المكان قبل إحتلال القلعة، لأن كل ثروة (الخان) وذهبه وجواهره الثمينة موجودة هناك، فلنقم نحن بمهاجمة القلعة سوية ونضربها بالمدافع.) وقال آخرون (ياوزير الدولة، لقد إستلم (الخان) خراج موش وبدليس لمدة سبع سنوات، ولم يعط حبة واحدة منهالأي أحد. ولدينا أدلة وإثباتات كثيرة، لما لنا على (الخان)، وجميع اسلحته وأرزاقه موجودة هناك، فلنقم بتهديمها بالمدفعية



وإحتلالها.) فقال الپاشا، (لقد كان الخان عدونا وعدوكم، وقد فر الآن، وان هذه القلعة هي قلعة السلطان، فلو ضربناها بالمدافع ولم نستطع إحتلالها، فسيطول الحصار عليها، وتحدث الفوضى داخل المدينة، ومن الممكن أن يجري فيها السلب والنهب من جديد، وسيلحق الأذى بالأهالي.) فقال جميع القادة: (إننا نضمن أن لاينهب أي شيء، وأي شخص يخسر شيئا، فذنبه في رقابنا، وإذا كانت عساكرنا تبلغ أربعين الى خمسين ألف مقاتل، فنحن نضمن أن لايحدث شيء..) فرضي الپاشا بذلك الكلام، وقرر إحتلال القلعة... في البدء قام بإرسال رسول لطرفهم وطلب منهم إرسال مفاتيح القلعة له، فرد الاشخاص الموجودين داخل القلعة: (إن القلعة هي قلعة الخان، ولا علاقة للعثمانيين بها فلو كانت القلعة للعثمانيين، لكانت القوات العثمانية موجودة فيها، ونحن جميعا من رجال الخان.)، ومن غير هذا كانوا ينوون رمي بعض الرجال المرسلين الى هناك من أسوار القلعة، وبألف رجاء وتوسل غضّوا النظر عن ذلك، ولدى عودة اولئك الرجال، تحدثوا بذلك للپاشا، فأمر الپاشا بعقد مجلس شرعي، وفي ذلك المجلس قرروا إن العصيان يعتبر خروجا من الدين وتم تسجيل ذلك في السجل الشرعي، ثم أمر الپاشا بحصار القلعة وتم تبليغ جميع القادة بذلك وفي وقت الغروب توجهت جميع العساكر لأطراف القلعة وناموا هناك، ولدى أذان الفجر، تخندق الجميع في الخنادق وخرجت الكمائن للأطراف الأربعة وإنتشرت هناك، كما قام غيرهم من العساكر بمسك الجانب الشرقي من بدليس، على طريق (أووا)، وحركوا المدافع والذخائر الى الأمام وقاموا بتغطيتها..

قام اليزيدية الموجودون داخل القلعة، بأنارة أسوار القلعة بالشموع وبالنفط، وأضاءوا المشاعل وجعلوا من الليل البهيم نهارا مضيئا، وإلى أن



أشرقت الشمس، كانوا ينادون ويصرخون (الله أحد أحد)، وفي الفجر كانت مدافع (باليومز) والمدافع (الشاهانية)، قد بدأت بقصف قمة القلعة، مما فتح بعض الثغرات فيها، ولم يمض وقت طويل، حتى شاهدنا علما ابيضا يخفق على بوابة القلعة، واستدعوا بعض الثقات من الرجال، فتقدم الـ (كتخدا يوسف) و(إبن الدميرچي من وان) الى أمام القلعة، فقام اولئك بأنزال الحبال ورفعوا (إبن دميرچي) الى الأعلى، وأنزلوا (كتخدا) القلعة الى الأسفل، ثم قام الطرفان بالقسم بالقرآن لبعضهما البعض، ونزل سكان القلعة من الذكور والإناث بدون سلاح وأرادوا التوجه لبيوتهم، ولكن (الصكبانية والساريجة) أحاطوا بهم وسحبوهم الى أمام خيمة الپاشا، فقام الپاشا بالعفو عنهم جميعا، وكانوا يبلغون حوالي (٧٠٠) شخص..

أغلق الـ (كتخدا يوسف) باب القلعة، وأعطى (الأمان) لقائد القلعة الذي كان قد إعتصم ببرج (الخان)، ولكنه لم يخرج من هناك، فتقدم (يوسف) نحوه وأقسم له بان القلعة قد إحتلت وانه لو خرج فإنه سينقذه، وقد خرج قائد القلعة حسب ذلك (القَسَم)، وسلم(٢٨) مفتاحا من مفاتيح القلعة وسراي (الخان) وبهذا الشكل فقدتمَّ احتلال قلعة بدليس بهذه السهولة في اليوم الخامس والعشرين من رمضان عام(١٠٦٥)، وقام الـ(كتخدايوسف) بتعيين رئيس البلوكباشية مع ألف مقاتل منتخب لحراسة أموال وخزائن وجواهر الخان، والتى كانت موجودة فى ثلاثمائة غرفة، وقد تمت السيطرة على تلك الغرف ، وقمت أنا بختمها، ثم أغلقنا باب القلعة.

وبالنسبة لحدائق (الخان) فقد تم إرسال عشرة ألوية من (الصكبانية والساريجة) مع ألف مقاتل من قوات (وان) بقيادة (على أفندي غنايى زاده) مع عشرة من البوابين، للسيطرةعلى (٣٦٠) غرفة من (الخان) الداخلية والخارجية، وأستولوا على كل العتاد والذخيرة والكنوز الموجودة،



وختموها بختم ال(كتخدا).. وعند النزول للقلعة السفلى، كان قائد القلعة هو إبن (قره علي)، فشدت وثاقه الى الخلف، وكذلك شدت وثاق مسؤول القلعة وال(كتخدا) مع سبعمائة شخص من العامة، وتم جلبهم الى أمام خيمة الپاشا، وكان الپاشا جالسا على كرسي والجلادون ينتظرون أوامره، فسأل الپاشا (من يكن هؤلاء؟)، فقال(كتخدا يوسف)، إن هؤلاء كانوا قد تمردوا علي السلطان، وكانوا قد أغلقوا بوابة القلعة، وكانت لديهم نية للقتال، فقال الپاشا (لقد أطلقت سراح (٧٠٠)منهم الان) فقال الـ(كتخدا)، أن هؤلاء ليسوا مثلهم، فإن هؤلاء كان الامر السلطاني قد ورد بحقهم قبل ثلاثة أيام بالأعدام وكانوا قد إعتصموا في داخل قلعة الخان، وكان أهل الديوان ينتظرون الامر، كما كان الجلادون يحملون سيوفهم الحادة، فقال الپاشا (ليأت قائدهم القذر لأعرفه)، فأتى رجل أسمر اللون يدعى(قره علي)، وكان رجلا شريرا مشهورا وقد صدر الامر بقتله، فنظر إليه الپاشا مليا ثم سأل (من هم هؤلاء الاخرون)؟ فقالوا له، إن هؤلاء هم رجاله، فقال الباشا (تقدم أيها الجلاد)، وإبدأ بقطع الرؤوس.

قال الپاشا (نادوا لي على أوليا چلبي) فتقدمت نحوه، فقال لي، هل تتذكر الحلم الذي رأيته في ليلة البارحة وذكرته لك، وكيف كان النمل يدب في جسمي، وكانت بينها نملة سوداء عضّتني، وكان النمل الاخر بدون أذى؟ فإن هذا الكافر هو النملة السوداء وهو الذي أغلق البوابة وأذى قلبي، إقتلوه سريعا، فتقدم الجلاد نحوه، فقلت له، لأكن فداك، إن حلمك تحقق، ولكنك كنت تعفو عنه في الحلم، لذا احلفك برأس السلطان، ان تعفو عنه، فقال الپاشا : أنهضوا هذا الملعون، فنهض «قره علي» وقال : يا جناب الوزير، في الوقت الذي كنت واليا على (ديار بكر)، ألم أكن سائس خيولك؟ فقال الپاشا (، أحقا، إذا أنت ذلك الملعون الذي كنت قد فررت



في معركة (سنجار) ووصلت الى هنا لتشترك في هذه المعركة الكبيرة؟ إضربوا هذا الكافر!)، فتقدمت من جديد وقلت (يازعيمي كيف تقتل رجلا، كنت قدعفوت عنه)، فقال الپاشا حسنا، ثم وجَّه كلامه الى (قره علي) وقال له (لما كنت حينذاك سائسا لخيولي، فلماذا هربت؟ فقال (قره علي) : كان هروبي بسبب أمرك بضربي (٥٠) سوطا، لكون حصانك الـ(چقال) ضعيفا، أما أنا فلم أتحمل هذه الأهانة التي حدثت لي أمام الجميع، ففررت ووصلت من (سنجار) الى (ماردين) في ليلة واحدة، ومنها وصلت (حصنكيف)، وأخيرا الى (بدليس)، وأنضممت الى رجال (الخان)، وجعلني (الخان) صاحب مال وعائلة. فقال الپاشا (حسنا، لقد عفوت عنك الآن بسبب الـ (٥٠) سوطا التي جلدت بها من دون وجه حق، ولكن لماذا أغلقت باب القلعة علينا، وتسببت في كل هذه الخسائر؟ فقال (علي آغا)، أيها الوزير إنَّ آلام سياطك لاتزال باقية في جسمي، ولم يخرج أثرها من قلبي لحد الآن، لذا أردت ان آخذ ثأري منك بهذه الطريقة. فقال الپاشا، (يصدق هذا الملعون) وأهداه هدية جيدة وأمر أن يكون ضيفا بشكل حر لدى الـ(كتخدا يوسف)..

ثم قال الپاشا (حسب أمر السلطان، سأقوم بأبادة هؤلاء، هيا، فكل من يستطيع قتل اكبر عدد منهم، فستكون ملابسهم له) فلم يجرؤ أي أحد من الجالسين أن ينطق ببنت شفة، فقلت له (أيها الپاشا كنت في رؤياك التي رأيتها قد صفحت عن ستة عشر منهم إكراما لي) فقال الپاشا (إن ذلك صحيح، تعال يا أوليا إختر من هؤلاء ستة عشر شخصا، وإقرأ بدلا من كل واحد منهم سورة الفاتحة)، فقلت (يازعيمي سأقرأ لك ثمانون فاتحة، ثم قلت بأعلى صوتي .. الفاتحة..) ثم تقدمت الى الرجال المشدودي الأيدي، فأخرجت ستين رجلا من بينهم، فقال الپاشا (ما الذي تفعله يا



أوليا ؟ لقد اطلقت سراح الجميع بفاتحة واحدة!) ولكنني لم اجبه وأخذتهم جميعا الى تحت خيمتي وقدمت لهم الطعام...

عندما رجعت رأيت الپاشا في قمة الغضب، وهو يفرّر عصاه (الخيزران) في يده ويصيح (أسرعوا بأبادة هؤلاء)، والله يشهد، ان كل (الصكبانية) والـ(ساريجة) الذين كانوا هناك، هاجموا على معصوبي الأيدي هؤلاء بالسيوف المجردة، وكانت الأيدي والرؤوس والأكتاف والأعناق تتطاير، اما اولئك فكانوا أشبه ما يكونوا بالأغنام التي تحت أيدي القصاب، لم يكن بوسعهم، غير حني أعناقهم، وكأنه يوم الحشر، وفي تلك الأثناء، قام احد الأبطال من (الروژكيين)(١)، بخلع قيود يديه وأخذ السيف من أيدي جلاده، وبدأ بضربهم، فقتل سبعة من الجلادين، وهرب الآخرون من أمامه، وعندما قام الجميع بالألتفاف حوله من جميع الأطراف، صاح بهم الپاشا وقال (لاتضربوه)، إن من الحيف ان يُقَتَل مثل هذا البطل)، وقام بالعفو عنه فورا، وأضافه الى قوات (وان)..

كان الآغوات والوجهاء الموجودون هناك، يرون كيف يهاجم هؤلاء، بسيوفهم المسلوله، أولئك البؤساء معصوبي الأيدي، وكانوا يعطفون عليهم ولكن لم يكن أي واحد منهم يجرؤ على الكلام، لذا فقد صرخت عليهم بغضب وقلت (أليس لديكم شيء من الغيرة؟) فأن الپاشا ينتظر أن يتقدم أحدكم ويطلب منه الرجاء، وقد رأيتم كيف إنني أنقذت ستين الى سبعين منهم بفاتحة واحدة، هيا تحركوا، ففي الأيام الثلاثة الأخيرة، قد أريقت بحار من الدماء في هذه المنطقة..) وبعدها تحرك آغوات الپاشا وآغوات (وان) الى الأمام، وقالوا (يازعيمنا لقد تم تنفيذ أمر السلطان، لذا نرجوا الصفح عن الباقين إكراما لنا..)، فأخذ الپاشا برجاءهم، وحرر الباقين منهم وكانوا خمسمائة وخمسون رجلا.. الصدفة العجيبة في الأمر، أن هذه المعركة

١- (روژكي) هي عشيرة الأمير (عبدال خان) في بدليس. (ر.ف)



حدثت في عام(١٠٦٥)، وكان عدد الشهداء (١) من طرف جيش (الخان) هو (١٠٦٥) رجلا، وكان عدد المصابين من طرفنا هو (٩٠٠) رجل، هذا هو قضاء الله وقدره، لقد اسست الدنيا على الحروب والفوضى، وسيدوم ذلك ما دامت الدنيا...

بعد الفتح قال لي (ملك احمد باشا)، (ياأوليا، هل تعلم السبب الرئيسي لقيامي بهذا القتال) فقلت(لاوالله لاأعلم)، فقال الپاشا. (في عام ١٠٤٨ عندما فتح السلطان(مرادخان) مدينة بغداد وعند عودته بعد الفتح، لم يأت خان بدليس لتبريك غزوته، فتألم(مراد خان) من ذلك كثيرا وقال لي (بالله عليك ليكن دينا لي في ذمتك، أن تأخذ بثأري من خان بدليس)، وبعد ذلك عندما أصبحت لمدة سبعة أشهر نائبا ل(أبشر پاشا)، وفي الليلة التي دخل فيها (أبشر) استانبول مع جيشه، رأيت السلطان (مراد) في الرؤيا، كان واقفا على جبل (وان) وفي يده رغيف خبز ملطخ بالدم، وقال لي (هيا إعط نصف الرغيف للجبل والنصف أولآخر لخان بدليس)، وبهذه الرؤيا تذكرت كلامه الاول، وقمت بالاعداد لهذا القتال، فكان السطان (مراد) هو سبب هذه المعركه..(٢)بعد ذلك ذهبنا مع الپاشا لمشاهدة السواتر، وكانت مليئة بالجثث من الطرفين، فإمر الپاشا أن يأتي البدليسيون لاخذ الجثث العائده لهم ويقومون بدفنها، وأن يتم دفن جثث شهدائنا في مقبرة خاصة، وأن يسلم الجرحى الى الاطباء والجراحين للعلاج .

وكانت الجثث فوق الجثث داخل السواتر،..ياإلهي إن القوة والنصر بيدك، كيف إستطعنا من هزيمة جيش الخان بين هذه الصخور والقمم والبراري

١- كلمة الشهداء. بالنسبة لضحايا جيش (الخان) واردة في النص التركي من الكتاب، في الصفحة ٢٣٥ من الأصل .. (ر.ف)

٢-هنا يعترف الپاشا بأنه هو الذي أعد للقتال وقام به، (ر.ف)



والوديان، يكاد المرء لايصدق هذا الامر.. لدي رجوعنا، جاء الخبر، إن(بگوات) كوردستان الانذال الذين لم يأتوا بأنفسهم ولم يرسلوا القوات للمساعدة، مثل(بگوات) شيروان، هيزان، كارني، سعرد، زريقي، كسان، قد قدموا الان ويريدون مقابلة الپاشا(١)، فقال الپاشا، يأتون بعد ماذا ؟بعد خراب البصرة؟(٢) فماذا يعني مجئ هؤلاء الحقراء؟ فليذهب أولئك المتمردون، ولتنكسر رقابهم، فصاح آغوات (وان) بصوت واحد وقالوا .بالله عليك ياجناب الپاشا لاتدعهم يذهبوا، فقال الپاشا[إن هؤلاء هم بگوات السلطان وهم ضمن أيالتي، وكانوا قد أرسلواالمساعدة قبل الآن، وربما يكون هناك عذر وجيه لعدم مجيئهم، اما الذين لم يأتوا ولم يرسلوا المساعدات فمن الضروري إتخاذ شئ بحقهم، ففكروا في ذلك]، فقال الجميع إن شاء الله سنْذهب هؤلاء بطريق (الخان) أيضا(٣).. كان أول الداخلين من هؤلاء البگوات هو (بگ) شيروان، وتلاه(بگوات) هيزان، وكارني، وسعرد، وزريقي، وكسان، وكان (بگ) هيزان يرتجف في مكانه، فقال الپاشا بعد دقيقة واحدة ودون أن ينظر إليهم،[من هم هؤلاء؟] فقال البواب [سيدي هذا هو(شيرواني) ويسمونه إبن التتار] فقال الپاشا[ها، إنه (چلبي) ذو زلوف وشعر، صفات النساء لديه ظاهرة، لقد أوصاه الخان بعدم حلاقة شعره، ولم يأت هو لمساعدتنا إكراما للخان، ومن هو هذا الاخر؟] فقيل له إنه (بگ)

١- يظهر من هذا الامر، ان معظم بگوات كوردستان لم تكن لديهم رغبة في الهجوم على (بدليس) سواء من الذين حضروا أو لم يحضروا، ولكن كلمتهم كانت مشتتة وكانوا متفرقين.. (ر.ف)

٢- عبارة [بعد خراب البصرة] مثبته كما هي في الاصل التركي، ويبدو أن هذه العباره كانت معروفة منذ القدم،، (ر.ف)

٣- هذه العبارة تعني، انهم ينوون قتالهم والهجوم على إماراتهم كما فعلوا بـ (خان بدليس)... ر.ف)



هيزان، فقال الپاشا [نعم، معلوم أن البنات لا ترغب في القتال بالسيوف وتقمن بإختيار الدروع من بين الاسلحة، ومن هذا الاخر؟]فقيل له إنه (بگ) كارني، فقال الپاشا،[هياأيها الشيخ الكافر، تحت من كنت ولماذا لم تأت(١)] وبهذه الصورة، ظل يطعن في كل واحد منهم، ويسمعه كلاما نابيا، ثم وجه كلامه الى (آغوات وان) و(بگوان) أرجيش وعاد لجواز وقال [سأسلم هؤلاء أشباه البگوات إليكم كضيوف، فإنتبهوا لهم،،] فنطق(بگ) كارني وقال [يازعيمي، معنا قواتناوخيامنا، وسنذهب الى هناك..].. فصرخ فيه الپاشا وقال [هيا، خذوا هؤلاء الكفار].. وطبعا كان بگوات وآغوات (وان) قد تم تبليغهم قبل ذلك، لذا أحاطوا بهم وأخذوهم لطرفهم وقيدوهم بالسلاسل.

رجع (محمد بگ ملازگرد) الذي كان قد خرج لتعقب (الخان)، وكان قد أصابه التعب كثيرا وظهر الأعياء على خيوله، ولكنهم لم يلحقوا بالخان، بل استولوا على الخيام والخيول والبغال المحملة من التي تخلفت وبقيت بين الجبال، وكانت تتألف من سبعمائة خيل وبغل، وقد جلبوها معهم، بالأضافة الى حوالي (٧٠٠) شخص من الذين كانوا قد تفرقوا في الأودية والجبال وقد أسروهم وقيدوهم وجلبوهم معهم، وضربت اعناق معظمهم..

عطاء ملك پاشا لعساكره بعد الفتح: في وقت الظهيرة حضر رقباء القوات وقادة الجيش أمام خيمة الپاشا وقد قرعت الطبول، ثم تم توزيع الغنائم التي كان (بگ ملازگرد) قد استولى عليها، والمتكونة من ثلاثمائة خيمة ومستلزمات المقرات، وقد وزعت على القادة والوجهاء، وقد اعطيت احدى تلك الخيم المنقوشة والتي كانت تساوي ثلاثة آلاف قرش الى (محمد

١- نعتذر للقارئ الكريم، عن هذه العبارات الواردة في الكتاب التركي، ولكن الأمانة العلمية لدينا تقتضي ذلك.. (ر.ف)



بگ ملازگرد)، كما أعطيت الخيول والبغال الى الذين كانوا قد فقدوا خيولهم، كما وضعت الأعتدة مع الأسلحة والسيوف و ألف وسبعمائة بندقية في المشجب الحكومي، وقد جاء مسؤول مخزن العتاد لأستلامها حسب السجل، أما المدافع والأشياء الاخرى فقد وضعت في السفن، وقد أرسلت حصة «عادلجواز» الى «عادلجواز»، وما كانت حصة (وان) الى (وان) .. ولم تبق غير عشرة مدافع أمام خيمة الپاشا.

ثم قرعت الطبول لثماني مرات، ووقف جميع الآغوات والقادة في الطرفين من اليمين واليسار، وكان رقيب الديوان يصرخ، بينما يردد الآخرون بعده: [بارك الله في غزوتك... أطال الله عمر السلطان ...]، وكان الشخص الأول الذي تقدم الى الأمام، هو الـ (كتخدا يوسف) الذي وضع الپاشا على اكتافه فروة سمورية سوداء اللون، وشد في وسطه حزاما ذهبيا، وغرز الپاشا بيده ثلاثة أشواك وأكليلا(١) واحدا في عمامته. فصاح الرقباء قائلين [مبروك عليكم خلعتكم وأكليلكم]، وتقدم بعده وحسب التشريفات (ملا محمد) الوزير لدى حاكم (هكاري)، وأخذ هدية مع أكليل واحد، ثم (ابراهيم بگ المحمودي) و(بگوات) كل من: (پنيانش)، (غازي قران)، (بارگري)، (أرجيش)، (عادلجواز)، و(موش)، فأخذ كل واحد منهم هدية مع أكليل واحد، أما (البگوات) الذين لم يشتركوا في القتال وكانوا محبوسين فلم يستلموا شيئاً، أما الذين أتوا من أيالة (أرضروم)، وهم (محمد بگ ملازگرد) و(بگوات) كل من (خنس)، (بايزيد)، (عونيك) (پاسين) و(تكمان) و(قوزيجان)، فإستلم كل وحد

١- الأكليل : ليس من الضروري أن يكون أكليلا للزهور، بل قد يكون باقة من أشياء أخرى كالريش مثلا تغرز في عمامات المقاتلين، دليلا على التكريم الفائق، وإبرازا لدوره في الحروب.. (ر.ف)



منهم هدية مع ثلاثة (أكاليل) غرزت في عماماتهم فقال (بگ ملازگرد): [ايها الوزير الشيخ، كان عبدال خان قد أخذ أربعين ألف رأسا من أغنامي وكان ينوي تخريب منطقتي ويستولي على أملاكي،وأنك قمت بهذا القتال إكراما لي وأخذت ثأري منه، لذا فأنا لاهم لي بعد الآن(١)]..

بعد ان اخذ البگوات هداياهم وأكاليلهم، أخذوا بالأنفضاض والرجوع الى أماكنهم فوجاً فوجاً، بعدها تقدم (رمضان آغا) لخدمة الپاشا، وهو من رجال (مصطفى پاشا فراري) والي دياربكر، نيابة عن خمسة من (البگوات) سناجق دياربكر، فأكرم الپاشا وفادته كثيراوسأله [أين هي عساكرك؟] فبدأ الرجل بالتملق والمداهنة وقال [أيها الزعيم، ليبارك الله غزوتك، كنا قد اعددنا أنفسنا للقدوم، ،لكن عندما سمعنا خبر أنتصارك، فقلنا ما الفائدة من ذهابنا الان؟ ولا حاجة لذلك، فأرسلنا عساكرنا الي قلعة (حزو) وقدمت أنا لخدمتكم(٢)]. فأهداه الپاشا فروة سمورية وغرز ريشة في عمامته، وأرسل الهدايا الثمينة لكل واحد من (البگوات) العائدين له، لكي يسلمها هو لهم، وأرسله هو ليحل ضيفا علي الـ (كتخدا يوسف)، كما تمَّ إهداء آغوات (وان)، هدية لكل واحد منهم، مع (أكليل)، أما الغزاة الذين كانوا قد جلبوا [الفين ومائة وعشرون] رأسا

١- بهذا الكلام، يظهر ان بگ (ملازگرد)، العدو اللدود لـ (عبدال خان) أمير بدليس، لم يكن يريد استرداد أمواله وأغنامه، بل كان هو أداة من أدوات المؤامرة، على إمارة (بدليس) الكوردية، وكان مسببا ومشتركا في القتال ضد (عبدال خان)، وبعد أن ادى دوره المعيب، تنازل عن كل أغنامه وممتلكاته، التي يدعي!!! أن (عبدال خان) أخذها منه. (ر.ف)

٢- يظهر من هذا الكلام، أن والي (دياربكر) و(بگواته)لم يريدوا الاشتراك في مهاجمة (عبدال خان) وإمارة بدليس، و(دياربكر) هي أكبر أيالة (كوردية في شرق أراضي الدولة الثمانية...(ر.ف)



مقطوعا، فإستلم كل واحد منهم هدية مع (أكليل) مع عمامة محمدية. نقول بأختصار أنه تم توزيع الفين وسبعين هدية، مع سبعة (فروات) سمورية وتسعة (فروات) للفهود مع عشرين فروة (سنجاب) وضعت على الأكتاف، وقد صرفت حتى ذلك الوقت (مائتان وخمسة أكياس) (١) وهذا هو كل ما لدي من معلومات..

تنصيب (خان) بدليس الجديد
في يوم (٢٧) رمضان لعام ١٠٦٥

حضر الى مجلس (الپاشا) عدد من رجال الدين والشيوخ وكبار القوم ووجهاء بدليس، يتقدمهم أولاد (عبدال خان)، وكان الاول هو (ضياء الدين بگ) من زوجته بنت (زال پاشا)، وهو شاب جميل وآفة زمانه، ثم الأكبر منه وهو (بدر الدين) من زوجته (عرب خانم) ثم (نور الدهر) من زوجة أخرى، فقبلوا أيدي الپاشا وقام الپاشا بتقبيلهم أيضا، وأجلس (ضياء الدين بگ) على جانبه الايمن، و (بدر الدين بگ) في الجانب الأيسر، ثم أجلس (البگوات) الآخرين في المجلس بالتسلسل، وبالغ في إكرام شيخ الاسلام، وإمام بدليس كثيرا. وكان (الملا محمد البوتي) هو أول من بادر الى الكلام فقال:

(ايها الوزير المعظّم، إن هؤلاء الذين قدموا لخدمتكم، هم جميع وجهاء بدليس، وان الذي سأتحدث به، هو رأي الجميع، نرجوك أن تنصب لنا (ضياء الدين بگ) بصفة (خان) وزعيم لمنطقتنا). فقال الپاشا:

{سأضع رجاءكم على العين والرأس، ولكن لو نصبت هذا (البگ) بصفة

١- الكيس، هو كيس الذهب، الذي يحوي ألف ليرة ذهبية، ويسمى الكيس، لسهولة عده وسهولة إجراء عملية الإهداء... (ر.ف)



(خان) لكم، فهل تساندونه وتنفّذون أوامره؟} فأقسم الجميع بالأيمان وقالوا بأننا سنبذل أرواحنا في سبيله، فمنذ عدة سنوات ونحن نتعرض مع عبدال خان للسلب والنهب والقتال، كما ذهب كل هؤلاء القتلى في هذه المرة، بحيث تعبنا من هذه الحالة وكذلك تعب أولاد (الخان)، فقال الپاشا، إنني قد أرسلت (بگ ارجيش) و (بگ عادلجواز) لتعقب (الخان)، ومن دون شك فأنهم سيقبضون عليه ويجلبونه، ولكنكم عندما تطلبون مني، تنصيب (ضياء الدين بگ) يجب أن تعلموا، بأن (الخان) مطلوب بـ (مائتي كيس) كقرض لقوات (وان)، مع أربعين ألف رأس من الغنم لـ (بگ ملازگرد)، فإذا كنتم تتكفلون بدفع هذه الديون، فإنني سأقوم بتكريم (البگ) العائد لكم، وبالنسبة لتنصيبه سأقوم بكتابة رسالة الى (السلطان)، وإذا لم ترضوا بهذه الشروط فإنني سأعرض الأمر على (الخليفة)، لكي تعود بلادكم الى الأملاك العثمانية كما كانت في زمان (سليمان خان).

فقال الجميع، نحن نقبل بذلك، فأن (الخان) بنفسه قد فرّ وترك ثرواته وأمواله داخل القلعة وقد قام (أوليا أفندي) بختمها، كما يوجد داخل حدائقه من الأموال والخزائن، بحيث لو بيعت بشكل عادل، فأن هذا يكفي بل يزيد عن جميع قروضه، وقد تليت سورة (الفاتحة) بناء على ذلك، وتم تنصيب (ضياء الدين بگ) بصفة (خان)، فوضعت على أكتافه فروة سمورية ذوات حواشي مخملية حمراء، وخلعت عليه بدلة فاخرة، ووضعت عمامة مزينة بباقة من الريش على رأسه. وفي نفس الوقت، أطلقت عشرة قذائف مدفعية أمام الباب، وقد هب البوابون مسرعين الى طرف والدة (ضياء الدين بگ) ليبشّروها بالأمر، فقامت هي بأهدائهم عشرة أكياس لذلك...

أمسك الپاشا بذراع (ضياء الدين خان) وأجلسه على الكرسي المنقوش



بالذهب العائد له ووقف أمامه وقال (نبارك لكم ايها الخان الكبير)، ثم تليت سورة الفاتحة، وبعد ذلك تقدم أخوه (بدر الدين) وبايعه على ذلك، وتلاه أخوه (نور الدهر)، وكنت أنظر إليه، عندما تقدم لمبايعته، فأمتلأت عيناه بالدموع، وعندما رأيت ذلك، علمت أنه لايزال يحمل عقدة في قلبه، وبأذن الله سأكشف هذا السر في وقته، ثم تقدم الأخوة الآخرون للخان الجديد وهم:

البگوات (شرف الدين، شمس الدين، إسماعيل، حسن، حسين) وبايعوا أخاهم، وبعدهم أتى الدور على شيخ الاسلام، والنقيب، والشيوخ ورجال الدين والقادة وكبار القوم. وقام الپاشا بتوزيع سبعين هدية فاخرة عليهم، وتم تعيين رجل يسمى (حيدر آغا) بصفة (كتخدا) للعائلة، وكان يبلغ من العمر، مائة وثمان سنوات، وقام الپاشا بتكريمه أيضا... قام سكان المدينة، بتوصيل (الخان) الجديد مصحوبا بتسعة أزواج من الطبل والزرنا(١) الى (السراى)، كما تم الرمي بقذائف المدفعية وأطلاقات البنادق من القلعة أيضا، وأعلن عن ثلاثة أيام من الأعياد والأفراح، وفي اليوم الأخير، عقد (ديوان) خان بدليس كما كان في السابق، ورجع كل واحد الى عمله وجلس في مكانه..

أمر (الپاشا) أن يصحبني الـ (كتخدا يوسف) مع سبعين من الآغوات وقاضي المدينة، وذهبنا الى داخل القلعة، وقمنا برفع الأختام التي كنا قد وضعناها وقمنا بنقل كل ما كان هنالك بواسطة البغال، قافلة بعد أخرى، ووضعناها أمام المقر، ثم دخل الـ (كتخدا يوسف)

١- الطبل والزرنا: آلتان موسيقيتان معروفتان في بلاد الشرق الاوسط ومنها كوردستان، ويبدو أنها آلات قديمة، تستعمل في الحفلات العامة وحفلات الأعراس. (ر.ف)



والمفتي وإمام المدينة والآغوات بيت (الخان) وقاموا بفتح أبواب الغرف، وأخرجوا منها الخزائن ومخزون العتاد وكل الأشياء، بعلم من (ضياء الدين خان)، وقاموا بتحميلها على ظهور (١٥٠) بغلا، ووضعوها أمام المقر وتشكل منها ما يشبه التلة، ثم تم تبليغ القادة والعساكر والناس للمجيء والمشاركة في هذا المزاد الرخيص، وقد تجمع الناس عن طريق (أووا) بشكل بحيث لايمكن مشاهدة نهايتهم، وأصبحوا كأمواج البحر..

--- خزائن وأشياء (عبدال خان) المختومة من قبلي ---

كان هناك أحد عشر صندوقا مربعا ومزججا، وكان أحدها مصنوعا من ناب الفيل وآخر من الأبنوس وآخر من خشب السرو وآخر من خشب البلوط وآخر من خشب شجرة الـ (ينكي دنيا)، وآخر من الـ (پلا سانطا) وآخر من عظم الحوت وآخر من أسنان السمك وآخر من الكهرب الخالص (١) وآخر من المرجان الأحمر وآخر من خشب العود النقي وكانت هناك لوحة مختومة وأخرى مزججة وأخرى يدخل الصدف في صناعتها، وآخران محفوران فيها بالنقوش، بحيث كانت عيون المشاهدين تخرج من مآقيها لدى النظر اليها، وقد قمنا بخلع الأختام عنها أمام أعين الجميع وفتحناها، وكان كل صندوف يحوي عشرة من الكتب الثمينة والقيمة، وكانت قد كتبت من قبل أشهر الخطاطين وقد زينت بشكل، بحيث تحوَّل كل كتاب منها الى أثر لانظير له، هذا من غير حوامل الأقلام و حوامل العطور وحوامل البخور وحوامل الحبر

١- الكهرب: في القديم، هو صمغ شجرة إذا حك صار يجذب التبن إليه، ومنه اشتقت الكهرباء. المنجد في اللغة ص٧٠١



الأحمر والمقصات ومبراة القلم المختومة والنقوش بالأحجار الكريمة، وكان من بين تلك الكتب، كتب مثل: (الشهنامة)(١)، و (گولستان)(٢) و (الشرفنامة)(٣)، وعدة دواوين للشعر، وكان معظمها بخط (ضياء الدين خان) بنفسه ومختومة بختمه، وعندما شاهدها (الخان) إمتلأت عيناه بالدموع. وعندما لاحظ الپاشا ذلك، قال (يا بنيَّ لقد رأيت الدموع في عينيك، فلماذا تبكي؟ يبدو أن هذه اللوحات هي لك) فقال الخان (نعم إنها جميعا تعود لي، ولبست لوالدي، لأنني قد كتبت معظمها بنفسي وعليها ختمي الشخصي)، فأمر الپاشا فورا، بتسليم تلك الصناديق الأربعة عشر مع ألواحها ومفاتيحها الى (ضياء الدين خان)..

الأشياء الثمينة لـ (عبدال خان) والتي تم بيعها بحضور الپاشا وبسعر رخيص:

الأشياء هي: سبعة عشر مجلدا من القرآن الكريم كتبت بشكل منقوش للملوك وبخط (ياقوت المستعصمي)، وأحمد قره حصاري، الشيخ بايزيد الولي، الشيخ قره محمد، عبدالله قريمي، خالد أفندي أسكوداري، دميرچي حسن چلبي، وهو من طلاب قره حصاري)، ألف وثلاثمائة مجلد من

١- الشاهنامة: أشهر ملحمة فارسية، كتبها الشاعر الفردوسي (٩٣٢-١٠٢٠م) شعرا، وهي تتألف من ستين ألف بيت من الشعر، وهي في سيرة ملوك وأبطال الفرس. (ر.ف)

٢- گولستان: كتاب شعر وحكم، ألفها الشاعر الفارسي سعدي الشيرازي (١١٨٩-١٢٩١م)، وكان هذا الكتاب يدرس في المدارس الدينية في كوردستان لعدة قرون لما فيه من حكم ومأثورات. (ر.ف)

٣- الشرفنامة: أهم وأول مصدر من مصادر التاريخ الكوردي كتبه المؤرخ (شرفخان البدليسي) وأنهاه في عام (١٥٩٦م) وهو من أجداد الأمير المنكوب (عبدال خان) البدليسي. (ر.ف)

٣

التفاسير والكتب الثمينة التي كتبت على الورق الجيد من نوع (خطائي) و (الدمشقي) و (السمرقندي) وال (آبادي)، وكان منها سبعون مجلدا من التفاسير المباركة مثل تفسير (صبري الطبري)، تفسير (الديلمي)، تفسير (فيض الله الهندي) غير المنقط، (من غير الآيات فإن كلمات التفسير أيضا غير منقطة)، تفسير (أبو الليث السمرقندي)و تفسير (الشيخ)، تفسير (البغوي)، تفسير (القاضي)، تفسير (أبو السعود السليماني)، وجميعها من التفاسير التي لايمكن الحصول عليها حتى لدى شيوخ الاسلام، وألف وثلاثمائة مجلد من كتب الأحاديث النبوية، من غير كتب (قدوري) و (الملتقى) و (الكشاف) و (القهستاني) و (الملاجامي)، مع التجويد المؤلف على شكل الشعر (للشاطبي) ومنظومة (الحريري)، لغة القاموس، الأختري، الشمعي، لغة إبن مالك، والچارپردي)، وعدة كتب ثمينة أخرى، وعشرون مجلدا من (شاهنامة الفردوسي الطوسي) والتي كتبت بخط (التعليق)، ألف مجلد من المخطوطات المتنوعة من أمثال (خمسة نظامي، ديوان حافظ، ديوان عرفي، گولستان وبوستان، نعمة الله، ديوان(الملا جامي)، و(تذكرة الشعراء) لـ (حسن چلبي)، و (تذكرة) لطيفي، وديوان (صائب)، ديوان (باقي)، ديوان (نفعي، ديوان (نثاري)، ديوان (أنوري)، ديوان (خاقاني)، وكتب عديدة أخرى منقوشة ومزينة. مع (٢٦٠) قطعة من الـ (المخطوطات)، بحيث ان كل صفحة منها كانت تعادل مائة قرش .. ومعها مخطوطات للخطاطين القدامى، وكانت بعض تلك المخطوطات تتألف من (٦٠٠) صفحة، وكانت جميعها مخطوطات تعود لزمن السلطان (بايزيد) ومنها مخطوطات لأمثال (الشيخ أحمد قره حصاري) و (بكري) و (عبدالله القريمي) و (حسن چلبي إسكوداري) و (حسن چلبي قره حصاري) و (خالد أفندي) و (حسين أفندي مدير المكتب) و (يوسف



أفندي) و (قـــره علي چلبي) و ((منطقي چلبي) و (درويش علي) و (صـويولچي زاده) و (حكمي زاده) و (تكنه چي زاده)، فكان لكل واحد من هؤلاء حـوالي (٥-١٠) مـخطوطات. وللخط (الديواني) أيضـا كـانت هناك مخطوطات لـ(تاجر زادة) وهو من أصدقاء (يلدرم خان)، و (جندرچي زاده) و (أوقـچي زاده) و (گـولايي زاده) و أحـمـد چلبي). وبما أنه تحدثنا هنا عن الخطوط، فلنكتب عنها شيئاً :. لقد تحدثنا ..عن خطاطي خطوط (الديواني، الثلث، النسخ) فلنتحدث الآن عن الخطوط الأخرى:.

الخط الريحـاني: الذي إختـرعـه (الشـيـخ إسـحـاق فـقـيـه)من أهالي (كوتاهيه) والذي ظهر لأول مرة في بلاد الروم. ولهذا (الشيخ اسحاق) في (كوتاهيه) مسجد يسمى مسجد (اسحاق فقيه).

الخط السياقي: الذي ظهر في بلاد (مصر) بين القوم (القبطي)، ولدى رحلتي في مصر والسودان، وصلت مكانا يسمى (رمـيلة الجمـال)، وكان المكان عبارة عن مدينة متهدمة وخربة، وهناك شاهدت بعض الأحجار العمودية الضخمة، وكان قد كتب عليها بخط عجيب، وقيل لي بأنه خط (حضرة أدريس)(١)، وكذلك ظهر في (الكوفة) قرب (بغداد)، نوع من الخط العجيب والغريب، يسمى الخط (الكوفي)، وبعد ذلك أجريت عليه فنون كثيرة، الى أن أصبح الخط (الكوفي) الأن بأثني عشر نوعا للكتابة، ومن أشهر هذه الأنواع هو (الكوفي العثماني) و (الحفصي) و (المغربي) و (الفاسي) و (المراكشي) و (التلمساني) و (السناري) و (الحبشي)، وتوجد الكتابات بالخط (الكوفي) في الكثير من جوامع مصر، مثل جامع (عمر بن العاص) القديم، جامع (منيل)، جامع (برقوق)، جامع (الست نفوس)، جامع (آي بگ التركماني)، جامع (فرج)، جامع (طيلوني)، جامع (الظاهر

١- يقصد به النبي (أدريس) عليه السلام. (ر.ف)



بيبرس)، إذ توجد عليها الكتابات بالخط الكوفي العجيب، كما يوجد في جوامع بلاد المغرب، الخط الكوفي أيضا، مثل (تلمسان) و (قرطبة) و (طنجة). وإذا أطلنا في هذا، فأن الأمر سيخرج عن موضوعه.

وفي خط (التعليق)، هناك من وصل الى مرحلة (الأستاذية) مثل (أمير علي تبريزي) و (عماد الحسيني) و (محمد رضا التبريزي) و (قطب الدين محمد) و (قطب الدين يزدي) و (شاه محمود) و (حسن شاملو) و (معز الدين) و (محمد الحسيني) و (أحمد الحسني) و الذي كان من تلاميذ (عماد الحسيني) ومنهم أيضا (الأمير شرفخان)(١) الذي هو من أجداد (الخان) وكذلك (فخري البرسوي)، وإن خط (فخري) هذا حسن لدرجة أنه لايوجد خط أجمل من خطه قبله ولا أعتقد أن يصله أحد بعده، وقد أنعم الله عليه بنعمة قوة البصر بشكل بحيث تظن عينيه جواهر متلألئة، وقد كتب بخطه القرآن الكريم و (گولستان) و (بوستان)(٢)، وكأنها من المعجزات. وظهرت بين كتبه بعض السجلات بحيث أن كل واحد منها كان يساوي قبة (أفراسياب)، وقد حصلت أنا أيضا بفضل الله على بضعة من هذه السجلات. وقد تم بيع هذه السجلات بشكل رخيص، بحيث لايساوي ثمنها ثمن نقطة منها..

أحمال سبعة جمال: من الكتب الثمينة والتي كانت تحمل ختم (الخان):-

الفتوحات المكية، تأليف الشيخ (محي الدين العربي)، (الفصوص) لمحي الدين العربي، (شرح الفصوص) من تأليف (صاري عبدالله أفندي)

١- يقصد به الأمير شرفخان البدليسي، مؤلف كتاب الشرفنامة، والذي أكمله في عام ١٥٩٦م. (ر.ف)

٢- (گولستان) و (بوستان) هما كتابان في الحكم والمأثورات وفي الشعر، للشاعر الفارسي سعدي الشيرازي (١١٨٩-١٢٩١)م. (ر.ف)



وبخطه، الفتوحات المكية، تأليف (قطب الدين الحنفي)، (فتح مصر) بخط السلطان (سليم خـــان) وهو من تأأيف الكاتب (يوسف خـــان)، (الملل والنحل) من تأليف (نوح أفندي)، مناقب الشيخ أبو أسحاق الكازروني، من تأليف (شوقي أفندي)، (السعادتنامة) من تأليف المرحوم في الجامع الرواقي (عاشق باشا)، (مناسك الحج) تأليف (سنان أفندي)، (مناقب الأولياء) تأليف الشيخ (دده مقصود الأخلاطي)، تاريخ (خطط المقريزي)، تاريخ (صالح أفندي)، تاريخ (جامع الحكايات)، تاريخ (مير خواند)، (اللغة) للامعي، منظومة (شروط الصلاة) للشيخ (شمس الدين الفناري)، منظومة ترجمة كتاب (الحكم) للشيخ (العطار)، من قبل (أمير چلبي) من رجال (بايزيد خان)، جريدة العجائب، تاريخ مرآة الكائنات، تاريخ الطبري، (قانون) لطيفي پاشا، تاريخ غزوات السلطان مراد خان الرابع، تاريخ (البجوي)، رسالة (العقائد) لـ (كمال پاشا زاده) وشرح (قصوني زاده)، ترجمة (مرآة الكائنات) من قبل (فنائي الطرابزوني)، (تقويم البلدان) تأليف (عاشق چلبي) الطرابزوني، (صحبة الأبكار)، في جواب (سبحة الأبرار) من تأليف (عطائي چلبي)، (ذيل الشقائق) لـ (نوعي زاده عطائي چلبي)، (تاريخ السكري) الذي يضم جميع غزوات (سليم خان) فاتح مصر، (تاريخ مصر) لـ (شهاب چلبي)، (حسن المحاضره) أو تاريخ الشيخ السيوطي منذ هبوط آدم (١) الى زمن عمرو بن العاص الذي فتح مصر، والكتاب يضم جميع وقوعات مصر وهو كتاب قيم في التاريخ، لقد قام (شهاب چلبي) بترجمة هذا الكتاب بأسلوب شيق وسلس ومنظوم، وهو كتاب يستحق القراءة، ولقد قام (شهاب چلبي) هذا بتأليف (تاريخ

١- يقصد به هبوط النبي آدم عليه السلام، من الجنة الى الأرض، حسب ماورد في القرآن الكريم. (ر.ف)



السكري)، (فتوحات مصر) تأليف (ابن عبدالحكيم)، (فضائل مصر) تأليف (أبن عمرو الكبدي)، كتاب (ابن دولاق)، كتاب (ملكان)، (خطط القضاعي)، كتاب (إبن اليسير)، كتاب (إيقاظ المتفضل)، كتاب (إيقاظ الغافل) تأليف (تاج الدين محمد إبن عبدالله)، كتاب (المسالك) تأليف (ابن فضل الله)، كتاب (المختصر) تأليف الشيخ(نصر الدين الكرماني)، كتاب (مناهج الفكر) كتاب (مناهج العبر) كتاب (عنوان السير)، حول سيرة الرسول (١)، من تأليف (نوح أفندي)، سيرة الرسول، تأليف (ويس أفندي)، (واقعتنامة ويس أفندي)، (عوان الصواب) تأليف (محمد بن عبدالملك الهمداني)، (تاريخ الصحابة)، (التجريد في الصحابة)، لـ (الذهبي)، (الأصابة في معرفة الصحابة)، (رجال الكتب العشرة) للحسيني، كتاب (طبقات الحفاظ) للذهبي، طبقات الشافعية لـ (ابن السبكي) طبقات المالكية لـ (أبن فرجون)، (الطبقات) للشعراني، (الميزان) للشعراني، (طبقات الحنفية) لـ ٠أبن دوقماق)، (مرآة الزمان) لـ (سبط إبن الجوزي)، (البداية والنهاية) لـ (إبن كثير)، كتاب (السكردان) لـ (إبن حجلة)، (السجع الهزيل في أوصاف النيل)، (تاريخ غابن)، (ثمار الأوراق) لـ (إبن حجة)، (قازي خان)، (البزازية)، تتارخانية)، الكشاف) (سن داود)، (دده جنگي)، (عقائد البركوي)، (المحمدية)، (الجامع الكبير)، (الجامع الصغير)، (أنوار العاشقين)، (تحفة الابرار)، كليلة ودمنة)(٢)...

١- يقصد به سيرة الرسول الكريم محمد (ص). (ر.ف)

٢- لقد خلط المؤلف التركي هنا، بين مؤلفي هذه الكتب الأصليين، وبين المترجمين، لذا اقتضى التنويه. (ر.ف)



من غير هذا كان هناك (٧٦) مجلدا من الكتب الفارسية والعربية والتركية من تأليف (عبدال خان) نفسه(١)، مع (١٠٥) رسائل منوعة ومختلفة، كان معظمها باللغة الفارسية. مع مائتي مجلد من أطالس (مينور) والجغرافية (وبابا مونت) وكتب علم الهيئة والحكمة من مطبوعات الأفرنج، وكل من كان يراها كان يفقد وعيه لفرط جمالها، مع بضعة خرائط للعالم القديم والجديد، والتي كان يدور رأس الناظر عند النظر اليها، مع كل أنواع الأعشاب والنباتات التي كان الأطباء يحتاجونها، في علم التشريح، مع صور لجميع أعضاء جسم الانسان، بحيث لايستطيع أي ناظر من التمييز بينها وبين الأعضاء الحقيقية و كانت مصورة في بلاد الأفرنج(٢). مع مائتي منظر ولوحة عجيبة، كانت قد رسمت بأيدي العجم والأفرنج، وكل واحد منها كان مثالا للسحر الحلال وكانت إحدى تلك اللوحات لمعركة بحرية بين مجموعتين من السفن الحربية، وكانت بأختصار، أشبه ما تكون بأعمال السحر، إذ يظن المشاهد إليها أنها معركة حقيقية، تقع أمام الأنظار. وكانت هناك أعمال لكبار الفنانين المشهورين العالميين، مثل (شاقولي)، (ولي جان)، (شمسي خان)، (مالك)، (أرژنگ)، (آغا رضا)، (محمد رضا)، (بهزاد)، بحيث كانت تجحظ أعين المشاهدين، ولا

١- وردت عبارة (علم التشريح) كما هي في الأصل التركي، فيبدو أنه كان علما معروفا في ذلك الزمان، وهو فرع من فروع علم الطب، وكان (عبدال خان) نفسه طبيبا بارعا.(ر.ف)

١- في اغلب الظن انه كان بينها بعض الكتب الكوردية، ولكن المؤلف التركي لم يشر إليها، فقد كان حينذاك أي في عام (١٦٥٥م) هو بعد وفاة الشاعر الكبير (الجزيري) بـ« ١٥ » عاما، فلا بد أن أديبا ومؤلفا وشاعرا مثل (عبدال خان) كان يمتلك في مكتبته الكبيرة، دواوين الشعراء الكورد من امثال (الجزيري، علي حريري، فقيه طيران) أما (خاني) العظيم فكان حينذاك طفلا ذو أربع سنوات من العمر.(ر.ف)



يشبعون من النظر إليها ، كما كانت هناك صورة لحصان وفيل سحريين، وكان هذا العمل هو السحر بعينه، وكانت من بينها صور لا نظير لها نقشت على القماش، ومن أعمال (حاجي مراد)و (آغا جان) و(تقي الدين البلخي)، كما كان من بينها تخطيط بالقلم لـ (رضوان بگ) من بلاد مصر والذي هو فريد زمانه.

نعم كانت هناك الألاف من الاعمال الفنية الرائعة عالميا ، كانت قد وضعت في المزاد الرخيص، فكان يأتي مختلف أنواع الكورد ، ومن الرعاع، ومن الناس الذين لا يميزون بين عضوهم الجنسي وبين الجزر(١) ، فكانوا يقلبون في هذه الصور و اللوحات ويأخذونها من هذه الخيمة الى تلك الخيمة، للنظر إليها دون معرفة قيمتها الأصلية، ثم يعيدونها الى أيدي الدلال، بعد أن تصبح مهلهلة ومجعدة(٢) .

حادثة عجيبة ومضحكة:

كانت هذه الأشياء الثمينة والنادرة التي تحدثنا عنها ، تباع وتشترى أسوة بالفجل والجزر، حتى أن شخصا منافقا متعصبا ولوطيا من فرقة الـ (قاضي زاده) ، وهو رجل حقير وكذاب ومفتري وثقيل الظل، لامثيل له بين

١- هذا مثل يضرب، كناية عن البلادة أو البلاهة..(ر.ف)

٢- يلوم المؤلف التركي (أوليا چلبي)، الأكراد. لأنهم لم يكونوا يعرفون قيمة هذه الكتب وهذه الأعمال الفنية الرائعة علما بأن معظم أولئك الأكراد كانوا جنودا أو مرتزقة!!

ولكنه لايلوم الباشا العثماني، الذي ألقى بهذه التحف الفنية الرائعة في المزاد الرخيص، وفي أيدي الناس الذين لايعرفون قيمتها ، وكان الأجدر به أن يحافظ عليها في أحد المتاحف أو احدى المكتبات، أو يقوم بتسليمها من غير (مزاد) الى الخان الجديد ابن عبدال خان، لأن هذه الروائع هي حضارة أمة، ولا يجب ان تقاس بأثاث أو بنادق عبدال خان التي بيعت بالمزاد !!!



الجهلة والمهملين واللوطية وأبناء العاهرات (١) ومن الناس الذين يكونون ضد الخير دائما، كان ينوي الربح في هذا المزاد الرخيص، فقام بشراء نسخة عجيبة من (الشاهنامة) بألف وستمائة قرش، وأخذها الى خيمته، فقام هذا الحقير، بتشويه جميع الصور النادرة في هذا الكتاب بحجة أن الصور محرمة، وقام بواسطة (سكين تركماني)، بخلع العيون من جميع تلك الصور عن طريق حفرها وإحداث ثقوب في صفحات الكتاب، كما قام بقطع رؤوس بعض تلك الصور بواسطة السكين، أو بتشويه الوجوه الجميلة والملابس الفاخرة لتلك الصور، بواسطة لعاب فمه القذر، ومن دون شك، فإن تلك الصور البديعة، كانت من أعمال أشهر الفنانين الذين لابد وقد عملوا وتعبوا في كل واحدة منها مدة شهر، إلى أن إكتملت، فقام هذا الحقير غير المؤدب، بتشويهها بواسطة نفثة من لعابه. وفي الصباح التالي عندما ذهب الدلال لطرفه وطلب نقوده منه، قال الحقير (لاحاجة لي بهذا الكتاب، فهو كتاب للكفار؟ مملوء بالصور المحرمة، وكنت اقوم طيلة الليلة الماضية بمسح تلك الصور وتشويهها) وقام برمي الشاهنامة أمام الدلال، وعندما رأى الدلال ذلك أخذ بالصراخ وقال (تعالوا يا أمة محمد، تعالوا، أنظروا ماذا فعل هذا الظالم بهذا الكتاب الثمين)، فقال الرجل الحقير (لقد أحسنت عملا، وحسنا فعلت، لقد قمت بنهي المنكر، لقد أخذت منها صورة واحدة فقط، وإحتفظت بها، لأنها تشبه صورة إبني، الذي هو الأن في مدينة (تيره)). وعندما عرف الدلال بذلك، هرع مباشرة لطرف الباشا، وقال له (أيها الوزير الشجاع، إن كتاب (الشاهنامة) هذا، إشتراه يوم أمس الـ (كتخدا) التابع لـ (بگ هكاري)، (خان مراد بگ الجولميرگي) بـ

١- نعتذر للقارئ الكريم، ولكن هذا هو ما ورد في النص الاصلي التركي للكتاب، ولقد اوردنا هذه العبارات حفاظا على الأمانة العلمية. (ر.ف)



ألف ومائتي قرش في المزاد العلني، ولكن شخصا يدعى (حاجي مصطفى تيره يي) زاد عليه واشتراه بألف وستمائة قرش وأخذه، فذهبت اليوم لطرفه، لأخذ نقودي منه، فرمى الكتاب في وجهي، وذلك لكونه من فرقة (قاضي زاده)، وهو يعتقد بان الصور هي محرمة، ففعل بهذا الكتاب الثمين (الشهنامة) ما فعله، فتفضلوا بمشاهدته، حتى أنه لم يدفع لي أجرتي من الدلالية). وعندما شاهد الپاشا والجالسون، هذا الأمر، تأسفوا لذلك كثيرا ووجهوا اللعنات لذلك الشخص، ثم قال الدلال، أرجوك يا سيدي أن لا أخسر أجرة الدلالية العائدة لي، فقال الپاشا {إطمئن أيها الدلال، أنك لن تخسر أجرة الدلالية، ولايضيع مال السلطان، هيا، أجلبوا لي (حاجي تيره يي) هذا بسرعة}، فقام الرجال بسرعة وأحضروا ذاك الشخص، فسأله الپاشا {ايها الرجل، ، لماذا فعلت ذلك بهذا الكتاب؟} فقال الرجل {ماذا، هل هذا كتاب؟ إنه من عمل الكفار، حسنا فعلت، فلقد قمت بنهي المنكر}، فقال الپاشا {أنت لست مسؤولا عن نهي المنكر، فأنا هو المسوول عن إصدار الأوامر الحكومية، وسأرسل الآن العقوبة المترتبة على تشويه كتاب يساوي ألفي قرش، خذوه} وظل الرجل يصرخ [أنا من الأنكشارية، أنا من قوة الحدود]، وحسب فتوى قاضي بدليس في إتلاف أموال الدولة، أخذوا منه ألف وستمائة قرش للحكومة و عشرة قروش للدلال، وسلموه (الشهنامة) الممزقة، وأخرجوه من المعسكر، وكان الرجل يمشي ويقول [بالله أي بلاء هذا]، بينما كان الناس يصفّرون ويسخرون منه، وجعلوا منه أضحوكة و أشبه ما يكون بالقرد، وأخرجوه من المدينة في ذلك الطريق الصخري متوجها الي دياربكر. وفي مجموعة عجيبة من الأوراق، ظهر فيها (٣٨٠) صفحة، وفي كل صفحة كان هناك عمل من اعمال صانعي الأختام المعروفين والمشهورين القدماء في العالم، وكانت هذه



الأختام تحمل في بعضها شيئا من الشعر أو السجع وبعضها الآخر يحمل بعض الأقوال المأثورة، وكانت أنواع الخطوط في هذه الأختام، من خط التعليق والنسخ، الى خط الرقعة والكوفي، ومن بينها كانت اختام موضوعة بأيدي اشهر صانعي الأختام في العالم، مثل {نقشي}، (سلامي)، (شهلاد بگ)، (جان بگ)، (ممي)، (سهي)، (جم بگ)، (چمني بگ)، (أحمد بگ)، (محمود چلبي)، (فريد چلبي) و (سري چلبي خان)، وكان الختم الموضوع على إحدى الصفحات، غير مكرر في أية صفحة أخرى، وقد وقع هذا السجل المنقوش في الأيدي الكثيرة وتداولها الجهلاء بينهم، الى أن أشتراها أخيرا (علي أفندي غنائي زاده) بـ (مائة قرش)..

وكان هناك (٣٨٠) سيفا جيدا ومجوهرا ومنقوشا وثمينا، مع أغمادها، وكانت جميعها مصنوعة من الفولاذ الشيخاني والمقراوي والصسنقوري والأسدي و الجيسقاوي والداودي والهندي والأصفهاني والشامي والمصري والأستانبولي القديم والأفرنجي والألماني والسلاتيكي، وكانت خواصها الجيدة تظهر، عندما تضرب بها أعناق الأعداء، والحمد لله أنها لم تستعمل لحد الآن بشكل حقيقي، بل ظهرت للمزاد الرخيص فقط..

كما كانت هناك ثلاث صناديق مملوءة بالخناجر الكوردستانية المشهورة، سواء مع اغمادها، او عارية..

وعرض هناك (ألفا) درع، من أنواع الحلبي والعنتابي و المصري والداغستاني والدياربكري، وكانت مصنوعة من الحديد، وهي من الأنواع التي تحافظ على الروح في أثناء القتال.. مع (ألف وسبعمائة) عكازة، من النوع البغدادي والبصراوي، ذات الرؤوس التي تحمل مساميرا، مع الرماح المصرية من أنواع (الغوري)، مع الهراوات القسطمونية ذات المقابض الفضية والمزودة بالريش.. مع مائتي (پروانه) جيدة من صنع الخبراء



المختصين من أمثال [حاجي رجب پروسه يي) و [إبن خيرلي گاليبولي] و [محمد غلطه لي] و [يوسف المصري] و [جاني الشيرازي] و [خان قولي الشيرازي] و [پيالة شيرازي] و [يارولي شيرازي و [الأسطة عمر الرومي] و [الأسطة قردي المصري] و [ميرزا جاني البلخي]، والذين كانوا قد أبدعوا فيها، تمَّ بيعها جميعا.

وعرض للبيع مائة ألف نوع من الرماح والسهام والرماح القصيرة ورؤوس الرماح، وكان كل واحد منها، يعود لبلد من البلدان ولزمن من الأزمان، وكانت جعب السهام مزينة بريش الطاووس وأجنحة طائر الـ (هما)(١)، كما كانت النهايات الخلفية للسهام تحمل أجنحة الحمام الزاجل وهي مثبتة عليها، كما كان هناك ألف سهم من التي طليت رؤوسها بالسم، وقد ثبتت في مؤخراتها أرياش للبزاة.

وعرض أيضا، ألف بندقية منوعة، لم تطلق منها طلقة واحدة من صنع الأفرنج وكانت كل واحدة منها مصنوعة في واحد من أشهر المصانع المشهورة في أوربا، كما كان من بينها الكثير من أعمال الصناعيين المعروفين من أمثال (المازندراني، وصبي البلخي، ولاچين يتم شاه الأصفهاني، ومظفر باي الخراساني، وسوندك خان البلخي، والأسطة أوروج المصري، وأوزون عمر الاستامبولي، والأسطة ممي، والأسطة عمر الصغير، والأسطة محمد الطويل، وقره محمد،) الذين كانوا قد أبدعوا في صناعاتهم، كما كان بينها عمل من صنع (حاجي شاش مصطفى) وقد صنعت فوهتها وداخلها باليد، وكانت هذه الأنواع من البنادق هي صناعة خاصة وحسب الطلب، ولامثيل لها في

١- الهما: هو طائر مشهور، يسمى بالطائر الملكي، كان يطلق في الفضاء في العهود القديمة، وإذا حط على أكتاف أي رجل، فسيصبح ذلك الرجل ملكا على القوم.(ر.ف)



(الهـرسك) و (طاشليـجـة) و (بازارجك) و (اسـلامـبـول)، إذ يعـيـش هذا الصناعي في (إينابول). ولايمكن شراء بنادقه المجوهرة والبسيطة بأقل من خمسمائة قرش للبندقية الواحدة، ولايستطيع في السنة الواحدة، صناعة اكثر من بندقيتين. كما يوجد الاسطة (رجب القريمي) الذي يعمل في حديقة (السراي) في معمل (محمد كراي خان) وهو صناعي مشهور لامثيل له.. كما كان هناك ثلاثمائة جلد من جلود الفهود والنمور، مع (٧٠) هراوة منقوشة، مع مائتي هراوة من الفضة الخالصة، ألف هراوة حديدية، مائتا معول فرهادي، مائتا مطرقة خاصة بكسر الحديد، ثلاثمائة زنبرك (يايلي)، ثمانون سرجا فضيا محفورا، ألف غطاء من أغطية السروج من أنواع [السورمة و القطيفة و الچوخ]، مائتان (دگدگ) بال (سورمة)، مائتا لجام من النوع الشامي والماردیني، ثمانون غطاء من أغطية الذيل(١) من الچوخ وال (سورمة)، مع مائتي عباءة من التي توضع على الاكتاف من ال (سورمة). مائتا مقود أصفر اللون وأبيض بال (سورمة) والتي هي من صنع يد (الخان) نفسه، وقد بيع الواحد منها بـ (كيس) واحد، وكان الناس يلحون على شرائها، ستمائة زوج من ركائب الفرس الحديدية الملمعة بالذهب، مع ثمانين زوجا من ركاب الفرس من الفضة الخالصة.

ألف قطعة من اللحاف ذات الأقمشة [ديبا، زيبا، شيب ذات الخيوط الذهبية، داراي، كيمخوا، سرنك، أطلس، وآلا](٢) ألف وسادة قطنية مصنوعة من المخمل والأشياء الأخرى. مائتا زولية حريرية عجمية، سبعون

١- يقصد بذلك الأغطية الجلدية أو القماشية، التي تغطى بها ذيول الخيول للتزيين والتجميل. (ر.ف)

٢- لقد آثرت الإبقاء على الأسماء الأصلية لتلك الاقمشة، لكي يطلع القارئ الكريم، على الأقمشة التي كانت متداولة في تلك الأيام. (ر.ف)



قطعة من اللباد الطويل والمنقوش الأصفهاني، مائة وخمسون سجادة أفرنجية، البسط العربية، الشمد البايبوردي، (١)، الطنافس العشقية، السجاجيد المصرية، سبعون خيمة من الخيام ذات الثلاث غرف،ذوات التسعة اعمدة، ستمائة خيمة ذوات الكلل(٢)، ثلاثمائة خيمة منقشة، ستمائة خيمة تليق بالملوك، مع ثلاثمائة خيمة صغيرة.وقد بيعت جميع هذه الأغراض بالمزاد الرخيص.

لقد طال هذا البيع والشراء للأغراض حتى المغرب، وعندما إنفض المجلس، تم تبليغ ألف شخص من رجال الخان الجديد، مع ثلاثة آلاف من العساكر لحراسة الأغراض التي لم يتم بيعها بعد، وفي صباح اليوم التالي إحتشد الناس من جديد أمام المقر، وعرض مائتا صندوق مليء من الـ (نجدان) الكبير، والتي تكون الواحدة منها حمل جمل، وكان بعضها مصنوعا من خشب الـ (سرو) وبعضها من صنع (حلب) وكانت قد صنعت على هيئة السلال، وكان البعض منها يحمل ختم (الخان)، بينما كان معظمها يحمل ختم (خانم سلطان) زوجة الخان، وأسوة بالأشياء الاخرى، فقد كشف الغطاء عن هذه أيضا، بحضور إمام (وان) وقاضي (بدليس) وأعيان بدليس، وكان الصندوق الأول مملوءا بالجلابيب والسترات الحريرية ذوات الخيوط الذهبية الممتازة، وبعضا من الملابس الملوكية، التي أبهرت الناس وأصابتهم بالعجب. وكان صندوق آخر مليئا بملابس الـ (سورمة) ذوات الحواشي البيضاء، وثياب النساء وسراويلهن الداخلية والأوشحة

١- هو أيضا غطاء جلدي أو قماشي، تغطى بها منطقة المؤخرةالعليا للخيول، للتزين والتجميل، والبايبوردي هو نسبة الى مدينة (بايبورد) الإرانية.(ر.ف)

٢- الكلل: جمع (كلة) أو الناموسية، التي تستعمل كسواتر بين غرف الخيمة الواحدة، أو كسواتر للأسرًة المكشوفة على سطوح البيوت، لغرض النوم. (ر.ف)



والشالات(١)، فقال (الپاشا) إن هذه الملابس تعود للنساء، فأبقوها في مكانها، وصندوق آخر، كان مملوءا بالجلابيب المخططة النسائية والصديريات(٢) المنقوشة بالجواهر والاحجار الكريمة الثمينة، مع أزرار كبيرة عليها من أنواع (أنجون) الحبشية، وكان الواحد منها بقدرحبة (البندق) الواحدة. بينما كانت أزرار بعضها الآخر من الزمرد (الأسواني)، وقد جحظت عينا (الپاشا) لدى رؤيتها، وفي صندوق آخر كانت هناك الأساور النسائية والخلاخيل والكرات والأقراص الذهبية والحمائل (٣) وتيجان الذهب والجواهر واللآلي، مع القلائد وخرزات التيجان(٤) و(بازبند)(٥) الذراع، والأزرار والحجل، مع تسعين قطعة بالتمام والكمال من أحزمة الخصر من الألماس واللآلىء، بحيث أن كل واحدة منها كانت تعادل في ثمنها خراج بلاد الروم، بينما كانت جميع تلك الأحزمة التسعين، تختلف الواحد منها عن الآخرى ولاشبه بينها، فقال (الپاشا) خذوا هذه جانبا أيضا.

وقد فتح صندوق آخر كبير الحجم، كان يحوي الآلاف من المناديل المعطرة

١- الأوشحة: جمع (وشاح)، وهو غطاء الرأس، أما الشالات، فهو جمع (شال) وهي قطعة قماش مربعة الشكل. (ر.ف)

٢- الصديرية: أو مايسمى بالـ (سخمة) أو الـ(زخمة) هي ماتضعه النساء على صدورهن. (ر.ف)

٣- الحمائل: جمع (حمالة)، هو نوع من حلي الذهب التي تستعملها النساء وعادة ماتلبس على الكتف لتتدلى بشكل مائل، وتسمية النساء بالسلاح، باللغة العامية العراقية، لأنه يشبه في لبسه، حمل السلاح. (ر.ف)

٤- خرزات التيجان: هي قطع مدورة صغيرة من الذهب، تثبت على التيجان الذهبية التي تضعها النساء على رؤوسهن، وتحدث لحنا وصوتا خاصا لدى مشي النساء أو حركتهن. (ر.ف)

٥- بازبند: أو (الزنادي) وهو سوار ذهبي، يثبت على ساعد اليد، وعادة ما يحمل في داخله(تعويذة) خاصة ضد ضربة العين، أو ضد الفتن والبلايا. (ر.ف)



والمناشف الملونة مع أرياش المآزر والستائر الخفيفة، وقد ظهر من بين هذه الاشياء صندوق صغير مصنوع من الصدف، وكان مختوماً من سبعة أماكن بالأقفال، وقد أراد بعض (الأسطوات) فتحها، بينما لم يرض أهالي بدليس بذلك، ولكن أهالي (وان) أصروا كثيرا على فتحها، لذا إضطروا لفتحها، فماذا رأوا؟ العظمة لله، رأوا سبعمائة حبة من درر (بدخشان) المائية، ثلاثمائة حبة من الياقوت الأحمر والياقوت الأصفر والياقوت الأزرق، ثلاثة آلاف حبة من الفيروز النيشابوري، ستة مقابض للخناجر وهي مصنوعة من الفيروز. سبعة أقداح شرب من الفيروز، سبعة فناجين من الفيروز، ثلاثة فناجين من الزمرد، وعاء لأحمر الشفاه من الزمرد، ستة كؤوس من العقيق وسبعة أطباق من السيلان، كما كان في إحدى العلب في هذا الصندوق الصغير، مائتان وخمس وأربعون حبة من الألماس السرنديبي، وكانت جميعها باللون البنفسجي، كما وجد في علبة اخرى صفراء اللون، سبعون حبة من الألماس الخام، وكانت تلمع كالجواهر في الضوء. وقد أقسم وجهاء وأهالي مدينة بدليس، وشهدوا لله، بأن جميع الأشياء التي عرضت منذ الصباح. وهذه العلب التي تحوي الجواهر، انما تعود لـ (خانم سلطان) إبنة (زال پاشا)، والتي كانت ضمن جهاز زواجها، التي جليتها معها من (عادلجواز)، وحتى الآن فإن مفاتيحها هي لديها، لذا قرر الپاشا وأعلن أمام جميع الوجهاء والأعيان، بأن تعاد تلك الصناديق السبعة عشرة الى (خانم سلطان) وسلمها الى (عنبر آغا) الذي هو بصفة (طواشي) لديها لكي يعيدها إليها. حينها صاح آغوات (وان) وقالوا (أيها الوزير المعظم، نحن لدينا ديون وتعويضات على الخان، فإن قمت بإعادة هذه الأشياء، فمن اين سنحصل على تعويضاتنا؟) فقال الپاشا (إن لم تحصلوا على تعويضاتكم، فسأقوم أنا بتكملتها لكم، إحملوا هذه الصناديق). وقام آغا



(الطواشي) بإعادتها الى (خانم سلطان)، التي سرت بذلك غاية السرور.

بعد إعادة تلك الصناديق، بقيت بعض الاشياء قليلة الثمن، فتم بيعها وإنتهى المزاد. ولدى غروب الشمس، وإنفضاض الناس من هناك، ارسلت الهدايا من طرف (الخانم) الى (زوجة الپاشا)، وكانت تحتوي على: عشر صرات (بقچه) مليئة بأقمشة الحرير الغالية الثمن، والأثواب والسراويل، مع ثلاثة اكياس مليئة بالأحجار الكريمة غالية الثمن، مع (تاج) مرصع و (تاج) كياني، وسبعة جلابيب مجوهرة، مع أربعين حبة من الياقوت ومائة حبة من الدرر (البدخشانية) ومائة حبة من الفيروز وخمسون حبة من الزبرجد، وخمسون حبة من الألماس، التي تزن الحبة الواحدة منها عشرة قراريط، مع مقبضين للخناجر من الفيروز، مع ستة علب مليئة بالعود الماوردي(١)، وكانت احدى العلب مصنوعة من خشب العود، مع أربعين حقّة من مسك (ختن)، مع مائتي (شمام) من العنبر، مع ثلاثة فناجين من الفيروز وثلاثة كؤوس يمنية من العقيق وفنجان من الزمرد وثلاثة صحون سيلانية .. وبهذا الشكل أتت هدية أخرى لـ (خانم) الپاشا، هي عبارة عن علبة مصنوعة من الذهب الخالص مع الأساور والخلاخيل العربية المنقوشة من الطراز الخراساني، مع ستة أزواج من الأقراط الكيانية وريشة لطائر الـ (هما) وطلسم منقوش وأشياء أخرى لايمكن تقديرها بثمن، وصلت لطرف الپاشا، فإستلمها الپاشا وقال لـ (عنبر آغا) الذي كان قد جلب الأشياء: (لم تكن هناك حاجة لكي ترسل لي بنتي (الخانم) هذه الهدايا، فأنا لم أفعل شيئا حسنا لهم، وكان الأجدر أن تعطي هذه الهدايا لأبناء الخان،

١- كانت هذه الجواهر والحلي والأشياء، هي التي يريدها الپاشا من الأمير (عبدال خان)، وكان السبب الرئيسي لأحداث هذا القتال، هو الأستيلاء على أملاك الخان وأمواله، التي كان رآها، عندما بقي في ضيافة الخان لعدة أيام !!(ر.ف)



لأنهم قد أصبحوا الآن المشاعل الوضاءه بالنسبة لي، ولكنني عندما أرجع الى استانبول، فسأعوض لهم بدلا من هذا عند السلطان، بحيث سأضيف ضرائب (موش) الى أموالهم، أريد أن تنقل لهم هذا الكلام عني)، ثم أهدى (عنبر آغا) هدية سمورية وأمره بالعودة. أما الپاشا فقد لاذ بالصمت، بعدما إستلم هداياه(١). وفي اليوم التالي، عندما إنعقد مجلس الپاشا وتجمع الناس للمزاد الرخيص، تم إعلان وليمة (خانم سلطان) ..

وليمة خانم سلطان :

خرج من طرف بدليس، ثلاثمائة رجل من المشاة، وكان كل واحد منهم يحمل طبقا كبيرا (صينية) مليئا بالأقداح والصحون الفغفورية وفيها أواني الذهب الخالص، فوضع (عنبر آغا)، هذه الأواني أمام (الپاشا، وقال (إن رئيستي خانم سلطان، تبعث السلام للپاشا الكبير، وقد أرسلت لكم طعام الفطور هذا)، وقام هو بربط مئزر الطعام ذو الخيوط الذهبية حول خصره، وقام بترتيب مائدة أصفهانية رائعة، بحيث نال استحسان جميع الحاضرين، وجلبوا إبريقا فغفوريا وصحنا منقوشا بالجواهر، فغسل الپاشا يديه، وسمى الله، ورفعت الأغطية عن جميع المأكولات، آه لعظمة الله .. وبما أن المأكولات كانت قد طبخت بالمسك والعود والعنبر، فأنتشرت الروائح الطيبة في كل أرجاء ذلك المكان، وكانت الاطعمة الموجودة في تلك (الصواني) الثلاثمائة من ألذ وأطيب الأطعمة في

١- نعم، سيلوذ بالصمت، وهو ما كان يريده،!! وإن (الخانم) زوجة الخان، عرفت بذكاءها الثاقب وحكمتها الفذة، ما يريده الپاشا وما جاء من أجله، لذا قامت بإهداء هذه الهدايا له، وقامت بارسال الطعام الفاخر له، لكي يكف عنهم ويبقي على إبنها بصفة (الخان) بدلا من أبيه، وأن يترك لهم ما تبقى من أموال، وبعكس ذلك، فكان حريا بالپاشا ورهطه أن لايبقوا حتى على أحجار بيوتهم. (ر.ف)



الدنيا، برياني التمن مع الزعفران، الكوكو، الچلاو، الأوشلة، خوشك، عنبر، گولنان، سير، ماورد، كفتة، بادام، الصنوبر، الحبوب، وأشياء أخرى(١).

عندما جلس (الپاشا) على المائدة، وقال للناس: تفضلوا، قال (دفتردار)(٢) (وان) {يارئيسي، أنت تعلم، كم ضربنا بالسيوف أبناء مدينة بدليس هذه ودمرنا أملاكهم واموالهم، وهناك كتاب يسمى (مكر النساء)، لا أعلم إن كنت قد قرأته أم لا ؟ فلو تحول هذا الطعام الى حليب التمر وقطر نبات حماة، لما تناولنا منه لقمة واحدة}، قال هذا الكلام وإنسحب من المائدة، فنادى الپاشا على (شاني أفندي) وقال له (تعال، تناول هذا الطعام)، وقال (ابن تيمورچي) وهو من آغوات (وان)، (إن عنبر آغا، هو رجل محترم، فليأت للجلوس معنا ويتناول الطعام، وأي صحن يأكل منه هو، فسنأكل أيضا)(٣)، فقال عنبر آغا، حسنا، وسمى الله وجلس كتفا لكتف مع الپاشا، وتناول الطعام من كل المواعين واحدا بعد الآخر، وقال للآخرين، تفضلوا بالأكل، والشهادة لله، اننا نستطيع أن نقول أنه كان طعام الجنة، أما أنا فلقد جلست وأكلت بينهم بشكل لانظير له.

بعد الأنتهاء من تناول الطعام، جلبوا طاقما آخر من الصواني والتي

١- لقد آثرت إيراد أسماء الاطعمة، كما ورد في النص الأصلي، ليتعرف القارئ الكريم على اسمائها. (ر.ف)

٢- الدفتردار، هو مدير المالية، حسب مصطلح ذلك الزمان. (ر.ف)

٣- ليمعن القارئ الكريم، ويفكر في قلوبهم السوداء، وسوء ظنهم بالكورد وبالضيافة الكوردية، حيث ان إقراء الضيف واحترامه، هي واحدة من أهم صفات الكورد، والمعروف عن الكورد، أنهم لايخونون ضيوفهم، كما يفعل الآخرين بهم، ويليق بالكورد أن يقاتلوا اعدائهم حتى الموت، ولكن الخيانة لاتعرف طريقها اليهم مع ضيوفهم الذين يأكلون من طعامهم.. (ر.ف)



كانت تحمل فيها أنواع العصير (شربت) والـ (خوشاف)(١)، المتنوع، وبعد تناول المأكولات والمشروبات وغسل الأيدي، تقدم (عنبر آغا) وقبّل يدي الپاشا وقال له (إن رئيستي سلطان خانم، تبعث السلام الى الپاشا المحترم وتدعو له بالصحة والسلامة، وتطلب منكم قبول هذه الصحون والأواني، والتي هي بالأصل تعود لوالدها (زال پاشا)، فأصبح الپاشا شاكرا لذلك(٢)، وقال (ندعو من الله أن يحفظها بالصحة والسلامة، تعالوا إجلبوا حصاني الأغبر، ليركبه عنبر اغا، وليكن له بمثابة هدية) وبعد ذهاب (عنبر آغا)، نظر (الپاشا) الى (ضياء الدين خان) وقال له (في الحقيقة إن والدتك قد أخجلتنا ..).

---- مزاد آخر ---

كان (الچلويون) من الهكارية، قد حصلوا من أموال النهب والسلب على أربعة أحمال من العود والصندل، وكانوا قد رموها جانبا، وقد رغبوا في تناول وجبة من طعام (الذرة مع الحليب)، وبما أن هؤلاء لم يكونوا يعرفون ما هو العود والصندل، لذا فقد وضعوها في النار تحت قدور (الذرة مع الحليب)، وكان عبيق العود ينتشر في المعسكر، وقد أسرع الرقباء وذهبوا لطرفهم، وأتهموهم، بنهب ما في حدائق الخان ومنها هذا العود والصندل، لذا جلبوهم لطرف الپاشا وأخبروه بالأمر، وقد ضحك الحاضرون في المجلس كثيرا، حتى وقعوا على قفاهم، فقال الپاشا، إن هؤلاء هم

١- (خوشاف): هو عصير مخلي كوردي، طيب المذاق، يصنع من الزبيب والمشمش الجاف أو العنجاص الجاف، وقد أورد المؤلف التركي الأسم الكوردي للعصير، وسماه (خوشاب) ..(ر.ف)

٢- نعم، لامانع لدى الپاشا، حتى أن يأخذ صحونهم وأوانيهم معه، وهذا كان مراده من الأمر كله!!(ر.ف)



مقاتلون وأبطال، ولم يروا العود والصندل ولايعرفون قيمتها، ثم قام بإرسالهم الى أماكنهم بأحترام، وأنقذ من بين أيديهم أربعة أكياس من العود والصندل من الحرق..

وفي مزاد ذلك اليوم، أحضر سبعون حملا للبغال تتضمن المواعين والأواني والطشوت والقدور والأباريق والصحون الكبيرة والطناجر الكبيرة وآلات وأدوات المطبخ، ثمانية من حاملات الشموع (الشمعدانات) المصنوعة من الفضة، مع (١٠٠) شمعدانة صغيرة من التي توقد فيها النيران، مع أربعين مقصا(١)، وثمانية حاملات منقوشة لوضع البخور، مع عشرين آنية من أواني العطور البلورية والمنقوشة، وقد تم بيعها جميعا.

كما عرض للمزاد، حمل عشرين بغلا من الصناديق الكبيرة من مفروشات اللباد، وفي داخلها ستمائة قدح من أقداح الفغفوري الغالية الثمن، وعشرة صحون تستعمل في تناول الفطور، مع فناجين ذوات أربعة ورود، و أقداح بلغارية، وأقداح وصحون صينية، ومائة وخمسون حبا(٢) من الانواع البلغمية والخسروانية، وقد جلبوها، وكانت مليئة بأنواع المربيات، ومنها مربيات الحمضيات، والأملج والكابولي والعنجاص الخرساني والبخاري،(٣)، والتفاح والزنجبيل وجوز الهند والجوز الرومي،

١- علق مترجم الكتاب للكوردية على المقصات الفضية وكتب يقول: (المقص هو آلة ضرورية الاستعمال مع الشموع، وكان يستعمل في قص خيوط تلك الشموع من الأعلى، لأن الخيوط تحترق ويصبح الضوء ضعيفا لذا تحتاج تلك الخيوط للقطع..) ينظر الكتاب المترجم للكوردية ص(٢٩٤)، الهامش(٢٨)

٢- الحب: هو الأناء الكبير المصنوع من الفخار، الذي عادة ما كان يستعمل في حفظ ماء الشرب فيه وتنقيته، ويسمى (دن) في الكوردية.(ر.ف)

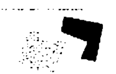
٣- العنجاص البخاري: نسبة الى مدينة (بخارى). الواقعة في بلاد ما وراء النهر.(ر.ف)



وطرشي الخيار والريباس والآشقين والتمر الحبشي، وعندما حمل الدلال هذه الأشياء ونادى عليها، إنتقلت من يد الى يد، وبدأ كل واحد منهم بحجة التذوق، يأخذ شيء منها بواسطة رؤوس الأصابع، ولم يمض وقت طويل حتى فرغت الحباب من المربيات، لذا خف حملها من قبل الدلالين أيضا، كما تم بيع ألف وستمائة طبق من أطباق الطعام بسعر زهيد.

وتم عرض أربعين حملا من العمامات في المزاد، والله أعلم، أنه كان بينها من العمامات المحمدية ماتساوي الواحدة منها من ثلاثين الى أربعين درهما، وكان من ضمنها خمسة أحمال من العمامات الملونة من صنع أحمد آباد وگولكند آباد و ديوبندر آباد و محمود آباد في بلاد الهند، والتي كانت تتدلى منها الحواشي الحريرية.

كما تمَّ عرض صندوق كبير الحجم جدا مصنوع من خشب (السرو)، حمله أربعة من الرجال، وعندما فتح الصندوق، كان مليئا بالهدايا الغالية الثمن جدا، مثل الأقمشة ذات الخيوط الذهبية والشال الكشميري والأقمشة ذات الحواشي الذهبية والحرير، وتقدم سبعة من رجال الانكشارية في (وان) وقال أحدهم، ياوزير دولة السلطان، في شهر شعبان المنصرم، حضرنا أمامكم عندما كنتم في قلعة (وان) واشتكينا لديكم، بأن (الخان) قد إستولى على سبعة أحمال لنا من الأقمشة بدلا من الضريبة، وكان قد قتل البعض منا وجرح آخرين، فهذه الأحمال هي تلك التي تعود لنا، وعندما سأل (الپاشا) من أهل المنطقة ومحصلي الضرائب، فقالوا، نعم ياوزير الدولة، هذه الأحمال تعود لهؤلاء، وكانوا قد جلبوا هذه الأقمشة ولم يدفعوا الضرائب للخان، وأظهروا العناد وأحدثوا الفوضى، حينها ضربهم (الخان) وأخذ منهم هذه الأحمال السبعة بدلا من الضرائب.فأمر الپاشا، أن يقوم هؤلاء بدفع



الضرائب، ثم تسلم هذه الأحمال لهم(١)..

كما عرضت سبعون صرة من الـ (دبيا) والأقمشة ذات الخيوط الذهبية والـ (سرنك) والـ (خارا) والستائر المنقوشة من الأعلى، والستائر ذوات الشبكة والفراش المنسوج (الدواشك)..

كما وجد في سبعة صناديق أخرى، سبعون من (الفروات) السمورية وستة عشر (فروة) سمورية ملونة ذات بطانة الـ (الچوخ) وعشرون (فروة) سنجابية مع الصوف، مع ستة عشر طاقية من جلد الفهود ذات بطانة (الچوخ) الملون، وأحد عشرة جلدا للـ (قاقم) الأبيض ببطانة (الچوخ)، وأكثر من مائتي جلد عجمي أزرق اللون من دون بطانة. وفي المرة التي كان (الپاشا) قد قدم من إستانبول وأصبح فيها ضيفا على (الخان) في بدليس، كان قد اهدى للخان، فروة سمورية بيضاء اللون، كانت هذه الفروة أيضا ضمن تلك الأشياءو وقد إشتراها (آغا) الانكشارية في (وان) بألف قرش..

ومن غير الأشياء التي ذكرناها، كان هناك أربعون حملا من الأشياء والأغراض في الصناديق، وكانت عبارة عن ملابس (سلطان خانم) وزوجة الخان الجديد ونساء عائلة الخان والجواري، ومن دون أن يلمسها أحد وبموافقة الجميع سلمت امام اعين الناس الى يد (عنبر آغا) وأرسلت الى (سلطان خانم). والآن لو قمت بتسجيل أسماء الأشياء التي تم بيعها وأسماء المشترين لها والنقود التي دفعوها، فإن هذه الكتابة ستطول، بحيث تجلب الوجع للرأس.

١- نعم هكذا، إذا ما الذي فعله (خان بدليس) من سوء بحق هؤلاء، إذ طلب منهم الضريبة فحسب، فلم يدفعوها، وأحدثوا الفوضى، لذا ضربهم الخان، وبعد كل هذا القتال، قاموا بدفع الضريبة أيضا للپاشا، ثم استلموا أمتعتهم!!(ر.ف)



-- النتيجة النهائية للمزاد وعوائد ملك پاشا --

لقد إمتد هذا المزاد لأربعة أيام، وقد قام الپاشا أمام أعين الجميع بتسليم (مائتي كيس) من الأموال التي جمعت من المزاد، الى (اغوات وان) وكتبت بذلك وثيقة شرعية، وقد إحتفظ كل من الپاشا و الخان الجديد بنسخة من هذه الوثيقة لديهم، كما قامت قوات (وان) بإهداء (٥٠) كيسا من أثمان أتعابهم، الى (الپاشا) وبذلك أخذوا إنتقامهم من (عبدال خان)..

أما (محمد بگ ملازگرد) الذي إدعى بأن أربعين ألف رأس من الغنم العائد له، كان قد نهب، فأستلم (ستين كيسا) وقد رضي بذلك، وقد أمضى بذلك على وثيقة، وسلمت نسخة منها للپاشا وأخرى للخان الجديد. وكان (محمد بگ) هذا قد نهب قبل الآن (خمسين كيسا) من بيت الخان، فقام بإعادتها للپاشا، أما نقود الأغراض الاخرى، فلم يسأل عنها أو يعرفها أحد غير الپاشا، وكذلك فإن الأشياء الغالية الثمن، كان يقوم هو بزيادة أسعارها في المزاد ويحصل عليها ويكتب أثمانها على نفسه، ولم يحصل أي أحد على الأشياء الثمينة(١)، وحتى أنا لم يسأل عني أحد.. اما (الخان الجديد) لبدليس وهو (ضياء الدين)، فحسب التقاليد القديمة لديهم، قام الناس بجمع (ثلاثمائة كيس) له، وقام هو الآخر بإهداء (مائة كيس) للپاشا، ثمن أتعابه، مع خمسة حظائر من الخيول التي تستعمل في الركوب، وعشرة بغال وعشرة دروع وعشرة من الغلمان وخمسة من الجواري الجميلة وخيمة منقوشة مع خمسين (شماماً) من العنبر الخام..

١- يعترف (أوليا چلبي) بكل وضوح، بحصول الپاشا العثماني على هذه الأشياء الثمينة، فقد دفعه الحسد الى محاربة الأمير (عبدال خان) بدون سبب يذكر للحصول على أمواله وخزائنه !!(ر.ف)



وكدليل على خضوع الخان الجديد، للسلطان، وعد بإهداء (عشرة أكياس)، أما الصناديق الصغيرة الثلاثة التي تستعمل لحفظ الذهب والجواهر، والتي تحدثنا عنها في السابق، فإنه تم إخراج كل الجواهر الموجودة فيها، وتم كيلها بالميزان، وكتبت في السجل وسلمت كأمانة الى الپاشا على ذمة الله ورسوله، وقام الپاشا بتسليمها الى قوات (وان) لكي يتم حفظها في خزينة قلعة (وان). أما (الخان الجديد) فبدلا من قيامه بترميم ممتلكات حكومته تعهد بإرسال بضعة أكياس للسلطان والصدر الأعظم، وقد تم تعيين (دبه محمد آغا المطارچي) مسؤولا لتحصيل تلك الأموال.. وكان (بگوات) كل من (أرجيش) و (عادلجواز) و (موش) قد ذهبوا لتعقيب الخان المنهزم، ولكنهم رجعوا دون أن يعرفوا شيئا عنه وعن مكانه، ولكنهم كانوا قد وجدوا بين تلك الجبال (عشرين ألفا وسبعين) رأسا من الغنم، من أغنام(محمد بگ ملازگرد)، وعندما قالوا لـ (محمد بگ) إن هذه هي أغنامك، وهي تحمل علامتك(١)، وعليك أخذها، حينها قال، لا أريدها، فقد أخذت (ستين كيسا) كتعويض عنها قبل قليل، فإني أهدي هذه الـ (ألفي) رأس من الغنم، للپاشا فلتكن حلالا عليه، فقام الپاشا بإهداء هدية أخرى لـ (محمد بگ) وسلم الاغنام الى وكيل الخراج لكي يبيعها او أن يشتري بأثمانها الاقمشة ، للملابس السنوية لعساكر الپاشا. ثم إلتفت الى بگوات (أرجيش و عادلجواز و موش) وقال لهم (كان عليكم إيجاد هذا المتمرد) فقالوا: (يازعيمنا هذه مدة سبعة أيام وليالي، نحن نفتش عنه ولم نعثر عليه، ولكننا تقابلنا مع مجموعة من عساكره المتفرقة

١- هذه عادة مألوفة لدى أصحاب القطعان الكبيرة من الاغنام، أنهم يضعون علامة معينة على أغنامهم، لكي لا تضيع بين أغنام الآخرين، وقد تكون العلامة على أصواف الاغنام كالصبغ وغير ذلك، أو توضع علامة على آذان الأغنام. (ر.ف)



وحدث بيننا قتال مرير، و قتل منهم مائة شخص ولقد جلبنا رؤوسهم معنا، كما أسرنا مائة آخرين منهم وهاهم هنا)، فأمر الپاشا، بتهيؤ الجلادين وبعد أداء ركعتين من الصلاة، حمل عصاه في يده وجلس على الكرسي، وقال: هيا أيها الجلادون إبدأوا بهم، فأرتمى الآغوات الموجودون هناك على أيديه وأرجله، وترجَّوا منه، فقبل الپاشا رجاءهم، وأعفى عن كل إثنين أو ثلاثة منهم إكراما لكل آغا من الآغوات، وقال لهم، عليكم الانتباه فهم معفوون من قبلي ولكن ليكونوا تحت رقابتكم في الخيام. أما البگوات الذين جلبوا الرؤوس المقطوعة، فأعطى لكل واحد منهم هدية مع طاقية ذات ريش. فأنتهزت أنا هذه الفرصة وتقدمت الى أمام وقلت (أيها الپاشا، في يوم حرب الخنادق، عندما أرسلتني لطرف (بگ) المحمودي، لكي يأتي لمساندتكم، حينها أراد (صولحان) اللعين أن يقطع رأسي، فقمت أنا بقطع رأسه وأحضرت رأسه أمامكم، والآن أريد ثمن قطع رأسه) فقال الپاشا (أشهد لله، أن (أوليا) صادق بذلك، هيا أسرعوا، فأنك في هذه الغزوة قرأت لنا الفتح الشريف، وقد كتبت كل الحوادث بشكل جيد لديك، كما كنت قد جلبت رأس صولحان اللعين)، فأعطاني مائة قرش وخلع هدية غالية علي ووضع طاقية جميلة على رأسي، ورفع من شأني بين الناس، (هذا من فضل ربي)(١).. ثم نادى على (رمضان آغا) الذي هو (كتخدا) لدى (پاشا دياربكر)، فأعطاه ثلاثة أكياس كمصاريف للطريق وأرسل خنجرا منقوشا(٢) الى (مصطفى پاشا فراري) وأهداه عبدا أسود اللون، وأرسل له رسالة..

١- هذه العبارة موجودة بنصها العربي في الكتاب التركي..ص٢٥٩ (ر.ف)
٢- الخنجر المنقوش، يعني أن قبضة الخنجر منقوشة بالجواهر أو الذهب أو الفضة، وكانت هذه عادة متبعة لدى القيام بتكريم شخص ما..(ر.ف)



في شهر رمضان من عام (١٠٦٥) تركنا مدينة (بدليس)، وتوجهنا بجيش لجب مثل البحر نحو طريق (أووا) ورجعنا من هناك، الى أن وصلنا الى مكان الاستراحة في (خسرو پاشا) بعد مرحلة من السفر.. والسبب في إنتقالنا، بأن معسكرنا كان يعج بالروائح الفاسدة، وكان من الضروري إبعاد جميع هؤلاء الكورد من المدينة، وأن تنتظم الأمور لحكومة ضياء الدين خان، وقد تقرر البقاء لمدة يوم واحد في مكان الاستراحة. وقد تم تكريم (البگوات) القادمين من أيالة (أرضروم)، كما أهديت لكل واحد من قادتهم(١) هدية، مع ثلاثة أكياس وشوكة وحصان أصيل، كذلك أهدي لوالي أرضروم خنجر مجوهر مع مسدس مرصَّع، وأرسلت معهم رسالة، وأمروا بالرجوع جميعا.

أما (بگوات) كوردستان، الذين كانوا قد حبسوا، فلقد بقوا على حالتهم من القيد والربط، ما عدا (بگ) شيروان، الذي تم العفو عنه حسب رجاء الخان الجديد، مقابل ثلاثين كيسا، وقال له الپاشا (إن أي شخص يتراجع عن أوامر وزراء آل عثمان، سأقطع رأسه، ولكنني عفوت عنك إكراما للخان..)، وأمر بإعطاءه هدية، فقام الـ (بگ) بالتقدم وأحنى نفسه لتقبيل يد الپاشا، ولكن الپاشا وجه لكمة قوية الى أم رأسه، بحيث إرتطمت جبهته بالأرض(٢)، ولقد إضطرب أمره وتشوش، بحيث توجه الى باب (الآغوات)

١- يعلق مترجم الكتاب للغة الكوردية في هذا الموقع ويقول: القادة: كانوا أولئك الضباط الأتراك، الذين يتم إدخالهم بين صفوف جيوش البگوات الكورد، لكي يكونوا على علم بهم ويدلونهم على الطرق والاماكن الضرورية. وكانوا هم المسؤولين عن تلك القوات، لذا نرى انه حتى في حالات التكريم أو النهب والسلب، كانوا يحصلون على الأكثر، نسبة الى المقاتلين الكورد. ويتقدمون عليهم. الكتاب الكوردي ص٢٩٩ الهامش (٢٩).

٢- يبدو أن هذا الأمر أيضا، كان ضمن أوامر العفو عنه!! (ر.ف)



بدلا من باب الخروج، وعندما وصل الى خيامه، جمع جيشه بدون دق الطبول ونفخ الأبواق، وسار جيشه وراءه ورجع متجها الى (شيروان).

بعد ذلك توجه الپاشا بصحبة الـ (مير ميران)(١) والوجهاء والأعيان صوب أماكن الصيد، والمتنزهات والأماكن الجبلية العائدة للخان، وعند رجوعهم أرسل الى كل من الـ (مير ميران) وآغوات (وان) أحد الحيوانات المصطادة. أما هم فقد أهدوا لكل واحد من الآغوات الذين جلبوا الحيوانات المصطادة، فرسا أصيلا وعدة (أطواب) من القماش، كما قرروا إرسال الهدايا الى الپاشا أيضا.

في صباح كل يوم، كان يأتي من طرف (خانم سلطان) مائة ماعون من طعام الفطور، ومن طرف الخان، مائتا ماعون، لطعام الغداء أما من طرف (الخان)، فرغم الحاجة لترميم ممتلكاته الحكومية، فقد أرسل (مائة كيس) رومي لسلطان استانبول و (مائة كيس) للوزير الأعظم (الصدر الأعظم) وأكياس أخرى لكبار المسؤولين في استانبول. وقد أرسلت تلك الأكياس المائتين من الذهب على شكل عشرين حملا من الدواب الى استانبول..

في اليوم التالي، توجه الپاشا مع كبار مسؤوليه الى داخل مدينة (بدليس) وأدى صلاة الجمعة في جامع (شرفخان)، ولدى رجوعه، قام رجاله بنثر النقود على الناس الذين كانوا قد وقفوا على اليمين واليسار من الطريق، (إنما الصدقات للفقراء والمساكين)(٢) ثم رجع الى مقره، وفي صباح اليوم التالي، سارت (الأطواغ) في الطريق وسار هو وراءها، وتوجهوا الى طريق (وان) قافلين ..

١- مير ميران: تعني أمير الأمراء، وهو لقب عسكري، كان متداولا في أيام الدولة العثمانية. (ر.ف)

٢- هذه العبارة موجودة بنصها العربي في الكتاب التركي.ص٢٦١.(ر.ف)



رجوعنا الى (وان) في التاسع والعشرين من شهر رمضان الشريف لعام ١٠٦٥:-

في المقدمة، سار الپاشا مع الخان الجديد، كل راكب فرسه، كتفالكتف، مع كبار موظفيهم الى أن وصلوا أمام المقر، وفي مكان الوداع، قام (الخان) بتقديم الرجاء بالنسبة لـ (بگ هيزان)، فقبل الپاشا رجاء (الخان) ووضعه على عينه، وتم تقديم الفدية عنه وهي عبارة عن ثلاثة عشر ألف ليرة ذهبية مع عشرين درعا وقنطارا من الفضة، وسلمت الى خزينة الپاشا، وقد أطلق سراح (بگ) هيزان، وخلعت عليه هدية، وتم تسليمه الى الخان. وسأل الخان عن (بگ الگرگري)، فقال الپاشا (إذا وصلت الى وان إن شاء الله فسأعقد المجلس، وسأضرب عنقه، لكي يكون عبرة للجميع في المرات القادمة ولكي يسمعوا كلام والي (وان) ويأتمروا بأوامر السلطان. أما أنت فأذهب وإهتم بحكومتك)، وقام هو والخان مرة أخرى بتقبيل بعضهما البعض، ثم إفترقا وتوجه الخان صوب بدليس.

وفي صباح اليوم التالي، تحرك الپاشا من (تطوان) متجها صوب جنوب البحيرة، وسلكنا طريق (قوصقون قران)، وفي البداية قامت قوات المشاة من (الهكارية) مع (الصكبانية و الساريجة) بتفتيش الجبال، ثم بدأ مشاة الجيش بالسير مع تلاوة الصلوات، وفي اليوم الأول من العيد مررنا بالطريق المليء بالأشجار والأحجار ووصلنا قرية (دوله جوان) التي تقع بين جبلي (هيزان) و (شيروان)، وفيها مياه عذبة ورائقه تصب في بحيرة (وان)، وفيها مكان للعبور (معبر) يصلح للشتاء والصيف، والقرية تتألف من ثلاثمائة بيت وهي تتبع أراضي بدليس. وقد تقرر قضاء الليل في هذا المكان، وقد وصلتنا قوة عسكرية منتخبة من (الروژكيين) تتألف من ألفي مقاتل، قاموا بحراسة معسكر الپاشا ..



وهنا عبر البعض النهر ركبانا، وعبر البعض الآخر عن طريق الجسر، كما قمنا بنقل المدافع أيضا عبر النهر، ثم سلكنا طريق ضفة البحيرة نحو الشرق، ولقد سرنا عبر الغابات والمنخفضات والأراضي الصخرية بفضل الله، وهنا وصل أحد رجال البريد العائدين للخان وسلم الپاشا هذه الرسالة (أيها القائد، إنتبهوا وخذوا حذركم من هؤلاء (البگوات) المحجوزين، وليكن حراسكم وخفراؤكم في إنتباه تام)، فأعطى الپاشا (عشر) ليرات ذهبية لحامل الرساله، وأمر بأن يتم ربط المحجوزين على صهوات الجياد، وأن ينتشر رجال المشاة بين الجبال على جانبي الطريق.

بعد ست ساعات وصلنا قرية (صوره)، والقرية تتألف من مائتي بيت وعلى ساحل البحيرة وتتبع (وان)، وفيها كنيسة قديمة، وقد جلب القساوسة بعض الهدايا للپاشا، وقد انتشرت عساكر الاسلام بين الجبال والآكام، بينما أخذ الپاشا الاستراحةفي أحد المروج، وفي تلك الليلة، قام بتقييد (البگوات) بالسلاسل ووضع الخفراء في جبل (قوصقون قران).

في اليوم التالي، عبرنا البحيرة بالقوارب ووصلنا قلعة جزيرة (آختمار)، ولقد قام (الملك جالوت) في وقته ببناء كنيسة هنا وهي مقدسة لدى جميع النصارى. توجد هذه الجزيرة داخل بحيرة (وان) وهي تمتد من الشرق نحو الغرب، وفيها جبل عال يناطح السحاب، ومحيطها يبلغ سبعة أميال رلاتملك غير طريق واحد، وهو شبه طريق وعر في جهة الجنوب، وتبعد من الشمال بمسافة ثلاثة أميال من ميناء (كواش)، ومن بعيد يمكن مشاهدة قمة الكنيسة، وعندما سلم القساوسة الهدايا للپاشا وسلموا عليه وأخذوا طريق الرجوع، أطلقت سبعة قنابل للمدفعية الشاهانية من القلعة، أما أنا فلقد ركبت القارب مع سبعة من رجالي وأتيت لمشاهدة الجزيرة. لقد بنيت قلعة قوية على صخرة متينة ذات محيط يتكون من سبعمائة خطوة،



ولها باب صغيرة من الطرف الغربي فقط، كما توجد كنيسة قديمة في داخل القلعة، بحيث تعتبر الكنائس الثلاثة في (روان) والكنائس السبعة في (نخجوان) وكنيسة القيامة في (القدس الشريف) لاشيئ أمامها. ولو قمت بوصف شبابيكها و جدرانها وغرفها وطراز البناء فيها، فإن كتابتي ستطول كثيرا، وفيها اكثر من (مائتي) قس وراهب، ويبدون في منظرهم، كأنهم يابسون داخل جيبهم السوداء بنتيجة الزهد والتقشف، ويقوم الخدم لديهم بإقراء الضيوف بشكل لا نظير له، بحيث يقومون بتهيئة كل طعام يطلبه الضيوف، ويفرشون له فراش (ديبا) ووسائد من ريش الأوز، إن الكنيسة تتكون من ستة كهوف، وجميعها مليئة بأنواع الأطعمة والمشروبات، ويوجد بين هؤلاء الزهاد المنقطعين عن الدنيا، ثلاثمائة خياط، ويعيشون جميعا على الصدقات التي يقدمها الناس لهم، وتكون مياههم موجودة في الخزانات ..

لقد عبرنا بالقوارب الى الجانب الآخر، وفي غرب هذه الجزيرة بمسافة خمسة أميال وصلنا الى (آق كيربي)، ولا توجد قلعة هنا، وهناك معابر كثيرة للعبور، وعندما كنا نسير في الطريق مع الپاشا بأتجاه الشرق، كنا ننظر الى الجانب الأيسر لبحيرة (وان) وكانت تظهر لنا كخليج صغير، وقد ضربت أمواج مياه البحيرة قواعد الجبال، بحيث أحدثت حفرا في أسفلها، إن الجبل المقابل لنا والذي يضرب برأسه السماء يسمى جبل (كيپان) (١)، والذي هو عبارة عن كتلة صخرية مدببة واحدة، وتتطاير الشرارات النارية من احجاره الصوانية عندما تحك ببعضها، وفي هذه البلاد تسمى الطرق الوعرة والجبال العصية بـ (كيپان)، لذا فأن جبل (كيپان) هذا الموجود في

١- هو الجبل الذي يسمى (سيپان) بين الأكراد والذي يرد إسمه في الاغاني الفولكلورية الكوردية كثيراً ..(ر.ف)



(وان) والواقع على طريق (قوصقون قران) هو من أكثر الجبال وعورة في بلاد الروم والعرب والعجم ومن أشهر جبال منطقة (هكاري)، فلو أزاح شخص ما حجرة من الأعلى، فأنها ستقتل ألف شخص في الأسفل، وهو في أعلاه جبل عال جداً وفي أسفله وادي سحيق.

كان احد الوزراء الذي يسمى (أحمد پاشا الخيابي) قد أراد توسيع هذا الطريق قليلا، وكان قد صنع في بعض الأماكن، الجدران الساندة له من الأحجار، وفي أماكن أخرى وضع فيها بعض الرجال الذين يعملون في قلع الحجارة، لكي يزيلوا الحواجز الموجودة في الطريق من الصخور، ولكن الناس هنا إتهموه بأنه يسهل هذا الطريق لفائدة العجم، لكي يهجموا علينا، لذا إضطر الى ترك العمل ولم يصل هذا الخير للناس، وفي الحقيقة فإن السبب في منعهم ذلك، هو لعدم وصول أيدي وزراء الدولة لهم.

في هذه المنطقة، رأينا قبرا وإن حكاية صاحب هذا القبر هي حكاية عجيبة وتستحق أن تروى:

--- حكاية (چومار) البلوكباشي(١) ---

ظهر شخص شجاع جدا في عام (١٠٥٥) في هذه المنطقة، وكان يدعى (چومار بلوكباشي) والذي كان قد خدم في عدة أماكن. وفي البداية كان من رجال (گرجي نبي) و (إبن قاطرچي)، وعندما حدث القتال في (اسكودار) بين هذين الاثنين من طرف و (مراد پاشا) الصدر الأعظم و (محمد پاشا) الچرخچي ابن الدفتردار، من طرف آخر، إمتد القتال لمدة سبع ساعات، إندحر في إثرها (گرجي نبي) وإنهزم (چومار بلوكباشي)، ومن باب الصدفة، كنت حينذاك حاضرا في القتال الذي حدث في

١- البلوكباشي: كانت رتبة عسكرية عثمانية، وهي تعادل رتبة آمر الفوج الحالية. (ر.ف)



(أسكودار)، فزودني (مراد پاشا) رئيس الوزراء (أمراً)، لكي آخذه معي الى (الشام) واسلمه الى (مرتضى پاشا)، وقرب خان (چاقط) إلتقيت بـ (چومار) هذا، فظننته من قطاع الطرق للوهلة الأولى، وكان كذلك فعلا، إذ أنه من باب الاضطرار كان يقطع الطرق. فتعرفنا على بعضنا البعض، وقمنا بتبادل القبلات، وشرح حالته لي، فقلت له، تعال يا أخي لآخذك الى (مرتضى پاشا)، فسرَّ بذلك كثيرا، وأخذته معي الى (مرتضى پاشا) وبقي عنده مدة .. وفي إحدى الهجمات التي قام بها (الپاشا) على (الدروز) في مضيق الناقوره (صفد)، أظهر شجاعة فائقة وعلا شأنه، وعندما رجعوا الى (الشام) لم يمر وقت طويل، حتى نقلوا (مرتضى پاشا) من (الشام) وعينوا (إبشر پاشا) محله، ووضعوا (مرتضى پاشا) على (سيواس)، وفي (سيواس) قام (مرتضى پاشا) بتعيين (چومار)، بصفة مدير توزيع المياه في مدينة (نيكسار)، وبقي في وظيفته لمدة ستة أشهر، وفي أحد الأيام جاء شخص يدعى (دلاور آغا) للتفتيش والرقابة، فقبض على (چومار) وصادر كل ممتلكاته، ولم يبق له غير ثلاثة خيول للركوب. على أية حال، خرج (چومار) من السجن، وجمع حوله حوالي مائة شخص، وهاجم بشكل مفاجئ، بيت (دلاور آغا)، ونهب كل ممتلكاته مع خمسين فرسا، ثم قام بحرق بيته، وأسرع في الوصول لطرف (محمد أمين پاشا شمس زاده) في وان، الذي قام بتكريمه كثيرا. وكانت العلاقة بين (محمد أمين پاشا) هذا الذي كان والي (وان)، وبين (سليمان بگ المحمودي) الذي كان (بگ خوشاب) و حكام (هكاري)، علاقة سيئة، لذا جعل من (چومار) قائدا. وكانت الفرصة قد سنحت له، للهجوم على (هكاري) مرة، والهجوم على (المحمودي) مرة أخرى، وفي كل مرة كان يجلب معه الكثير من المنهوبات والمسلوبات. وكان أهالي (وان) يسرون بهذه الأعمال السيئة لـ (چومار)



ويشجعونه على ذلك.

وفي عام (١٠٦٠) عندما أصبح (ملك احمد پاشا) صدرا أعظما تمرد (محمد أمين پاشا) في (وان) وبدأ بالقتال، وقام بقصف القلعة السفلى لـ (وان) بالمدفعية من القلعة العليا، وحدثت الثقوب والفتحات في أسوارها في عدة أماكن، ومن الجهة الأخرى، قام والي (دياربكر) (حيدر آغا زاده) بالهجوم على (محمد أمين پاشا) بواسطة قوات (دياربكر) وقوات (وان)، وضيق عليه الخناق من كافة الجوانب، إلى أن إضطر في إحدى الليالي، أن ينزل من أسوار القلعة بواسطة حبل ممدود، حيث كانت الخيول تنتظره في الأسفل، فلاذ بالفرار، وبعد مسيرة تسعة أيام أوصل نفسه الى (استانبول) ولجأ الى (ملك احمد پاشا)، الذي عفا عنه، وقام في (الروملي) بإسناد أمور سنجق (كوستنديل) إليه، وأرسله الى (كريت) (١). وبعد هروب (أمين پاشا)، لم يكن من الممكن، أن يبقى (چومار) في (وان). فلجأ لطرف (خان) بدليس، وعينه الخان بمنصب (آغا) لديه، حيث جلس (چومار) بهدوء و راحة.

-- محاصرة چومار بلوكباشي في جبل (كيپان) وبدأ القتال --

وصلت رسالة من أصدقاءه من قوات (وان) الى (چومار) يطلب منه الذهاب لزيارتهم، فذهب هو بصحبة خمسين رجلا من المقاتلين المنتخبين عن طريق (قوصقون قران) بأتجاه (وان)، وكان حوالي خمسمائة الى ستمائة رجل من مقاتلي (خان) هكاري، يترصدون أخبار (چومار)، ويعرفون بجميع تحركاته، فيتهيأوون له و يسدون عليه الطرق في وسط جبل (كيپان)، ويبدأ القتال المباشر بين الطرفين، فينزل (چومار)، وبعد لحظات

١- كريت: جزيرة في البحر الابيض المتوسط، كانت حينذاك تتبع الامبراطورية العثمانية. (ر.ف)



يقتل منهم سبعين رجلا، ويمتد هذا القتال العنيف لمدة خمس ساعات بينهما، فيقتل من رجال (چومار) الخمسين، عشرين رجلا ويبقى معه ثلاثون، وعلى رغم تلك الحالة، فيقتل مائة رجل من الهكاريين ويتهيأ الباقون للفرار، ويهب لنجدة الهكاريين، ألفا مقاتل من قلعة (وسطان)، ورغم تلك الأحوال، يصبح (چومار) كالكلب العقور فيضرب ويقتل ويسفك الدماء من الاطراف الأربعة.

وبعد ستة ساعات من القتال، حيث لايبقي أي واحد من مقاتليه، ويدب التعب في جسمه، يرجع الى فرسه الذي أحضره له أحد الخدم، فيقوم بتقبيل عيون فرسه ويركبه ويقول له (لأكن فداك ياغزال الجبل)، ويفتح ثغرة في صفوف أعدائه بواسطة الضرب بالسيف، ويتجه نحو الميناء، فيرى بأن ألفي مقاتل قد سدوا عليه فتحة الميناء ويتقدمون نحوه، وعندما يرى (چومار) أن الطريق مسدودة من أمامه ومن خلفه، ولا وجود لأي مجال للنجاة بنفسه، يرى الى جانبه قمة جبلية ترتفع الى ضعف إرتفاع منارة (السليمانية) والقمة مطلة على مياه البحيرة، فيشدّ الركاب على الفرس ويصرخ (توكلت عليك يارب) فينطلق الفرس ويغمض (چومار) عينيه، ويقفز الفرس مع الفارس من ذلك الارتفاع الى مياه البحيرة!..

إن الذين شاهدوا هذه الحادثة، كانوا يروونها للپاشا فقالوا (يا زعيمنا، كنا واقفين جميعا، فعندما رمى بنفسه من ذلك العلو، رأينا الفرس قد ثبت أطرافه الاربعة تحت بطنه أشبه ما يكون بالقط، وكان (چومار) قد أحنى بنفسه على السرج، وقد بلعتهما مياه البحيرة، فقلنا إنه الآن تقطع الى عدة أجزاء. ونزل بعض الناس الى الأسفل، لكي يفتشوا عن سيفه وخنجره وبندقيته وأشيائه الأخرى، ولكنهم لم يحصلوا على شيء بعد طول تفتيش. وفجأة أتانا الخبر من الجهة الأخرى، بأن (چومار) وفرسه على وشك الوصول



لساحل البحيرة سباحة، وعندما أسرعنا وصعدنا قمة الجبل ونظرنا، رأينا بأنه قد علق نفسه بالطرف الأيمن للحصان، وهما يقتربان سباحة من اليابسة، فقلنا بين أنفسنا {تعالوا يا أمة محمد، إن (چومار) هذا الذي أخذ ينهبنا منذ مدة ويقتل رجالنا، وإنه قتل منا اليوم مائتي رجل، فهل ندعه يذهب بهذه السهولة؟ فماذا سيكون جوابنا غدا أمام حاكم هكاري (يزدان شير خان)؟ وكان بيننا من يقول (فلتكن رؤوسنا وأموالنا فداء لرجل كهذا، فلقد قاتل كل هذا القتال، ثم رمى بنفسه وفرسه الى البحيرة، وهو الآن يسبح في البحيرة مثل السمكة، فهو والحالة هذه أحد العباقرة من عند الله!}.

وتبعه بضعة مئات من الرجال من المشاة والركبان، من المكان الذي قفز فيه (چومار)، وساروا على ضفة البحيرة لتعقبه، ولكن الفرق بينهما كان كمسافة ثلاث ساعات، فإن المسافة التي قطعها (چومار) سباحة، كان يحتاج لمدة خمسة ساعات مشيا على اليابسة الى أن يصلوا الى الطريق، فإن ذلك المكان هو ميناء قلعة (وسطان) ويصب نهر (خوشاب) هناك في البحيرة.

وتصادف ان المكان الذي خرج فيه (چومار) من البحيرة، ووضع رجليه على اليابسة، كان مستنقعا غير مأهولا، ولم يكن يقصده أحد .. وكان هو وفرسه، كل واحد منهما، أكثر تعبا من الآخر، لا يقوون على المسير على أرجلهم، وما أن يحاول هو الخروج من المستنقع، حتى يطمس فرسه، وما أن يخرج الفرس حتى يطمس هو، وقد حاول مرارا دون جدوى، لذا رمى بجزمته وملابسه وسحب عنان فرسه، وعندما إقترب من الخروج من المستنقع، رأى مجموعة من فرسان (الهكاري) يتجهون نحوه، حينها أدرك (چومار) بعدم جدوى السهام والبندقية ولم تبق لفرسه طاقة للخروج به من



هناك، فأخذ سيفه وبادر بالهجوم على مهاجميه، وفر العشرون شخصا من أمامه، ثم أتى الى فرسه، فسحبه ثم صاح (ياحيّ) وأخرجه من المستنقع.

وعندما وصل الفرس الى اليابسة، بدأ بالصهيل وقفز (چومار) على صهوة سرجه وهجم على أعداءه، وفي هجومه على أي طرف، كان يفتح ثغرة بين المقاتلين ويهربون من أمامه، ولكن أعداءه بدأوا بالزيادة شيئا فشيئا، أما (چومار) البائس فإستمر في القتال وهو عار وحافي القدمين، مرة راكبا ومرة راجلا، وعندما رأى حصانه مجروحا من خمسة أو ستة أماكن وهو يرتجف، حينها ترك فرسه، وقاتل، الى أن أوصل نفسه الى مرقد أحد الصالحين قرب ضفة البحيرة، الذي يسمى (سورن بابا)، وإستمر في القتال حتى بوابة المرقد، إلى أن أطلق عليه أحدهم طلقة من بعيد، فأتت في جبهته وأستشهد هناك.

وعندما علموا بموته، أتوا إليه، وقطعوا رأسه وأخذوه الى (خان) هكاري، فقال (الخان) إن هذا الرجل هو رجل شجاع وبطل، وأرسل رأسه لكي يدفن مع جسده بجانب (سورن بابا)، وقبره الآن يُزار من قبل الناس. عندما سمع (ملك أحمدپاشا) هذه الحكاية من لسان أولئك الاشخاص الذين كانوا قد نجوا من سيف (چومار)، ذهب لزيارة قبره، والآن تحولت حادثة (چومار) الى أسطورة يتداولها أهالي (وان) و (شيروان). وقام أحد أهل الخير ببناء قبة على قبره، كما قام الناس بكتابة تاريخه على صخور القمة التي قفز منها (چومار) الى مياه البحيرة.

يمكن أن يقول بعض الناس، إن رجلا قفز من الجبل الى البحيرة، ثم قتل بعد خروجه، فما الداعي لكل هذا الوصف الطويل وكيل المديح له؟ فأقول في جواب ذلك، بالرغم من كونه رجلا قليل الظهور، ولكن لم اتحدث عنه لكونه رفيق طريقي وأكلنا الخبز والملح معا، بل لكونه والله اعلم رجلا



مؤمنا متديناً صالحاً وشافعي المذهب ويتميز بصفاء السيرة، وكان رجلا مهيبا من كورد (الأيزولي) في أطراف (ملاطية)، وكان رجلا سخيا وبطلا وكريما، وإنني في مدة الأثنين والأربعين عاما هذه، رأيت الآلاف من الشجعان والمقاتلين ولكنني لم أر رجالا شجعانا من أمثال (سيد أحمد باشا) و (كدغاج باشا) وهذا الـ(چومار) الشجاع والپهلوان! وخاصة القتال الذي خاضه في مضيق (الناقورة) بالشام، فلا مثيل له في التاريخ، لذا فمن حقي آن أمدحه، رحمه الله.

كنا متجهين نحو الشرق، عندما قبض (ميراخور)(١) الپاشا على مجموعة من خيول البدليسيين، وقام الپاشا بإعادة الخيول الى اصحابها واحد واحدا، والتي لم يظهر لها صاحب، فقام بإعطائها للذين فقدوا خيولهم في القتال، وأعطى البعض منها لآغوات (وان)، ومن فضل الله علي، حصلت أنا أيضا على حصان وعلى سرج ..

عندما سمعت من الپاشا قوله (تهيأ، فإنني سأرسلك الى بلاد العجم)، فرحت كثيرا بذلك، لكوني سأرى هذه البلاد مرة أخرى، ومن سروري لم أستطع الجلوس في مكاني وأشار الى أن (كتخدا يوسف) أيضاً سيكون من المسافرين ثم نادى على صاحب الديوان وقال له (يامرتضى پاشا، اكتب رسالة مؤكدة الى خان (دنبولي)اما ان يطلق سراح أخو أخينا من السجن، أو انني سأطلع الشاه بذلك لكي يأخذ حقنا منه..)، وأعطاني كيسا من (القروش) لمصاريف الطريق، مع سترة ثخينة سمورية سوداء اللون، ومجموعة من الملابس الفاخرة مع حزام ذو مخشلات، مع خادم خفيف الدم كالقمر وقال لي (يا أوليا، عندما تصل الى بلاد العجم، فهناك الكثير من

١- المسؤول عن الخيول والدواب في الجيش. (ميراخور) تعني نصا (أمير الاسطبلات) ..(ر.ف)



الغشاشين الذين يسمونهم (رند)، وهناك شعراء ذوو لسان طويل، لا دين لهم وثرثارون، فإنهم سيختبرونك ويسألونك عن أشياء، فأنتبه لنفسك. وعليك الحفاظ على طريقتك الأسلامية ووضعها امام عينيك، وحافظ دائما على صلواتك الخمسة المفروضة، وصلّها جماعة وحافظ على عرضك وناموسك، وكن منتبها على رجالك وقم برعايتهم .. وخذ معك من قواتنا سبعين الى ثمانين من رجال الـ (ساريجه) من حملة البنادق) وكان مستمرا على نصائحه وكلامه هذا، عندما قطعت كلامه وقلت {ايها الپاشا إنك تقول ان بلاد العجم هي كذا وكذا، ثم تريد مني أن آخذ بعض المتوحشين من الصكبانية والساريجة، فكيف سأستطيع السيطرةعلى هؤلاء في البلاد الاجنبية؟ فقسماً برأسك سأختار لي الرجال الذين يمكنني السيطرة عليهم، وأن يكونوا مسلحين جيدين، مؤدبين ومتدينين وذوي ناموس} فقال الپاشا {أحسنت، إفعل ما بدا لك}، فقمت بأختيار ثمانين شخصا من (الصكبانية) الجيدين والمتدينين، وقمت بعرضهم على الپاشا واحدا واحدا، ففرح بذلك كثيرا، وصرف لهم (كيسا) من القروش لمصاريف الطريق، وقال لهم {لترى كيف ستساندون دين محمد وتحافظون على شرفكم وناموسكم. لا تخرجوا من أوامر (أوليا) وأي شخص يخرج من أوامره فسأقطع له رأسه. إذهبوا وليكن الله في عونكم} ثم قال لـ {صاري علي آغا} {إنك أيضا ستتوجه لطرف الشاه عباس في أصفهان(١)، فتهيأ وخذ معك كتيبتين من المقاتلين} وأعطاه كيسا من القروش أيضا.

وفي اليوم التالي، سمح للـ (آغا) العائد لـ (مرتضى پاشا) لكي يذهب، وقال لذلك (الآغا) العائد للوزير الأعظم والذي كان قد جاء لجمع

١- قال: (أصفهان نصف جهان) نصا، وهذا التعريف هو ما يطلق منذ القدم على مدينة أصفهان الايرانية، ويعني ذلك أن أصفهان تساوي نصف العالم!! (ر.ف)



الأغنام. {إرجع أنت الى استانبول، وسنقوم نحن إن شاء الله بجمعها لكم}. وأعطاه خمسة أكياس وخادم (گرجي) وحصانا وأمره بالرجوع. أما (بگوات) ووجهاء (پنيانش) والذين كانوا قد قدموا لتقديم الشكاوي حول نهب أغنامهم وحيواناتهم، فقد قال لهم {تهيأوا أنتم أيضا، لكي ترجعوا غدا مع أوليا چلبي}. ونادى على (صاري علي آغا) وأعطاه رسائل (السلطان)، وبعد اعطاءه التعليمات وتزويده بالنصائح أرسله ..

ثم ناداني وقال لي {يا أوليا، عليك التحدث بلسان عذب طيب مع القادة العجم الذين تلتقيهم في الطريق، وعندما تصل الى طرف {گنج علي} خان أورمية، فعليك أن تقوم بالتنسيق معه، وكلما إستطعت إستعادة الأربعين ألف رأس من الغنم العائدة لـ (پنيانش) بسرعة، فسيكون ذلك أفضل، لأنه سيتم نقلي من ولاية (وان) قريبا وسيعيدونني الى (الأستانه)، وخذ هذا الحصان الجيد لـ (خان) أورمية، وكلما تستطيع أن تعيد تلك الاغنام بالكلام الطيب سيكون ذلك أفضل. أما خان (دمبلي) الذي قبض على أحد أصدقاء (مرتضى پاشا) العائد لنا، فإعطه حصانا وإعطه هذه الرسالة، وحاول إطلاق سراح ذلك الشخص من بين يديه، ثم تذهب من هناك الى (بغداد) وتأخذ هذا السيف المجوهر والخنجر المجوهر وجعبة السهام المجوهرة، الى (مرتضى پاشا) مع هذه الرسائل، ولكن لا تمكث في بغداد كثيرا، وفي الرجوع، أرجع عن طريق (شهرزور) و (قلعة أحمد) ومصيف (زلم) و (حرير) وبلاد (أردلان) ثم يكون طريقك بين بلاد (الهكاري) ثم الى (وان)، وتأخذ هذا السرج الذهبي وهذا الفرس الأصيل وهذا الخنجر المجوهر الى (قرجيل قايتمار خان) حاكم (تبريز)، وقم بأحترامه وتقديره أكثر من الكل، لأنه الوزير الذكي والخبير الاول في (إيران)، ففي الوقت الذي كنت فيه في (بغداد)، كان هو بصفة قائد



الجـيش الايراني الذي ذهب الى (قندهار)، ثم تم تعـيـينه بصـفـة (خـان الخانات) في (تبريز)، وفي الوقت الذي هاجمنا فيه بدليس، كانوا يظنون في بلاد العجم بأننا سنهاجمهم، وإذا سألوك، فأخبرهم بالحقيقة، وأذا بقي شيء من أغنام (أورميه) فخذها مع هذه الرسالة والهدايا الأخرى الى (خان تبريز)، وكلما إستطعت فأعقد معه الصداقة بالكلام الطيب واللسان الحلو.

وقام بتسليم (صاري علي آغا)، السرج مع ترتيباته والسجاد المجوهر العائد لـ (خان بدليس) مع فرسه الاشهب الخاص مع ثلاثة خيول سريعة اخرى مع كتاب (الشهنامه) وكتاب (همايون) لكي يأخذها الى (الشاه)، كذلك أرسل لوالدة الشاه فرسا مزينا مع خمسة أزواج من الثياب النسائية المنقوشة في صرة، وأرسل لوزير الشاه رسالة مع فرس، ثم دعا لنا بالخير فودعناه نحن الأثنان وبدأنا بالرجوع.

في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة عام ١٠٦٥ ذهبت من (وان) بمأمورية الى بلاد العجم. في البداية خرج (صاري علي آغا) مع مائتي مقاتل منتخب في إرسالية لطرف (شاه ايران)، ثم أنا مع مائة مقاتل شجاع ومتدين مع قافلة من البغال، ثم خرج بعدي (علي آغا) وهو (الآغا) التابع لـ (مرتضى پاشا) مع مائة مقاتل، فخرجنا جميعا من (وان)، وكان وجهاء (پنيانش) أيضا الذين يريدون الرجوع الى بلادهم يبلغون حوالي مائة شخص، لذا بلغ عددنا جميعا حوالي خمسمائة شخص، بدأنا بالسفر، ووقف الپاشا في مكانه المعتاد لتوديعنا. خرجنا من (وان) وتوجهنا نحو الشرق، ووقعت بساتين (أردميت) الى يميننا، وبعد ثلاثة ساعات عبرنا قمة (زكوك) ووصلنا قرية (زكوك) وأخذنا الاستراحة هناك، والقرية تتكون من ثلاثمائة بيت وفيها كنيسة، وتسلم ضرائبها الى أمير (وان) أذ يستلمها مدير المالية، وبعد مسيرة ثلاثة ساعات اخرى نحو الشرق، وصلنا



كنيسة (ونك ورك) والتي هي في سفح جبل (ورك)، وتسمى الكنائس في هذه المنطقة (ونك). تحتل هذه الكنيسة جبل (ورك) من الأسفل حتى القمة، وهناك شارع محفوف بالأزهار من الطرفين وللكنيسة قبتان، كبيرة وصغيرة مع بوابة حديدية، وبذلك تحولت الى قلعة محكمة جدا ولاتشبه الكنائس القديمة أبدا، وفيها حوالي ثلاثمائة من القساوسة والرهبان، وكل واحد منهم مشغول بعمل من الأعمال، وفي تلك الليلة قاموا بإستضافتنا نحن اولئك المقاتلين الخمسمائة بشكل من الأكرام والأعزاز، لايمكن وصفه، وفي الصباح قاموا بإهدائنا أنا مع أصحابي بجلد من جلود الفهود لكل واحد منا.

وفي الصباح أخذنا بالسير في طريق وعر، وبألف ألم وعذاب عبرنا غابات جبل (ورك)، وبعد خمسة ساعات وصلنا قرية (هندوستن) وهي تتألف من حوالي ثلاثمائة بيت وفيها البساتين والرياض، وتسلم ضرائبها الى دائرة المالية في (وان). ومن هناك سرنا مسافة خمسة ساعات الى أن وصلنا الى رياض (قولي چايري)، ومن هناك ذهبنا الى (سليمان بگ چايري) ثم وصلنا قلعة (خوشاب)..

قلعة خوشاب:

بما أن نهر (خوشاب) يجري تحت القلعة لذا سميت بقلعة (خوشاب)، وكان الأسم القديم لها هو (أرچك بالا)، وهي مؤسسة منذ زمن (الهكاريين) في العصر العباسي، ووقعت في عام (٨٠٠) في أيدي (المحموديين) وهي الآن مركز (بگوات) المحمودي، وفي عام (١٠٦٠) قام أحد خاناتهم المسمى (سليمان زمان) بتوسيع هذه القلعة، واسس في الجانب الشرقي منها والذي يطل على أحد السهول، قلعة (سليمانية) محكمة، وإستعملوا في بنائها الأحجار التي يوازي حجم الواحد منها حجم



الفيل، ويبلغ طول الحجر الواحد منها (٢٠) قدما، وقد وضعت الأحجار في الجدار بالطول، بينما برزت زواياها للخارج، لكي تصمد أمام ضربات المدفعية بشكل أفضل، وقد غطي الجدار المزدوج من الأعلى، أي أنها لا تتأثر مهما ضربت بالمدافع، وفي عام (١٠٦٠) عندما قام (محمد أمين بن شمسي پاشا) بمحاصرتها لمدة تسعة وعشرين يوما، ظل يدكها بالمدفعية يوميا، دون أن تتحرك حجرة من أحجارها، ورجع خائبا و متحسرا على ذلك، ومن الشائع في البلاد العثمانية، انه يتم صنع بوابات القلاع من الخشب ثم يغطونها بطبقة من الحديد، لذا فإن هذه البوابات يحترق خشبها أثناء الحروب، عندما تشعل النيران أسفلها، ثم تتفتت الطبقة الحديدية فيها، أما بوابة قلعة (خوشاب) هذه، فقد صنع الشطر الواحد منها، من ثلاثمائة (قنطار) من الفولاذ (النخجواني)، ولاوجود للخشب فيها، وإن البوابة وضعت بين برجين، بحيث لا يمكن مشاهدتها. ان القلعة صغيرة جدا، لايجلس فيها غير الحاكم (ابراهيم بگ المحمودي) ويبلغ محيطها ألفا ومائتي خطوة، ويوجد حمام في أحد زواياها لل (بگ)، ومخزن للحبوب، سرداب، مخزن للعتاد، عشرة مدافع شاهانية، وخزان للماء لخزن مياه الامطار، وقد برز أحد الأحجار من أحد النتوءات على شكل خرطوم الفيل، وقد قام مؤسس هذه القلعة (سليمان بگ)، بصنع دولاب حديدي، بحيث يسحب الدولاب الماء الى هذا الخرطوم بواسطة سلسلة بطول مائتي ذراع، بحيث يتم سحب الماء من النهر الأسفل الى الاعلى في داخل القلعة، وفي كل يوم يأتي الناس من السور الأسفل لمشاهدة هذا العمل العجيب، وقد قام حاكم القلعة (ابراهيم پاشا) والذي كان معنا في معركة خان (بدليس).بالتجول معنا ومشاهدة القلعة من قبلي وأصدقائي، والأطراف الأربعة للقلعة تظنها وديان ومفازات (هاروت) ولا رجود للخنادق في أي



طرف من أطرافها، ولها بوابة واحدة من الطرف العلوي. والجهة الداخلية للبوابة عبارة عن خندق عميق جدا مملوء بالماء.

السور الأسفل:

في هذه المنطقة يسمون السور بالـ (رباط)، حيث يقع هذا الرباط في وادي، وتعلوها الشرفات من الاطراف الأربعة، ويمر نهر (خوشاب) من الجهة الغربية لها، لهذا السور، (أربعون) برجا والجدران منخفضة فيها، لها بوابتان من دون خنادق، وإن محيط هذه القلعة هو أربعة آلاف خطوة تقريبا، وفي داخلها يوجد ثمانمائة بيت ومسجد و(خان) وحمام وسخ وبضعة دكاكين صغيرة ولاشيئ آخر..

أوصاف أكراد المحمودي:

خضع هؤلاء الكورد في عام (٩٥٥) للسلطان (سليمان)، وأبلوا بلاء حسنا في معارك (تبريز) و (نخجوان) و (روان)، وقدموا خدمات كثيرة، ولهذا السبب سلمت بلادهم لهم، ويحكمونها عن طريق النجابة والمواطنة الصالحة، وهم الآن (بگوات) أصحاب طبول وأعلام خاصة بهم ضمن أيالة (وان)، وحسب قانون (سليمان)، فلهم (الزعامات) والـ (تيمارات)(١) الخاصة بهم وتكون عوائدها للـ (بگ)، وبسبب قربهم من (وان) فإنهم يتوجهون للقتال تحت راية والي (وان)، ويتم تعيين القاضي الخاص بهم من استانبول براتب (مائة وخمسين) أقچه، لهم ثمانية آلاف مقاتل وقد حدث مرارا أن تقاتلوا مع (شاه) العجم، يتصف مقاتلوهم بدرجة عالية من الشجاعة والأقدام وهم جميعا يقومون بإطلاق

١- الزعامات والتيمارات: هي أراضي زراعية، تقطع لكبار قادة الجيش في المقاطعات العثمانية المختلفة ويكون إقطاع هذه الأراضي الزراعية، من باب التكريم العسكري. (ر.ف)



اللحى، ثم يصبغونها بالأحمر أو الأزرق أو الأصفر أو الوردي، وهم متدينون جدا ومسلمون على المذهب الشافعي، وإذا ثبت الكذب على أحدهم، فإنهم يسمونه بالكذاب ويخرجونه من المدينة، حتى أنهم يبعدون أطفاله وعائلته أيضا.

نهر خوشاب:

تتجمع المياه الرائقه والعذبة من جبال هكاري ومصائف (حسين)، ثم تمر من تحت هذه القلعة وتسمى حينها بنهر (خوشاب) ويتجه النهر نحو الغرب وفي سهل (وان) يمر ببساتين ورياض (أردميت) ويصب في بحيرة (وان) تحت قلعة (وسطان) الهكارية. ولقد بقينا في هذه القلعة لليلة واحدة، وقام (الخان) بإهدائنا الهدايا الكثيرة، وخرجنا في الصباح، وبعد خمسة ساعات وصلنا قرية (دو آدان) التي تتكون من مائة بيت وهي تحت سلطة (المحموديين)، وأهاليها من الأكراد وفيها مسجد، وقد نصبنا خيامنا في أحد المروج، وقام أهالي القرية بذبح الخرفان والجديان (جمع جدي) لنا كما جلبوا اللبن والجبن بكميات كبيرة لمقاتلينا. وجلبوا لنا نوعا من الطعام، كان مطبوخا باللبن والحشائش وكانوا يسمونه (پوخين)، وقد أكلنا جميعا من ذلك الـ (پوخين) وكان لذيذا جدا، ويقال بأن طعام الـ (پوخين)(١)هذا، هو من الأطعمة الجيدة في هذه المنطقة، ويطبخونه لضيوفهم الاعزاء، ولكن بعض الاكراد المزعجين كانوا يأتون بين الفينة والآخرى ويسألوننا (ألا تأكلون الـ (پوخين)؟) وكان بيننا بعض

١- أغلب الظن أن المؤلف التركي أخطأ في التسمية أو في وصف هذا الطعام، فالأكلة التي وصفها المؤلف والتي تتكون من الرز عندما يطبخ باللبن والحشائش، تسمى (دوين) أو (كوتل ده و) في الكوردية، أما الـ (پوخين) فهو عبارة عن (السويق) في اللغة العربية، وهو الدقيق الذي يخرج من البرغل بعد نخله ولقد سبق وأن أشرنا الى ذلك في صفحات سابقة. (ر.ف)



الذين كانوا يخجلون من الأسم (١)، فلا يأكلونه ولكن في الحقيقة كان ذاك طعاما لذيذا. ومن هنا وبعد مسيرة ست ساعات وصلنا قلعة (آرجك).

أوصاف قلعة آرجك:

إنها قلعة مربعة الشكل مبنية على تل، ولكن القمة العليا للجبل كانت عالية جدا، لذا لم أذهب لمشاهدتها، وهي تحت سلطة (المحموديين)، وفي الزمن القديم كانت القلعة مركزا لأمارة المحموديين، وهي ليست عامرة كثيرا الآن، وهي تتبع أيالة (وان) ولها (بگ) للسنجق، يعمل تحت إمرته ألفا مقاتل، ويحصل المحموديون على خيولهم الأكثر أصالة من هنا، وتكون حاصلات القلعة للبگ، ويجلس (البگ) بنفسه في القلعة، وفي زاوية من زوايا السور الأسفل، يوجد حوالي خمسمائة بيت وهي ذوات رياض وأفنان جميلة، كما يوجد فيها مسجد و (خان) وحمام وسخ مع بضعة دكاكين.

بحيرة آرجك:

لهذه القلعة خليج صغير وفيها أسماك وردية مشهورة في كوردستان، تزن السمكة الواحدة منها عشرة حقات، إذ يصطادها السماكون، ويرسلونها كهدايا الى هنا أو هناك، ولا توجد فيها روائح الأسماك، وعندما فتح (السلطان مراد الرابع)، (روان)، أخذ الاستراحة هنا، لكي يأكل من هذا السمك، وكنا نحن أيضا ضيوفا على (بگ آرجك)، فأكلنا

١- علق مترجم الكتاب للكوردية على هذا فقال:

كلمة (پوخ) تعني الفضلات في اللغة التركية، ويبدو أن ما أكله (أوليا چلبي) في خوشاب والذي لذّ طعمه له كثيرا، كانت أكلة (دو كوليو)

الهامش ٣٠ ص٣١٧ من الكتاب الكوردي

وللتوضيح نقول أن أكلة (دو كوليو) الكوردية، هي الرز المطبوخ مع اللبن، كما أشرنا الى ذلك. (ر.ف)



الطعام لديه وإستلمنا الهدايا منه، ثم توجهنا نحو الشمال، عبر الوديان والجبال، وبعد مسيرة ثمان ساعات وصلنا قلعة (آباغاي)..

أوصاف قلعة آباغاي:

إن أسمها، متكون من الصيغة الخاطئة لـ (آباقايي)، حيث كلمة (قايي) تعني (الملك)، ويقال بأنه لا زال اسم قاتيباي وما شابهها من الأسماء متداولا في مصر، ويوجد في الجانب الغربي منه، طريق قصير، يصل الى (وان) بعشر ساعات، إن هذه القلعة مخمسة الشكل، وقد بنيت بشكل محكم على قمة نتوء جبلي، وهي الآن تابعة للمحموديين، وقد سرنا من هنا وتوجهنا نحو الشرق، وبعد سبعة ساعات وصلنا (قره حصار وان).

قره حصار وان:

يسمى الاكراد هذه القلعة بقلعة (قرجة)، وقد بنيت معظم جدرانها بالحجر الأسود من قبل (غياث الدين بن المقتدر بالله العباسي)، وهي بناية قديمة، وضمن البلاد العثمانية، تعتبر هذه سادس (قره حصار) للأكراد، والأخرى هي (قره حصار أفيون، قره حصار شبين، قره حصار الجمل، قره حصار أنطاكيا، قره حصار صاحب). وهذا لا يقل أهمية عن البقية، فهو (حصار) أسس على قمة نتوء جبلي يعلو نحو السماء، ولكنه صغير. وبما أن الوديان العميقة تحيط بها من الجهات الأربعة وهي كوديان جهنم، لذا لم أستطع قياس عمقها بالخطوات. والقلعة على شكل مربع مستطيل الشكل، وهي الآن في أيدي المحموديين، وهي عائدة الى شبيه أسمي الذي هو (أوليا بگ المحمودي). و (أوليا بگ) هذا هو أمير ذو إحترام، صاحب طبول وأعلام، وجميع أمراء كوردستان يقدرون له حسناته معهم، ويعمل تحت إمرته أربعة آلاف من العساكر المقاتلين الشجعان. لقد رتّب لنا (أوليا بگ) وليمة كبيرة وفاخرة وقدم خلالها أشهى المأكولات، وبعد تناول الطعام، لاحظ (أوليا بگ) وجود

الخاتم الذي في أصبعي، وكان قد حفر بيت من الشعر بخط (فريد) على الفص الزمردي للخاتم، فطلب (أوليا بگ) الخاتم لكي يراه، فسلمته إياه، فقرأ ماكتب عليها باللغة الفارسية، وكان البيت يقول:

أز رئيس أتقيا وأنبيا داردامید شفاعت أوليا (١)

{ويعني البيت حرفيا:

من رئيس الأتقياء والأنبياء

يأمل في الشفاعة أوليا

أي أن (أوليا) يأمل في الشفاعة من رئيس الأتقياء والأنبياء وهو النبي محمد (ص).}(٢)

وبرؤية هذا الخاتم، أصبح الأمير مثل المجانين، فقال لي:

{ياعزيزي أوليا، هل تعطيني هذا الخاتم؟} فقلت له {يا أميري إن الخاتم يعتبر سعدا لي، ونحسا للآخرين} فقال [لا يا أوليا إن أسماء الأولياء والأنبياء لا تعتبر نحسا أبدا، فأنا وأنت وليان صافيان، ولابد أن هذا الخاتم يليق بي] لذا لم تبق لي أية حجة، فقلت له [ليكن مبروكا عليكم ايها الأمير]. وكأنه قد حصل على الدنيا بذلك، وصاح قائلا [تعالوا، إعطوا خمسمائة رأس من الغنم المحمودي لأخي أوليا چلبي)، وكذلك أعطاني فروة سمورية وسيفا من النوع (الشيخاني) وحصانا محموديا. كذلك أهدى لكل من الآغا العائد لمرتضى پاشا والآغا العائد للپاشا خاصتنا، ثم قمنا بتوديعه.

١- النص الفارسي للبيت، موجود في الكتاب التركي أما الترجمة الكوردية للكتاب، فقد إقتصرت علي الترجمة الكوردية للبيت فقط.
ينظر الكتاب التركي لأوليا چلبي ص٢٧٥
كما تنظر الترجمة الكوردية للكتاب ص٣٢٠
٢- الترجمة العربية للبيت والتوضيح الذي يليه بين القوسين، تم من قبلي. (ر.ف)



بعد مسيرة خمسة ساعات بإتجاه الشمال الشرقي وصلنا قرية (پاسيك آغا) العائد لـ (أوليا بگ) والتي هي عبارة عن مائة بيت، وفيها مسجد وبعض البساتين الجميلة، ثم سرنا لمدة ثلاثة ساعات أخرى نحو الشرق، وعبرنا طريقا صخريا وعرا، الى أن وصلنا قرية (ملاحين) والتي هي داخل واد، وتناطح الجبال الموجودة على الجانبين منها جو السماء، وهي تتألف من ألف بيت للأكراد، بين الرياض والبساتين، وجميعهم على المذهب الشافعي وهم مقاتلون شجعان، ويوجد على نبع الماء للقرية، بستان جميل جدا يعود لـ [أوليا بگ]. وقام (كتخدا)(١) القرية بترتيب وليمة فاخرة لنا داخل هذا البستان. وقد حصلنا على الهدايا هنا أيضا، وقمت بأرسال أغنامي الخمسمائة الى (وان) لكي يبيعوها لي. ثم سرنا من هنا، وبعد ثلاثة ساعات وصلنا قلعة (پنيانش).

أوصاف قلعة پنيانش:

بنيت هذه القلعة على نتوء جبلي بارز، بحيث لا تشبه في بنائها أعمال البشر، وهي تستحق المشاهدة، وبمشيئة الله تعالى صفت أحجارها فوق بعضها البعض بشكل، بحيث تظن أنه تم ترتيبها باليد، برجا فوق برج وغرفة فوق غرفة. وفي الداخل يوجد فيها مائة كهف، فيها عشرة بيوت مع خزان للماء، وتمتلئ كهوفها بالأرزاق والذخائر، وتوجد الشرفات على سطح القلعة دون أن تلحق بها ضررا. وفي عام (١٠٢٤) قام (رستم خان الأقرع) بفرض الحصار على هذه القلعة لمدة ثمانية أشهر. وظل يدكها بالمدفعية طيلة تلك المدة، دون أن يستطيع عمل شيئ لها، لذا إضطر الى الرجوع عنها متحسرا.

فيها بوابة في الطرف الجنوبي، يجب الصعود اليها بواسطة السلالم، ومتى

١- (كتخدا) القرية، رئيس القرية، زعيم القرية، وكان ذلك منصبا اداريا أكبر من منصب مختار القرية لهذا العصر. (ر.ف)



مارفعوا تلك السلالم الى الأعلى بواسطة الحبال، فلا يبقى طريق للصعود إليها من أي طرف، يوجد مسجد ومخزن في الداخل. وتنتشر النمور والفهود والأكباش البرية في الجبال المحيطة بها، ويقوم الصيادون الكورد في تلك الجبال، بحفر بعض الحفر وتغطيتها من الأعلى لذا تقع الحيوانات الوحشية أحيانا كثيرة في تلك الحفر، فيقومون بإصطياد تلك النمور والفهود فيقتلونها، ويستفيدون من جلودها. وتوجد بعض النمور هنا، تبلغ أحجامها، بقدر أحجام الخيول. ويوجد في وادي (بزدوك) أسفل القلعة، حوالي ستمائة بيت من الأكراد، ولا وجود للسور حولهم، بل يوجد خندق، ويوجد على ضفتي نهر (بزدوك) هذا، آلاف من أشجار (الدلب)(١) الحمراء، الكبيرة الغليظة.

شيئ غريب:

في الحقيقة، أنا متعجب من شجاعة وجرأة صبيان هذا المكان، ففي وقت الربيع، حيث تبدأ الأشجار بالنمو وتتجه نحو الاخضرار، يتجمع الصبيان ويقومون بتسلق أشجار (الدلب) الحمراء، بحيث يصعد بين سبعين الى ثمانين الى مائة طفل الى كل شجرة (دلب)، ويتوزعون على الشجرة من الأسفل الى الأعلى، ويصلون حتى الى أغصانها الرفيعة، لذا لا تتحمل الشجرة هذا الحمل الثقيل، وتنخفض أغصانها تحت هذا الثقل حتى تقترب من الأرض، حينها يقوم بعض الأطفال برمي أنفسهم من الأغصان، فيخف الحمل من الشجرة، ولكن لايزال هناك من أربعين الى خمسين طفلا على الشجرة، وفجأة يقفز عشرة من الصبيان دفعة واحدة، فيخف حمل الشجرة وتستقيم أغصانها بقوة بحيث تصل الى الأرض من الجهة الأخرى، لذا

١- شجرة (الدلب) هي شجرة جميلة جدا، تنمو على ضفاف الانهار، وهي منتشرة كثيرا في كوردستان، وتسمى بشجرة (الچنار) بالكوردية. ونظرا لجمالها و إكتناز قامتها، تسمى بها الفتيات الكورديات، فكثيرة من النساء تسمى بـ (چنار)..(ر.ف)



تبقى تلك الاشجار البائسة في أيدي الصبيان على حالتها تلك، وهي تميل من هذه الجهة الى الأخرى ومن الغريب أن أشجار (الدلب) في أية منطقة أخرى.. لاتشبه أشجار هذا المكان في ليونتها ومرونتها، وتحملها لكل هذا الأنحناء والميلان دون إنكسار أغصانها. وفي كل يوم يخرج الصبيان من مدارسهم بعد العصر، ويأتون الى هنا للعب بهذه الأشجار.

يوجد في هذه المدينة مسجد صغير وجامع لأقامة صلاة الجمعة و (خان)، ولا يوجد فيها حمام ولا سوق، وهم يملكون أعدادا كبيرة جدا من الغنم وهي في المصائف(١).

ويقال أنه حسب مؤامرة حاكها (إبشر باشا) والي حلب، قام العجم بنهب أربعين ألف رأسا من الغنم منهم، ونحن

نذهب الآن لمحاولة إسترجاع تلك الأغنام. وقام أهالي المدينة بترتيب مكان لنا للأستراحة تحت ظلال تلك الأشجار وقاموا بتكريمنا كثيرا. وان مناخ هذه المنطقة لطيف وطيب جدا.

أحوال أهالي پنيانش:

قام أهالي (پنيانش) بالخضوع لـ (سليمان خان) في عام (٩٥٥)، لذا أعطيت حاصلات بلادهم الى الـ (بگ) العائد لهم (٢). ويعمل تحت أمرته ستة آلاف مقاتل، وتعتبر هذه المنطقة أيضا ضمن منطقة (المحمودي)، واللقب الرسمي لهم هو (أمراء پنيانش)، وأهالي (پنيانش) أنقياء القلوب، عقولهم على ألسنتهم(٣)، وهم مستقيمون وأصفياء القلوب،

١- هي الأماكن المعتدلة الجو في الصيف وتسمى (زوزان) باللغة الكوردية. (ر.ف)

٢- يقصد بالحاصلات، الضرائب التي تؤخذ للحكومة من الأهالي. (ر.ف)

٣- تعني هذه العبارة، انهم لا يعرفون الحيل والمخادعات ...الخ.(ر.ف)



يحملون سيوفهم في خصورهم وخناجرهم في أحزمتهم، وكأنهم النار اللاهية، ولهم مكابرة وثقة عالية بأنفسهم، بحيث لا مجال للكذب والخداع بينهم، وإن (المائة) رجل الذين أتوا معي من (وان)، بقوا هنا وإخترت منهم عشرة رجال فحسب لكي يصطحبوني الى بلاد العجم.

من هنا توجهنا نحو الشرق وأخذنا الاستراحة في (روباجق)، وعندما عاد السلطان (مراد الرابع) من معركة (روان)، نصب خيامه هنا، وقد جعلوا من مكان خيمته، دكة ترابية للجلوس عليها، هذا المكان هو نهاية حدود (پنيانش) وتعتبر ضمن الأراضي العثمانية. وفيها ماء لذيذ، أطيب من مياه القدس الشريف، وكل شخص يشرب من هذا الماءلدة أربعين يوما متواصلا فسيصبح رجلا شجاعا جريئا، لهذا السبب تتصف عشيرة (المحمودي) بهذه الشجاعة. ومع الأسف فإن الطرقات هنا كثيرة الوعورة وصعبة الأجتياز وذات غابات كثيفة، توجد في جبالها أعداد كبيرة من الغنم والماعز البري، كما يوجد فيها النمور والدلق(١) والضباع بلا حساب والقرية فيها ليست عامرة كثيرا، تتألف من ثلاثمائة بيت وجميعهم من الأكراد، وهناك في هذه المنطقة يوم في الأسبوع يخصصونه للتجمع والبيع والشراء فكل من يريد بيع شيئ من أشياءه يجلبه الى هنا، وبعد مسيرة ستة ساعات وصلنا قلعة (قطور)..

أوصاف قلعة قطور:

في اللغة المغولية، يسمون كل شخص متمرد وعنيد بـ (قطور)، بعد وفاة (جنگيز خان) أسلم قومه، وكان أحد أحفاده يدعى (محمود شاه غازان) الذي

١- الدلق: حيوان صغير يسمى (إبن عرس) أيضا وهو من فصيلة السموريات، وعادة ما يكون لونه مائلا الى الصفرة الغامقة، وتصطاد هذه الحيوانات للأستفادة من جلودها وفروتها الجيدة. (ر.ف)



كان لديه وزير عنيد يسمى (قطور)، فأمره الشاه أن يقوم ببناء قلعة بين هذه الجبال والصخور، لذا قام في عام (٦٩٤) ببناء هذه القلعة التي سماها (قطور). هناك قلعة محكمة أخرى في سنجق (هرسك)(١) وهي الآن في أيدي الـ (واندوكيين). و (قطور) هذه في أيدي العجم.

في عام (٩٩٢) عندما فتح (فرهاد پاشا) هذه المنطقة، أصبحت القلعة في أيدي العثمانيين، وبعد ذلك في عام (٩٩٦) عندما إندحر (إبن جغالة) في معركة (النهر) وترك أحماله وعتاده وذخائره، اغتنم (العجم) هذه الفرصة، وإحتلّوا هذه القلعة وقاموا بتعميرها أكثر من السابق. وفي عام (١٠٤٥) عندما رجع السلطان مراد الرابع من فتح (وان) مكث في هذا الوادي، وقد أطلقوا عليه المدافع من هذه القلعة، بحيث لم يستطع أحد منهم رفع رأسه، فسأل (مراد خان) [من أين يأتي صوت هذه المدافع؟] فقيل له [بأن هذه القلعة كانت لنا ولكنها وقعت في أيدي العجم، وإن هذه المدافع تطلق من هناك]. فركب (مراد خان) فرسه الخاص المسمى (توغاي إيلي)، وذهب الى مكان مرتفع وشاهد القلعة، وقال (ياحسرتاه يالها من قلعة محكمة وصعبة، أن الشتاء أمامنا الآن، فلو ضربنا عليها الحصار، يجب أن نبقى هنا، فلنتركها الآن). وفي عام (١٠٤٨) عندما فتح بغداد، ووقع وثيقة الصلح، قال لـ (قره مصطفى پاشا) .. [يا مصطفى، ليقم العجم بمناسبة هذا الصلح بتهديم قلعة (ماكو) قرب (روان) وقلعة (قطور) قرب (وان)]. ولكن لم يطبق ذلك، وإكتفوا بإخراج الجنود منهما وعدم تهديمهما، وحدث أن (السلطان مراد) توفي في استانبول بعد فتح بغداد، وجلس (ابراهيم خان) مكانه، فتراجع العجم عن معاهدتهم، وقاموا بتعمير قلعتي (ماكو) و (قطور) وزادوا في إحكامهما.

١- هرسك: هي الآن ضمن جمهورية (البوسنة والهرسك) التي كانت جزءاً من (يوغوسلافيا) السابقة وكانت في تلك الأزمان جزءاً من الدولة العثمانية. (ر.ف)



والآن فإن (قطور) هذه تقع على حدود (پنيانش) التابع لأيالة (وان)، وكانت في السابق مركزا لسنجق (قطور). وبالرغم من أن القلعة هي بيد العجم، ولكن المنطقة هي عثمانية. وإن (قطور) نفسها، يحكمها (بگ) وقد إشترك (البگ) في معركة بدليس.

شكل قلعة (قطور):

تقع القلعة المنيعة المربعة الشكل المستطيلة، في النهاية الجنوبية لواد، وتقع على نتوء جبلي عال يناطح السحاب، لا أعرف كم هو محيطها، ولكنها صغيرة الحجم، وهذه هي نهاية حدود (العجم)، وفي القلعة ثلاثة آلاف مقاتل (مازندراني) منتخب من حملة البنادق.

في الليلة التي وصلنا فيها، ومكثنا في البساتين التي تقع أسفل القلعة، كانوا قد أضاءوا جميع أبراج وأسوار القلعة بالمشاعل، وكان الحراس يقظين باستمرار ويصيحون (الله حي)(١) حتى الصباح. وفي حقيقة الأمر، أن بناء القلاع عمل يجيده الأفرنج، فكذلك حماية القلاع تليق بالعجم. وقد نزل رئيس حراس القلعة مع عدد من الحراس، من القلعة وجلسوا معنا، وقد بالغوا في إكرامنا وضيافتنا. وفي الصباح الباكر، أرسلوا معنا بعض الرجال وأوصلونا الى المكان المسمى (محمد دره)، والمكان هو تلة صغيرة، وهي مدخل أراضي العجم. ففي شهر ذي القعدة من عام (١٠٦٥) عبرنا حدود (الشاه) ووطئنا أرض بلاد العجم، وبعد أربعة ساعات وصلنا قلعة (آلباق)..(٢)

١- لقد كتب المؤلف التركي هذه العبارة باللغة الفارسية كما كان ينطق بها بـ (خداخوب). ص٢٨٠ من الكتاب التركي (ر.ف)

١- الى هنا ينتهي ما ترجمه الاستاذ (سعيد ناكام) من الكتاب التركي الى اللغة الكوردية، وقد كتب خاتمة بذلك، يبين فيها ملاحظاته وأسباب توقفه عن الترجمة هنا، يقرأها القارئ العزيز في الصفحة التالية. (ر.ف)



--- الخاتمة التي كتبها الاستاذ سعيد ناكام(١) ---

هنا ينتهي الحديث عن كوردستان في المجلد الرابع من كتاب (رحلة أوليا چلبي). وهو يسافر بعد ذلك حسب الأمر الصادر له الى أورميه وتبريز وقزوين وهمدان وكرمانشاه وبغداد وبذلك ينتهي المجلد الرابع.

ويتغير أسلوب الكتابة لدى (أوليا چلبي) في القسم الأخير من الكتاب بشكل واضح، فهو لا يبحث عن مداخل ومخارج المدن بشكل دقيق كالسابق ولا يذكر كلمات (كورد) و (كوردستان)، ولا يبقى للكتاب طعمه السابق. والذي يلاحظه القارئ، انه لا يذكر اسماء المدن الايرانية بالترتيب وواحداً بعد الآخر، ويظهر شيئ من الفوضى والأرتباك في سلسلة كتاباته، بحيث يجعل القارئ يظن ان (أوليا چلبي)، قام بتدوين ملاحظاته عن أية مدينة زارها في صفحة على حده، ثم قام بجمع الصفحات وترتيبها، ولكن حدث لها تقديم وتأخير وتقليب في الكتابه، أو أنه ربما لم يزر بعض المدن وإنما اكتفى بالاعتماد على السؤال والسماع حولها!..

والا فلا يعقل أن يذهب الى همدان وكرمانشاه و دزفول، ثم يرجع الى قزوين وسنه وقم وكاشان وساوه ومنها الى مدينة آلري ودماوند، ومن ثم من قلعة (درنه) الى بغداد.

بالأضافة الى ذلك وبما أن هذا الأمر ليست له علاقة بموضوعنا، فبعد عبوره حدود الروم مع العجم، إنتهى القسم الذي كان يكتب فيه عن كوردستان، فنحن أيضا وقبل أن ينتهي المجلد الرابع من الرحلة، أنهينا هذا الموضوع.

١- تنظر الترجمة الكوردية للكتاب ص٣٢٦، ٣٢٧



كلمة أخيرة

بقلم: رشيد فندي

نعم، لقد قام مترجم الكتاب للكوردية الاستاذ سعيد ناكام، بترجمة (٢٨٠) صفحة من المجلد الرابع من (رحلة أوليا چلبي) في كوردستان، ولكن بقي من ذلك المجلد اكثر من (١٥٠) صفحة، تبحث في مدن ايران وكذلك بغداد، ورغم الملاحظات التي أوردها المترجم للكوردية في خاتمته، الا ان هناك معلومات غاية في الاهمية. عن المدن الباقية في رحلته، سواء من الناحية التاريخية أو الجغرافية أو الدينية و سنقوم نحن بأذن الله، بترجمة القسم المتبقي من المجلّد الرابع في كتاب مستقل إن شاء الله.



الفهرست



الكتاب مهم من ناحيتين. تكمن الناحية الأولى في ابراز الجانب الحضاري الذي كان سائدا في كوردستان حينذاك، في ظل الإمارات الكوردية شبه المستقلة وماكانت عليه من تقدم حسب مقاييس ذلك الزمان. والناحية الثانية، هي إعطاء التفصيلات حول المؤامرة الكبيرة التي نسجها الباب العالي وحكامه حول إمارة بدليس الكوردية وأميرها الشهم [عبدال خان] وماكان عليه من إباء، تفصح عنها شخصيته الكوردية العريقة، والتي ترد تفاصيلها في ثنايا الكتاب.

رشيد فندي



